



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الحاج لخضر - باتنة 1 -



كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

الرقم التسلسلي:

قسم الفلسفة

رقم التسجيل:

خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث والمعاصر

- جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا -

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه علوم تخصص فلسفة

إشراف الأستاذ الدكتور:

موسى معيرش

إعداد الطالب:

علي أرفيس

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية	الصفة
أ.د. عبدالمجيد عمراي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1	رئيسا
أ.د. موسى معيرش	أستاذ التعليم العالي	جامعة عباس لغرور - خنشلة	مشرفا ومقررا
أ.د. موسى بوكسر	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي أمود بن مختار - اليزي	مناقشا
أ.د. عبدالغني بوالسكك	أستاذ التعليم العالي	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1	مناقشا
أ.د. لخضر حميدي	أستاذ التعليم العالي	جامعة محمد بوضياف - المسيلة	مناقشا
د. محمد شروف	أستاذ محاضر (أ)	جامعة الحاج لخضر - باتنة 1	مناقشا

السنة الجامعية: 2020 - 2021

كلمة شكر

يسعدني في هذه اللحظات أن أتقدم بالشكر والامتنان للأسناد الدكتور
موسى معيرش، على ما قدمه لي من توجيهات وإرشادات ، وعلى ما أبداه
نحوي من رعاية علمية ورحابة صدر صادقين، طيلة إنجاز هذه الرسالة، فإليه
منى جزيل الشكر والتقدير.

كما لا يسعني إلا أن أتقدم بالشكر والتقدير إلى: زوجتي الكريمة التي
قاسمتني عناء البحث، ولولاها لما خرجت الرسالة بهذه الصورة وبهذا الشكل، فإليها
أسمى عبارات التقدير والاحترام.

وإنه لمن دواعي سروري أن أغنم هذه الفرصة السعيدة لأتقدم بخالص
شكري وتقديري وعرفاني للذي كان بمثابة الأب والأخ والصديق: جوبير الشيخ،
على ما قدمه لي من تشجيع وهوازة معنوية كانت لي زادا روحيا لا يقدر بثمن،
فإليه أسمى عبارات التقدير والاحترام.

إهداء

إلى روح والدي (رحمه الله)

إلى روح عمي يحي (رحمه الله)

إلى والدني الكريمة (أطال الله في عمرها)

إلى زوجتي رفيقة دربي.. من سارت معي نحو الحلم.. خطوة بخطوة

بذرناه معاً.. وحصدناه معاً.. وسنبقى معاً.. بإذن الله

إلى ابنتي رهِف أنتِ من حلق بقلبي إلى سماء السعادة

إلى أبناء إخوتي وأخواني: أسيل، حسامر، هيثم، مرام، إسلام

إلى إخوتي الأعزاء وأخواني الكرميات الذين لا ينقطع دعاؤهم لي بالنوفيق

والنجاح

إلى كل أفراد عائلة عمي يحي الذين قاسموني الحياة بأفراحها وأحزانها

مُقَلَّمَاتُ

مقدمة

إنّ الحديث عن موضوع النهضة العربية، عادة ما يحيلنا إلى العوامل التي كانت السبب في قيام هذه النهضة، ولعل من أبرز هذه العوامل وأهمها: الحملة الفرنسية على مصر، حيث فتحت هذه الحملة أبواب العالم العربي على الحضارة الغربية الحديثة، بما كانت تحمله من أفكار و مبادئ سياسية وأنظمة إدارية وعلوم وفنون. بالإضافة إلى البعثات العلمية إلى أوروبا وذلك من أجل دراسة مختلف العلوم التطبيقية والنظرية، والقيام بترجمة العديد من المؤلفات العلمية والأدبية والفنية الغربية إلى اللغة العربية، وهي من العوامل الهامة في انفتاح العالم العربي على الفكر الأوروبي وحضارة الغرب. ثم الطباعة التي ساهمت في نشر العديد من المؤلفات والكتب العربية القديمة، وإحياء التراث العربي وإيصال المؤلفات الحديثة والكتب المترجمة إلى أيدي المثقفين العرب. وكذلك الصحافة التي لعبت دورا في توعية الشعوب من الناحية السياسية والفكرية والتطرق إلى مختلف المسائل المتعلقة بالوحدة الوطنية والإقليمية، وكذا الرابطة العثمانية والجامعة الإسلامية والقومية العربية. وأخيرا الترجمة التي مكّنت العرب من الاطلاع على ثقافة الغرب وعلومه وما توصل إليه من آراء ومبادئ وأفكار سياسية واقتصادية واجتماعية.

هذه العوامل وغيرها هي التي ساهمت في تأسيس خطاب النهضة في الربع الثاني من القرن التاسع عشر، وقد أدّى هذا الخطاب إلى بروز اتجاهات وتيارات حاولت أن توضح وتحدّد أسباب الضعف والفساد والانحلال الذي أصاب المجتمعات العربية والإسلامية، حيث ذهب دعاة الإصلاح الديني أمثال جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا إلى أن السبب الأول والرئيسي في تدهور الحضارة العربية الإسلامية وضياع مجد المسلمين هو إهمال ما كان سببا في النهوض والمجد وهو ترك الدين، واسترجاع عزة المسلمين وقوتهم رهن بالعودة إلى الدين الإسلامي، بينما دعاة الاتجاه القومي أمثال ساطع الحصري وزكي الأرسوزي وقسطنطين زريق وميشيل عفلق رأوا أن سبب ضعف العرب وتخلفهم هو تفرّقهم وتبعثرهم وتشتتّهم، وأن استرجاع قوّة العرب وعزّتهم هو في وحدتهم. وأنّ اللغة هي التي يجب أن تجمع بين الذين يختلفون في العقائد الدينية ويعتزون بالثقافة التي تعبر عنها تلك اللغة. إضافةً إلى دعاة الاتجاه الليبرالي أمثال فرح أنطون

وشبلي شميل وقاسم أمين ولطفي السيّد وعلي عبدالرازق وسلامة موسى وطه حسين الذين رأوا مدى الفجوة الحضارية بين تأخر العرب والمسلمين وتقدّم الغرب، وأن السبيل الوحيد لتجاوز هذا التأخر، هو من خلال تبني النموذج الغربي والاستفادة من فكره وعلومه.

واستمرّ خطاب النهضة حتى الربع الثاني من القرن العشرين، حيث طرح من جديد بعد نكسة 1967 من جهة وفشل الأنظمة العربية المستمر في تحقيق آمال وطموحات الشعوب من جهة أخرى، وقد برز بعض المفكرين أمثال زكي نجيب محمود و مالك بن نبي و محمد عابد الجابري و حسن حنفي وغيرهم، في محاولة للنهوض بالفكر العربي والاسلامي ومن ثمّ النهوض بالأمّة وتحقيق آمالها وتطلّعاتها نحو التقدّم والتطور.

وإذا ما تحدثت عن خطاب النهضة في الجزائر، فإن الأمر يختلف تماما على ما كان عليه في مصر وبلاد الشام، فإذا كانت الحملة الفرنسية على مصر والبعثات العلمية إلى أوروبا والطباعة والصحافة والترجمة وغيرها من العوامل هي التي شكلت خطاب النهضة في تلك البلاد، فإن خطاب النهضة في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تشكّل في أدقّ مرحلة مرّت بها الجزائر، حيث تأسس في الوقت الذي تعرض فيه المجتمع الجزائري لأبشع احتلال عرفه التاريخ، لأن الاحتلال الفرنسي منذ البداية لم يقتصر على نهب خيرات و ثروات البلاد، بل عمل على تدمير الإنسان الجزائري من الداخل وطمس هويته، وذلك من خلال طمس المعالم العربية الإسلامية للجزائر، فقد شرع في تغيير الشوارع وأسمائها، وتهديم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكانها، وتحويل الدور والقصور والمساجد والمدارس والكتاتيب والزوايا إلى مؤسسات عمومية للجيش وكنائس ومخازن ومستشفيات.

وعن الأسباب التي دفعتني إلى اختيار هذا الموضوع: (خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث والمعاصر - جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنموذجا -)، فتعود إلى أسباب ذاتية وأسباب موضوعية.

بالنسبة للأسباب الذاتية: تتمثل في أن الاهتمام بهذا الموضوع هو في مجال تخصصي (فلسفة الحضارة)، كما أن دراستي السابقة ولّدت لدي الرغبة في الاهتمام بالفكر الجزائري عموماً وفكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خصوصاً.

أما عن الأسباب الموضوعية، فتتمثل في أن اختياري لهذا الموضوع، راجع لأهميته البالغة، فلولا ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في حقبة الثلاثينيات، وذلك من خلال بروز نخبة من المصلحين وعلى رأسهم الشيخ عبد الحميد بن باديس والشيخ محمد البشير الإبراهيمي والعربي التبسي والطيب العقبي ومبارك الملي والفضيل الورتلاني وغيرهم وقيامهم بجهود عظيمة من أجل الحفاظ على هوية المجتمع الجزائري، لاندثرت معالم الجزائر ولم يصبح لها أي كيان أو وجود، حتى وصل الأمر بأحد أبرز مناصري الاندماج إلى القول: « بحثت في التاريخ، وسألت الأحياء والأموات، وزرت القبور، فلم يحدثني أحد عن هذا الوطن».

وتكمن أهمية الموضوع لكون أن فترة الثلاثينيات من القرن الماضي تعتبر من أهم فترات تاريخ الجزائر الحديث، حيث اشتدّ فيها مشروع الاحتلال الفرنسي في القضاء على الشخصية الجزائرية بكل مقوماتها الأساسية من دين، ولغة، وتاريخ، وثقافة، وحضارة. ولعلّ من أبرز الحركات الإصلاحية في الميدان التربوي والديني والثقافي والتي ظهرت في تلك الفترة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد أن بلغ عمر الاحتلال الفرنسي في الجزائر قرناً كاملاً. حيث كان دورها الأول إصلاحي تربوي تعليمي تغييري بصورة جذرية لأوضاع المجتمع الجزائري المختلفة، من خلال إعادة بناء الإنسان الجزائري والحفاظ على هويته، ثم دورها الثاني في البعد الجهادي ضد الاحتلال الفرنسي.

وانطلاقاً من خلال هذا الموضوع حاولت أن أجيب على الإشكالية الرئيسية التالية:

هل لخطاب النهضة الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دوراً أساسياً في بناء الإنسان وفي المحافظة على هوية المجتمع الجزائري وشخصيته؟ وما مدى نجاح هذا الخطاب في غرس الروح الوطنية وفي مقاومة المجتمع الجزائري للاحتلال الفرنسي؟ وهل كان خطاب النهضة

الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نابعا من خصوصية وطبيعة المجتمع الجزائري أم كان مستلهما من خطاب الحركات الإصلاحية في العالم العربي الإسلامي؟

وتتدرج تحت هذه الإشكالية الرئيسية تساؤلات فرعية:

ما مضمون خطاب النهضة الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟ وما هي المقاصد والغايات التي حاولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تحقيقها؟ وما هي الوسائل التي اتبعتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تبليغها لخطابها النهضوي وتحقيق مقاصدها وغايتها؟

وللإجابة على الإشكالية الرئيسية، وعلى التساؤلات الفرعية، اتبعت خطة اشتملت على مقدمة و أربعة فصول و خاتمة.

بالنسبة للمقدمة تضمنت التعريف بالموضوع وسبب اختياره، وأهميته، والإشكالية التي يطرحها، وخطة البحث، ثم المنهج المتبع في الدراسة، والإشارة إلى بعض الدراسات السابقة، وأهم المصادر والمراجع التي تم توظيفها في البحث.

تناولت في الفصل الأول مفهوم خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث والمعاصر وتأثيره على الخطاب النهضوي في الجزائر، حيث تطرقت في المبحث الأول إلى الدلالة اللغوية والاصطلاحية للخطاب. والمبحث الثاني إلى الدلالة اللغوية والاصطلاحية للنهضة. أما في المبحث الثالث تطرقت فيه إلى خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث حيث تناولت ثلاث تيارات رئيسية: التيار الإصلاحي الديني، التيار القومي، التيار التغريبي الليبرالي. والمبحث الرابع كان حول خطاب النهضة في الفكر العربي المعاصر، حيث تناولت أبرز المشاريع النهضوية عند كل من: زكي نجيب محمود ومالك بن نبي ومحمد عابد الجابري وحسن حنفي.

و الفصل الثاني خصصته للخطاب النهضوي في الفكر الجزائري حيث تطرقت في المبحث الأول إلى الأوضاع العامة في الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وأشارت فيه إلى الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية. والمبحث الثاني كان حول الحركة

الفكرية والإصلاحية قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تناولت الحركة الفكرية عند كل من: حمدان خوجة ومحمد بن محمود العنابي ومحمد بن مصطفى بن الخوجة ومحمد بن أبي شنب، ثم تناولت الحركة الإصلاحية عند كل من: عبد القادر المجاوي وصالح بن مهنا وعبدالحليم بن سماية والمولود بن الموهوب. أما في المبحث الثالث تناولت فيه نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وحاولت أن أبين فيه العوامل المؤثرة في نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم بداية تأسيسها وتتبع مسارها إلى غاية الفترة الراهنة. والمبحث الرابع كان حول أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومقاصدها، وتطرقت فيه إلى أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ثم نظرة الكتاب الغربيين لهذه الأهداف.

و الفصل الثالث خصّصته للخطاب النهضوي في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حيث تطرقت في المبحث الأول إلى الخطاب العقدي وأشرت فيه إلى محاربة جمعية العلماء للبدع والخرافات ومحاربتها للزوايا والطرقية المنحرفة، وموقفها من التنصير والإلحاد والتجنيس. والمبحث الثاني كان حول الخطاب التربوي، وبينت فيه أهمية التعليم ثم إصلاح التعليم وكذا أركان التعليم وأخيرا نظام التعليم بعد الاستقلال. أما في المبحث الثالث تطرقت فيه إلى الخطاب الاجتماعي، وأشرت فيه إلى محاربة الجهل ومحاربة الانحراف الأخلاقي ومكافحة الفقر وتعزيز الوحدة الوطنية ثم الاهتمام بالجالية الجزائرية في فرنسا. والمبحث الرابع كان حول الخطاب السياسي، حيث تناولت فيه جملة من القضايا الوطنية والقضية الفلسطينية والقضايا العربية والإسلامية وأخيرا القضايا الإنسانية.

و الفصل الرابع خصصته لوسائل الخطاب النهضوي في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث تطرقت في المبحث الأول إلى المسجد، وتناولت فيه المسجد الأخضر وتفسير ابن باديس للقرآن الكريم، ثم مسجد كتشاوة وخطبة الجمعة للإبراهيمي، و رؤية جمعية العلماء للخطاب المسجدي. والمبحث الثاني كان حول المدرسة، حيث تناولت فيه مدرسة دار الحديث بتلمسان ومعهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة، ثم المدارس القرآنية. أما في المبحث الثالث تطرقت فيه إلى الصحافة، وحاولت أن أتكلم فيه عن صحافة جمعية العلماء في عهد

الاحتلال ثم عن صحافة جمعية العلماء في عهد الاستقلال، وأخيرا انفتاح جمعية العلماء على الإعلام الجديد. والمبحث الرابع كان حول النوادي والجمعيات والملتقيات.

وأخيرا **الخاتمة** التي حاولت من خلالها استخلاص جملة من النتائج.

وقد اعتمدت في بحثي هذا على **المنهج التحليلي**، وهذا من منطلق القيام بعملية وصف الأعمال والجهود التي قام بها العلماء المسلمين الجزائريين، وتؤكد ضرورة استخدام هذا المنهج عند دراسة النصوص التي هي السبيل القويم للتوضيح والاستنباط، كما استخدمت **المنهج المقارن** الذي تنضح وظيفته في المقارنة بين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي. بالإضافة إلى استخدام **المنهج التاريخي** لأننا بصدد تتبع مسار جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من التأسيس إلى الفترة الراهنة.

وفي حدود اطلاعي على بعض الدراسات السابقة التي تناولت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وجدت كتابين: (**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى**) و (**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945**) لـ **عبد الكريم بوالصفصاف**. ففي الكتاب الأول وهو دراسة تاريخية يؤرخ عبد الكريم بوالصفصاف لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفة خاصة والحركة الوطنية بصورة عامة، ويقارن بين جمعية العلماء والحركات السياسية والثقافية والدينية الأخرى كنجم شمال إفريقيا وحزب الشعب الجزائري والحزب الشيوعي الجزائري وحركة أحباب البيان والحرية والطرق الصوفية. أما **الكتاب الثاني** فهو كذلك دراسة تاريخية يتناول فيه حقبة من أهم الحقب التاريخية في حياة الجزائر في العصر الحديث، حيث يتطرق إلى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والدور الذي قامت به في إثارة وتنمية الوعي الديني والوطني. كما وجدت كتاب: (**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1939**) لـ **مازن صلاح حامد مطبقاني** وهو دراسة تاريخية تناول فيه دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الوطني والعربي والإسلامي، وأشار فيه إلى مبادئها وبرامجها وأهدافها وحدد علاقاتها بالحركات الوطنية الأخرى كحزب الشعب والحزب الشيوعي. وكذلك كتاب: (**جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية**

الجزائرية 1954 - 1962) لـ إسعد لهلالي وهو دراسة تاريخية تناول فيه موقف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من الثورة التحريرية الجزائرية والدور الوطني الذي قام به العلماء خلال الثورة سواء داخل الوطن أو خارجه ثقافيا وإعلاميا سياسيا وعسكريا ودبلوماسيا.

ولهذا حاولت أن تكون دراستي لموضوع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تختلف عن الدراسات السابقة، فهي دراسة تحليلية حيث تم التركيز فيها على تحليل الخطاب النهضوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والمقارنة بين هذا الخطاب وخطاب الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي، دون إغفال الجانب التاريخي في الدراسة لأننا بصدد تتبع مسار هذا الخطاب.

ولقد اعتمدت في إنجاز هذا البحث على مجموعة من المصادر والمراجع. بالنسبة لأهم المصادر وظفت كتاب آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف: عمار طالبي، وكتاب آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، وكتاب صراع بين السنة والبدعة لأحمد حماني، وكتاب حقائق وأباطيل لعبد الرحمان شيبان، وكتاب حصاد قلم جزائري لعبد الرزاق قسوم، وكتاب نظام التعليم في الجزائر لعبد القادر فضيل، بالإضافة إلى بعض الجرائد والمجلات الصادرة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وبالأخص جريدة البصائر. أما بالنسبة لأهم المراجع، فقد وظفت كتاب تاريخ الجزائر الثقافي لأبي القاسم سعد الله، وكتاب الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر لتركي رابح.

ولا يسعني إلا أن أختتم هذه المقدمة بالإشارة إلى الصعوبات التي صادفتني خلال إعداد البحث، وتتمثل في كثرة المراجع المتعلقة بفكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أثناء فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر، وهذا ما يجعل مهمة الاختيار بينها يكاد يكون صعبا، كما أن هناك صعوبة تتمثل في قلة المراجع و الدراسات، إن لم نقل في انعدامها تماما التي تتناول فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بعد الاستقلال.

وفي الختام فإنني ما أخال نفسي، بلغت الكمال، لأن الكمال لله سبحانه وتعالى، وإنما ينطبق عليّ ما قاله العماد الأصفهاني: «إني رأيت أنه لا يكتب إنسانا كتابا في يومه إلا قال في غده: لو غير هذا لكان أحسن، ولو زيد كذا لكان يُستحسن، ولو قُدم هذا لكان أفضل، ولو تُرك هذا لكان أجمل».

الفصل الأول

مفهوم خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث والمعاصر وتأثيره على الخطاب النهضوي في الجزائر

تمهيد

المبحث الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للخطاب

المبحث الثاني: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للنهضة

المبحث الثالث: خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث

المبحث الرابع: خطاب النهضة في الفكر العربي المعاصر

خاتمة

تمهيد:

إن خطاب النهضة عادة ما يذكرنا بالفترة التي عاشتها أوروبا الغربية بداية من القرن السادس عشر للميلاد، والذي جعلها تثور على الكنيسة وتخرج من سيطرتها وتدخل في عهد التحرر الفكري والتوسع في مختلف ميادين العلم والمعرفة. حيث شهدت نهضة علمية وأدبية، رافقتها اكتشافات جغرافية وحركة استعمارية ضمنت لها السيطرة على العالم الجديد وعلى العديد من أقطار العالم القديم من إفريقيا وآسيا، واجتاحتها في القرن الثامن عشر ثورة صناعية وأخرى سياسية واجتماعية قلبت أوضاعها رأساً على عقب، وأعطتها مركز القيادة للعالم بأسره.

وعرف العرب في تاريخهم نفس التطور، إذ بعد نهضتهم الكبرى التي انطلقت مع الإسلام واستمرت إلى القرن الثالث عشر الميلادي، دخلوا في فترة من التخلف والجمود، وفقدوا استقلالهم السياسي والاقتصادي والاجتماعي وقدرتهم على الابتكار والتقدم والتجديد، مما دفع المؤرخين إلى تسمية هذه الحقبة بعصر الانحطاط، حيث كان العرب في هذه الفترة: «منغلقين على أنفسهم في ظل الحكم العثماني، فلا اختراع ولا تقدم في العلوم والصناعة، بل جمود فكري وترديد لما ورد في الكتب الفقهية والنحوية والصرفية»¹.

وعاش العرب هذه الوضعية المتردية طيلة قرون ولم يشرعوا في الخروج منها إلا مع بداية القرن التاسع عشر، ولذلك عُرف هذا الطور الأخير بعصر النهضة، وهو حالة فكرية واجتماعية سادت أساساً في مصر ولبنان، وامتدت لتشمل عواصم عربية أخرى كدمشق و بغداد وفاس ومراكش. و هذا ما أدى إلى ظهور ما يُسمى بالخطاب النهضوي لمحاولة الدفع بالمجتمعات العربية والإسلامية نحو التقدم والتطور في مختلف الميادين، وكان هذا الخطاب وراء بروز اتجاهات وتيارات فكرية طيلة الفترة الحديثة والمعاصرة. والسؤال المطروح: ماذا نعني بالخطاب والنهضة من الناحية اللغوية والإصطلاحية؟ وكيف كان خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث والمعاصر؟

¹ علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، (د ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987، ص 11.

المبحث الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للخطاب

أولاً: الدلالة اللغوية

جاء مصطلح الخطاب في لسان العرب بمعنى الخطب وهو الشأن أو الأمر صغر أو عظم، يقال: ما خطبك؟ أي ما أمرك؟ وتقول: هذا خطب جمل، وخطب يسير، و في التنزيل العزيز: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [الذاريات:31]. ومنه أيضا خطب المرأة يخطبها خطبا وخطبة، والخطب: الذي يخطب المرأة وهي خطبة التي يخطبها، والجمع أخطاب، واختطب القوم فلانا إذا دعوه إلى تزويج صاحبتهم. وكذلك الخطاب والمخاطبة بمعنى: مراجعة الكلام، وقد خاطبه بالكلام مخاطبة وخطابا، وهما يتخاطبان، ومنه الخطبة، و يعني اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب، والخطبة عند العرب الكلام المنثور المسجع ونحوه.¹ وكذلك وردت الخطاب بمعنى خطيب، كأن يقال: رجل خطيب: حسن الخطبة، وجمع الخطيب خطباء، و خطب (بالضم) خطابة (بالتفتح): صار خطيبا، ومنه المخاطبة مفاعلة من الخطاب والمشاورة. قال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَّلَ الْخِطَابِ ﴾ [ص:20]. قال: هو أن يحكم بالبينة أو اليمين. وقيل: معناه أن يفصل بين الحق والباطل ويميز بين الحكم وضده، وقيل فصل الخطاب الفقه في القضاء.²

وفي معجم ألفاظ القرآن الكريم ، نجد كلمة الخطاب من خطب، خاطبهم الجاهلون : تكلموا معهم: ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ [الفرقان: 63]. تخاطبني: ﴿ وَلَا تُخَاطَبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ ﴾ [هود:37]. خطابا: مخاطبة وكلاما، لا يملكون منه خطابا : ليس لهم الحق في المخاطبة: ﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾ [النبا:37]، الخطاب: ﴿ فَقَالَ أَكْفَلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾ [ص:23]، وفصل الخطاب: الخطاب الفصل، الذي يفصل بين الحق والباطل.³

¹ ابن منظور، لسان العرب، (د ط)، دار المعارف، القاهرة، (د ت)، ص 1194، 1195.

² المرجع نفسه، ص 1195.

³ مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1989، ص 359.

ومن كلمة الخطاب: ما خطبك: ما حالك وشأنك ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾ [طه:95]،
خطبكم: ﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ [الحجر:57] . خطبكما: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا
نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾ [القصص:23]. خطبكن: ﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدْتُنَّ يُوسُفَ عَن
نَفْسِهِ ﴾ [يوسف:51] . خطبة النساء: طلبهن للتزوج بهن: ﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ
خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾ [البقرة:235].¹

وفي المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة جاء مصطلح الخطاب كترجمة لمصطلح
Discourse في الإنجليزية و Discours في الفرنسية و Diskurs في الألمانية، وهذه المصطلحات
مشتقة من أصلها اللاتيني Discursus، ويعني به: « توجيه الكلام نحو الغير للإفهام، ثم نقل إلى
الكلام الموجه نحو الغير للإفهام، وقيل هو اللفظ المتواضع عليه، المقصود به إفهام من هو
منتهي لفهمه».²

واتضح لنا من خلال رجوعنا إلى المعنى اللغوي لمصطلح الخطاب في اللغة العربية أو في
اللغات الأجنبية، أنّ هذا المصطلح يتطلب وجود عنصرين أساسيين: مخاطب وهو المتكلم،
ومُخاطَب وهو المستمع، بالإضافة إلى مضمون الخطاب، بمعنى الكلام الذي يتقوه به المخاطب
إلى المخاطب.

ثانيا: الدلالة الاصطلاحية

ورد لفظ الخطاب بتعريفات متنوعة ومتعددة، لأنه عادة ما يقترن بوصف آخر، مثل الخطاب
الثقافي، الخطاب الديني، الخطاب السياسي، الخطاب التاريخي، الخطاب الاجتماعي، الخطاب
الفلسفي، الخطاب العلمي، ولهذا يختلف مفهوم الخطاب باختلاف مجالات استخدامه. وعادة ما
يعرف الخطاب: « أنه كل منطوق به موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا مع
تحقيق أهداف معينة»³

¹ مجمع اللغة العربية، معجم ألفاظ القرآن الكريم، مرجع سابق، ص 360.

² عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3، مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000، ص 330.

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2004، ص 39.

ويُعرف الخطاب Discours في موسوعة لالاند الفلسفية بأنه: « عملية فكرية تجري من خلال سلسلة عمليات أولية جزئية ومتتابعة أو بنحو خاص تعبير عن الفكر وتطوير له، بسلسلة كلمات أو عبارات متسلسلة».¹

وفي معجم مصطلحات أصول الفقه جاء مفهوم الخطاب بمعنى: « توجيه الكلام إلى الآخرين للإفهام سواء أكان الإفهام في الحال أو في المستقبل. أو هو الكلام الذي يقصد به إفهام من هو متهيء للفهم، ومنه قولهم: خطاب الشّرع، أي كلامه الموجه إلى من هو متهيء للفهم وهو المكلف البالغ العاقل».²

وفي الفكر الغربي يعتبر ميشال فوكو أن الخطاب بمثابة سلطة، والمجتمع حسبه يعمل على فرض أشكال مختلفة لمراقبة الخطاب والحد من سلطاته، وما يثيره من أخطار، حيث يقول: « أفترض أن إنتاج الخطاب في كل مجتمع، هو في نفس الوقت إنتاج مراقب، ومنتقى، ومنظم، ومعاد توزيعه من خلال عدد من الإجراءات التي يكون دورها هو الحد من سلطاته ومخاطره، والتحكم في حدوثه المحتمل، وإخفاء ماديته الثقيلة والرهيبية».³ وهو يُعرّف الخطاب بقوله: «... هو أحيانا يعني الميدان العام لمجموع العبارات، وأحيانا أخرى مجموعة متميزة من العبارات، وأحيانا ثالثة ممارسة لها قواعدها، تدل دلالة وصف على عدد معين من العبارات وتشير إليها».⁴

أما في الفكر العربي يُشير محمد عابد الجابري إلى مفهوم الخطاب، من منطلق أنّ الفكر العربي المعاصر يتجسد من خلال نصوص، وهذه النصوص هي بمثابة (رسالة) من الكاتب إلى القارئ، إنها خطاب، فعندما نتحدث عن الفكر العربي أو أي فكر حسب الجابري فنحن: « نعني منتجات هذا الفكر، فإننا نقصد أساسا مجموعة من النصوص، والنص رسالة من الكاتب إلى القارئ فهو خطاب. فالإتصال بين الكاتب والقارئ إنما يتم عبر النص تماما مثلما أن الإتصال بين المتكلم والسامع إنما يتم عبر الكلام، أي عبر الإشارات الصوتية».⁵ وهو يصنف الخطاب العربي

¹ أندريه لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، تعريب: خليل أحمد خليل، ط2، منشورات عويدات، بيروت، باريس، 2001، ص 287.
² قطب مصطفى سانو، معجم مصطلحات أصول الفقه، قدم له وراجعته: محمد رواس قلعي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 197.
³ ميشال فوكو، نظام الخطاب، ترجمة: محمد سيلا، (د ط)، دار التنوير، بيروت، 2007، ص8.
⁴ ميشال فوكو، حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يافوت، ط2، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص 76.
⁵ محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، ط 5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994، ص 10.

إلى أربعة أنواع: «صنفنا الخطاب إلى أربعة أصناف: الخطاب النهضوي وجعلناه يدور حول قضية النهضة عامة والتجديد الفكري والثقافي خاصة، والخطاب السياسي ومحورناه حول العلمانية وما يرتبط بها والديمقراطية وإشكالياتها، والخطاب القومي وركزناه حول التلازم الضروري الإشكالي الذي يقيمه الفكر العربي بين الوحدة والاشتراكية من جهة وبينهما وبين تحرير فلسطين من جهة ثانية. ويأتي الخطاب الفلسفي أخيرا ليعود بنا إلى صلب الإشكالية العامة للخطاب العربي الحديث والمعاصر، إشكالية الأصالة والمعاصرة».¹

وبالنسبة ل**طه عبدالرحمان** فهو يعتبر أن الخطاب بمثابة كل ما ينطق به الإنسان ويكون موجهًا للغير لأجل غاية ما، وهو يُعرّف الخطاب بقوله: «أنه كل منطوق موجه إلى الغير بغرض إفهامه مقصودا مخصوصا، وبهذا يتبين أنّ حقيقة الكلام ليست هي الدخول في علاقة بألفاظ معينة بقدر ما هي الدخول في علاقة مع الغير، بمعنى أن الذي يحدّد ماهية الكلام إنما هو (العلاقة التخاطبية)، وليس العلاقة اللفظية وحدها. فلا كلام بغير تخاطب، ولا متكلم من غير أن تكون له وظيفة (المخاطب)».²

وتبيّن لنا من خلال هذه التعاريف الاصطلاحية، أن للخطاب عناصر تتمثل في: **المُرسل**، **المُرسل إليه**، **العناصر المشتركة** وهي العلاقة بين طرفي الخطاب، وتتمثل في الرسالة وهي مضمون الخطاب، وكذلك وسيلة الاتصال بين المرسل والمرسل إليه، ويمكن أن نُعرّف هذه العناصر:

- **المُرسل**: هو الذي يُنتج ويُعدّ مضمون الخطاب بشكل منظم ومترايط، ولديه القدرة على التكلم والإبداع، فهو: «الذات المحورية في إنتاج الخطاب، لأنه هو الذي يتلفظ به، من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه، ويجسد ذاته من خلال بناء خطابه»³

- **المُرسل إليه**: هو الشخص أو الفئة التي يُوجّه إليها الخطاب، وهو بمثابة المتلقي أو المستقبل، أو هو: «الطرف الآخر الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدا، وهو حاضر في ذهن

¹ محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 16.

² طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوّن العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998، ص 215.

³ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق، ص 45.

المرسل عند إنتاج الخطاب، سواء أكان حضورا عينيا، ام استحضارا ذهنيا، وهذا الشخص أو الاستحضار للمرسل إليه هو ما يسهم في حركية الخطاب»¹

- العناصر المشتركة: لا يقتصر الأمر على دور كل من طرفي الخطاب بمعزل عن الطرف الآخر، أو بمعزل عن محيطهما، فهناك العلاقة بينهما والمعرفة المشتركة، والتي تتمثل في الرسالة أو ما يسمى بمضمون الخطاب سواء كان خطابا فلسفيا أو علميا أو دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا بالإضافة إلى **وسيلة الإتصال**، وهي وسيلة الوصل بين المرسل والمرسل إليه، وتكون من خلال عدة وسائل تتمثل في الإعلام المقروء أو المرئي أو المسموع، أو من خلال شبكات التواصل الاجتماعي، ولهذا تبقى: «العلاقة بين طرفي الخطاب من أبرز العناصر السياقية التي تؤثر في تحديد استراتيجية الخطاب المناسبة واختيارها، إذ يراعيها المرسل دوما عند إنتاج خطابه، فلا يغفلها، وذلك بوصفها محددات سياقية، له دوره في إنجاح عملية التواصل، وتحقيق هدف المرسل من عدمه»².

¹ عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مرجع سابق ، ص 47، 48.

² المرجع نفسه ، ص 48.

المبحث الثاني: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للنهضة

أولاً: الدلالة اللغوية

ورد لفظ النهضة في مجمل اللغة من الفعل الثلاثي " نَهَضَ " ويعني: قام. وما لفلان ناهضة، وهم الذين ينهضون بأمره، ويقومون به. وناهضة الرجل: بنو أبيه الذين يغضبون له. ونهض النبت: استوى. والناهض: (الطير قد أمكنه الطيران). ونهاض الطرق: صُعْدُها وعتْبُها، (الواحدة نهضة). وأنهض البعير: ما بين كتفيه إلى صلبه. ويقال: الناهض اللحم الذي يلي العضد من أعلاها.¹

وفي المعجم الوجيز جاء مصطلح النهضة من الفعل نهض ونهوضاً: قام يقظاً نشيطاً، ونهض إلى العدو: أسرع إلى ملاقاته. وأنهض فلاناً للأمر: أقامه له وعهد إليه به، وأنهض فلاناً بالشيء: قوّاه على النهوض به. وناهض فلاناً: قاومه. وتناهض القوم: أسرع كل فريق إلى مقاومة خصمه، واستنهض فلاناً للأمر: دعاه إلى سرعة القيام به. ويقال: شباب ناهض: يقظ مهتم بالقيام بواجباته. والنهضة: الوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره.²

وفي محيط المحيط ورد مصطلح النهضة من نهض للأمر ينهض نهضاً ونهوضاً: قام، وعن مكانه ارتفع. وإلى عدوه أسرع إليه. والنبت استوى. والطائر بسط جناحيه ليطير. وانهض فلاناً: حركه للنهوض وأقامه. والقربة دنا من ملئها. والريح والسحاب ساقته وحملته. وتناهضوا في الحرب: نهض كل إلى صاحبه. وانهض الرجل قام واستنهض فلاناً لكذا أمره بالنهوض له. الناهض: اسم فاعل. وفرخ الطائر الذي وفر جانحه وتهاوى للطيران. وناهضه الرجل بنوا أبيه الذين يغضبون له وينهضون معه.³

أما مصطلح النهضة "Renaissance" في اللغة الأجنبية فيقصد به لغوياً: "ميلاد جديد"، وهو: « مصطلح سگه ميشيليه، ولكنه لم يصبح مصطلحاً تاريخياً إلا بفضل بوركهارت. ويطلق على

¹ أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، مجمل اللغة، ج 3، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986، ص 846.

² مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، ط 1، مطابع الدار السنديسة، مصر، 1980، ص 637.

³ بطرس البستاني، محيط المحيط، (د ط)، مكتبة لبنان، بيروت، 1987، ص 920.

القرنين الخامس عشر والسادس عشر. وهو يدور على إعلاء الفردية، وإحياء التراث اليوناني، واكتشاف العالم والإنسان على نحو مغاير لما حدث في العصر الوسيط، فنشأ المذهب الإنساني، وظهرت فكرة الدين الطبيعي والأخلاق الطبيعية بفضل كشف كولومبوس وفاسكو دي جاما وماجلان ودريك، وانفصلت الفلسفة عن الدين، وخرج العلم الآلي من ازدهار الصناعات»¹.

وتبين لنا من خلال رجوعنا إلى المعاجم اللغوية العربية أن دلالة لفظ النهضة تعني تغيير المكان أو الموضع، وهي بمثابة الحركة أو النقلة النوعية في سبيل التقدم السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري. أما بالنسبة للمعاجم اللغوية الأجنبية فهي تعني ميلاد جديد، أي تحول جديد لأوروبا في كل جوانب الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية.

ثانياً: الدلالة الاصطلاحية

جاء في المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة مصطلح النهضة Renaissance بمعنى الحركة الثقافية التي بدأت في إيطاليا في منتصف القرن الرابع عشر واستمرت حتى القرن السابع عشر وامتدت إلى بقية أوروبا، ويؤثر البعض أن يسميها الإحياء، لأن: «الحركة كانت في الواقع إحياء للتراث اليوناني وانفتاحاً على كل ما اتصف به، حتى ولو كان ضد الإيمان والكنيسة، وتمثل الانفتاح في الاقتصاد في نمو حركة التجارة والرحلات البحرية، وفي العلوم في الكشوف الفلكية وخاصة نظرية مركزية الشمس، وفي الفلسفة العودة إلى الفلسفة الأبيقورية»².

كما استخدم مصطلح النهضة في الموسوعة الفلسفية للإشارة إلى: «المذاهب العامة الاجتماعية والفلسفية التي ظهرت في أوروبا، خلال فترة انهيار الإقطاع وقيام المجتمع البرجوازي الأول من القرن الخامس عشر حتى أوائل القرن السابع عشر، وكذا نهوض الثقافة الإنسانية وإحياء التراث الفلسفي للعصر القديم، بالإضافة إلى سلسلة من المكتشفات العلمية الهامة»³.

¹ مراد وهبة، المعجم الفلسفي، (د ط)، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007، ص 657.

² عبد المنعم الحفني، المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، مرجع سابق، 2000، ص 899، 900.

³ روزنتال، يودين، الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، (د ط)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د ت)، ص 552.

وفي موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر ورد مصطلح النهضة بمعنيين اثنين: «أحدهما تجدد الأمة في مجموع أحوالها بعامل أو عوامل استفزتها وتغلبت على العوامل الأخرى كالنهضة الأدبية الفنية في أوروبا في القرن الخامس عشر، والنهضة العلمية في أوروبا وأميركا في القرن المنصرم وفي هذا القرن العشرين. أما بالمعنى الآخر فهو الانتباه لوجوب إحداث التغيير والشعور باتباع وقوع ذلك التغيير».¹

و في تعريف سلامة موسى للنهضة قد أشار إلى أن الإنسان يجب أن يشتغل ويعتمد على نفسه في هذا العالم، وليس له في هذا الكون كله ما يعتمد عليه سوى عقله، وليس له خلاف هذا العالم عالم آخر يمكنه أن يطمع في تحقيق سعادته فيه، وأن الانحطاط ما هو إلا سوى قصر الذهن البشري على خدمة ما وراء الطبيعة والاقتصار من الفنون والعلوم على خدمة العقائد الدينية، وهو ينظر إلى النهضة على أنها: «النظر إلى هذه الدنيا كأنها الغاية التي ليس وراءها غاية تخدم، وأننا نحن البشر يجب أن تكون لنا آداب وفلسفات وعلوم لا تمت بأي صلة إلى الغيبيات، وأن علينا أن نعتمد على أنفسنا في تحقيق السعادة على هذه الأرض نفسها، وألا نزهد عنها إيثارا عليها للعالم الثاني، كما هي النظرة الغيبية».²

وفي حديث مالك بن نبي عن شروط النهضة، قد بيّن أن المشاكل والأزمات ما هي في الحقيقة إلا فرع لأصل واحد إنها المشكلة الحضارية، حيث قال: «إن المشاكل العديدة التي نطلق على مجموعها مصطلح "التخلف"، هي في الواقع تعبيرات مختلفة عن مشكلة واحدة و مفردة تواجه كل بلاد متخلفة، أي أنها مشكلة حضارة».³

ولهذا لم يحدّد لنا ابن نبي مفهوما دقيقا للنهضة، بقدر ما ركز على آلياتها وشروطها، حيث أشار إلى أنّ هذه المشكلة تنحل إلى ثلاث مشكلات أولية: مشكلة الإنسان، مشكلة التراب، مشكلة الوقت. وفي بناء نهضة أو انطلاق حضارة، لا يكون أمامنا حسب ابن نبي سوى: «العوامل

¹ جبرار جهامي، موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، ج3، ط1، مكتبة لبنان، بيروت، 2002، ص 2001.

² سلامة موسى، ماهي النهضة، (د ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغبة، الجزائر، 1987، ص 36.

³ مالك بن نبي، القضايا الكبرى، ط 2، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 67.

المادية الثلاثة: الإنسان، التراب، الوقت. وفي هذه العوامل ينحصر رأس مال الأمة الاجتماعي الذي يمدّها في خطواتها الأولى في التاريخ».¹

ويؤكد ابن نبي أن بناء النهضة لا يكون بتكديس المنتجات، بل الاهتمام بالمشكلات الثلاثة وحلها من أساسها: «ما دامت القيم الجوهرية الثلاثة: الإنسان والتراب والزمن في يد شعب يشعر بها حينما ينهض من النوم، فإن ذلك الشعب بلا شك يمسك بيده مفتاح الأقدار، وربما تصادفه عراقيل أو يعثر مرّات كثيرة، أو يفقد الأدوات المساعدة في طريقه، ولكن هيهات أن ينتكس أو يعود إلى الانحطاط إذا ما تصرف في امكانياته تصرف الرشيد».²

وفي حديثه عن النهضة حاول **محمد عابد الجابري** أن يميز بين مفهوم Renaissance في الفكر الغربي ومفهوم النهضة في الفكر العربي، حيث رأى أن مصطلح Renaissance في الفكر الغربي: «قد صيغ بعديا للتعبير عن شيء قد كان، عن واقع تاريخي محدد المعالم والصفات، كامل الوجود والمقومات، وكذلك الشأن في مصطلح Révolution الذي يحمل هو الآخر في اللغة الفرنسية، بل في اللغات الأوروبية عموماً، مضموناً محدداً يرتبط بحدث تاريخي معين، هو الثورة الفرنسية (1789) أو غيرها من الثورات في أوروبا وأمريكا. وهكذا فالمصطلحان في اللغات الأوروبية هما من أسماء الأعلام، وإذا ما أطلقا ليدلا على معنى "النهضة" أو "الثورة" بدون تخصيص، فإن هذا المعنى يظل مع ذلك مشعباً غنياً نظراً لارتباطه بنموذج واقعي معروف تمام المعرفة».³

بينما مصطلح النهضة أو الثورة في الفكر العربي الحديث والمعاصر حسب محمد عابد الجابري: «يشيران لا إلى واقع تحقق، بل إلى مشروع للمستقبل، ومن هنا كان التفكير في النهضة أو الثورة بحثاً عن مشروع وتفكيراً في نموذج، فعندما يتحدث العرب عن النهضة أو الثورة، فإنما يتحدثون عن مشروع لم يتحقق بعد كاملاً، بل يجب القول عن مشروع لم يكتمل بعد حتى على

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، (د ط)، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 50.

² المرجع نفسه، ص 150، 151.

³ محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 22.

صعيد التصور الذهني، الشيء الذي يسمح بتسميته بأسماء مختلفة حسب الظروف والأحوال، فهو تارة نهضة أو يقظة وهو تارة بعث أو ثورة»¹.

أما حسن حنفي في حديثه عن النهضة، حاول أن يبين العلاقة بين النهضة عند الغرب والنهضة عند العرب، ورأى أن مفهوم النهضة عند الغرب هو: « حلقة الاتصال الفعلي بين العصر الوسيط والعصور الحديثة، وهو المتوجه نحو المستقبل، في حين كان الإصلاح الديني متوجها نحو الماضي لإعادة بنائه طبقا لروح العصر، يدرسه الباحثون الأوروبيون باعتباره جزءا من التاريخ الأوروبي، ثورة على القديم أو ارهاصات للجديد أو لإعادة تقييم ونقد كما يحدث حاليا في الدراسات حول الإصلاح الديني وعلى المذهب الإنساني»².

ويشير حسن حنفي إلى أننا نعيش مشاكل عصر النهضة الأوربي، وربما نمر بمرحلته التاريخية دون أن يعني ذلك أي تواز بين مسار الحضارتين، وقد يعني عصر النهضة: « قدرة الوعي الأوربي على اكتشاف الحقائق الإنسانية والطبيعية والدينية بنفسه اعتمادا على جهد العقل ورؤية الطبيعة، وهو اقتراب غير مباشر من النموذج الإسلامي في تراثنا القديم، وحدة الوحي والعقل والطبيعة، والذي تسرب قبيل عصر النهضة إلى الوعي الأوربي بعد نقل التراث الإسلامي من العربية إلى اللاتينية»³.

وتبين لنا من خلال الرجوع إلى الدلالة الاصطلاحية لمفهوم النهضة أن محمد عابد الجابري قد توصل إلى الفرق الدقيق بين مفهوم النهضة (Renaissance) في الفكر الغربي، ومفهوم النهضة في الفكر العربي، فإذا كان المفهوم الأول قد تشكل بعد التحول الذي شهدته أوروبا في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والفنية، فإن المفهوم الثاني لا يشير إلى واقع تحقق وإنما إلى مشروع للمستقبل، فهو لم يكتمل بعد حتى على مستوى التصور الذهني فهو تارة نهضة أو يقظة أو بعث أو ثورة.

¹ محمد عابد الجابري، الخطاب العربي المعاصر، مرجع سابق، ص 22.

² حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، (د ط)، دار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991، ص 235.

³ المرجع نفسه، ص 235.

المبحث الثالث: خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث

ظهرت محاولات النهوض بالمجتمعات العربية في منتصف القرن التاسع عشر، وقد برزت المشاريع الإصلاحية الأولى على يد رفاة الطهطاوي مؤسس حركة النهضة في مصر وخير الدين باشا رائد النهضة في تونس، وعلى صعيد آخر برزت محاولات التجديد من خلال ظهور بعض التيارات الفكرية كالتيار الإصلاحي الديني الذي يمثل كلاً من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا وعبدالرحمان الكواكبي وشكيب أرسلان، والتيار القومي الذي دعا إليه كل من ساطع الحصري وزكي الأرسوزي وقسطنطين زريق وميشيل عفلق، بالإضافة إلى التيار التغريبي عند كل من شبلي شميل وفرح انطون وقاسم أمين و ولطفي السيد وعلي عبدالرازق وسلامة موسى وطه حسين .

– رفاة الطهطاوي (1801- 1873): يُعتبر من أبرز الدعائم الفكرية التي قامت عليها النهضة في مصر، حيث تناول في كتابه الشهير " تخلص الإبريز في تلخيص باريز " مشروعه الإصلاحي القائم على فكرة الحرية كسبيل للتقدم، وباعتبارها كذلك من أهم أسباب نهضة المجتمعات وتقدمها وتمدنها. وقد اهتم بقضية الحرية من خلال ترجمته للدستور الفرنسي في كتابه: (تلخيص الإبريز في تلخيص باريز) حيث شرح مواد هذا الدستور، ولكن ما ركز عليه هو المادة الأولى باعتبارها تنص على أن أفراد المجتمع الفرنسي متساوون أمام القانون، حيث قال مفسراً لهذه المادة: «معناه سائر من يوجد في بلاد فرنسا من رفيع ووضيع لا يختلفون في إجراء الأحكام المذكورة في القانون، حتى إن الدعوى الشرعية تقام على الملك وينفذ عليه الحكم كغيره، فانظر إلى هذه المادة الأولى، فإنها لها تسلطاً عظيماً على إقامة العدل وإسعاف المظلوم وإرضاء خاطر الفقير بأنه كالعظيم، نظراً إلى إجراء الأحكام»¹.

كما أشار إلى بعض مواد الدستور التي تبين مدى احترام السلطة السياسية لحرية الفرد الفرنسي: « في المادة الثالثة من الدستور تنص على أن كل واحد منهم متأهل لأخذ أي منصب كان وأي رتبة كانت. وفي المادة الخامسة تنص على أن كل إنسان موجود في بلاد الفرنسيين يتبع دينه كما يجب لا يشاركه أحد في ذلك، بل يعان على ذلك ويمنع من يتعرض له في عبادته. وفي المادة

¹ رفاة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012 ، ص 113.

الثامنة تنص على أن لا يمنع إنسان في فرنسا أن يظهر رأيه وأن يكتبه، وبطبعه بشرط أن لا يضر ما في القانون، فإذا ضر أزيل»¹

وقد تكلم كذلك الطهطاوي في مقدمة كتابه: (مناهج الألباب المصرية في مباحج الآداب العصرية) عن التمدن وقسمه إلى قسمين معنوي ومادي: « للتمدن أصليين: معنوي وهو التمدن في الأخلاق والعوائد والآداب، يعني التمدن في الدين والشريعة، وبهذا القسم قوام الملة المتمدنة التي تسمى باسم دينها وجنسها لتتميز عن غيرها، والقسم الثاني تمدن مادي وهو التقدم في المنافع العمومية كالزراعة والصناعة، ويختلف قوة وضعفا باختلاف البلاد، ومداره على ممارسة العمل وصناعة اليد، وهو لازم لتقدم العمران»².

ويرى الطهطاوي أن مصادر ثروة المجتمعات ترجع إلى ثلاث أشياء الزراعة والصناعة والتجارة، وأنها من خلال العمل نستطيع أن نستفيد من هذه المصادر لكي تعود بالنفع على الناس: « إن منابع الثروة ترجع إلى أربعة أشياء: وهي الزراعة، والصناعة، والتجارة، وتنمية الحيوانات، وأما الإمارة فهي القوة المدبرة لهذه المنابع، ويمكن إدخال تنمية الحيوانات في الزراعة، فتكون أصول المكاسب ثلاثة، وأفضل هذه الأشياء الزراعة. و العمل الذي هو القوة الأولية في إبراز المنافع الأهلية وفي تطبيقه على الأرض الزراعية»³.

وفي كتابه: (المرشد الأمين للبنات والبنين) يتكلم الطهطاوي عن الوطن وكيفية التعاون على إصلاحه، وأن يكون أفراد كأعضاء العائلة الواحدة: « فلا ينبغي أن تنتسب الأمة الواحدة إلى أحزاب متعددة بآراء مختلفة لما يترتب على ذلك من التشاحن والتحاسد والتباغض وعدم أمنيّة الوطن، فلا يتمنى بعضهم سعادة نفسه وشقاوة غيره لا سيما وأن الشريعة والسياسة سوت بينهم، وأوجبت عليهم أن يكونوا على قلب رجل واحد، وأن لا يعتقدوا لهم عدوا إلا من يوقع بينهم الفشل

¹ رفاة رافع الطهطاوي، تخلص الإبريز في تلخيص باريز، مرجع سابق، ص 106 ، 107.

² رفاة رافع الطهطاوي، مناهج الألباب المصرية في مباحج الآداب العصرية، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014 ، ص 13.

³ المرجع نفسه ، ص 73.

بخداعه ليختل نظام ملكهم وينحل انتظام سلوكهم، فهذا هو العدو المبين الذي لا يحب أن يكون أهل الوطن على وطنهم آمنين ولا بحريتهم متمتعين».¹

ويؤكد الطهطاوي على أن صفة الوطنية لا تستدعي فقط أن يطالب الإنسان بحقوقه الواجبة له على الوطن، بل يجب أيضا أن يؤدي حقوق الوطن عليه، فإذا لم يحم أحد من أبناء الوطن بحقوق وطنه ضاعت حقوقه المدنية التي يستحقها على وطنه، فينبغي أن تكون: « نية أبناء الوطن دائما مُتوجهة في حق وطنهم إلى الفضيلة والشرف ولا يرتكبون شيئا مما يخل بحقوق أوطانهم وإخوانهم، فيكون ميلهم إلى ما فيه النفع والصلاح، كما أن الوطن نفسه يحمي عن ابنه جميع ما يضره لما فيه من هذه الصفات، فحب الأوطان وجلب المصالح العامة للإخوان من الصفات الجميلة التي تتمكن من كل واحد منهم في جميع أوقاته مدة حياته، وتجعل كل إنسان منهم محبوبا للآخرين، فما أسعد الإنسان الذي يميل بطبعه لإبعاد الشر عن وطنه ولو بإضرار نفسه».²

– **خير الدين التونسي (1810-1890):** يعتبر أحد أعلام النهضة والتنوير في تونس، حيث ساهم من خلال مشروعه الإصلاحية في بناء نهضة تونس الحديثة. وهو لم يكتف بالجانب النظري فحسب، بل طبق مشروعه على أرض الواقع، باعتباره قد كان رجل سياسة ونفوذ، ومجمل أفكاره قد تضمنتها كتابه الشهير " أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك ".

لقد رأى خير الدين في البداية أن السبيل لإصلاح المجتمعات الإسلامية والرقى بها، لا يكون إلا من خلال التأمل في واقع الأمم الأخرى، والتفكير في أسباب تقدمها وتأخرها، حيث قال في مقدمة كتابه: (أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك) : « إني بعد أن تأملت تأملا طويلا، في أسباب تقدم الأمم وتأخرها جيلا فجيلا، مستندا في ذلك لما أمكن تصفحه من التواريخ الإسلامية والإفريقية، مع ما حرره المؤلفون من الفريقين فيما كانت عليه وآلت إليه الأمة الإسلامية وما سيؤول إليه أمرها في المستقبل بمقتضى الشواهد التي قضت التجربة بأن تقبل، التجأت إلى الجزم بما لا أظن عاقلا من رجال الإسلام يناقضهن أو ينهض له دليل يعارضه، من أنا إذا اعتبرنا

¹ رفاة رافع الطهطاوي، المرشد الأمين للبنات والبنين، (د ط)، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2012، ص 207

² المرجع نفسه، ص 209.

تسابق الأمم في ميادين التمدن، وتحزب عزائمهم على فعل ما هو أعود نفعاً وأعون، لا يتهياً لنا أن نميز ما يليق بنا، على قاعدة محكمة البناء، إلا بمعرفة أحوال من حفّ بنا وحلّ بقرنا»¹.
وحاول أن يبيّن أن تقدّم الأمم الأخرى لم يكن بسبب موقعها الجغرافي المتميز أو خصوبة أراضيها أو بسبب ديانتها النصرانية، بل تطوّرها وتمدّنها راجع إلى أنها قامت على أساس العلم والحرية والعدل والأمن، إذ هو واهم حسبه من يعتقد: « أن أهلها وصلوا إلى ما وصلوا إليه بمزيد خصب أو اعتدال في أقاليمهم، إذ قد يوجد في أقسام الكرة ما هو مثلها أو أحسن، ولا أنّ ذلك من آثار ديانتهم، إذ الديانة النصرانية ولو كانت تحث على إجراء العدل والمساواة لدى الحكم، لكنها لا تتدخل في التصرفات السياسية، لأنها تأسست على التبتّل والزهد في الدنيا... وإنما بلغوا تلك الغايات والتقدم في العلوم والصناعات والتنظيمات المؤسسة على العدل السياسي، وتسهيل طرق الثروة واستخراج كنوز الأرض بعلم الزراعة والتجارة، وملاك ذلك كله الأمن والعدل اللذان صاروا طبيعة في بلدانهم»².

وقد نبّه خير الدين في مشروعه الإصلاحية المسلمين إلى استلزام النظم من أوروبا شريطة أن لا تتعارض مع أصول الشريعة الإسلامية، فهو يدعو إلى التعلم من الأوربيين، لأنه: « إذا كان الأمر صادراً من غيرنا وكان صواباً موافقاً للأدلة، لا سيما إذا كنا عليه وأخذ من أيدينا، فلا وجه لإنكاره وإهماله، بل الواجب الحرص على استرجاعه واستعماله، وكل متمسك بديانة وإن كان يرى غيره ضالاً في ديانتها، فذلك لا يمنعه من الاقتداء به فيما يستحسن في نفسه من أعماله المتعلقة بالمصالح الدنيوية كما تفعله الأمة الفرنجية فإنهم مازالوا يقتدون بغيرهم في كل ما يروونه حسناً من أعماله، حتى بلغوا في استقامة نظام دنياهم إلى ما هو مشاهد»³.

ورأى أن تقدّم الأمة الإسلامية وتطوّرها لا يكون إلا باتفاق الحكام والعلماء وإجماعهم على وضع مشروع لتحسين حال الأمة، ولهذا نعمل حسبه على: « إغراء ذوي الغيرة والحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس ما يمكنهم من الوسائل الموصلة إلى حسن حال الأمة، وتنمية أسباب

¹ خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، (د ط)، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2012، ص 3، 4.

² المرجع نفسه، ص 17.

³ المرجع نفسه، ص 12.

تمدّنها بمثل توسيع دوائر العلوم والعرافان، وتمهيد طرق الثروة من الزراعة والتجارة، وترويج سائر الصناعات، ونفي أسباب البطالة، وأساس جميع ذلك حسن الإمارة المتولد منه الأمن، المتولد منه الأمل، المتولد منه إتقان العمل، المشاهد في الممالك الأوروبية بالعيان، وليس بعده بيان»¹.

ولم تتوقف محاولات الإصلاح على رفاة الطهطاوي وخير الدين التونسي فقط، بل ظهرت تيارات حاولت من خلال مشاريعها الإصلاحية النهوض بالأمة، كالتيار الإصلاحية الديني والتيار القومي والتيار التغريبي الليبرالي، وقد كانت الحركة الإصلاحية الدينية هي أقوى الحركات الفكرية وأكثرها أصالة، فقد أثار: «الجمود الفكري والتقليد الأعمى لدى الأجيال المتعاقبة من علماء المسلمين، وما علق بالإسلام، منذ أن أغلق باب الاجتهاد في القرن الرابع الهجري، من ضلالات وبدع، وما نشأ في ظلاله من طرق صوفية اعتمدت المبالغة والتطرف، وابتعدت بما ابتدئته من احتفالات وحلقات للذكر وممارسات شاذة عن جوهر العقيدة، كما أثار الجهل بأصول الدين والعبادات، عددا من العلماء المنتورين»².

أولا: التيار الإصلاحية الديني

لقد كان الاحتلال العسكري الغربي لبعض الأقطار العربية، والفرق الشاسع بين التقدم العلمي والتفوق الاقتصادي في أوروبا، وما كان عليه المسلمون من تأخر في العلوم، وتخلّف في الحياة الاقتصادية، هو الذي أدى إلى ظهور الحركة الإصلاحية الحديثة. وإذا ما تحدثنا عن هذه الحركة نبدأ بعلمها الأول جمال الدين الأفغاني ثم بتلميذه محمد عبده وصولا إلى محمد رشيد رضا وعبدالرحمان الكواكبي وشكيب أرسلان.

— **جمال الدين الأفغاني (1839-1897):** كانت دعوة جمال الدين الأفغاني الأساسية هي العمل على تأسيس ما سماها بالجامعة الإسلامية والتي تعني أن للإنسان المسلم له انتماء يحدّد هويّته، وهويّة الكيان السياسي والحضاري الذي يمنحه الولاء وهذا الانتماء هو الإسلام، والذي له: «مردود يتجسد في خيارات فهو يعني رفض الوقوف بفكرة الوطن عند حدود دائرة الإقليم بل ويجاوز دائرة الوطن القومي العربي إلى عالم الإسلام الذي يضم الأقاليم والقوميات. وهو يعني

¹ خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، مرجع سابق، ص 11.

² علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 37.

وجود طابع حضاري لهذا الانتماء الإسلامي. فعلاقات الأقاليم الإسلامية والقوميات التي يضمها عالم الإسلام لا تقف عند حدود حسن الجوار أو المصالح الأمنية والاقتصادية وإنما تعني وجود وحدة في الحضارة الإسلامية تجعل من عالم الإسلام هذا بأقاليمه وقومياته منظومةً حضاريةً متميزة بين الحضارات العريقة القائمة على ظهر الكوكب الأرضي في العصر الذي نعيش فيه»¹.

كما أن هذا الانتماء للدين الإسلامي حسب الأفغاني ليس له أي صلة بالعلمانية، بمعنى فصل الدين عن الدولة، لأنها كانت خياراً أوروبياً ولا يمكن قبوله في عالم الإسلام، باعتبار أن: «الإسلام وإن رفض الكهنوت والسلطة الدينية على النحو الذي عرفته أوروبا في عصرها الوسيط، إلا أنه دين ودنيا، بمعنى أنه لم يدر ظهره لشؤون الحياة المدنية، وتنظيم المجتمع وسياسة الدولة وعمران الأرض وإنما وضع لذلك الأطر والفلسفات والمثل والمقاصد والغايات، ثم ترك للأمة بالعقل والتجربة حرية الإبداع في شؤون دنياها، في حدود هذه الأطر وفي ضوء روح الشريعة التي سنّها الشارع سبحانه وتعالى»².

وكان قد نبّه الأفغاني إلى أن الغرب يسعى إلى تمزيق أوصال الأمة الإسلامية، وتفرقتها إلى دويلات وشيع وأحزاب، فهو يرى أن: «الإفرنج تؤكد لديهم أن أقوى رابطة بين المسلمين إنما في الرابطة الدينية، وأدركوا أن قوتهم لا تكون إلا بالعصبية الاعتقادية، ولأولئك الإفرنج مطامع في ديار المسلمين وأوطانهم، فتوجهت عنايتهم إلى بث هذه الأفكار الساقطة بين أرباب الديانة الإسلامية، وزينوا لهم هجر هذه الصلة المقدسة وفصم حبالها، لينقضوا بذلك بناء الملة الإسلامية ويمزقوها شيعاً وأحزاباً»³.

وعلى العلماء القيام بدورهم في إحياء رابطة الوحدة الإسلامية، سواء في المساجد أو المدارس، إذ من الواجب عليهم: «بحق الوراثة التي شرفوا بها على لسان الشارع أن ينهضوا لإحياء الرابطة الدينية ويتداركوا الاختلاف الذي وقع في الملك بتمكين الاتفاق الذي يدعو إليه الدين، ويجعلوا هذا الاتفاق في مساجدهم ومدارسهم حتى يكون كل مسجد وكل مدرسة مهبطاً لروح حياة الوحدة»⁴.

¹ محمد عمارة، جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض، ط 1، دار السلام، القاهرة، 2009، ص 205، 206

² المرجع نفسه، ص 206

³ جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، العروة الوثقى، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 76.

⁴ المرجع نفسه، ص 65.

لكن الحفاظ على وحدة الأمة الإسلامية حسب الأفغاني لا يعني أن يكون الهدف منها هو الانعزال والتعصب للدين والتعدي على الآخرين وانتهاك حقوقهم، بل يجب التعاون مع كل الدول وتبادل المصالح معهم ومنافستهم فيما يعود بالنفع لخير الأمة، فليكن: « إحكام الألفة في المنافع الوطنية بينكم وبين أبناء أوطانكم وجيرانكم من أرباب الأديان المختلفة، فإن مصالحكم لا تقوم إلا بمصالحهم، كما لا تقوم مصالحهم إلا بمصالحكم، وعليكم أن لا تجعلوا عصبية الدين وسيلة للعدوان، وذريعة لانتهاك الحقوق، فإن دينكم ينهاكم عن ذلك ويوعدكم عليه بأشد العقاب، هذا ولا تجعلوا عصبيتكم قاصرة على مجرد ميل بعضكم لبعض، بل تضافروا بها على مباراة الأمم في القوة والمنعة والشوكة والسلطان، ومنافستهم في اكتساب العلوم النافعة والفضائل والكمالات الإنسانية¹».

وبالنسبة لطبيعة نظام الحكم حسب الأفغاني أن يكون نابعا من إرادة الأمة وليس من إرادة فرد أو قوة أجنبية، فهو يعتبر أن الأمة مصدر السلطة، لأن: « القوة النيابية لأي أمة لا يكون لها قيمة حقيقية إلا إذا نبعت من نفس الأمة، وأي مجلس نيابي يأمر بتشكيله ملك أو أمير، أو قوة أجنبية محركة له، فهو مجلس موهوم موقوف على إرادة من أحدثه²».

لهذا رأى أن الإصلاح لا يكون إلا بإصلاح العقول والنفوس أولا ثم إصلاح الحكومة ثانيا، فماذا تنفع الحكومة الصالحة إذا كان الشعب غير صالح؟ ولقد أجاب على السؤال بقوله: « لقد علمنا التاريخ أن الحكومة لا تستقيم إلا إذا كان في الأمة رأي عام يخيفها، ويلزمها أداء واجباتها، والوقوف عند حدها، فإذا لم يكن ذلك فالطبيعة البشرية تملي على الحكام أن يستأثروا بالمنافع، وغاية ما يتوقع من الحكومة الصالحة غير المؤسسة على قوة الأمة وبقظتها أن تكون موقوتة بوقتها، فإذا زالت حل محلها من لا يصلح، إذا لا شأن للأمة في اختيارها، ولا رقابة لها على أعمالها³».

و كان قد ألف الأفغاني كتابه المشهور في (الرد على الدهريين) وكتبه بالفارسية ثم ترجمه الشيخ محمد عبده إلى اللغة العربية ، بمساعدة عارف أبي تراب الأفغاني، وردّ في هذا الكتاب

¹ جمال الدين الأفغاني، محمد عبده، العروة الوثقى، مرجع سابق، ص 78، 79.

² أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، (د ط) ، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت) ، ص 59.

³ المرجع نفسه، ص 59 .

على مذهب الدهريين حيث بيّن أباظيلهم ومفاسدهم، وأثبت أنّ الدين أساس المدنية والكفر فساد العمران ، وهذا باعتبار أن : « الدين هو السبب الفرد لسعادة الإنسان، فلو قام الدين على قواعد الأمر الإلهي الحق ولم يخالطه شيء من أباظيل من يزعمونه ولا يعرفونه، فلا ريب أنّه يكون سببا في السعادة التامة والنعيم الكامل، ويذهب بمعتقديه في جوادّ الكمال الصوري والمعنوي، ويصعد بهم إلى ذروة الفضل الظاهري والباطني، ويرفع أعلام المدنية لطلابها، بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلي والنفسي ما يظفرهم بسعادة الدارين ».¹

- محمد عبده (1849-1905): كان الشيخ محمد عبده يهدف من خلال مشروعه الإصلاحية إلى تغيير الأنفس وذلك بالاعتماد على التربية، ورأى أن ضعف المسلمين سببه سوء العقيدة والجهل بأصول الدين، وأن العلاج الوحيد هو إصلاح العقيدة، فكانت دعوته الأساسية : «تحرير الفكر من قيد التقليد، وفهم الدين على طريقة سلف الأمة قبل ظهور الخلاف، والرجوع في كسب معارفه إلى ينابيعها الأولى، واعتباره من ضمن موازين العقل البشري التي وضعها الله لترد من شططه وتقلل من خلطه وخبطه، وأنه على هذا الوجه يعد صديقا للعلم، باعنا على البحث في أسرار الكون، داعيا إلى احترام الحقائق الثابتة، مطالبا بالتعويل عليها في أدب النفس وإصلاح العمل».²

وبهذا قد أيقظ الشيخ محمد عبده شعور المسلمين، ونبّههم إلى أن يستيقظوا من رقدتهم لإصلاح نفوسهم بالدين والعلم، وألّا يعتمدوا حسبه : « على الفخر بماضيهم بل بينوا من جديد بحاضرهم ومستقبلهم، ودعا إلى أن العقل يجب أن يحكّم كما يحكّم الدين، فالدين عُرف بالعقل، ولا بد من اجتهاد يعتمد على الدين والعقل معا حتى نستطيع أن نواجه المسائل الجديدة في المدنية الجديدة، ونقتبس منها ما يفيدنا، لأن المسلمين لا يستطيعون أن يعيشوا في عزلة، ولا بد أن يتسلحوا بما تسلح به غيرهم، وأكبر سلاح في الدنيا هو العلم، وأكبر عمدة في الأخلاق هو الدين ».³

¹ جمال الدين الأفغاني، الرد على الدهريين، ط 3 ، مطبعة الموسوعات، مصر، 1902، ص 60.

² أحمد أمين، زعماء الإصلاح في العصر الحديث، مرجع سابق ، ص327.

³ المرجع نفسه ، ص337.

وهو يرى أن تغيير ما بالأنفس من أولويات المشروع الإصلاحي، بإصلاح الأفراد أولاً ثم إصلاح المؤسسات ثانياً، لأن تقدم الأمم وتطور المجتمعات يخضع لأولويات، فالعمل : « يستلزم نواة تنبني على الأولويات: في الأفراد، تغيير ما في نفوسهم، بالفضائل الإنسانية والشرعية، وفي الاجتماع والتشريع، إنشاء المؤسسات الدولية الملائمة، إذ كيف يكون للشعب مجلس نيابي، وهو لا يعرف أن يدير مجلس بلدية، أو ليس له هذا المجلس ؟ وما يكون معنى الدستور وقيمه في بلاد لا يعرف أهلها كيف يمارسون أبسط القوانين ؟ فالحق أن القانون المتقدم لا يثمر في بلاد متخلفة».¹

وكان مشروعه قائماً بالدرجة الأولى على أن الدين لا يتناقض مع العقل أو العلم، بل الدين هو الذي أطلق: « سلطان العقل من كل ما كان قيده ، وخلصه من كل تقليد كان استعبده، ورده إلى مملكته، يقضي فيها بحكمه وحكمته مع الخضوع في ذلك لله وحده والوقوف عند شريعته، ولا حد للعمل في منطقة حدودها، ولا نهاية يمتد تحت بنودها. بهذا وما سبقه تم للإنسان بمقتضى دينه أمران عظيمان، طالما حُرم منهما، وهما استقلال الإرادة واستقلال الرأي والفكر، وبهما كملت له إنسانيته، واستعد لأن يبلغ من السعادة ما هياؤه الله له بحكم الفطرة التي فطر عليها».²

فالدين لا يتعارض مع العقل، بل هو الذي ينطلق بالعقل إلى رحاب العلم، حيث قال: « هذا الكتاب المجيد الذي يتبعه العلم حيثما سار شرقاً وغرباً لا بد أن يعود نوره إلى الظهور، وبمزق حجب هذه الضلالات، ويرجع إلى موطنه الأول في قلوب المسلمين ويأوي إليها العلم يتبعه وهو خليله الذي لا يأنس إلا إليه، ولا يعتمد إلا عليه ... لا بد أن ينتهي أمر العالم إلى تأخي العلم والدين، على سنة القرآن والذكر الحكيم».³

ومتلماً لا يتعارض الدين مع العقل والعلم فهو لا يتعارض مع المدنية ، فالإسلام: « لن يقف عثرة في سبيل المدنية أبداً، لكنه سيهذبها وينقيها من أضرارها، وستكون المدنية من أقوى أنصاره متى عرفته وعرفها أهله، وهذا الجمود سيزول، وأقوى دليل لك على زواله، بقاء الكتاب شاهداً

¹ صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط1، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001، ص68.

² محمد عبده، رسالة التوحيد، (د ط)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2000، ص160، 161 .

³ محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية، (د ط)، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2011 ، ص133، 135.

عليه بسوء حاله، ولطف الله بتقييض أناس للكتاب ينصرونه، ويدعون إليه ويؤيدونه، والحوادث تساعدهم، وسوط عذاب الله النازل بالجامدين ينصرهم»¹.

ولهذا كانت الفكرة الأساسية التي تتكرر باستمرار في كل مؤلفاته، هي لا تعارض بين الدين والعقل، أو بين الدين والعلم، أو بين الدين والمدنية، وكانت له ردود في هذه المسألة على بعض المفكرين الغربيين، فكانت: «ردوده على رينان وهانوتو ردود من يعلم ما قد علموه عن تواريخ الحضارات وخصائص الشعوب وطبائع الأجناس والسلالات، ويزيد عليهم بالإيمان الثابت والأريحية الإنسانية والهمة التي ترفعه إلى مقام الرسالة الروحية، فكان رينان وهانوتو يقابلان بين الإسلام والمسيحية ليقابلا بين المسلمين والمسيحيين الأوروبيين خاصة، ويقابلا بعد ذلك بين دعوى الغالب ودعوى المغلوب، ولم ينزل الأستاذ الإمام إلى مضمارهم إلا ليدفع عن عقيدة الإسلام دون أن يقدح في عقيدة المسيحية»².

ولم يكن دفاع الشيخ محمد عبده عن الإسلام لأجل تشويه المسيحية، بل العكس فهو قد أثبت للجميع بتنزيه الديانتين، وأن أصول المسيحية الحق لا تتعارض مع أصول الإسلام: «بل كان دفاعه عن الإسلام في وجه الأوروبيين المصطبغين بالصبغة المسيحية وهم أبعد ما يكونون عن المسيحية السمحة كما يعرفها الأستاذ الإمام. ولم يخرج من ردوده بتنزيه الإسلام وتشويه المسيحية، بل خرج منها جميعا بتنزيه الديانتين وإثبات الحقيقة التي يدين بها من يدين بكتاب الإسلام، وهي أن المسيحية ديانة محبوبة لا عداوة بين من يدين بها على أصولها ومن يدين بالإسلام على أصوله ولا يحرم على المسلم يوما أن يصاحب أهل الكتاب على سنة أهل الكتاب»³.

- محمد رشيد رضا (1865-1935) كان المشروع الحضاري للشيخ محمد رشيد رضا امتدادا لمشروع الشيخ محمد عبده، ولقد عبّر هذا الأخير عن هذه الحقيقة عندما قال: «إن الله بعث إليّ بهذا الشاب ليكون مددا لحياتي ومزيذا في عمري، إن في نفسي أمورا كثيرة أريد أن أقولها أو أكتبها للأمة، وقد ابتليت بما شغلني عنها، وهو يقوم ببيانها الآن كما أعتقد وأريد، وإذا ذكرت له

¹ محمد عبده، الإسلام بين العلم والمدنية، مرجع سابق، ص 133.

² عباس محمود العقاد، عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده، (د ط)، مؤسسة الهداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص 167، 168.

³ المرجع نفسه، ص 168.

موضوعا ليكتب فيه، فإنه يكتبه كما أحب، ويقول ما كنت أريد أن أقول، وإذا قلت له شيئاً مجملاً بسطه بما أرتضيه من البيان والتفصيل، فهو يُتم ما بدأت، ويُفصّل ما أجملت»¹.

وقد وضع محمد رشيد رضا أهداف مشروعه الحضاري من خلال ما كتبه في العدد الأول لمجلة (المنار) التي حلّت محلّ مجلة (العروة الوثقى)، حيث حصر أهدافه في: «الحثّ على تربية البنات والبنين، والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على مجارة الأمم المتمدّنة في الأعمال النافعة، وطرق أبواب الكسب والاقتصاد، وشرح الدخائل التي مازجت العقائد للأمة والأخلاق الرديئة التي أفسدت الكثير من عوائدها والتعاليم الخادعة التي لبست الغي بالرشاد، والتأويلات الباطلة التي شبّهت الحق بالباطل، حتى صار الجبر توحيداً، وإنكار الأسباب إيماناً، وترك الأعمال المفيدة توكّلاً، ومعرفة الحقائق كفراً وإحداً، وإيذاء المُخالف في المذاهب ديناً والجهل بالفنون والتسليم بالخرافات صلاحاً، واختبار العقل وسفاهة الرأي ولاية وعرفاناً، والذّلة والمهانة تواضعاً والخشوع للظلم والاستسلام للضيم رضا وتسليماً، والتقليد الأعمى لكلّ متقدّم علماً وإيقاناً»².

ومن البداية دعا إلى أن تأسس نهضة المجتمعات وتقدّمها وتمدّنها وتحضرها لا يكون إلا على أساس الدين، لأن: «التاريخ قد علمنا أنه لم تقم مدينة في الأرض من المدينيات التي وعها وعرفها إلا على أساس الدين. حتى مدينيات الأمم الوثنية، كقدماء المصريين والكلدانيين واليونانيين. وعلمنا القرآن أنه ما من أمة إلا وقد خلا فيها نذير من الله عزّوجلّ لهدايتها، فنحن بهذا نرى أن تلك الديانات الوثنية كان لها أصل إلهي، ثم سرت الوثنية إلى أهلها حتى غلبت على أصلها. وليس للبشر ديانة يحفظ التاريخ أصلها حفظاً تاماً إلا الديانة الإسلامية»³.

كما أن الإصلاح عنده لا يكون على الوجه الأكمل إلا من خلال توفر ثلاث شروط: الشرط الأول متعلق بطبيعة الحكم، والشرط الثاني متعلق باستعداد الأمة، والشرط الأخير متعلق بطريقة الإصلاح نفسه: «من الناحية الأولى لا بد أن يكون الحكم شوري، يؤمن بالعدل والمساواة، ويختار لإدارة شؤون البلاد والناس رجالاً جديرين مخلصين يكونون أجراء الأمة لا سادة مستبدين. ومن

¹ محمد عمارة، المشروع الحضاري الإسلامي، (د ط)، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2008، ص 19.

² محمد رجب البيومي، النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الجزء الأول، ط 1، دار القلم، دمشق، 1995، ص 243.

³ محمد عمارة، المشروع الحضاري الإسلامي، مرجع سابق، ص 23.

الناحية الثانية لا بد من تغيير أفكار الأمة وأخلاقها بالتعليم والتربية لكي ينشأ لديها استعداد لتقبل الإصلاح، ولكي تكون الشورى انعكاساً أو امتداداً لارتقاء الأمة. أما الناحية الثالثة فإن رشيد رضا يرى أن الإصلاح لن يبلغ غاياته إلا إذا كانت الطريقة إلى ذلك صحيحة»¹.

والخصوصية الحضارية للأمة الإسلامية حسب محمد رشيد رضا لا يعني الانعزال والتفوق والقطيعة مع الآخر وخصوصاً الحضارة الغربية المعاصرة، وإنما تعني هذه الخصوصية: «الانفتاح الحضاري، والتفاعل الفكري، واستلهاً المشترك الإنساني في المعارف والعلوم، مع الاحتفاظ بسمات وقسمات الخصوصية الحضارية الإسلامية. فنحن في حاجة إلى التعلم من الغرب علوم التمدن المدني لترقية الواقع المادي، مع الاحتفاظ بتميزنا في العقائد والفلسفات والشرائع واللغات والآداب. وفي ميادين الخصوصية الثقافية والحضارية، نحن مدعون إلى التعلم من الغرب خبرات أممه وشعوبه في تطويع وترقية خصوصياتها الثقافية والحضارية»².

— **عبد الرحمان الكواكبي (1855-1902):** حاول عبدالرحمان الكواكبي من خلال مشروعه الإصلاحية أن يُشخص من البداية المرض الذي أصاب الأمة العربية والإسلامية، ورأى أن الداء الحقيقي الذي نقى في جسد هذه الأمة يتمثل في الاستبداد بشقيه الديني والسياسي. ووضح معالم مشروعه في كتابيه: الكتاب الأول: (طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد) وهو في نقد أنظمة الحكم، أما الكتاب الثاني: (أمّ القرى) في نقد الشعوب.

أراد الكواكبي أن يبين في بدايه مشروعه الإصلاحية الأسباب التي أدت إلى تخلف العرب والمسلمين، وقد حصرها في ثلاثة أسباب: سياسية، دينية، خلقية. بالنسبة إلى الأسباب السياسية، فقد ذهب الكواكبي إلى أنها: «تتمثل في افتقاد الحاكم لأي حس بالمسؤولية تجاه الرعية، وأن الاستبداد هو سيد الموقف في الفعل السياسي لدى العرب والمسلمين. إن هؤلاء يفتقدون في حياتهم السياسية حقهم في التعبير وفي العمل وفي الممارسة السياسية الواعية والديمقراطية. وقد أدى ذلك إلى انتفاء ميزتي العدل والمساواة من المجتمعات الإسلامية»³. أما فيما يتعلق بالأسباب الدينية،

¹ . صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 80، 81.

² محمد عمارة، المشروع الحضاري الإسلامي، مرجع سابق، ص 26

³ سمير أبو حمدان، عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد، (د ط)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1992، ص 47، 48.

فاعتبر الكواكبي أن: «العقيدة الجبرية تأتي في طبيعتها. فمفهوم القضاء والقدر فتشا بين المسلمين بحيث شاعت بينهم ميول خاطئة إلى الزهد والتصوف، وانعدام السعي، واعتبار العلم والعمل شيئين يمكن الاستغناء عنهما. إضافة إلى ذلك فإن ثمة خرافات وأوهاما وخزعبلات داخلت الدين، وهي ليست منه فحصل ما ليس من الدين أيضا حيث لم يعد ثمة تطابق بين القول والعمل أو بين النظرية والممارسة».¹

أما الأسباب الخلقية فنجدها تتمثل حسب الكواكبي في: «تفشي الجهل والخمول واليأس من الإصلاح، والفساد على الصعيد كافة من النظام التعليمي إلى النظام المالي والإداري، وإلى البنية الاجتماعية حيث يسود التواكل والجبن في الجهر بالحق إزاء السلطة الحاكمة. وعدم السماح بتعليم المرأة المرغمة على البقاء في منزلها. وعلى هذا فهي تحولت بالرغم من أنها نصف المجتمع إلى طاقة مهدورة ولا فائدة منها».²

واعتبر الكواكبي أن من أشد درجات الاستبداد التي يُتعوذ بها من الشيطان هي: «حكومة الفرد المطلق، الوارث للعرش، القائد للجيش، الحائز على سلطة دينية. ولنا أن نقول: كلما قلّ وصف من هذه الأوصاف خفّ الاستبداد إلى أن ينتهي بالحاكم المنتخب الموقت المسؤول فعلا، وكذلك يُخفف الاستبداد طبعاً كلما قل عدد نفوس الرعية، وقلّ الارتباط بالأحكام الثابتة، وقلّ التفاوت في الثروة، وكلما ترقّى الشعب في المعارف».³

ورأى أن ما من أي حكومة مستبدة وهذا بسبب غفلة الأمة أو التمكّن من إغفالها إلا وتجعل في: «خدمتها إحدى الوسيلتين العظيمتين: جهالة الأمة، والجنود المنظمة، وهما أكبر مصائب الأمم وأهم معائب الإنسانية، وقد تخلصت الأمم المتمدّنة من الجهالة، ولكن بليت بشدة الجنديّة الجبرية العمومية، تلك الشدة التي جعلتها أشقى حياة من الأمم الجاهلة وألصق عارا بالإنسانية من أقبح أشكال الاستبداد».⁴

¹ سمير أبو حمدان، عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد، مرجع سابق، ص 48.

² المرجع نفسه، ص 49.

³ عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعداد، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2006، ص 38، 39.

⁴ المرجع نفسه، ص 39.

كما أن المستبد حسب الكواكبي لا يخشى بعض العلوم باعتبارها لا تساهم في يقظة الشعوب ولا في تنويرهم بخطورة الاستبداد، فالمستبد: «لا يخشى علوم اللغة، تلك العلوم التي بعضها يُقَوِّمُ وأكثرها هزل وهذيان يضيع به الزمان، نعم لا يخاف علم اللغة إذا لم يكمن وراء اللسان حكمة حماس تعقد الألوية، أو سحر بيان يحل عقد الجيوش... وكذلك لا يخاف المستبد من العلوم الدينية المتعلقة بالمعاد المختصة ما بين الإنسان وربه، لاعتقاده أنها لا ترفع غباوة ولا تزيل غشاوة... وكذلك لا يخاف من العلوم الصناعية لأن أهلها يكونون مسالمين صغار النفوس، صغار الهمم، يشتريهم المستبد بقليل من المال والإعزاز، ولا يخاف من الماديين لأن أكثرهم مبتلون بإيثار النفس، ولا من الرياضيين لأن غالبهم قصار النظر».¹

لكن ما يخشاه المستبد وترتعد فرائصه هو من بعض العلوم مثل: «علوم الحياة مثل الحكمة النظرية، والفلسفة العقلية، وحقوق الأمم وطبائع الاجتماع، والسياسة المدنية، والتاريخ المفصل، والخطابة الأدبية، ونحو ذلك من العلوم التي تُكَبِّرُ النفوس وتُوسِّعُ العقول وتُعَرِّفُ الإنسان ما هي حقوقه وكم هو مغبون فيها، وكيف الطلب، وكيف النوال، وكيف الحفظ».²

وللقضاء على الاستبداد والتخلص منه وضع الكواكبي قواعدا واعتبرها بمثابة البداية لكل مشروع إصلاحى يهدف للقضاء على الاستبداد والمستبدين: «الأمة التي لا يشعر كلها أو أكثرها بآلام الاستبداد لا تستحق الحرية. الاستبداد لا يُقاوم بالشدة إنما يُقاوم باللين والتدرج. يجب قبل مقاومة الاستبداد تهيئة ماذا يُستبدل به الاستبداد».³

وإذا التزمت الأمة بهذه القواعد ووجدت من يريد أن يأخذ بيدها ليُخَلِّصَهَا من الاستبداد فعليه أولا أن: «يبث فيها الحياة وهي العلم، أي علمها بأن حالتها سيئة وإنما بالإمكان تبديلها بخير منها، فإذا هي علمت يبتدئ فيها الشعور بآلام الاستبداد. ثم يترقى هذا الشعور بطبعه من الآحاد إلى

¹ عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارح الاستعباد، مرجع سابق، ص 65، 66

² المرجع نفسه، ص 66

³ المرجع نفسه، ص 179

العشرات ... حتى يشمل أكثر الأمة وينتهي بالتحمس ... وهكذا ينقذف فكر الأمة في واد ظاهر الحكمة يسير كالسيل، لا يرجع حتى يبلغ منتهاه»¹

— شكيب أرسلان (1869-1964): كتب شكيب أرسلان عن تاريخ العرب والمسلمين وعن أمجادهم ومفاخرهم، لأجل أن يُنبّه معاصريه إلى ما هم فيه من انحطاط وتأخر وتخلف، فيُبصرهم بما كان عليه أجدادهم من عظمة وقوة. فكان: «يؤلف في فتوحهم وغزواتهم، ويرسم مقامهم بالأندلس، ويصف ما وقع من تنافرهم وتصدع وحدتهم آخر الأمر، مما أدى إلى خسارة الأندلس تلك الخسارة الفاجعة التي أفضت مضجع شكيب وذهبت بلبّه وأورثته حسرات كان يرسمها في كتبه المؤلفة والمترجمة ليستعيد صفحات التاريخ القديم، كما استعاد صفحات الأدب البين العريق».²

واعتبر شكيب أرسلان أن تطوّر الأمم وتقدّمها يكون بالحفاظ على ذاكرتها وماضيها، فحفظ التاريخ حسبه: «هو الشرط الأول لحفظ الأمم ونموها، وركي الأقسام وسموها، وأنه لا يتصور على وجه الكرة وجود أمة تشعر بذاتها، وتعرف نفسها قائمة بنفسها إلا إذا كانت حافظة لتاريخها واعية لماضيها، متذكّرة لأوليّاتها ومبادئها مقيدة لوقائعها، مسلسلة لأنسابها، حاشدة لأحسابها، خازنة لآدابها، مما لا يقوم به إلا علم التاريخ الذي هو الواصل بين الماضي والمستقبل والرابط بين الآنف والمستأنف».³

ويرى أن من أعظم أسباب تأخر المسلمين وتخلفهم وانحطاطهم هو: «الجهل والعلم الناقص، وفساد الأخلاق، وفساد أخلاق أمرائهم، وتشجيع العلماء لهؤلاء الأمراء وسكوتهم على الضلال والطغيان. وفقدتهم كل ثقة بأنفسهم، وساعد على المرض سعي الفرنجة ودعاتهم في ترويج النظريات التاعسة بين المسلمين في أنهم لا يصلحون بعلم أو صناعة أو حرب أو سلم، فالمسلمون لا يحسنون شيئاً من المشروعات العمرانية ولا بد لهم من الأوربي حتى يدخلوا على يده الإصلاح في بلادهم، ولا حظ لهم في الأعمال الاقتصادية أصلاً، وكل مشروع إسلامي اقتصادي

¹ عبد الرحمن الكواكبي، طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، مرجع سابق، ص 180

² سامي الدهان، الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره، ط2، دار المعارف، مصر، (د.ت)، ص 218

³ المرجع نفسه، ص 264

صائر إلى الحبوط إن لم تكن له أركان افرنجية. حتى لم يبق في بلاد الإسلام شيء اسمه الاقتصاد إلا كانت إدارته بأيدي الافرنج أو اليهود»¹.

كما أن من أسباب انحطاط العرب والمسلمين هو تفرقهم وانقسامهم إلى دويلات وأحزاب وشيع، يقول شكيب أرسلان: «إني لأجد هذا الشقاق في كل أمة، ولا يخلو منه مكان، وقد وقع بين الصليبيين أنفسهم، ولكن إن كان الشقاق عاما فلا شك في أن تسعة أعشاره هي عند المسلمين، والعشر الواحد عند سائر الأمم بأجمعها، وإن فسح لي الوقت لأكتب كتابا وأسميه الفوضى الإسلامية وما جنته على المسلمين، والوحدة الإسلامية وما جنته للمسلمين»².

وكذلك من أكبر عوامل تخلف العرب و المسلمين حسب شكيب أرسلان هو ضياعهم بين الفئة الجامدة والفئة الجاحدة، فأفة الإسلام هي: «الفئة الجامدة التي لا تريد أن تغير شيئا، ولا ترضى بادخال أقل تعديل على أصول التعليم الإسلامي ظنا منهم بأن الاقتداء بالكفار كفر، وأن نظام التعليم الحديث من وضع الكفار. أما الجاحد فيسعى هو في إنكار أصل أمته بأسرها لأنه يعلم نفسه منها بمكان خسيس ليس له نصيب من تلك الأصالة، وهو مخالف لسنن الكون الطبيعية التي جعلت في كل أمة ميلا طبيعيا للاحتفاظ بمقوماتها ومشخصاتها من لغة وعقيدة وعادة وطعام وشراب وسكنى وغير ذلك إلا ما ثبت ضرره»³.

ونتيجة لما تشهده الأمة من انحطاط وتخلف وضياع، ظهرت فئات تحارب الدين باسم العلم، وترى أن الدين يتعارض مع العلم والثقافة، وهذه فرية حسب شكيب أرسلان، فالاشتغال بالدين وحده مع اهمال العلم هو خراب العالم ودماره ، لأن: «الدين الإسلامي لا يأمر بهذا، ولا يرضى عنه، بل هو يدعو إلى أن يعمل الإنسان لندياه كأنه يعيش أبدا، كما يعمل لأخراه كأنه يموت غدا، والدين لا يكون دينا إذا كان عدوا للعلم. ولكن الاشتغال بالعلم الدنيوي وحده مع هجر الدين يؤدي

¹ سامي الدهان، الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 331 ، 332

² المرجع نفسه ، ص 328

³ شكيب أرسلان، لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 88 .

إلى عبادة المادة، والانقياد لشهوات البدن، وضياع المثل العليا التي لا تتكون في الأذهان، ولا تصير هدفا للقرائح ومرمى للعزائم إلا عند المؤمنين بدين الله تبارك وتعالى».¹

كما ظهرت بعض الفئات تزعم أن الدين يتعارض مع الرقي والتقدم، لذلك لا تحرص على الدين حسب شكيب أرسلان إلا الشعوب المتخلفة والأمم الضعيفة، ولهذا فهو يؤمن بوجود علاقة وطيدة بين العقيدة والحكم، أو بين الدين والدولة، فالحكومات العربية والمسلمة التي: « تزعم أنها إنما تقطع صلتها بالدين الإسلامي اقتداء بحكومات أوربة التي بزعمها قطعت صلتها بالدين المسيحي إنما هي حكومات تضلل أفكار السذج من رعيتهما، وتموه عليهم، وتقصد حربا وتوري بغيرها. إذن هذه الحكومات كاذبة فيما تزعم، وإذن ناشرو دعايتها في مصر والبلاد العربية كاذبون أيضا. إذن على الأمة المصرية وعلى الأمة العربية جمعا أن ينتبهوا للحقائق».²

وللنهوض بالأمة العربية والإسلامية والرقي بها لا يكون حسب شكيب أرسلان إلا بالعودة إلى الإسلام وتعاليم القرآن، فالعالم الإسلامي: « يمكنه النهوض والرقي واللاحق بالأمم العزيزة الغالبة إذا أراد ذلك المسلمون ووطنوا أنفسهم عليه، ولا يزيدهم الإسلام إلا بصيرة فيه وعزما، ولن يجدوا لأنفسهم حافزا على العلم والفن خيرا من القرآن الذي فيه: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: 09]».³

فأسباب الرقي والتقدم والتطور تعود إلى الدين الإسلامي الذي جمع العرب بعد فرقة، وغير طبائعهم، ولولا: «الخلاف الذي عاد فدب بينهم في أواخر خلافة عثمان، وفي خلافة علي لكانوا أكملوا فتح العالم، وقد نقلهم القرآن من ذل إلى عز. ولكن لم يبق من الإيمان إلا اسمه، ومن الإسلام إلا رسمه، ومن القرآن إلا الترنم به، دون العمل بأوامره ونواهي».⁴

ومن الواجب على العرب والمسلمين اليوم لكي ينهضوا ويتقدموا ويترقوا كما ترقى غيرهم من الأمم، هو: « الجهاد بالمال والنفس الذي أمر به الله في قرآنه مرارا عديدة، وهو ما يسمونه اليوم

¹ أحمد الشرباصي، شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، (د ط)، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، (د ت)، ص 203

² المرجع نفسه، ص 199، 200، 201.

³ شكيب أرسلان، لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم، مرجع سابق، ص 133.

⁴ سامي الدهان، الأمير شكيب أرسلان حياته وأثاره، مرجع سابق، ص 329

بالتضحية. فلن يتم للمسلمين ولا لأمة من الأمم نجاح ولا رقي إلا بالتضحية... وأن التضحية أو الجهاد بالمال والنفس هو العلم الأعلى الذي يهتف بالعلوم كلها، فإذا تعلمت الأمة هذا العلم وعملت به دانت لها سائر العلوم والمعارف ودنت منها جميع القطوف والمجاني»¹.

ولقد كان للتيار الإصلاحى الدينى تأثير على الفكر الإصلاحى فى الجزائر، فالدعوة التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا كان لها: «الأثر الكبير فى نشر الفكر الإصلاحى فى الجزائر، فرغم الحصار الذى ضربه المستعمر لعزلها عن العالم الإسلامى، زار الشيخ محمد عبده الجزائر عام 1903، واجتمع بعدد من علمائها منهم الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة والشيخ عبدالحليم بن سماية، وقد كان لمجلة العروة الوثقى ومجلة المنار، تأثير كبير على المثقفين من أهل الجزائر، الذين اعتبروا دروس العقيدة التى كانت تنشرها (المنار) لمحمد عبده، بمثابة حبل الوريد الذى يربطهم بأمتهم»².

ومما لا شك فيه حسب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أن دعوة محمد عبده امتدت إلى العالم الإسلامى مشرقه ومغربيه، حيث قال: « لا نزاع فى أن أول صيحة ارتفعت فى العالم الإسلامى بلزوم الإصلاح الدينى والعلمى فى الجيل السابق لجيلنا هي صيحة إمام المصلحين الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده، وأنه أندى الأئمة المصلحين صوتا وأبعدهم صيتا فى عالم الإصلاح، فلقد جاهر بالحقيقة المرة، وجهر بدعوة المسلمين فى مشارق الأرض ومغاربها إلى الرجوع إلى الدين الصحيح والتماس هديه من كتاب الله ومن سنة نبيه»³.

كما أن دعوة محمد رشيد رضا بتفسيره للقرآن الكريم، وبما كان يكتبه فى مجلته (المنار) الأثر الكبير على الحركات الإصلاحية فى العالم الإسلامى، وهذا ما أشار إليه الشيخ عبدالحميد بن باديس حين قال: « إن أثر السيد رشيد رضا بما نشر من تفسير القرآن الكريم على صفحات المنار وما كتب فى المنار وغير المنار، هو الذى جلى الإسلام بصفاته الحقيقية للمسلمين وغير المسلمين، وهو الذى لفت المسلمين إلى هداية القرآن وهو الذى دحر خصوم الإسلام من المنتمين

¹ شكيب أرسلان، لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم، مرجع سابق، ص 163.

² مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة، 1997، ص56، 57.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامى، بيروت، 1997، ص 177.

إليه وغير المنتمين إليه وهتك أستارهم حتى صاروا لا يحرك أحد منهم أو من أشباههم يده إلا أخذ بجنايته، فهذه الحركة الدينية الإسلامية الكبرى اليوم في العالم إصلاحا وهداية، بياننا ودفاعا، كلها من آثاره»¹

ولهذا كان تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتأثير من الدعوة الإصلاحية التي قادها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ولكنه كان تأثيرا فيه تميز واستقلالية، حيث اعتبر الشيخ أحمد حماني أن الحركة الإصلاحية في الجزائر فرع لهذه الحركة المتصلة بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ولكن لا يعني أنها كانت متصلة بهم عاملة بوحيم مدبرة منهم، فقد كانت حسبه: «مستقلة تمام الاستقلال عنهم من هذه الناحية، إنما نعني أنه كانت متأثرة بهم، سائرة في الإصلاح الديني والدينيوي على مهاجمهم في الاعتماد على كتاب الله وإحياء سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإماتة البدع، والإنكار على أهلها، ودعوة الأمة إلى اليقظة والنهضة الشاملة، والتخلص من كل أثر للجُمود والجُحود والتخلف الفكري، وبتث التعليم القوي بإحياء اللغة والنخوة الإسلامية العربية والمحافظة على الوحدة الوطنية على أساس سليم تقبله الأمة ويمليه الدين»²

ثانيا: التيار القومي

لقد ظهر هذا التيار من أجل تجسيد فكرة الانفصال عن الخلافة العثمانية والاستقلال عنها، وبالرغم من أن العرب كانوا يشعرون بالنقمة وعدم الرضى، لكنهم لم يفكروا في الانفصال عن الحكم العثماني، بل كانوا: «يطالبون وبالبحاح وإصرار بالإصلاح، حتى أنهم ظلوا مهما قسوا في تقديم السلطنة يشعرون بالولاء للخلافة. لكن عند مستهل القرن العشرين توترت العلاقات التركية العربية وطرأت عليها تغييرات جذرية. ذلك لأن العرب استمروا في مطالبتهم بالإصلاح، غير أن

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الثاني، ج 2، ط 3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص 209.

² أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1، (د. ط.)، دار البعث، (د. ت.)، ص 52.

هدفهم الأساسي أصبح الآن الاستقلال الذاتي للولايات العربية، وكانت فكرة الاستقلال الناجز التام والسيادة العربية القومية، من الأمور التي طرأت على التفكير العربي»¹.

ولقد سبق المسيحيون العرب المسلمين منهم إلى التحسس بالشعور القومي وإلى المجاهرة بالحركة القومية، ففي : « بداية القرن التاسع عشر دخل المذهب البروتستانتي إلى البلاد العربية، وترجم الانجيل إلى اللغة العربية، وأخذت طوائف الروم الأرثوذكس في بلاد الشام تطالب بتعريب كنيستها. وكانت الكنائس الكاثوليكية بما فيها الموارنة، قد استقلت عن روما وصار لها بطاركة ومطارنة من العرب، وغدت لها مدارسها العربية. وتخرج من المعاهد التي أنشأتها الإرساليات التبشيرية والطوائف المختلفة رواد الحركة القومية العربية »². ومن أبرز مفكري هذا التيار: ساطع الحصري وزكي الأرسوزي وقسطنطين زريق وميشيل عفلق.

— **ساطع الحصري (1879-1968):** اعتبر ساطع الحصري أن بناء المجتمعات السياسية ينشأ من خلال : « ثلاث عواطف: عاطفة القومية، وعاطفة القومية الإقليمية، وعاطفة الولاء للدولة. لكنها أهمها الأولى إذ هي التي لعبت منذ بدء القرن التاسع عشر دورا فعالا في خلق الوطنية وإنشاء الدول، فالوطن بالنسبة إلى الإنسان الحديث هو الأرض التي يعيش فيها أبناؤه. وحق الدولة في ولاء المواطن لها قائم على كونها تجسد إرادة الأمة»³.

ولقد وقف ساطع الحصري عند عاملي اللغة والتاريخ باعتبارهما حسبه من أبرز مقومات الأمة، إذ يرى أن: « أسّ الأساس في تكوين الأمة وبناء القومية هو وحدة اللغة ووحدة التاريخ. لأن الوحدة في هذين الميدانيين، هي التي تؤدي إلى وحدة المشاعر والمنازع، ووحدة الآلام والآمال، ووحدة الثقافة، وبكل ذلك تجعل الناس يشعرون بأنهم أبناء أمة واحدة، متميزة عن الأمم الأخرى. فلا الدين ولا الدولة ولا الحياة الاقتصادية، تدخل بين مقومات الأمة الأساسية »⁴

¹ زين نورالدين زين، نشوء القومية العربية، ط4، دار النهار للنشر، بيروت، 1986، ص81.

² علي المحافظة، الاتجاهات الفكرية عند العرب، مرجع سابق، ص129.

³ ألبيرت حوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، ترجمة: كريم عزقول، (د ط)، دار النهار للنشر، بيروت، (د ت)، ص372.

⁴ عدنان محمد زرزور، جذور الفكر القومي والعلماني، ط 3، المكتب الإسلامي، بيروت، 1999، ص 66

وكانت الفكرة الأساسية التي لم يتوقف الحصري عن ترديدها هي أن العرب أمة واحدة وأن اللغة والتاريخ هما المقومان الأساسيان لوجود هذه الأمة، بل لوجود الأمة على الإطلاق، حيث يقول: «اللغة روح الأمة وحياتها، إنها بمثابة محور القومية وعمودها الفقري وهي أهم مقوماتها ومشخصاتها، أما التاريخ فهو بمثابة شعور الأمة وذاكرتها، فإن كل أمة من الأمم إنما تشعر بذاتها وتكوّن شخصيتها بواسطة تاريخها الخاص».¹

وهو يعتبر أن اللغة لم تكن كوسيلة للتخاطب فحسب، بل هي وسيلة التفكير أيضا، فلو لم تكن اللغة حسبه: «لما تقدم العقل البشري التقدم الذي يمتاز به عن سائر الحيوانات... والأمة من حيث هي متحد اجتماعي ذو نوع من الحياة خاص به في بيئته، لا بد لها من لغة واحدة تسهل الحياة الواحدة وتؤمن انتشار روحية واحدة، تجمع آدابها وفنونها وعواملها النفسية وأهدافها ومثلها العليا».²

كما اعتبر أن الماضي منبع فياض للمستقبل، والتاريخ قوة مهمة في حياة الأمم، ولكن التاريخ والماضي في حياة الأمم قد يكون مفيدا أو مضرا، فالتاريخ: «يكون مفيدا عندما يفرغ على شكل قوة دافعة تحركنا إلى الأمام، غير أنه يصبح مضرا حين يأخذ شكل قوة جاذبة تدعونا إلى العودة إلى الوراء، فلا يجوز لنا أن نعتبر الماضي هدفا نتوجه نحوه، ونسعى للعودة إليه، بل يجب علينا أن نجعل منه نقطة استناد نستند إليها في اندفاعنا إلى الأمام، يجب علينا أن نكون منه قوة فعالة حافزة، تدفعنا نحو المستقبل الجديد، وبتعبير أقصر: تذكر الماضي، مع التطلع إلى المستقبل على الدوام».³

و لا ينكر ساطع الحصري عامل الدين في تأثيره على المشاعر الإنسانية، فهو يساعد على خلق نوع من الوحدة في مشاعر الأفراد، لكن نوع هذا التأثير وكيفية ارتباطه بالوحدة القومية يختلف من دين إلى دين. فالدين القومي لا يثير أي مشكلة قط، إذ لا شك في أنه يُدعم الشعور القومي، لكن الأمر يتعدّد عندما يكون الدين عالميا كالمسيحية والإسلام، فمن طبيعة هذا الدين أن

¹ محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 97، 98

² ساطع الحصري، العروبة بين دعائها ومعارضيتها، ط 1، دار العلم للملايين، بيروت، 1952، ص 90، 91

³ ساطع الحصري، أبحاث مختارة في القومية العربية، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985، ص 100

يخلق مشاعر عالمية، لا بل مشاعر لا قومية، إلا أن هناك ما يحدّ من هذه النزعة، فالأديان لا تنتشر إلا بواسطة أداة اللغة، ولكل دين علاقة جوهرية مع لغة معينة، تنشأ عن التبشير به وعن كتبه وطقوسه المقدسة، ولا يمكنه أن ينتشر إلا بواسطة هذه اللغة، ولا ينتشر إلا إذا كان للأمة الناطقة بتلك اللغة مصلحة قومية في انتشاره. فالدين حسب الحصري : «إذا اتحد بلغة من اللغات قوى جذور تلك اللغة وحافظ على كيانها أكثر من جميع العوامل الاجتماعية الأخرى، ومما يلاحظ في سير الوقائع التاريخية أن الديانة، عندما تتفرع إلى مذاهب عديدة، قد تربط مقدرات بعض هذه المذاهب ببعض اللغات بوجه خاص، وتنتشر اللغة المذكورة مع انتشار المذهب الذي تبناها، وتتوسع سيطرة الأمة التي كانت صاحبة الأصلية للغة المذكورة بفضل هذا الانتشار».¹

وإذا كانت الأمة العربية قد تأخرت حسب الحصري في الشعور بقوميتها الخاصة بسبب ظروف تاريخية، وانقسمت إلى عدة دول بتأثير سياسة الدول الاستعمارية، فتأخرت في الشعور بوحدتها القومية، فقد: « أن الأوان ليدرك الناطقون بالضاد أنهم أبناء أمة واحدة، على الرغم من تعدد دولهم في الحالة الحاضرة، وأن يعملوا لتكون لهم دولة واحدة ليصبحوا أقوىاء من جميع الوجوه: الثقافية والاقتصادية والعسكرية والسياسية».²

— زكي الأرسوزي (1900 - 1968): يعتبر زكي الأرسوزي هو المؤسس الأول لحركة البعث، وقد لاقت أفكاره ودعوته صدى وتأييداً من المثقفين ، حيث أخذ منه ميشيل عفلق تلك الأفكار التي تبناها حزب البعث في سوريا والعراق.

وزكي الأرسوزي يفصل بين الإسلام والقومية العربية، ولا يقر للإسلام بدور في هذه القومية، لأن : « القرون الوسطى كانت تحمل طابعا دينيا، وأما الحضارة الحديثة فهي ذات طابع علمي، قوامه المناسبات الثابتة بين الأشياء، وهي ذات نهج تقدمي شعاره التفاؤل بعهد ذهبي في

¹ البرت الحوراني، الفكر العربي في عصر النهضة، مرجع سابق، ص 374

² محمد عابد الجابري، المشروع النهضوي العربي ، مرجع سابق، ص 98

المستقبل، هذه الحضارة سياستها علمانية وشرائعها مستوحاة من وجدان الأمة. وتمثل الجاهلية في نظر الأرسوزي العصر الذهبي».¹

ورأى أن بعث الأمة العربية هو من خلال العودة بها إلى العصر الجاهلي، وهذه العودة تعني الرجوع إلى لغتنا، لأننا نحن العرب لسنا بحاجة لبيئة نتميز بها من المعتدين على حقوقنا، لأن معالم: « شخصيتنا القومية أوضح من معالم شخصية خصومنا، وإن لغتنا لم تُقصر عن الإفصاح عما يختلج في نفوسنا، حتى لقد كان تراثنا منارة يهتدي على شفها الناس سواء السبيل، وإن كل ما نفتقر إليه في بعثنا هو أن نبلغ مستوى الوعي عند أجدادنا القدامى، أن نبلغ مستواهم في وضوح البصيرة وفي قوة الشكيمة».²

ونحن بالرجوع إلى العصر الجاهلي حسب الأرسوزي نكون في التقاء مع مبادئ الثقافة الحديثة وأصولها، تلك: « الأصول التي تقوم على الاعتقاد بأن النفس تتطوي على مقوماتها، على عقل يؤهلها لمعرفة الحقيقة ووجدان ينير لها سبيل الفضيلة، فضلا عن ذلك أننا لنتحاشى بهذه العودة ما أورثنا التاريخ من حزازات بين المذاهب والأديان».³

ويُحدّد الأرسوزي مهام حركة البعث في مهمتين أساسيتين: إحداهما ثقافية والأخرى سياسية، فأما المهمة الثقافية فهي تتمثل في: « أولا: الكشف عن عبقرية الأمة العربية من خلال المظاهر التي عبرت بها عن وجهة نظرها في الحياة. وثانيا: الكشف عن مقومات الحضارة الحديثة، وتعيين اتجاه تطور هذه الحضارة. وثالثا: إيجاد الإنسجام بين العبقرية العربية وبين مقتضيات الحضارة التي تكتنفنا وتغمرنا بمنتوجها، حتى إذا ما تمّ لنا ذلك زهت الحياة وازدهرت باستكمالها شروط كيانها، فأصبح كلّ منا ذاتا، مبدعا، فنا»⁴

وأما المهمة السياسية فتتمثل في إقامة دولة عربية تجمع تحت رايتها شمل العرب قاطبة، لأن: « جمع شمل العرب في دولة عربية موحدة يتعدّى حدود حلم المتقاتلين، وما علينا إلا أن نقابل بين

¹ محمد صفي الدين خربوش، موقف الفكر القومي العربي من الإسلام، مجلة منبر الحوار، العدد 16، السنة الرابعة، دار الكوثر، بيروت، لبنان، (1989-1990)، ص 139 .

² عصام نور الدين، زكي نجيب الأرسوزي (حياته وأراؤه في السياسة واللغة)، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 1996، ص71.

³ زكي الأرسوزي، الأمة العربية، (د ط)، دار البيضة العربية، دمشق، 1958، ص 103

⁴ عصام نور الدين، زكي نجيب الأرسوزي (حياته وأراؤه في السياسة واللغة)، مرجع سابق، ص 72، 73 .

ما نعاني اليوم من جراء تشتتتنا وما نأمل بأن نكون عليه غدا عند جمع شملنا حتى ندرك البون الشاسع بين الأمرين، وسنكون دولة تمتدّ تخومها من المحيط الهندي إلى المحيط الأطلسي، دولة وسطا بين آسيا وأوروبا وإفريقيا، دولة مشرفة على طرق مواصلات العالم»¹.

— **قسطنطين زريق (1909-2000):** يرى قسطنطين زريق أن ثمة علاقة بين الإسلام والقومية العربية، فهو يعتبر أن القومية الحقيقية: « لا يمكنها بحال من الأحوال أن تناقض الدين الصحيح، إذ ليست في جوهرها سوى حركة روحية ترمي إلى بعث قوى الأمة الداخلية وتحقيق قابليتها العقلية والنفسية، لكي تقدم الأمة قسطها من تمدن العالم وحضارته»².

ومن أكبر المشكلات التي تواجه المجتمعات العربية حسب قسطنطين زريق هي مشكلة التخلف، ومنشأ هذا التخلف الذي تعانيه مجتمعاتنا هو: « ركود العقل فينا، وفقداننا الفضائل الفردية والاجتماعية التي تكوّنت في تراثنا الخاص، وعزوفنا عن نشدان الفضائل في مصادرها الأخرى. فلقد تعاونت عوامل تسلط وقهر خارجية وعوامل تفكك وانحلال داخلية طيلة أجيال مديدة، فكبتت فاعليتنا العقلية وسلبتنا حيويتها، فارتضينا الحال التي كنا عليها وأضعنا طموحنا واستشرت في جسمنا الأدواء الفكرية والعلل النفسية»³.

ولا شك أن مشكلة التخلف قد كانت مصدرا لمصائب أخرى، فلولاها: « لما خضعنا أصلا للاستعمار ولما تفشى فينا الفقر والجهل ولما نكبنا في فلسطين وفي غيرها من الميادين، ولما تعثرت خطانا في طريق التعاون والاتحاد»⁴.

وإذا كانت معركتنا الأساسية هي معركة القضاء على التخلف، فلا يكفي أن تبقى هذه الحقيقة مجرد: « قناعة فكرية عند فريق من المفكرين أو من أولي الأمر فينا، بل يجب أن تتقلب إلى إيمان يمتلك النفوس ويعم الشعب بمجموعه وينطلق بحيوية فاعلة ودفق غامر، يجب أن يتحول

¹ . عصام نور الدين، زكي نجيب الأرسوزي (حياته وأراؤه في السياسة واللغة)، مرجع سابق، ص 74.

² قسطنطين زريق، الوعي القومي، (د ط) ، منشورات دار المكشوف، بيروت، 1939، ص 112 ، 113

³ قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1981، ص 389، 390.

⁴ المرجع نفسه، ص 390.

الشعور بحاجتنا الأساسية هذه إلى فيض من التوق الحضاري. إن قيمة الأفراد والشعوب تقاس بنوع مطالبهم: بما يحتون إليه ويتوقون إلى تحقيقه».¹

ولهذا يرى قسطنطين زريق أن نهضة المجتمعات العربية بحاجة إلى أمرين أساسيين: « قيادة واعية قديرة، وتغيير جوهري في نظرتهم إلى الحياة. فلا بد لهم في عهدهم الجديد من قيادة قديرة وتقدمية، تدرك الأوضاع السياسية في العالم الحديث إدراكا واقعيا، وتعرف كيف تتطور مع الظروف لتلائم بين أحوال بلادها الخاصة وبينها. ولا بد على العرب كذلك أن ينبذوا من تقاليدهم العناصر الرجعية، وأن يكونوا موضوعيين في الحكم على الأشياء. ».²

– ميشيل عفلق (1910- 1989): لقد أكد ميشيل عفلق على وجود علاقة خاصة بين الإسلام والعروبة، وعلى دور هذه العلاقة في تميز القومية العربية عن القوميات الأخرى، فهو يرى أن: « الإسلام قد أصبح أكبر من مُكوّن من مُكوّنات القومية العربية، أصبح أباهما الذي ولدت منه ولادة جديدة، كما أصبح الإسلام الحضاري خيارا قائما بذاته ضمن خيارات النهضة الثلاثة وهي: القومية والتقدم والإسلام الحضاري ».³

ويرفض ميشال عفلق نموذج القومية الغربية باعتباره مجردا من الدين، وذلك لإيمانه بعلاقة الإسلام بالعروبة في النموذج القومي العربي : « فالفكرة القومية المجردة عن الدين في الغرب منطقية إذ تقرر انفصال القومية عن الدين، لأن الدين دخل على أوربا من الخارج فهو أجنبي عن طبيعتها وتاريخها وهو خلاصة من العقيدة الأخروية والاخلاق، ولم ينزل بلغاتهم القومية، ولا أفصح عن حاجات بيئتهم، ولا امتزج بتاريخهم. في حين أن الإسلام بالنسبة إلى العرب ليس عقيدة أخروية فحسب، ولا هو أخلاق مجردة، بل هو أجلي مُفصح عن شعورهم الكوني ونظرتهم إلى الحياة، وأقوى تعبير عن وحدة شخصيتهم التي يندمج فيها اللفظ بالشعور والفكر، والتأمل بالعمل، والنفي بالقدر».⁴

¹ قسطنطين زريق، في معركة الحضارة، مرجع سابق، ص 392

² محمد محمد حسين، الإسلام والحضارة الغربية، (د ط)، دار الفرقان، (د ت)، ص 121 .

³ محمد عمارة، المشروع الحضاري الإسلامي، مرجع سابق، ص 146.

⁴ المرجع نفسه، ص 150، 151.

والتقدم ليس معناه التحرر من القديم والابتعاد عنه، ولا هو استبدال التحلل والانحلال والهدم بقيمنا الموروثة، وإنما هو العودة إلى ماضينا وذواتنا، لتحقيق الاتصال بمعين روحها الأصيل، واستئنافا لسير الأمة ومسيرتها الحضارية، قبل أن ينتابها الجمود والانحطاط، فنحن: « شعب عربي مسلم، تراثنا ليس للماضي فقط، وإنما نور وضوء على المستقبل، ومنه نستمد المثل والمبادئ الإنسانية والأخلاقية، منه نستمد الروح والنظرة إلى الإنسان بوجه عام. إن التراث ليس شيئاً من الماضي، وليس شيئاً للتسجيل في الذاكرة، وإنما حياة نابضة، هو الأصالة، والقدرة على الإبداع، القدرة المتجددة في أمتنا، والتي تهتز في كل مرحلة ومنعطف تاريخي حاسم، لتعود الأمة العربية إلى مكان القيادة في مسيرة البشرية».¹

وهو يرى أن حل مشكلات المجتمع العربي في الحاضر والمستقبل، يتطلب فهم هذه المشكلات بمنطق العصر: « إن فهم البعث للإسلام، بأنه ثورة روحية وحضارية كبرى، يجعل من استلهايم قيم الإسلام النضالية والإنسانية، ومن جرأته في الحق، وصبره، ونظرته التجديدية، ورفضه الجمود على ما كان عليه الآباء، ونظرته المتوازنة إلى الحياة، إلى المادة والروح، والطبيعة والإنسان، والدنيا والآخرة، يجعل من استلهايم هذا التراث الغني أمراً ممكناً، بل وواجباً في أي تغيير ثوري للمجتمع العربي، يتطلع إلى بعث الأمة وتجديد شخصيتها الحضارية».²

ثالثاً: التيار التغريبي الليبرالي

ظهر التيار التغريبي الليبرالي في مقابل تيار الإصلاح الديني الذي مثله كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ودعا هذا التيار إلى تبني النموذج الغربي بخيره وشره، بحلوه ومره، ويرى فيه نموذجاً شاملاً للشعوب بكل ما نتج عنه من علوم وفلسفات ونظريات وأفكار، ومن أبرز مفكري هذا التيار شبلي شميل، فرح انطون، قاسم أمين، لطفي السيد، علي عبد الرازق، سلامة موسى، طه حسين.

¹ محمد عمارة، التيار القومي الإسلامي، ط1، دار الشروق، القاهرة، 1997، ص 72، 73

² المرجع نفسه، ص 83

— شبلي الشميل (1850-1917): لقد بنى مشروعه الفكري على النظرية التطورية لداروين، ويعتبر شبلي شميلي هو أول من أدخل هذه النظرية إلى الفكر العربي، ومن أبرز ما كتبه: "فلسفة النشوء و الارتقاء " وأراد شميلي أن يكون بداية مشروعه من التركيز على أهمية العلم الطبيعي في بناء المجتمعات وتطورها.

ويعتبر شبلي شميلي أن آراءه الدينية والاجتماعية والعلمية ليست غريبة عن العلم فهي مستمدة منه ولا تنتمي لدائرة الفلسفة، حيث يقول : « أنا أقدر أن أتكلم عن آرائي الدينية والاجتماعية والعلمية ولا أقول الفلسفية، لأنني لا أحب أن أعنى كثيرا بالفلسفة، إلا ما كان من قبيل الاستقراء العلمي فقط، لما تجر إليه غالبا من السفسطات البالغة إذا شردت عن العلم، بل أنا أكره جدا الانتساب إليها... فأرائي الدينية والاجتماعية والعلمية ليست غريبة عن العلم اليوم، وهي ليست من الآراء الفلسفية التي يتسع مجال التخريج فيها لكل مفكر غير مقيد بقيد علمي، بل هي نتيجة لازمة لأبحاث علمية¹. وهو يرى أن على أنظمة المجتمعات وعمرانها إذا ما أرادت أن ترتقي لا بد أن تسير وتتماشى وفق قوانين الطبيعة، فحسب قوله: « أنا لا أطلب المستحيل في الأمور الاجتماعية بل أطلب التمشي في نظام العمران على النواميس الطبيعية نفسها والاسترشاد بها لاجتناب عثراته وتسهيل ارتقائه، عسى أن يصبح كل أعضائه عاملين نافعين منتفعين معا، فلا يكون هناك تذبذب في قوى الاجتماع، ولا حيف على الأفراد يعودان بالضرر على المجتمع، وهو أمر ميسور لولا أثره المستأثرين وغفلة الجاهلين². » كما اعتبر أن نظام العمران وطبيعة المجتمع مثل الكائن الحي، فهو كالجسم تتكامل أعضائه، ومن الطبيعي أن مدى استمرارية الحياة في هذا الجسم، تتعلق بمدى اتفاق هذه الأعضاء مع بعضها البعض، حيث قال: « إن العمران جسم حي كسائر الأحياء له أعضاؤها ونواميسها وتحولاتها وسقمها، وإن ما ينطبق عليها في جميع خصوصياتها ينطبق عليه. ليس من المقرر اليوم في علم الاجتماع الطبيعي أن العمران حيوان ، ولكنه حيوان هائل، أفراد البشر فيه كالكريات الحية في الأحياء؟ لعلنا إذا عرفنا ذلك جيدا يسهل علينا أن نفهم كيف يجب أن نجعل كل عضو من أعضائه نافعا ومنتفعا معا، لئلا يكثر في الأعضاء العاطلون ويكونون فيه

¹ . شبلي شميلي، آراء الدكتور شبلي شميلي ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014 ، ص 09 .

² المرجع نفسه، ص21.

حينئذ كالكريات المتعفة أو كالأخلاق الرديئة التي تتهدد سلامة الجسم الحي، عسى أن تقل الجنايات وتتوافر المنفعة وينصرف الاجتماع إلى ما يرقيه»¹.

— فرح أنطون (1874-1922): يؤكد فرح أنطون من البداية على مبدأ فصل الدين عن الدولة، ويدعو إلى عدم هيمنة رجال الدين على السلطة السياسية وسلطة المجتمع، لأن في ذلك ضررا للدين والدولة والمجتمع على السواء، إذ: « لا مدنية حقيقية ولا تساهل ولا عدل ولا مساواة ولا أمن ولا ألفة ولا حرية ولا عمل ولا فلسفة ولا تقدم في الداخل إلا بفصل السلطة الدينية عن السلطة المدنية، ولا سلامة للدول ولا عز ولا تقدم في الخارج إلا بفصل السلطة المدنية عن السلطة الدينية»².

وإذا كان مبدأ فصل الدين عن الدولة يؤدي حبه إلى حصول كل ذي حق على حقه بغض النظر عن انتمائه الديني أو المذهبي، فإن مبدأ العلم هو السبيل الوحيد إلى تقدم المجتمعات وتطورها ورفيها، إذ يرى أن: « الدين لعب دورا حاسما في تنوير البشر وترشيدهم عندما كانت الحالة الإنسانية لا تزال في طفولتها وعلى فطرتها الأولى، والأحرى عندما كان العلم لا يزال قاصرا عن صوغ إجابات معينة على ظواهر الطبيعة والكون. في ذلك الوقت نشأ الدين، وكان سيد الموقف على فترات طويلة من التاريخ، وقد أحرز عبر هذه الفترات نجاحا ملحوظا في الانتقال بالبشر من طور بدائي وحشي إلى طور أكثر رقيا وتمدنا. غير أن المجتمعات سرعان ما تحولت إلى بنيات معقدة بحيث أصبحت بحاجة ماسة إلى ما هو أكثر من الدعوة إلى الفضيلة والصلاح ومحبة الخير، فالدين لم يعد كافيا وباتت الحاجة ملحة إلى علوم وفنون شتى تنهض بالفرد والجماعة وتجيب عن التحديات الجمة التي راحت تواجههما»³.

ومن هذا المنطلق قد أشار إلى العلاقة بين تطور المجتمعات وتقدم العلم، حيث قال: « ثمة علاقة جدلية نشأت بين تقدم المجتمعات وتقدم العلم، فليس ثمة مجتمع متقدم ومتطور بغير علم على نفس المقدار من التقدم والتطور، فالأمم بعد تكونها وتمدنها لا تتوقف على الدين بل على العلم، وأن الأمم المخالفة أو الوثنية كاليابان إذ سلكت سبيل العلم والنواميس الطبيعية ارتقت

¹ شبلي شمیل، آراء الدكتور شبلي شمیل، مرجع سابق، ص 10.

² سمير أبو حمدان، فرح أنطون وصعود الخطاب العلماني، (د ط)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1992، ص 111.

³ المرجع نفسه، ص 111، 112.

مدنيتها على كل مدنية حتى مدنية الذين يعملون بقواعد الانجيل والقرآن حرفا ومعنى دون أن يشغلوا بالعلم»¹.

— قاسم أمين (1863-1908): يعتبر قاسم أمين من أبرز المفكرين المدافعين عن حرية المرأة وحقوقها، وينظر إلى أنها قد ظلمت في بلاد الشرق بالمقارنة مع ما تعيشه في بلاد الغرب: « انظر إلى البلاد الشرقية، تجد أن المرأة في رق الرجل، والرجل في رق الحاكم، فهو ظالم في بيته، مظلوم إذا خرج منه، ثم انظر إلى البلاد الأوروبية تجد أن حكوماتها مؤسسة على الحرية واحترام الحقوق الشخصية، فارتفع شأن النساء فيها إلى درجة عالية من الاعتبار وحرية الفكر والعمل»².

وقد رأى أنّ ما قيل من أن حرية النساء تؤدي إلى السفور وإلى الخروج عند حدود العفة أمر باطل، حيث قال: « إن ما قيل من أن حرية النساء تعرضهن للخروج عن حدود العفة كله كلام لا أصل له، تبطله التجارب، وينبذه العقل، إذ التجارب المؤسسة على المشاهدات الصحيحة تدل على أن حرية النساء تزيد في ملكاتهن الأدبية وتبعث فيهن إحساس الاحترام لأنفسهن وتحمل الرجال على احترامهن»³.

ولهذا كان مشروع قاسم أمين قائما على تربية المرأة، إذ اعتبر أن تربيتها ليس من الكماليات بل من الضروريات، لأن في تربيتها وإصلاحها هو إصلاح للمجتمع: « فليست تربية المرأة من الكماليات التي ينتظر بها مرور الأزمان، ويجوز الإبطاء في إعداد الوسائل لها، كما يتوهمه كثير من الناس الذين يطنطون بمزايا تربية الذكور ويقدمونها على تربية البنات، وإنما هي من الحاجيات، بل من الضروريات التي يجب البدء بها والعناية بتوفير ما يلزم لها من المعدات، وهي الواجب الخطير الذي إن قمنا به سهل علينا كل إصلاح سواه، وإن أهملناه أفسد علينا كل إصلاح سواه»⁴.

¹ سمير أبو حمدان، فرح أنطون وصعود الخطاب العلماني، مرجع سابق، ص 113.

² قاسم أمين، المرأة الجديدة، (د ط)، دار الشروق، القاهرة، 1989، ص 426.

³ المرجع نفسه، ص 446.

⁴ قاسم أمين، تحرير المرأة، (د ط)، دار الشروق، القاهرة، 1989، ص 383.

وأن في ارتقاء المرأة حسب قاسم أمين ارتقاء للأمم، وفي انحطاطها انحطاط للأمم، حيث قال: « إن ارتقاء الأمم يحتاج إلى عوامل مختلفة متنوعة من أهمها ارتقاء المرأة، وانحطاط الأمم ينشأ من عوامل مختلفة متنوعة أيضا من أهمها انحطاط المرأة، فهذا الانحطاط في مرتبة المرأة عندنا هو أهم مانع يقف في سبيلنا ليصدنا عن التقدم إلى ما فيه صلاحنا».¹

— **لطفى السيد (1872-1963):** اعتبر لطفى السيد أن وضعنا الحالي بحاجة إلى الأخذ من أوروبا وتقليدها: « نحن في حالنا الحاضرة وحاجتنا في الأخذ عن التمدن الأوروبي حتى نجمع بين أسباب القوة اللازمة للمزاحمة في الحياة، يجب علينا أن لا نقتل فينا خاصية التقليد المفيد بجعله سببة، بل على الضد من ذلك، نرانا في حاجة إلى ترويجه حتى نُقلد الأمثلة الصالحة من كل نوع فيكثر فينا عددها، دعونا نُقلد فعسى أن تبلغ الصورة ما بلغه مثلها الأول، ولا حق لنا في الخوف من أن تقليد غيرنا يقضي على ذاتيتنا لأنّ التقليد الكامل غير موجود».²

وأن التجارب والوقائع حسبه قد بينت أن الأمة عليها أن تواكب روح العصر، وإلا ستبقى جامدة إلى أن تفنى، حيث قال: « لقد دلتنا الأمثلة اليومية على أن الأمة التي لا تسير في تيار عصرها، بل تقف جامدة على قدميها، لا ينتظرها العالم في سيره إلى الأمام، بل يتركها منقطعة لا تتجدد فيها قوى الحياة، ولا تستطيع أن تأخذ بخواص النجاح في الزمن الجديد، فتقع فيما يشبه الفناء وذلك حظ الضعيف»³

وقد اعتبر لطفى السيد أن الأمة لا يمكن أن تعيش بالخبز والماء فقط بل كذلك من خلال الحرية، فهي بمثابة الغذاء الذي نحيا به: « لو كنا نعيش بالخبز والماء، لكانت عيشتنا راضية وفوق الراضية، ولكن غذاؤنا الحقيقي الذي نحيا به ومن أجله نحب الحياة ليس هو إشباع البطون الجائعة، بل هو غذاء طبيعي أيضا كالخبز والماء، لكنه كان دائما أرفع درجة وأصبح اليوم أعز مطلبا وأعلى ثمنا، هو إرضاء العقول والقلوب، وعقولنا وقلوبنا لا ترضى إلا بالحرية»⁴

¹ قاسم أمين، تحرير المرأة، مرجع سابق، ص 383.

² أحمد لطفى السيد، تأملات، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013، ص 73.

³ المرجع نفسه، ص 68.

⁴ المرجع نفسه، ص 53.

— علي عبد الرازق (1883-1947): لقد أثار علي عبد الرازق من خلال كتابه (الإسلام وأصول الحكم) معركة من أشهر المعارك في التاريخ الفكري والسياسي الحديث، حيث تطرق فيه إلى مسائل: الخلافة والإسلام، الحكومة والإسلام، الخلافة والحكومة في التاريخ.

و من المسائل التي أثارها علي عبد الرازق في كتابه هذا أن الإسلام دين رسالة روحية لا دولة فيه ولا سياسة، وأن النبي صلى الله عليه وسلم لم ينشئ دولة ولم يقيم حكومة، ولم يصنع إلا ما صنعه الرسل السابقون البلاغ المجرى عن التنفيذ. وهو بهذا قد نفى أن تكون دعوة محمد ﷺ رسالة وحكما، حيث ذهب إلى القول: «محمد ﷺ ما كان إلا رسولا لدعوة دينية خالصة للدين، لا تشوبها نزعة ملك ولا حكومة، وأنه ﷺ لم يقيم بتأسيس مملكة، بالمعنى الذي يفهم سياسة من هذه الكلمة ومرادفاتها، ما كان إلا رسولا كإخوانه الخالين من الرسل، وما كان ملكا ولا مؤسس دولة ولا داعيا إلى ملك»¹

وقد ذكر علي عبد الرازق على أن الرسالة غير الملك وقرق بين الإثنين، ثم بين أن من يعتقد من المسلمين أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ملكا رسولا وأسس بالإسلام دولة سياسية مدنية يكون هو المسلم العامي، إذ حسبه: «أن المسلم العامي يجنح غالبا إلى اعتقاد أن النبي صلى الله عليه وسلم كان ملكا رسولا، وأنه أسس بالإسلام دولة سياسية مدنية، كان هو ملكها وسيدها، لعل ذلك هو الرأي الذي يتلاءم مع ذوق المسلمين العام، ولعله أيضا هو رأي جمهور العلماء من المسلمين، فهم يميلون إلى اعتبار الإسلام وحدة سياسية ودولة أسسها النبي ﷺ». ²

كما أنه تطرق إلى قضية الجهاد، واعتبرها أنها تتنافى مع طبيعة الإسلام ودعوته، لأن الدعوة للدين تقوم على البيان والإقناع، بينما الجهاد يقوم على القوة والإكراه، يقول: «دعوة الدين دعوة إلى الله تعالى، وقوام تلك الدعوة لا يكون إلا البيان، وتحريك القلوب بوسائل التأثير والإقناع، فأما القوة والإكراه فلا يناسبان دعوة يكون الغرض منها هداية القلوب، وتطهير العقائد، وما عرفنا في تاريخ الرسل رجلا حمل الناس على الإيمان بالله بحد السيف، ولا غزا قوما في سبيل الإقناع بدينه». ³

¹ علي عبد الرازق، الإسلام وأصول الحكم، (د ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000، ص 154.

² المرجع نفسه، ص 145.

³ المرجع نفسه، ص 147.

— سلامة موسى (1887-1985): يؤكد سلامة موسى أن نهضة المجتمعات يكون من خلال المساهمة في بنائها والعمل على تطويرها ورفقيها، وأن لا نقف منها موقف المشاهد الذي لا يتحرك، والجامد في مكانه، حيث قال: « نحن في نهضة، ويجب أن نفهم معاني النهضة، ويجب أيضا أن لا نقف منها موقف المتفرجين، إذ علينا أن نعمل فيها ونعاونها ونعيش اتجاهاتها نحو المستقبل، النهضة ثراء وقوة وثقافة وصحة و شباب، ولكن قد يكون الثراء مؤلفا من نقود زائفة، كما قد تكون القوة والثقافة والصحة والشباب خداعا وليس حقيقة».¹

وعلىنا أن نفهم معنى النهضة حسب سلامة موسى كما فهمتها المجتمعات الأوروبية كالتحرر من الدين والإقبال على العلم وفصل الدين عن الدولة، إذ يرى أنها: « تحرير الشخصية البشرية من التقاليد والغيبيات، وإقبال على العلم التجريبي، وفصل الدين عن الدولة، ودعوة للإنسان كي يأخذ مصيره في يده ويتسلح على القدر بدلا من أن يخضع للقدر، وأنها انتزاع الخير من الطبيعة وإخضاعها، وليس الانتظار كي تسدي إليه الطبيعة فضلها وبرها».²

ويرى أن الإقبال على العلم لا يكون من خلال التركيز على إنشاء المدارس والجامعات، بل العلم حسبه يولد في المصانع ولا يولد في المدارس والجامعات، ومن الأفضل للمجتمعات العربية أن تبني مصانع بدلا من الجامعات والمدارس، حيث يقول في هذا الصدد: « العلم لا يولد في الجامعات والمدارس، وإنما يولد في المصانع، العلم أداة للتفكير بالدماع واليد، وإذا قصرنا العلم على الدماغ، كما هو الأمر في معظم الجامعات عقم العلم، وإذا أشركنا الدماغ مع اليد أخصب العلم، فيكون الاختراع والاكتشاف. وخير من أن ينشئ العرب الجامعات والمدارس خير لهم ألف مرة، أن ينشؤ المصانع، ومتى أنشئت المصانع فإنها ستضطرهم إلى إنشاء المدارس والجامعات، العلم ينشأ في الورشة والمصنع، ثم بعد ذلك تنتفع به الورشة والمصنع... ومتى وجدت الصناعة وجد العلم والاكتشاف والإختراع والثراء».³

¹ سلامة موسى، ما هي النهضة، مرجع سابق، ص 19.

² المرجع نفسه، ص 251، 252.

³ المرجع نفسه، ص 180.

— طه حسين (1889-1973): يعتبر طه حسين من أبرز ممثلي التيار الليبرالي في الفكر العربي. وقد أثار الكثير من الجدل في بعض ما طرحه من أفكار خصوصا في كتبه : في الشعر الجاهلي، على هامش السيرة، مستقبل الثقافة في مصر.

لقد ركز طه حسين في مشروعه الإصلاحية على أهمية التعليم، إذ رأى أن نهضة المجتمعات لا يكون من خلال التركيز على التجارة والزراعة والصناعة بل يكون من خلال الاهتمام بالتعليم، فأصلاح التعليم يؤدي إلى إصلاح المجتمع وتطوره في كافة مجالات الحياة (التجارة ، الزراعة ، الصناعة)، حيث يتساءل في البداية: « أليس من الغريب في بلد متحضر أن تُعنى الدولة بشؤون التجارة والزراعة والصناعة جادة غير لاعبة ومؤمنة غير مترددة، على حين لا تُعنى بشؤون التعليم إلا في شيء من التكلفة والابتسام وكثير من السخرية والاستهزاء، مع أن هذه الزراعة والتجارة والصناعة وغيرها مما يتصل بالحياة المادية لا سبيل إليها ولا وسيلة إلى إصلاحها وترقيتها وإعطاء الشعب أوفر حظ منها وأصلحها إلا إذا وجد التعليم ووجد صالحا ملائما ممكنا للإنسان من أن يستغل الطبيعة إلى أبعد حد مستطاع ».¹

والغاية من إصلاح التعليم ليس وضع المناهج والبرامج فحسب ، بل الغاية منه هي تكوين مواطن صالح نافعا لنفسه وأمته، وليس السبيل في ذلك أن: « يكون المنهاج جيّدا، والبرنامج متقنا فحسب، وإنما سبيل ذلك أن يُنفذ المنهاج الجيد والبرنامج المتقن تنفيذا صالحا منتجا. والسبيل الوحيد إلى ذلك هو المعلم الصالح لفهم المنهاج والبرنامج وتنفيذهما على أحسن وجه وأكمله. فإذا أرادت الدولة أن تُعنى بالتعليم فلا بد لها من العناية بالمعلم، وكل تعليم مهما يكن فرعه وطبقته لا يستقيم أمره إلا إذا نهض به المعلم الكفاء».²

والمعلم الصالح هو الذي يشعره المجتمع بقيمة مكانته، وأن تحفظ له الدولة عزته وكرامته، وإذا ما أراد شعب من المدرسة أن تنشئ له جيلا صالحا، فما عليه إلا أن يفكر في تحسين ظروف حياة المعلم: «إنك تطلب إلى المعلم أن يبيت في نفس الطفل العزة والكرامة وحب الحرية والاستقلال، فيجب أن تشعره العزة والكرامة، وتشربه في قلبه حب الحرية والاستقلال، لأن الرجل

¹ طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014، ص 154

² المرجع نفسه ، ص 77

الدليل المهيّن لا يستطيع أن ينتج إلا ذلاً وهواناً، ولأن الرجل الذي نشأ على الخنوع والاستعباد لا يمكن أن ينتج حرية واستقلالاً. إن الشعب الذي يريد أن ينشئ جيلاً صالحاً خليق قبل كل شيء بأن يفكر في المعلمين الذين ينشئون له هذا الجيل».¹

وكان طه حسين قد اعتقد أن مصر إذ ما أرادت أن تصبح مثل العالم المتحضر، يجب أن تكون مثل المجتمعات الأوروبية، حيث يقول: «... أن نمحو من قلوب المصريين، أفراداً وجماعات هذا الوهم الآثم الشنيع الذي يصور لهم أنهم خلقوا من طينة غير طينة الأوروبي، وفطروا على أمزجة غير الأمزجة الأوروبية، ومنحوا عقولاً غير العقول الأوروبية... هي أن نسير سيرة الأوروبيين ونسلك طريقهم لنكون لهم أندادا، ولنكون لهم شركاء في الحضارة، خيرها وشرها، حلوها ومرها، وما يحب منها وما يكره، وما يحمد منها وما يعاب».²

واعتبر أن المثل الأعلى للمصريين هو المثل الأوروبي، ويجب أن تكون حياتهم على الطريقة الأوروبية: « إن المثل الأعلى للمصري في حياته المادية، إنما هو المثل الأعلى للأوروبي في حياته المادية، نتخذ من مرافق الحياة وأدواتها ما يتخذون، ونتخذ من زينة الحياة ومظاهرها ما يتخذون، نفعل ذلك عن علم به وتعمد له، أو نفعل ذلك عن غير علم وعلى غير عمد، ولكننا ماضون فيه على كل حال، وليس في الأرض قوة تستطيع أن تردنا عن أن نستمتع بالحياة على النحو الذي يستمتع بها عليه الأوروبيون».³ كما أنه اعتبر أن مصر ليست جزءاً من الشرق، والعقلية المصرية ليست كعقلية الهند والصين، بل: « العقل المصري القديم ليس عقلاً شرقياً إذا فهم من الشرق الصين واليابان والهند وما يتصل بها من الأقطار... إن من السخف الذي ليس بعده سخف، اعتبار مصر جزءاً من الشرق، واعتبار العقلية المصرية عقلية شرقية كعقلية الهند والصين».⁴

¹ طه حسين، مستقبل الثقافة في مصر، مرجع سابق، ص 78

² المرجع نفسه، ص 40، 43.

³ المرجع نفسه، ص 33.

⁴ المرجع نفسه، ص 22، 24.

المبحث الرابع: خطاب النهضة في الفكر العربي المعاصر

بقي خطاب النهضة هو الإشكالية الجوهرية في الفكر العربي المعاصر، وقد طرح هذا الخطاب من جديد بعد هزيمة 1967 م وبعد أن هيمن شعار " الثورة " في الخمسينات والستينات من القرن الماضي، كما أن فشل الأنظمة العربية المستمر في تحقيق أهداف النهضة العربية ، هو الذي أدى إلى بروز هذا الخطاب من جديد على الساحة الفكرية، حيث حاول بعض المفكرين أمثال زكي نجيب محمود و مالك بن نبي و محمد عابد الجابري و حسن حنفي وغيرهم، وضع مشاريع للنهوض بالأمة وتحقيق آمالها وتطلعاتها نحو التقدم والتطور.

أولاً: زكي نجيب محمود (1905-1993)

يمكن أن نميز بين مرحلتين في مسار فكر زكي نجيب محمود : مرحلة الدعوة إلى الوضعية المنطقية و التجريبية العلمية والأخذ بروح الثقافة الأوروبية المعاصرة ، ومرحلة التوفيق بين القيم الروحية والمنهج العلمي التي شكلت مشروعه: (تجديد الفكر العربي).

في المرحلة الأولى اتسمت كتابات زكي نجيب محمود بالحسية والتجريبية، حيث حصر الحقيقة في الحسيات وقياس المعارف والقيم بمقياس النجاعة العملية، وتمحور فكره في هذه المرحلة حول كتب ثلاث محورية هي زبدة رؤيته الفلسفية: المنطق الوضعي، خرافة الميتافيزيقا، نحو فلسفة علمية. في هذه الكتب الثلاثة عرض بكثير من الحماس نظرية التحليل المنطقي للغة وفكرة التحقق التجريبي المميز للقانون العلمي.¹

لقد اعتقد زكي نجيب محمود أن تبني الوضعية المنطقية والإيمان بالمنهج العلمي والأخذ بالثقافة الأوروبية المعاصرة من شأنه أن يحقق النهضة الشاملة للعالم العربي، و كانت الغاية من تبنيه للوضعية المنطقية هو محاولة التخلص من هيمنة الميتافيزيقا ، لذلك قال: «لما كان وضع الأمور في عالم الواقع هو وحده مجال البحث العلمي، أطلق على النظرة العلمية اسم (الوضعية) فإن كان الوضع القائم الذي يشغل الباحث عبارة من عبارات اللغة أو لفظة من ألفاظها، كانت " الوضعية " في هذه الحالة وضعية " منطقية " ومن ثم كان هذا الإسم (الوضعية المنطقية) مميزاً

¹ السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، ط1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010، ص 54 - 55.

لطائفة من أصحاب الفكر صمموا على ألا يجاوزوا الواقع بنظرهم، وعلى أن يكون هذا الواقع الذي يختصون به هو اللغة التي يصوغ فيها سائر العلماء علومهم على اختلاف موضوعاتها»¹.

والوضع المنطقية حسب زكي نجيب محمود هي السبيل للتخلص من خرافة الميتافيزيقا: « إن الميتافيزيقا كلامها كله فارغ ، لا يرسم صورة ولا يحمل معنى، وبالتالي لا يجوز فيها البحث واختلاف الرأي، فلو أردنا أن نقصر كلامنا على ما يكون له معنى، وجب اطراح الفلسفة التأملية – وهو اسم آخر نطلقه على الأبحاث الميتافيزيقية – وما يدور مدارها من صنوف التفكير بحيث لا يبقى بين أيدينا في دائرة العلم إلا العلوم الطبيعية والرياضة»².

ورفض زكي نجيب محمود القضايا الميتافيزيقية، باعتبارها كلاما فارغا لا يحمل معنى: « إن كل عبارة ميتافيزيقية هي من أحد هذين النوعين، فهي إما اشتملت على كلمة أو كلمات لم يتفق الناس على أن يكون لها مدلول بين الأشياء المحسوسة، أو مشتملة على كلمة أو كلمات اتفق الناس على مدلولاتها، لكنها وضعت في غير السياق الذي يجعلها تفيد معناها، وإذا فالعبارات الميتافيزيقية فارغة من المعنى، وليس لنا بد من حذفها»³.

إن القضايا الميتافيزيقية حسب زكي نجيب محمود فارغة من المعنى ولا بد من حذفها، لذا علينا استخدام المنهج العلمي الذي هو: « ربط الحقائق المشاهدة بعضها ببعض بحيث يمكننا التنبؤ بوقوع بعضها إذا وقع بعضها الآخر، وإنما نعني بصفة خاصة أن يكون هذا الربط بين واقعة مشاهدة بالحواس، بغيرها مما يشاهد بالحواس أيضا، لأنه ليس من المنهج العلمي في شيء أن نربط الظاهرة التي أمامنا، والتي نريد تفسيرها بأخرى مما لا يمكن مشاهدتها ولا إخضاعها للتجارب كالحقائق الغيبية الخارق للطبيعة»⁴.

لهذا نادى زكي نجيب محمود باتباع المنهج العلمي والأخذ بالثقافة الأوروبية، حيث قال مؤكداً ذلك: « ... خرجت يملؤني الإيمان بضرورة الأخذ بأهم أركان الثقافة الأوروبية التي كان من

¹ زكي نجيب محمود، نحو فلسفة علمية، (د ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ت) ، ص 30.

² زكي نجيب محمود، خرافة الميتافيزيقا، (د ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953، ص 3.

³ المرجع نفسه، ص 5.

⁴ زكي نجيب محمود، المنطق الوضعي، (د ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951، ص 373.

نتائجها في حياة الأوروبيين ما رأيت من قيم تعلي من شأن الإنسان الفرد، إعلاء يجعل منه كائنا ذا قداسة ومن جهة أخرى خرجت على إدراك واضح بأن نهوضنا مما نحن فيه من تخلف في ركب الحضارة العصرية مرهون بتغيير المنهج، لتكون الكلمة الأولى والأخيرة للتجربة العلمية في كل ما يتصل بحقائق العالم الذي نعيش فيه»¹

وقد أكد في موضع آخر على وجوب تبني الأمة العربية للنموذج الغربي والأخذ بروح الثقافة الأوروبية المعاصرة، لعلها: «تنتهي بنا إلى مثل ما انتهت بأصحابها إليه من وضع الإنسان الفرد في مكانة تشبه التقديس، والثانية هي وجوب الدعوة إلى التجريبية العلمية، لأنها إذا كانت مجرد اتجاه فلسفي هناك، فهي بالنسبة للأمة العربية ضرورة، إذ من شأنها أن تضبط اللفظ في مجال التفكير العلمي ضبطاً صارماً، وهو ما أظننا في أشد الحاجة إليه»². وعلى المجتمعات العربية إذا ما كانت تريد أن تندمج في حضارة العصر أن تأخذ بحضارة الغرب وثقافته، وأن لا تلتفت لتراثها: «إنه لا أمل في حياة فكرية معاصرة إلا إذا بترنا التراث بترا، وعشنا مع من يعيشون في عصرنا علماً وحضارة، بل إنني تمنيت أن نأكل كما يأكلون، ونجد كما يجدون ونلعب كما يلعبون ونكتب من اليسار إلى اليمين كما يكتبون، على ظن مني أن الحضارة وحدة لا تتجزأ»³.

أما المرحلة الثانية فهي مرحلة التوفيق ما بين القيم الروحية والمنهج العلمي التي شكلت مشروعه: (تجديد الفكر العربي) وذلك من خلال كتابيه: **تجديد الفكر العربي، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري**، حيث رأى أن دعوته لتبني النموذج الغربي والأخذ بثقافة الغرب فيه نوع من التطرف: «حين دعوت إلى الأخذ بثقافة الغرب، لأنه هو صانع حضارة عصرنا، كنت في تلك الدعوة على كثير من التطرف، لأنني عندئذ نظرت إلى الأمر من جانب واحد، هو جانب (العصرية) التي لا بد منها في إنسان اليوم، لكنني أهملت الجانب الآخر الذي لا بد منه كذلك حفاظاً من أي إنسان معاصر على هويته الخاصة التي صنعها تاريخه، فجاءت نظرتي إلى الثقافة المنشودة نظرة مبتورة، تثبت جانبا وتهمل جانبا آخر»⁴.

¹ زكي نجيب محمود، قصة عقل، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1988، ص 50.

² المرجع نفسه، ص 57.

³ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، (د ط)، دار الشروق، القاهرة، 1971، ص 13.

⁴ زكي نجيب محمود، قصة عقل، مرجع سابق، ص 62.

و رأى أن تطور المجتمعات العربية وتقدمها، لا يمكن أن يكون من خلال البحث في الوضعية المنطقية، بل لابد أن يكون نابعا من الفكر العربي ذاته، أي عن طريق التراث العربي والإسلامي، والسبب في تبنيه لهذا الموقف هو قراءته للتراث والتفتيح فيه، لهذا حاول أن يجمع بين الجانب الروحي والجانب التجريبي: « لابد من تركيبة عضوية يمتزج فيها تراثنا مع عناصر العصر الراهن الذي نعيش فيه، لنكون بهذه التركيبة العضوية عربا ومعاصرين... فكثيرا ما كنت ألمح مخرجا يؤدي بنا إلى حيث نريد أن ننتهي إلى المزيج الثقافي الذي تكون فيه الأصالة وتكون فيه المسايرة للعصر الراهن».¹

وفي قراءته للتراث العربي الإسلامي ومحاولة إخضاع هذا التراث للعقل، حاول أن يجدد في الفكر العربي وأن يغير واقع المجتمعات العربية، إذ يقول: « كانت وجهة النظر التي أريد إصطناعها إزاء مآثرات الأقدمين، هي أن نحاسبهم بأداة العقل، فما سائر العقل من مآثرهم أخذناه، وما لم يسايره جعلناه موضوعاً للتذوق والتسلية، فلا نأخذ ما أخذ الجد».² وموقفه من التراث، جعله يؤكد على أن نأخذ من تراث الأقدمين ما نستطيع تطبيقه اليوم تطبيقا عمليا: «إن الثقافة - ثقافة الأقدمين أو المعاصرين - هي طرائق عيش، فإذا كان عند أسلافنا طريقة تفيدنا في معاشنا الراهن، أخذناها وكان ذلك هو الجانب الذي نحياه من التراث. وأما ما لا ينفع نفعاً عمليا تطبيقيا فهو الذي نتركه غير آسفين، وكذلك نقف الوقفة نفسها بالنسبة إلى ثقافة معاصرنا من أبناء أوروبا وأمريكا».³ وقد كانت محاولته لتحديد العلاقة بين ما هو جوهرى في هذا التراث، وبين حقائق عصرنا، من أجل أن: « يقيم بينهما ثنائية لا تطمس خصوصيتنا العربية النابعة من هذا التراث، ولا تعزلنا في الوقت نفسه عن حقائق عصرنا، أو تجعلنا مجرد أتباع له، إنها وحدتنا المتميزة الخاصة داخل وحدتنا العامة في إطار عصرنا الراهن كله، وهنا لم يعد التراث القديم مجرد عناصر ننقيها ونستعيدها إذا كان فيها ما ينفعنا في حياتنا العصرية، بل يصبح في ضوء هذا تأكيدا لصيرورتنا التاريخية، وليس مجرد ماض نفتش فيه عما ينفعنا».⁴

¹ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص 14، 15.

² زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ط 3، دار الشروق، بيروت، 1981، ص 384.

³ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص 18.

⁴ محمود أمين العالم، مواقف نقدية من التراث، (د ط)، دار قضايا فكرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997، ص 171.

ونتيجة لهذا الموقف، وتحليله للتراث كان يسعى دائما إلى أن يضع يده على ما يشكل جوهر التراث، وبالتالي جوهر الثقافة العربية الإسلامية، فيجد ذلك الجوهر في: « ثنائية الأرض والسماء، العقل والقلب، العلم والإيمان، إلى غير ذلك من الثنائيات التي كان يغلب فيها أحيانا الجانب الوجداني على الجانب العقلاني، وهنا تبرز دعوته إلى التوفيق بين الأصالة والمعاصرة، بين هويتنا العربية الإسلامية والطابع العلمي التقني الذي يتميز به العصر الحديث».¹

وفي قراءة زكي نجيب محمود للتراث العربي الإسلامي، توصل إلى أن هذا التراث مثلما فيه جوانب إيجابية، يتضمن جوانب سلبية، و من العبث حسبه أن يرجو العرب المعاصرون لأنفسهم نهوضا أو ما يشبه النهوض، قبل أن يفكوا عن عقولهم تلك القيود، ويزيلوا هذه العوائق، فلا بناء إلا بعد أن نزيل الأنقاض ونمهد الأرض ونحفر للأساس القوي، ويكتفي بذكر معوقات ثلاث :

أ - **احتكار الحاكم لحرية الرأي:** أن يكون صاحب السلطان السياسي هو في الوقت نفسه صاحب الرأي، لا أن يكون صاحب رأي، ورأي الحاكم لا يمنع من أن يكون لغيره من الناس آراؤهم، لأن: «أسُّ البلاء في مجال الفكر هو أن يجتمع السيف والرأي الذي لا رأي غيره في يد واحدة، فإذا جلا لك صاحب السيف صارمه، وتلا عليك باطله، زاعما أنه هو وحده الصواب المحض والصدق الصراح، فماذا أنت صانع إلا أن تقول له (نعم) وأنت صاغر ؟».²

ب - **سلطان الماضي على الحاضر:** وهو بمثابة السيطرة التي يفرضها الماضي على الحاضر، وأن يكون للسلف كل هذا الضغط الفكري علينا، ورأي أن الصورة واحدة لهذا التراث، وهو فقط يتكرر في مؤلفات كثيرة، فكلمتا مات مؤلف لبس ثوبه مؤلف آخر وأطلق على مؤلفه اسما جديدا، فهذا التراث: « بمثابة السيطرة يفرضها الموتى على الأحياء ، وقد يبدو غريبا أن يكون للموتى مثل هذه السيطرة، مع أنه لم يبق لنا منهم إلا صفحات مرقومة صامتة، لا تمسك بيدها صارما تجلوه في وجوهنا فيفزعنا كما قد يفعل الأحياء من ذوي السلطان، لكن هذا هو الأمر الواقع الذي في استطاعنا أن نفسره، وليس في استطاعنا أن ننكره».³

¹ محمود أمين العالم، مواقف نقدية من التراث، مرجع سابق، ص 168، 169.

² زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص 33 .

³ المرجع نفسه ، ص 51 .

ج - تعطيل القوانين الطبيعية بالكرامات: الإيمان بقدرة الإنسان على تعطيل قوانين الطبيعة عن العمل كلما شاء، وأننا في حياتنا الثقافية ما زلنا في مرحلة السحر التي تعالج الأمور بغير أسبابها الطبيعية، وهذا النوع من التفكير هو بمثابة حسب زكي نجيب محمود: « الميل الشديد الذي نحسه في نفوسنا نحو أن تكون قوانين الطبيعة لعبة في أيدي نفر من أصحاب القلوب الورعة الطيبة، فيكفي أن يشاء الله لواحد من عباده أن يكون من الصالحين لينصرف صلاحه هذا لا إلى شق الترع وبناء الجسور ورصف الطرق وإقامة المصانع، بل لينصرف صلاحه نحو تعطيل أي قانون طبيعي شاء، فهو يأتي لك بالفاكهة من هواء الغرفة، وليس من الضروري عنده أن تحتاج الفاكهة إلى تربة وماء وشمس وهواء ».¹

وقد توصل زكي نجيب محمود إلى أن خروج المجتمعات العربية من تخلفها، يكون من خلال اللغة، لأن من اللغة حسبه تبدأ ثورة التجديد، وكذا الانتقال من حضارة الكلمة إلى حضارة العمل:

1 - من اللغة تبدأ ثورة التجديد: يؤكد على أن ثورة التجديد تبدأ من اللغة، و أن الأزمة في واقعنا هي مشكلة عدم تطابق القول مع الفعل، وهنا يعطينا مثالا على الثورة الفرنسية، وكيف أدت برجال الفكر إلى التفكير في تطوير اللغة: « ما كادوا يعلنون الثورة السياسية الاجتماعية، حتى اجتمع رجال الفكر منهم ليلبحثوا في اللغة على أي نحو يتصورونها، وفي أي اتجاه يوجهونها. ولم يكن قد مضى على الثورة 1789 أربعة أعوام حين حلت السلطة القائمة ما كان هنالك من مجامع علمية، رغبة منها في أن تعيد بناءها على خطة جديدة تتفق وروح الثورة التي أرادت أن يستدبر الفرنسيون من تاريخهم مرحلة ليستقبلوا مرحلة جديدة جده كاملة شاملة ».²

ونتيجة لهذا يأمل أن تتطور اللغة، وذلك من خلال: « تحقيق شرطين: أن تحافظ على عبقريتها الأدبية أولا، وأن تكون أداة للتوصيل لا مجرد وسيلة لترنم المترنمين ثانيا، وبغير هذه الثورة في استخدامنا للغة فلا رجاء في أن تحقق لنا الوسيلة الأولية التي ندخل بها مع سائر الناس عصر التفكير العلمي الذي يحل المشكلات ».³

¹ زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص 57، 58 .

² المرجع نفسه، ص 207.

³ المرجع نفسه، ص 223.

2 - من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء: يرى زكي نجيب محمود أن استخدام المجتمعات العربية للغة من النوع الذي يربط الكلام بالكلام وليس الكلام بالواقع الخارجي، ويجدر بنا اليوم التحول من حضارة اللفظ إلى حضارة الأداء: «ولما كانت عبقرية العرب الأصيلة في لسانها، كان نبوغ النابغ مشروطاً عندهم بالقدرة على الصياغة اللفظية، أما وقد تبدل العصر غير العصر، وتغير المعيار حتى أصبح النابغ يقاس بالقدرة على الصياغة الرياضية للقوانين العلمية... ينبغي أن تحل محل الصياغة اللفظية المحكمة صياغة رياضية محكمة لقانون علمي، يمكن استخدامه في تسيير مركبة أو استنبات زرع أو تحلية ماء من البحر الأجاج»¹.

ويؤكد على أن طريق اليوم هو طريق التحول والانتقال من المعرفة المبنية على الكلام إلى المعرفة المبنية على الآلة التي تصنع، وعلى هذا الأساس: «يكون الانتقال المنشود هو حركة من حالة اللامعرفة إلى حالة المعرفة، من حالة اقتصر متقوها على "فك الخط" أعني أنهم اقتصروا على القدرة على القراءة والكتابة إلى حالة يكون المثقفون فيها هم أنفسهم المصرفون للآلات، ألا فلنعلم جيداً أن الآلة ليست كتلة من الحديد، وإنما هي علم مجسد ومهارة مركزة، إنها هي الحضارة وهي الثقافة»².

وكذلك الانتقال من ثقافة الكلمة إلى ثقافة العلم المؤدي إلى عمل، وهذا العمل: «لم يعد يترك على إطلاقه، وإنما هو عمل محدد الخصائص، إذا أريد للأمة أن تكون معاصرة وذلك أن يكون عملاً في دنيا الصناعة بمعناها الآلي الحديث، لا بصورتها اليدوية القديمة، الصناعة، والصناعة وحدها، هي طابع التحول الحديث، الصناعة القائمة على علوم وعلى تقنيات، لا القائمة على خبرة العامل الذي مهر في مهنته»³.

ثانياً: مالك بن نبي (1905 - 1973)

تعتبر مشاكل المسلمين وأزماتهم حسب مالك بن نبي نابعة من مشكلة أساسية هي المشكلة الحضارية، ولا يمكن لأي مجتمع أن يجد حلاً لمشاكله وأزماته، ما لم يتعمق في فهم عوامل بناء

¹ زكي نجيب محمود، المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، مرجع سابق، ص 33.

² زكي نجيب محمود، تجديد الفكر العربي، مرجع سابق، ص 239.

³ المرجع نفسه، ص 234.

الحضارات أو هدمها، حيث قال في هذا الصدد: «إن مشكلة كل شعب هي في جوهرها مشكلة حضارته، ولا يمكن لشعب أن يفهم أو يحل مشكلته، ما لم يرتفع بفكرته إلى الأحداث الإنسانية، وما لم يتعمق في فهم العوامل التي تبني الحضارات أو تهدمها».¹

وبناء حضارة أي مجتمع حسب ابن نبي يتطلب تركيب العناصر الثلاثة المتمثلة في: الإنسان والتراب والوقت، ولا يحدث هذا التركيب إلا من خلال وجود عارض غير عادي أو ظرف استثنائي، وهذا: «الظرف الاستثنائي الذي يسجل نقطة الانطلاق في تاريخ مجتمع معين، منها يتفق في الحقيقة مع ظهور فكرة دينية، في فجر حضارة معينة»²

1. الإنسان: الإنسان حسب مالك بن نبي يؤثر في المجتمع من خلال ثلاث وسائل أساسية: بفكره وبعمله وبماله، ولهذا يكون البحث في توجيه الثقافة وتوجيه العمل وتوجيه رأس المال.

أ - توجيه الثقافة: يرى مالك بن نبي أن مقومات الثقافة تتمثل في في أربع عناصر: الأخلاق، الجمال، المنطق العملي، وأخيرا التقنية أو الصناعة.

— الأخلاق: وتعني قوة التضامن بين الأفراد، هذه القوة التي كانت وراء بناء المجتمع الإسلامي الأول، والأخلاق حسب ابن نبي: «مهمتها في المجتمع ربط الأفراد بعضهم ببعض، كما يشير إلى ذلك القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: 63]، ومن العجب أن نجد اتفاقا له مغزاه ودلالاته بين ما توحى به هذه الآية، وبين معنى كلمة دين "Religion" في أصلها اللاتيني فهي تعني هنالك (الربط و الجمع)».³

وروح الإسلام هذه حسب ابن نبي هي التي خلقت من عناصر متفرقة كالأنصار والمهاجرين أول مجتمع إسلامي، حتى كان الرجل في المجتمع الجديد يعرض على أخيه أن ينكحه من يختار من أزواجه، بعد أن يُطلقها له، لكي يبني بذلك أسرة. ولهذا تبقى: «قوة التماسك الضرورية

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 19.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة: عبدالصبور شاهين، ط 3، دار الفكر، دمشق، 1986، ص 55.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 88.

للمجتمع الإسلامي موجودة بكل وضوح في الإسلام، ولكن الإسلام المتحرك في عقولنا، وسلوكنا، والمنبعث في صورة إسلام اجتماعي. وقوة التماسك هذه جديرة بأن تؤلف لنا حضارتنا المنشودة»¹

— **الجمال:** وهو بمثابة المنبع الذي تصدر منه الأفكار، ومن خلال هذه الأفكار يصدر نشاط الفرد في المجتمع، فلا يمكن: « لصورة قبيحة أن توحى بالخيال الجميل، فإن لمنظرها القبيح في النفس خيالاً أقيح، والمجتمع الذي ينطوي على صور قبيحة، لا بد أن يظهر أثر هذه الصور في أفكاره وأعماله ومساعيه». ²

والإطار الحضاري بكل محتوياته حسب ابن نبي متصل بذوق الجمال، بل الجمال هو الإطار الذي تتكون فيه أية حضارة، لهذا: « ينبغي أن نلاحظه في نفوسنا، وأن نتمثل في شوارعنا، وبيوتنا، ومقاهينا، مسحة الجمال نفسها التي يرسمها مخرج رواية في منظر سينمائي أو مسرحي. إن الجمال هو وجه الوطن في العالم، فنحفظ وجهنا، لكي نحفظ كرامتنا، ونفرض احترامنا على جيراننا، الذين ندين لهم نفس الاحترام»³

ويؤكد ابن نبي على وجود صلة بين المبدأ الأخلاقي والذوق الجمالي، وهي في الواقع صلة ذات أهمية اجتماعية كبيرة. إذ: « تحدد طابع الثقافة كله واتجاه الحضارة حينما تضع هذا الطابع الخاص على أسلوب الحياة في المجتمع، وعلى سلوك الأفراد فيه... وعليه يمكننا القول بأن هناك بصورة عامة، نموذجين من المجتمع: نموذج يقوم فيه النشاط أساساً على الدوافع الجمالية ونموذج يقوم فيه النشاط على الدوافع الأخلاقية أولاً»⁴

والنموذجان اللذان يختلفان بسبب اختلافهما في ترتيب عناصر الثقافة لا يتطوران في اتجاه واحد، بل تنشأ بينهما متناقضات جذرية، فنرى: « كيف ثقافة تمنح الأولوية لذوق الجمال، تغذي حضارة تنتهي إلى فضيحة حمراء... وكيف أن الثقافة التي تمنح الأولوية للمبدأ الأخلاقي، تكون

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 90

² المرجع نفسه، ص 91.

³ المرجع نفسه، ص 94

⁴ المرجع نفسه، ص 101

حضارة مآلها التحجر والجمود. وتنتهي إلى فضيحة صامته سوداء تتيه في مجاهل تصوف متقهقر يقود جنونه مشايخ الطرق»¹

— **المنطق العملي:** لا يعني به المنطق الذي دُوّنت أصوله، ووضعت قواعده منذ أرسطو، وإنما يعني به كيفية ارتباط العمل بوسائله ومعانيه، فنحن: «أحوج ما نكون إلى هذا المنطق، لأن العقل المجرد متوفر في بلادنا، غير أن العقل التطبيقي الذي يتكون في جوهره من الإرادة والانتباه شيء يكاد يكون معدوماً»².

ولذلك يؤكد ابن نبي على أن تكون الجهود المبذولة في طلب العلم، مرتبطة بغايات عملية، فالفكرة التي لا تترجم إلى عمل، ولا تهدف إلى تحقيق آثار ونتائج عملية، تظل فكرة جوفاء لا معنى لها: «فالعالم الذي لا يترجمه عمل، يظل ترفا لا مكان له، في وطن ما يزال فقيرا في الوسائل والأطر. ففي هذه المرحلة بالذات لا بد للاهتمامات أن تتركز في البلاد الإسلامية حول مفهوم الفعالية، وعلى الخصوص في مجال التسيير ووسائله: الأداة والدولة»³.

— **التقنية (الصناعة):** وهي بالنسبة لابن نبي لا تعني ذلك المعنى الضيق المقصود من هذا اللفظ بصفة عامة في البلاد الإسلامية، بل تعني كل الفنون والمهن والقدرات، وتطبيقات العلوم تدخل في مفهوم الصناعة، ومن المسلم به أن: «الصناعة للفرد وسيلة لكسب عيشه، وربما لبناء مجده، ولكنها للمجتمع وسيلة للمحافظة على كيانه واستمرار نموه»⁴.

ب — **توجيه العمل:** يقصد به مالك بن نبي أن تكون جهود أفراد المجتمع في اتجاه واحد، بما في ذلك جهد الراعي وصاحب الحرفة والتاجر والطالب والعالم والمرأة والمتقف والفلاح، لكي يضع كل منهم في كل يوم لبنة جديدة في بناء المجتمع: «فإعطاء ثلاثة حروف من الأبجدية عمل، وتقبل هذه الحروف عمل، وإزالة أذى عن الطريق عمل، وإسداء نصيح عن النظافة أو الجمال عمل، وغرس شجرة عمل، واستغلال أوقات فراغنا في مساعدة الآخرين عمل»⁵.

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 104

² مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبدالصبور شاهين، ط 5، دار الفكر، دمشق، 2000، ص 86.

³ مالك بن نبي، بين الرشاد والتهيه، ط2، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 39.

⁴ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 97

⁵ المرجع نفسه، ص 107.

و يؤكد على أن حياتنا فيها جانبا كبيرا من اللافاعلية في أعمالنا: «إننا نرى في حياتنا اليومية جانبا كبيرا من اللافاعلية في أعمالنا، إذ يذهب جزء كبير منها في العبث وفي المحاولت الهائلة. ولقد يقال: إن المجتمع الإسلامي يعيش طبقا لمبادئ القرآن، ومع ذلك فمن من الأصوب أن نقول: إنه يتكلم تبعا لمبادئ القرآن لعدم وجود المنطق العملي في سلوكه الإسلامي».¹

ج - توجيه المال: يرى مالك بن نبي في توجيه المال أننا عادة ما نخلط بين شيئين مختلفين تمام الاختلاف: الثروة ورأس المال، فالثروة يستخدمها الفرد في محيطه الخاص فقط، بينما رأس المال فهو يتحرك في محيط أكبر من محيط الفرد: «فالثروة تلقب بلقب صاحبها، أما رأس المال فإنه يفصل اسما عن صاحبه، ويصبح قوة مالية مجردة، الثروة شيئا يستخدمه الفرد في ميدانه الخاص، مثل عقاره أو قطيعه أو ورشته، فهي لا تسعى لغايتها كقوة مالية مستقلة بل لسد حاجات صاحبها المحدودة فحسب، بينما رأس المال لا ينسب إلى صاحبه، ويخلق حركة ونشاطا، ويوظف الأيدي والعقول، أينما حل وحيثما ارتحل».²

ولهذا يعتبر مالك بن نبي أن الثروة مال ساكن ورأس المال مال متحرك، وما على المسلمين سوى ترشيد المال، لأن: «القضية ليست في تكديس الثروة، ولكن في تحريك المال وتنشيطه، بتوجيه أموال الأمة البسيطة، وذلك بتحويل معناها الاجتماعي من أموال كاسدة إلى رأس مال متحرك، ينشط الفكر والعمل والحياة في البلاد».³

والقضية أصبحت اليوم قضية وضع مخطط مناسب نبني عليه حياتنا الاقتصادية، فلا يكون فيه: «مكان لتركيز رؤوس الأموال في أيدي فئة قليلة تستغل السواد الأكبر من الشعب، بل يجب أن يتوفر فيه إسهام الشعب، مهما كان فقيرا، وبذلك يتم التعادل بين طبقات المجتمع، وتتسجم مصلحة الجماعة مع مصلحة الفرد. ولا يفوتنا أن ننبه بالحاح إلى أننا بحاجة إلى تكوين مجلس لتوجيه الثروة وتوظيفها لتتحول إلى رأسمال ولتخطيط أهدافه الاقتصادية»⁴

¹ مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، مرجع سابق، ص 87.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 110، 111.

³ المرجع نفسه، ص 112، 113.

⁴ المرجع نفسه، ص 113.

2 - التراب: يرى ابن نبي أننا حينما نتكلم عن التراب لا نبحث في خصائصه وطبيعته، ولكنه يعني بالتراب هنا: « من حيث قيمته الاجتماعية، وهذه القيمة الاجتماعية للتراب، مستمدة من قيمة مالكيه، فحينما تكون قيمة الأمة مرتفعة، وحضارتها متقدمة يكون التراب غالي القيمة، وحيث تكون الأمة متخلفة يكون التراب على قدرها من الانحطاط».¹

ولن نستطيع حسب ابن نبي انقاذ الأجيال القادمة إلا بالعمل الشاق الذي يقوم به جيلنا الحاضر، وعندما تتحقق تلك المعجزة التي تكون بانتصارنا على أنفسنا، وعلى أهوال الطبيعة، فإننا: « سوف نرى أية رسالة في التاريخ نحن منتدبون إليها، لأننا نكون قد شرعنا في بناء حياة جديدة، ابتدأت بالجهود الجماعية بدل الجهود الفردية، ولسوف تظهر أمامنا بعد ذلك أعمال جليلة خطيرة، ولكنها سوف لا تخيفنا، لأن شعبنا أخضع التراب، ومهد فيه لحضارته ولم يعد شعبا يخاف نواب الزمن».²

3 - الوقت: يرى مالك بن نبي أن بتحديد الزمن يتحدد معنى التأثير والإنتاج، وهو معنى الحياة الحاضرة الذي ينقصنا، هذا المعنى الذي لم نكسبه بعد، والداخل في تكوين الفكرة والنشاط، في تكوين المعاني والأشياء. ونحن في: « العالم الإسلامي نعرف شيئا يسمى الوقت، ولكنه الوقت الذي ينتهي إلى عدم، لأننا لا ندرك معناه، ولا تجزئته الفنية، لأننا لا ندرك قيمة أجزائه من ساعة ودقيقة وثانية، ولسنا نعرف إلى الآن فكرة الزمن الذي يتصل اتصالا وثيقا بالتاريخ »³

واعتبر مالك بن نبي أن أهمية الوقت وقيمه أعلى من قيمة المال، فالإنسان إذا ما ضيع ماله يمكن أن يسترجعه، لكن الوقت يستحيل استرجاعه إذا مضى، لأن: « العملة الذهبية يمكن أن تضيع، وأن يجدها المرء بعد ضياعها، ولكن لا تستطيع أي قوة في العالم أن تحطم دقيقة، ولا أن تستعيدها إذا مضت»⁴

- أثر الفكرة الدينية في تكوين الحضارة: إن بناء الحضارة يعتمد على هذه العناصر الثلاثة (الإنسان والتراب والوقت) ، ولكي تتوحد هذه العناصر الثلاثة المتناثرة، يؤكد ابن نبي على دور

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 131.

² المرجع نفسه، ص 136.

³ المرجع نفسه، ص 140.

⁴ المرجع نفسه، ص 140.

الفكرة الدينية، حيث يعتبرها العنصر المازج والمركب لعناصر الحضارة الثلاثة: « إن هناك ما يطلق عليه مركب الحضارة أي العامل الذي يؤثر في مزج العناصر الثلاثة بعضها ببعض، نجد أن هذا المركب موجود فعلا، هو الفكرة الدينية التي رافقت دائما تركيب الحضارة خلال التاريخ»¹ ومثلما للفكرة الدينية تأثير في بناء الحضارة وتكوينها، ولها دور أساسي في بناء شخصية الإنسان، فالدين بصفة عامة: « يتدخل مباشرة في الشخصية التي تكون (الأنا) الواعية في الفرد، وفي تنظيم الطاقة الحيوية التي تضعها الغرائز في خدمة هذه (الأنا)، ولما كانت هذه الطاقة الحيوية المنظمة تتحول إلى نشاط اجتماعي لدى الفرد، وكان هذا النشاط لدى الفرد سببا في وجود النشاط المشترك للمجتمع خلال التاريخ»².

ويعتبر ابن نبي أن الدين هو بمثابة الموجه لمسار المجتمعات نحو الأمان والحفاظ لبقائها: « فإذا أراد المجتمع الإسلامي أن يبقى على وجه الخريطة، عليه أن ينقذ نفسه بدينه، لأن الدين هو الوسيلة الوحيدة لديه ليسيير إلى مأمنه، بل والمأمن بالنسبة إلى سائر المجتمعات، فالأمر لا يختلف من مجتمع لآخر، فالمأمن هو الحضارة»³.

فدور الدين الاجتماعي منحصر حسب ابن نبي في أنه يقوم بتركيب يهدف إلى تشكيل قيم: « هذا التشكيل يجعل من (الإنسان) العضوي وحدة اجتماعية، ويجعل من (الوقت) وقتا اجتماعيا مقدرا بساعات عمل، ومن (التراب) الذي يقدم بصورة فردية مطلقة غذاء الإنسان في صورة استهلاك بسيط مجالا مجهزا مكيفا تكييفيا فنيا، يسد حاجات الحياة الاجتماعية الكثيرة، تبعا لظروف عملية الإنتاج»⁴.

- **الدورة الحضارية:** يعتبر مالك بن نبي أن الحضارة تنتقل من مكان لآخر، ومن بقعة لأخرى، ومن مجتمع لآخر، وتتمثل أطوار الدورة الحضارية في:

الطور الأول: هو بمثابة المرحلة الأولى من الدورة الحضارية، وهو ما يطلق عليه ابن نبي مرحلة الروح، وهو يمثل خطأ تصاعديا، وابتداء هذا الطور من غار حراء إلى غاية موقعة "صفين" بين

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 46.

² مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 72.

³ مالك بن نبي، مجالس دمشق، ط2، دار الفكر، دمشق، 2006، ص 61.

⁴ مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط 2، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 32.

علي ومعاوية عام 38 هـ، وفي هذه المرحلة: «يتحرر الفرد جزئياً من قانون الطبيعة المفطور في جسده، ويخضع وجوده في كليته إلى المقتضيات الروحية التي طبعتها الفكرة الدينية في نفسه، بحيث يمارس حياته في هذه الحالة الجديدة حسب قانون الروح».¹

الطور الثاني: هو بمثابة المرحلة الثانية من الدورة الحضارية، وفيه حلت سلطة العقل مكان سلطة الروح، وهو يمثل خطأ أفقياً مستقراً. وهنا بدأت الحضارة الإسلامية بالانتشار في أنحاء المعمورة، وبظهور العلماء أمثال الفارابي، وابن سينا، وابن رشد إلى غاية ابن خلدون، وعرفت هذه المرحلة خروج الحضارة الإسلامية: «من عمق النفوس كقوة دافعة إلى سطح الأرض، تنتشر أفقياً من شاطئ الأطلنطي إلى حدود الصين».²

الطور الثالث: هو بمثابة مرحلة الانحطاط، وهي المرحلة الثالثة من الدورة الحضارية، وفيه حلت سلطة الغريزة مكان سلطة العقل، وهو يمثل خطأ تنازلياً، وهذا الطور يمثل فترة ما بعد ابن خلدون، والذي يتميز بانحطاط المجتمعات العربية الإسلامية وتخلفها، وذلك راجع لسيطرة الغريزة، وبهذا: «تواصل الغريزة المكبوحة الجراح بيد الفكرة الدينية سعيها إلى الانطلاق والتحرر وتستعيد الطبيعة غلبتها على الفرد وعلى المجتمع شيئاً فشيئاً».³

وهذا ما يؤدي إلى طغيان الفردية، وذلك: «تبعاً لتحرر الغرائز، وتنفس شبكة العلاقات الاجتماعية نهائياً وهو ما يطلق عليه في التاريخ عصر الانحطاط، كذلك العصر الذي هيا في المجتمع الإسلامي ظروف القابلية للاستعمار والاستعمار».⁴

ثالثاً: محمد عابد الجابري (1935 - 2010)

أسس محمد عابد الجابري مشروعه حول مفهوم "نقد العقل العربي" الذي أعطاه عنواناً لكتبه الأربعة الرئيسية: **تكوين العقل العربي، بنية العقل العربي، العقل السياسي العربي، العقل الأخلاقي العربي**، ويعني بهذا المفهوم: «النقد الابستمولوجي للتراث العربي في مستويين:

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 67.

² المرجع نفسه، ص 53.

³ المرجع نفسه، ص 69.

⁴ مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، مرجع سابق، ص 78.

تكويني تاريخي ونسقي بنيوي، وفي حقول ثلاثة هي: المعرفة والسياسة والأخلاق، و الهدف من المشروع هو تأسيس "عصر تدوين جديد" ¹.

في المحور الأول من مشروعه لنقد العقل العربي، يدرس الحقل المعرفي في كتابيه: (تكوين العقل العربي) و (بنية العقل العربي).

يعتبر الجابري في كتابه: (تكوين العقل العربي) أن العقل العربي تشكل و تكون خلال عصر التدوين، والثقافة العربية بوصفها الإطار المرجعي للعقل العربي، نعتبرها ذات زمن واحد، منذ أن تشكلت إلى اليوم، زمن راكد، يعيشه الإنسان العربي اليوم مثلما عاشه أجداده في القرون الماضية: « الثقافة العربية بهذا المعنى، وبالتالي العقل العربي ذاته، إنما تشكلت ككيان ثبتت أركانه وتعينت حدوده واتجاهاته خلال الفترة المعروفة في تاريخ هذه الثقافة بـ "عصر التدوين" الفترة التي رسمت خلالها في الوعي العربي صورة العصر الجاهلي والعصر الإسلامي الأول، وهي نفسها الفترة التي نقلت خلالها إلى اللغة العربية وبالتالي إلى الوعي العربي ذاته صور من الثقافات الأجنبية» ².

وعصر التدوين كما يرى الجابري حاضر في الماضي العربي الإسلامي السابق له ، وفي كل ماضٍ آخر منظور إليه من داخل الثقافة العربية الإسلامية، كما هو حاضر في كل مختلف الفترات التي أعقبت عصر التدوين، هو حاضر في كل ذلك بكل معطياته وصراعاته وتناقضاته الإيديولوجية أيضا: « إن المعطيات والصراعات والتناقضات التي عرفها عصر التدوين والتي تشكل هويته التاريخية هي المسؤولة عن تعدد الحقول الإيديولوجية والنظم المعرفية في الثقافة العربية، كما وأنها هي المسؤولة عن تعدد المقولات وصراعاتها في العقل العربي» ³.

أما في كتابه (بنية العقل العربي) فيميز بين ثلاثة أنظمة معرفية تتوزع إليها خارطة العقل العربي:

- النظام المعرفي الأول (البيان): يقصد الجابري بالبيانيين جميع المفكرين الذين أنتجتهم الحضارة العربية الإسلامية والذين كانوا أو ما يزالون يصدرن في رؤاهم وطريقة تفكيرهم عن الحقل

¹ السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، مرجع سابق، ص 162.

² محمد عابد الجابري، تكوين العقل العربي، ط 10 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009 ، ص 70 .

³ المرجع نفسه، ص 71.

المعرفي الذي بلورته وكرّسته العلوم العربية الإسلامية ونعني بها النحو والفقه والكلام والبلاغة ، وبالأخص منهم: « أولئك الذين ساهموا في تقنين هذا الحقل المعرفي: تحديده وحصر أقسامه وضبط آليات التفكير داخله والإفصاح عن نوع الرؤية التي يحملها عن العالم. إنهم بكلمة واحدة "علماء البيان" من لغويين ونحاة وبلاغيين وعلماء أصول الفقه وعلماء الكلام، إن هؤلاء جميعا ينتمون إلى حقل معرفي واحد يؤسسه نظام معرفي واحد هو النظام المعرفي البياني».¹

– **النظام المعرفي الثاني (العرفان):** يعتبر الجابري أن "العرفان" نظام معرفي ومنهج في اكتساب المعرفة ورؤية للعالم، وأيضا موقفا منه، انتقل إلى الثقافة العربية الإسلامية من الثقافات التي كانت سائدة قبل الإسلام في الشرق الأدنى، والعرفان في اللغات الأجنبية يسمى "الغنوص" وهي كلمة يونانية الأصل ومعناها المعرفة، وقد استعملت أيضا بمعنى العلم والحكمة، غير أن ما يميز العرفان هو أنه من جهة معرفة بالأمور الدينية تخصيصا، وأنه من جهة أخرى معرفة يعتبرها أصحابها أسمى من معرفة المؤمنين البسطاء وأرقى من معرفة علماء الدين الذين يعتمدون النظر العقلي: « إن العرفانيين إسلاميين كانوا أو غير إسلاميين يدعون أن طريقهم في الحصول على معارفهم، ليس الحس ولا العقل، بل هو ما يسمونه "الكشف" وهم يقصدون بذلك أن معارفهم تلك تحصل لهم مباشرة دون توسط ، دون الاستدلال عليها بشيء، وأنها إنما تلقى في قلوبهم إلقاء عندما يرتفع الحجاب بينها وبين الحقيقة العليا بالرياضات والمجاهدات ».²

– **النظام المعرفي الثالث (البرهان):** يعتبر الجابري أن هذا النظام هو نظام معرفي متميز بمنهج خاص في التفكير وبتقرير رؤية معينة للعالم لا تعتمد سلطة معرفية أخرى غير ذلك المنهج، نظام معرفي احتل مواقع له في الثقافة العربية الإسلامية خلال العصور الوسطى إلى جانب النظام البياني والنظام العرفاني، وإذا كان البيان يتخذ من النص والإجماع والاجتهاد سلطات مرجعية أساسية ويهدف إلى تشييد تصور للعالم يخدم عقيدة دينية معطاة هي العقيدة الإسلامية، وإذا كان العرفان يتخذ من الكشف الطريق الوحيد للمعرفة ويهدف إلى الدخول في نوع ما من الوحدة مع الله، فإن: « البرهان يعتمد قوى الإنسان المعرفية الطبيعية من حس وتجربة ومحاكمة

¹ محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، ط 9 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009 ، ص 13.

² المرجع نفسه ، ص 374.

عقلية وحدها دون غيرها، في اكتساب معرفة بالكون ككل وأجزاء، لا بل لتشييد رؤية للعالم يكون فيها من التماسك والانسجام ما يلبي طموح العقل إلى اضعاف الوحدة والنظام على شتات الظواهر ويرضي نزوعه الملح والدائم إلى طلب اليقين»¹.

وفي المحور الثاني من مشروعه يدرس الجابري (العقل السياسي العربي) من خلال ثلاث محددات: " القبيلة " و " الغنيمة " و " العقيدة "

— القبيلة: يرى الجابري أن القبيلة هي بشكل عام ما سبق أن عبر عنه ابن خلدون بالعصبية عند دراسة طبائع العمران في التجربة العربية الإسلامية إلى عهده، وهي: « ما نعبر عنه اليوم بـ "العشائرية " حين نتحدث عن طريقة في الحكم أو سلوك سياسي أو اجتماعي يعتمد على ذوي القربى، الأقارب منهم والأباعد، بدل الاعتماد على ذوي الخبرة والمقدرة ممن يتمتعون بثقة الناس واحترامهم، أو يكون لهم نوع ما من التمثيل الديمقراطي الحر، ولا نقصد قرابة الدم وحدها، حقيقية كانت أو وهمية، بل نقصد كذلك كل ما في معناها من القربات ذات الشحنة العصبية مثل الانتماء إلى مدينة أو جهة أو طائفة أو حزب»².

— الغنيمة: يرى الجابري أن الغنيمة تعني: « الدور الذي يقوم به العامل الاقتصادي في المجتمعات التي يكون فيها الاقتصاد قائما أساسا على " الخراج " و " الربيع " وليس على العلاقات الانتاجية... فنحن نقصد بالغنيمة هنا ليس فقط مصدرها من خراج أو ربيع بل نقصد كذلك طريقة صرفها وبالخصوص العطاء الذي يعيش منه أهل الدولة ومن تعلق بهم، أضف إلى ذلك ما ينتج عن العطاء من عقلية ريعية تتعارض تماما مع العقلية الإنتاجية، إذ بينما ترى هذه الأخيرة أن العائد أو المكسب هو نتيجة لعمل إنساني منظم وكجزء على الجهد، ترى العقلية الريعية في العائد والمكسب رزقا أو حظا أو صدفة يرتبط بالظروف أو القدر وليس حلقة في عملية إنتاجية وما يرتبط بها من جهد ومخاطر»³.

¹ محمد عابد الجابري، بنية العقل العربي، مرجع سابق، ص 384.

² محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، ط4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000، ص 48.

³ المرجع نفسه، ص 49، 50.

ويؤكد الجابري على أن المقصود بالغنيمة نوعا خاصا من الدخل (خراج أو ريع) وطريقة صرف هذا الدخل، واستخدامه لهذا اللفظ وعدم استخدامه لمصطلحات اقتصادية أخرى لأن الموضوع حسبه ليس تحليل الاقتصاد في المجتمع العربي، لا في الماضي ولا في الحاضر، وإنما الموضوع هو العقل السياسي تفكيراً وممارسة.

— **العقيدة:** يرى الجابري أن العقل السياسي اليوم يقوم كما هو معروف منذ أرسطو على الاعتقاد وليس على البرهان، وهو ليس عقل فرد بل عقل جماعة، ومعروف أن منطق الجماعة يتأسس لا على مقاييس معرفية بل على الاعتقاد والإيمان، وهو يعتبر أن العقيدة: « لا نقصد بها مضمونا معيناً سواء كان على شكل دين موحى به أو على صورة ايديولوجيا يشيد العقل صرحها، وإنما نقصد أولاً وأخيراً مفعولها على صعيد الاعتقاد والتمذهب... إن الإنسان يؤمن بمعزل عن كل استدلال وعن اتخاذ القرار، وقد يتساهل المرء في مسائل المعرفة ولكنه لا يقبل أن يمس في اعتقاده، قد يضحى بحياته من أجل معتقده ولكنه لا يستشهد قط من أجل إقامة الدليل على صحة قضية معرفية».¹

وهذه المحددات الثلاث: القبيلة، الغنيمة، العقيدة، حسب الجابري هي محددات حكمت العقل السياسي العربي في الماضي وما زالت تحكمه بصورة أو بأخرى في الحاضر، فكانت النتيجة ما تعرضنا له من إحباطات ونكسات، وهكذا: « عادت العشائرية والطائفية والتطرف الديني والعقدي لتسود الساحة العربية بصورة لم يتوقعها أحد من قبل... فأصبحت القبيلة محركاً للسياسة وأصبح الريع جوهر الاقتصاد عندنا، وأصبحت العقيدة إما ريعية تبريرية وإما خارجية نسبة إلى الخوارج».²

والمطلوب إذن حسب الجابري تجديد العقل السياسي العربي، يعني: « تحويل القبيلة في مجتمعنا إلى لا قبيلة، إلى تنظيم مدني سياسي اجتماعي: أحزاب، نقابات، جمعيات حرة، مؤسسات

¹ محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، مرجع سابق، ص 50.

² المرجع نفسه، ص 373، 374.

دستورية، بعبارة أخرى بناء مجتمع فيه تمايز واضح بين المجتمع السياسي (الدولة وأجهزتها) والمجتمع المدني (التنظيمات الاجتماعية المستقلة عن الدولة)»¹

و تجديد العقل السياسي العربي يعني كذلك: «تحويل الغنيمة إلى اقتصاد ضريبة، وعبارة أخرى تحويل الاقتصاد الريعي إلى اقتصاد انتاجي، إن الاقتصاد العربي يطغى فيه الريع بكل مكوناته وتوابعه من عطاء وعقلية ريعية، وهو يعاني في كل قطر عربي من مشاكل مزمنة لا سبيل إلى التغلب عليها، إلا في إطار تكامل اقتصادي اقليمي جهوي وفي إطار سوق عربية مشتركة. تفسح المجال لقيام وحدة اقتصادية بين الأقطار العربية هي وحدها الكفيلة بإرساء الأساس الضروري لتنمية عربية مستقلة»²

كما أن تجديد العقل السياسي العربي يعني كذلك حسب الجابري: «تحويل العقيدة إلى مجرد رأي، فبدلاً من التفكير المذهبي الطائفي المتعصب الذي يدعي امتلاك الحقيقة، يجب فسح المجال لحرية التفكير، لحرية المغايرة والاختلاف، وبالتالي التحرر من سلطة الجماعة المغلقة دينية كانت أو حزبية أو إثنية، التحرر من سلطة عقل الطائفة والعقل الدوغمائي، دينياً كان أو علمانياً، وبالتالي التعامل بعقل اجتهادي نقدي».³

وفي المحور الثالث يدرس الجابري (العقل الأخلاقي العربي) ويعتبره عقل متعدد في تكوينه لأن الثقافة العربية الإسلامية كانت ولا تزال مسرحاً تلتقي فيه عدة موروثات ثقافية: «فمنذ عصر التدوين برز الموروث الفارسي، والموروث اليوناني، والموروث الصوفي، علاوة على الموروث العربي (الخالص) والموروث الإسلامي (الخالص)، كمكونات رئيسية وأساسية في الثقافة العربية، وبما أن كل واحد من هذه الموروثات الخمس كان امتداداً لثقافات مكتملة وراسخة، فقد كان لا بد أن يحمل معه بصورة أو بأخرى نظام القيم الخاص بالثقافة التي يمثلها. ومن هنا يمكن التمييز بين خمس نظم للقيم في الثقافة العربية الإسلامية».⁴

¹ محمد عابد الجابري، العقل السياسي العربي، مرجع سابق، ص 374 .

² المرجع نفسه، ص 374 .

³ المرجع نفسه، ص 374.

⁴ محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، ط1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 22.

— الموروث الفارسي (أخلاق الطاعة): اعتبر الجابري أن السبب في وصف القيم التي روجها الموروث الفارسي بكونها قيما كسروية، لأن: «السلم الذي ينظم هذه القيم ينطلق من كسرى، كسرى الذي يخدمه الكل ولا يخدم هو أحدا، والذي يجعل نفسه وسيطا بين الله والناس... إنها أخلاق الطاعة التي لا يكون لها معنى إلا إذا تعلق الأمر بطاعة الجماعة للواحد الفرد، أما طاعة فرد لفرد، أو طاعة فرد لجماعة فليس مما يقبله نظام القيم الكسروي هذا».¹

— الموروث اليوناني (أخلاق السعادة): يميز الجابري من خلال وقوفه على الموروث اليوناني، بين ثلاث مرجعيات، يعود إليها كل ما نقل من الثقافة العربية من هذا الموروث في الأخلاق والقيم: أفلاطون وأرسطو وجالينوس، لأن: «التمييز في الفكر الأخلاقي العربي ذي الأصول اليونانية بين نزعات ثلاث أمر ضروري: نزعة طبية علمية (مرجعيتها جالينوس)، ونزعة فلسفية (ومرجعيتها أفلاطون أو أرسطو)، ونزعة تليفقية تقتبس من المرجعيات الثلاث، وكثير منها لا يميز بين الصحيح والمنحول».²

— الموروث الصوفي (أخلاق الفناء): إن أخلاق الفناء التي كرسها الموروث الصوفي هي أخلاق اللاعمل مبدؤها ترك التدبير، وعدم التفكير في المستقبل، فليس غريبا أن ينتهي انتشار التصوف في العالم العربي والإسلامي منذ الغزالي إلى صرف أهله عن التفكير في المستقبل والعمل من أجله، لقد نظروا: «إلى الغزو الصليبي على أنه عقاب من الله لأن المسلمين ضيعوا طريق الله أي أخلاق الفناء، وكذلك قال كثير منهم عند اكتساح الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين، والحق أن أخلاق الفناء لا تنتهي إلى فناء الأخلاق وحسب بل وإلى فناء الأمم، ولم يكن مصادفة أن قامت حركة الإصلاح في العصر الحديث على محاربة الطريقة».³

— الموروث العربي (أخلاق المروءة): يرى الجابري أنه بعد البحث والاستقراء في مفهوم (الكرم) باعتباره القيمة المركزية التي تنتظم حولها بصورة من الصور جميع القيم الأخرى أو معظمها على الأقل، قد تبين له أن هناك قيمتين في الموروث العربي تتضمنان معنى الكرم هما (الفتوة) من جهة و (المروءة) من جهة أخرى ومعنى: «الفتوة قوة الشباب وما يرتبط بها

¹ محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، مرجع سابق، ص 249.

² المرجع نفسه، ص 289 - 290.

³ المرجع نفسه، ص 488.

من طول القامة واللياقة البدنية وطلاقة اللسان والقدرة على تحمل المشاق والمهارة في الطعن والفروسية والسخاء والكرم والوفاء بالوعد والحلم وحماية الضعيف وإغاثة الملهوف والتواضع والعفو والرزانة وقوة الاحتمال والميل إلى الزعامة والسيادة مع التواضع، وأما الخصال التي تتحدد بها المروءة تشمل المظهر كما تخص الجوهر: فمن النظافة وطيب الرائحة والمفاكهة والمباسمة إلى إتيان الحق وتعاهد الضيف ومراعاة العهود والوفاء بالعقود وغير ذلك من الفضائل المعروفة والمشاركة بين معظم الثقافات، إلى تقوى الله والإيمان إلى المساجد وكثرة الإخوان في الله وقراءة القرآن وهي خصال خاصة بالمسلم»¹.

— الموروث الإسلامي (أخلاق العمل الصالح): إن قيمة القيم في كل دين هي " الإيمان " بالله وبتعاليمه، و لفظ " الإيمان " مقرونا في القرآن في الأغلب الأعم بألفاظ أخرى وعبارات أخرى تشير إلى وجهته الاجتماعية ومضمونه الإنساني، ومن العبارات التي تتكرر في القرآن بعد لفظ "الإيمان" عبارة "الذين آمنوا وعملوا الصالحات": « فاجتماع الإيمان والعمل الصالح تنتج عنه قيمة دينية أخرى تعتبر من أسمى القيم في كل دين هي التقوى ... و إذا كانت التقوى هي القيمة المركزية في الإسلام كـ " دين"، شأن جميع الأديان، فإن " العمل الصالح" هي القيم المركزية في الأخلاق التي تنتمي إليه: الأخلاق الإسلامية ولذلك وجب وصفها بأنها أخلاق العمل الصالح»². ويخلص الجابري من تحليله لقيم الموروثات الخمس التي بدأت تعم الساحة الثقافية العربية، وتتحول إلى سوق للقيم، إلى أن: « أخلاق الطاعة والقيم الكسروية ، هيمنت على الثقافة العربية ووظفت الدين لفرضها، وطمست الأخلاق الإسلامية الصحيحة القائمة على العمل الصالح والمصلحة العامة»³.

رابعاً: حسن حنفي (1935 - 2021)

أسس حسن حنفي مشروعه حول قضية "التراث والتجديد"، حيث اعتبر أن التراث هو نقطة البداية، كمسؤولية ثقافية وقومية، والتجديد هو إعادة تفسير التراث طبقاً لحاجات العصر: « فالقديم يسبق الجديد، والأصالة أساس المعاصرة، والوسيلة تؤدي إلى الغاية، التراث هو الوسيلة،

¹ محمد عابد الجابري، العقل الأخلاقي العربي، مرجع سابق، ص 505، 514، 521.

² المرجع نفسه، ص 593، 594.

³ السيد ولد أباه، أعلام الفكر العربي، مرجع سابق، ص 168.

والتجديد هو الغاية وهي المساهمة في تطوير الواقع وحل مشكلاته، والقضاء على أسباب معوقاته وفتح مغاليقه التي تمنع أي محاولة لتطويره، والتراث ليس قيمة في ذاته إلا بقدر ما يعطي من نظرية علمية في تفسير الواقع والعمل على تطويره»¹.

وقضية التراث والتجديد في تصور حسن حنفي هي القضية الأساسية للبلاد النامية، إذ أنها تتناول البحث عن أسباب التطور والتقدم، فليست التنمية حبه مجرد استثمار للموارد الوطنية أو الأجنبية، وزيادة في عدد المصانع المستوردة أو في تأسيس القطاع العام، بل هي استثمار بشري يهدف إلى خلق عنصر جديد قادر على التنمية، و لهذا تبقى قضية التراث والتجديد حسب حسن حنفي هي: « الكفيلة بإعادة بناء الإنسان في البلاد النامية عن طريق اكتشافه لبعده التاريخي، وإعطائه أسسا نظرية للتغيير، وتفجير طاقاته المخزونة، وخلق ثقافته الوطنية، وتحريك الجماهير السلبية، وإنزالها بكل ثقلها إلى ميدان التطور والتنمية»².

ويعتبر حسن حنفي أن قضية التراث والتجديد هو العنوان العام للمشروع كله، لأنه لا يعالج فقط مناهج البحث في التراث القديم بل يعالج التراث ذاته كمشكلة وطنية هي مشكلة الموروث وأثره النفسي على الجماهير وموقفنا بالنسبة له، ووسائل تطويره وتجديده، وهو يعتبر أن « المعركة الحقيقية الآن معركة فكرية وحضارية ولا تقل أهمية عن المعركة الاقتصادية أو المعركة المسلحة إن لم تكن أساسها. وإن الهزيمة المعاصرة في جوهرها هزيمة عقلية كما أنها هزيمة عسكرية، وإن الخطر المداهم الآن ليس هو فقط ضياع الأرض بل قتل الروح وإماتها إلى الأبد»³.

ويرى حسن حنفي أن مشروع " التراث والتجديد": « يتكون من جبهات ثلاث: موقفنا من جبهة التراث القديم، موقفنا من التراث الغربي، موقفنا من الواقع " نظرية في التفسير" ولكل جبهة بيان نظري»⁴.

— جبهة التراث القديم: يهدف حسن حنفي من خلال قسم جبهة التراث القديم إلى إعادة بناء العلوم التقليدية، ويتشكل هذا القسم من سبعة أجزاء كل جزء يخص علم أو مجموعة من العلوم.

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، ط4، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992، ص 13 .

² المرجع نفسه ، ص 49 .

³ المرجع نفسه ، ص 176 .

⁴ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مرجع سابق ، ص 09.

الجزء الأول يسمى علم الإنسان، وهو محاولة لإعادة بناء أصول الدين التقليدي من خلال عنوان لهذا العلم "من العقيدة إلى الثورة": « وهو العلم الذي يمكن بواسطته سد النقص النظري في واقعنا المعاصر، والذي يمكنه أن يمدنا بايديولوجية عصرية تشمل على لاهوت الثورة، ولاهوت الأرض ولاهوت التحرر، ولاهوت التنمية، ولاهوت التقدم».¹

الجزء الثاني يسمى فلسفة الحضارة وهو محاولة لإعادة بناء الفلسفة التقليدية من خلال عنوان لهذا العلم "من النقل إلى الإبداع": « وهي محاولة لإعادة بناء الفلسفة التقليدية وتوضيح طبيعة العمليات الحضارية التي حدثت في الفلسفة الإسلامية القديمة نتيجة لتقابل الحضارة الإسلامية الناشئة مع الحضارة اليونانية الوافدة، مع تناول ما حدث في عصرنا الحاضر منذ القرن الماضي من موقف متشابه من النقاء الحضارة الإسلامية الناهضة مع الحضارة الأوروبية الغازية».²

الجزء الثالث يسمى المنهج الأصولي وهو محاولة لإعادة بناء علم أصول الفقه التقليدي من خلال عنوان لهذا العلم "من النص إلى الواقع": « فيه تتغير مادة الفقه التقليدي التي تغلب عليها الأحوال الشخصية إلى مادة أخرى عصرية يغلب عليها الطابع الاجتماعي، وتثار فيها مسائل التنمية والتحرر والتغيير والتقدم».³

الجزء الرابع يسمى المنهج الصوفي وهو محاولة لإعادة بناء علوم التصوف من خلال عنوان لهذا العلم "من الفناء إلى البقاء": « ظهر مبكرا كحركة زهد وعبادة وبكاء وتحسر أيام الحكم الأموي كحركة مقاومة سلبية للداخل ومتجهة إلى أعلى وليس إلى الخارج ومنطلقة إلى الأمام».⁴

الجزء الخامس يسمى العلوم النقلية وهو محاولة لإعادة بناء العلوم النقلية الخمسة: علوم القرآن والحديث والتفسير والسيرة والفقه، من خلال عنوان لهذا العلم "من النقل إلى العقل" بالنسبة لعلوم القرآن: « إذا كانت أسباب النزول عند القدماء تعني معرفة الأصل حتى يتم عليه قياس الفرع فإنها تعني عندنا أولوية الواقع على الفكر، وإذا كانت معرفة الناسخ والمنسوخ عند القدماء تهدف إلى

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مرجع سابق، ص 177 .

² المرجع نفسه ، ص 177 .

³ المرجع نفسه ، ص 178 .

⁴ المرجع نفسه ، ص 178 .

معرفة الأحكام فإنها تعني بالنسبة لنا التطور في الزمان، وإعادة صياغة أحكام الأفعال لقدرات الإنسان وطاقاته»¹.

وبالنسبة لعلم التفسير فلا بد من تجاوز تفسير "سورة سورة وآية آية" وكل التفسيرات اللغوية والأدبية والفقهية: «إن مهمتنا اليوم هي استئناف التفسير النفسي الاجتماعي، النفسي من أجل التأثير على الناس وإحياء العقيدة في القلوب، والاجتماعي من أجل وضع مصالح الأمة في قلب النص وقراءة احتياجاتها فيه... بل علينا إضافة التفسير السياسي للمساهمة في حل إشكال العصر وتمزقه بين المحافظة الدينية وبين التقدمية العلمانية»².

وبالنسبة لعلوم الحديث يتعين علينا إعطاء الأولوية للمتن على السند، بعد أن كان المحدثون يحرصون اهتمامهم في معرفة الرجال والرواة، فالمطلوب هو المرور إلى منهج "النقد الداخلي" بدل النقد الخارجي، فتصبح مضامين المتن هي المعيار في التصحيح لا الأسانيد والمرويات: «أما علوم الحديث فإنه يتم فيها تحليل الشعور، شعور الراوي من خلال مناهج الرواية ثم تجاوزها إلى النقد العقلي والحسي للمتن»³.

وبالنسبة لعلوم السيرة يجب الابتعاد على التشخيص وعبادة الشخص: «تركزت النبوة في شخص النبي مع أنه مجرد وسيلة لتبليغ الوحي، وقد يكون هذا أحد أسباب التشخيص في حياتنا القومية وأحد أسباب عبادة الأشخاص، إن مهمة دارس السيرة اليوم وكتابتها هي العودة من الرسول إلى الرسالة، ومن النبي إلى النبوة، ومن الشخص إلى المبدأ، فليس النظام هو الزعيم ولا الدولة هي رئيسها»⁴.

أما علم الفقه فقد ركز على العبادات دون المعاملات وعلى المسائل النظرية دون المسائل الواقعية العملية: «إن مهمة الفقيه اليوم إعادة الاختيار من أجل تأسيس فقه المعاملات كما تأسس

¹ حسن حنفي، دراسات فلسفية، ط1 مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987، ص 24 .

² المرجع نفسه، ص 25 .

³ حسن حنفي، التراث والتجديد، مرجع سابق، ص 179 .

⁴ حسن حنفي، دراسات فلسفية، مرجع سابق، ص 26 .

فقه العبادات من قبل، ومن أجل إعطاء الأولوية للمسائل العملية الواقعية على المسائل الافتراضية النظرية، ومن أجل تأسيس فقه الطبيعة والوجود الإنساني كما أسس القدماء فقه الأحكام»¹.

الجزء السادس يسمى العلوم الرياضية والطبيعية وهو محاولة لإعادة بناء هذه العلوم من خلال عنوان "الوحي والعقل والطبيعة": «أما العلوم العقلية الخالصة سواء العلوم الرياضية "الحساب، الهندسة، الجبر، الموسيقى، الفلك" أو العلوم الطبيعية "الطبيعة والكيمياء والنبات والحيوان والطب والصيدلة" فقد توقفت وحل محلها النقل من الغرب، لم نعد نساهم في تاريخ العلم، وتحول علم القدماء إلى موضوع جامعي "تاريخ العلوم عند العرب" كنوع من الاعتزاز بالماضي تعويضاً عن مآسي العصر في النقل عن الآخرين واستهلاكنا للمعرفة دون إبداع لها ونقلنا للتقنية دون اكتشاف لها»².

الجزء السابع والأخير يسمى العلوم الإنسانية وهو محاولة لإعادة بناء علوم النفس والاجتماع والسياسة والتاريخ والجغرافيا واللغة والأدب، ويحمل عنوان "الإنسان والتاريخ" ويتم من خلال هذه العلوم: «التعرف على وظيفة التوحيد في الشعور وتوجيهه إياه نحو الإنساني الفردي والاجتماعي، وبالرغم من أن هذه العلوم قد ظهرت من قبل في العلوم الدينية الأربعة إلا أنها حاولت أن تكون علوماً مستقلة تعتمد على البحث والاستقصاء دون الاعتماد على الحجج النقلية»³.

- **جبهة التراث الغربي:** يشمل هذا القسم ثلاثة أجزاء، وكل جزء يختص بفترة من تاريخ الغرب.

الجزء الأول: يتعلق بمصادر الوعي الأوروبي ويخص عصر آباء الكنيسة والعصر المدرسي

بالنسبة لعصر آباء الكنيسة، هو محاولة: «لدراسة نشأة الفكر الغربي في الفترة الأولى من القرن الأول حتى القرن السابع، وتتم فيه دراسة تاريخ الفكر الأوربي في مصادره الأولى ومنذ نشأته عند آباء الكنيسة اليونان ثم الرومان»⁴.

¹ حسن حنفي، دراسات فلسفية، مرجع سابق، ص 26.

² المرجع نفسه، ص 26 ، 27.

³ حسن حنفي، التراث والتجديد، مرجع سابق، ص 179 ، 180.

⁴ المرجع نفسه ، ص 181.

أما بالنسبة للعصر المدرسي وهو محاولة لتاريخ الفكر الغربي في مرحلته الثانية وهي العصر المدرسي، أو العصر الوسيط المتأخر وهي: « الفترة التي كانت وعاء للحضارة الإسلامية بعد أن تمت ترجمتها، وتعرف عليها اللاتين وتأثروا بها، ونشأت لديهم الفلسفات العقلية والاتجاهات العلمية، واهتزت السلطة الدينية والعقائدية».¹

الجزء الثاني: يتعلق ببداية الوعي الأوربي ويخص عصر الإصلاح الديني وعصر النهضة والعصر الحديث. وهي محاولة لدراسة تاريخ الفكر الأوربي إبان الإصلاح الديني و عصر النهضة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر وهي فترة: « رفض سلطة القديم في العصر المدرسي، واحتكار الفكر، ورفض السلطة الدينية، وبداية إثبات الحرية والعقل والإنسان كحقائق أولية، وبداية كشف الإنسان بجهده الخاص للعلوم والفنون والصناعات، ورفض تغليف الواقع باسم الدين أو باسم السلطة».² وبالنسبة للعصر الحديث هي محاولة لدراسة بداية تاريخ الشعور الأوربي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، ابتداء من واقعة الكوجيتو، وهو: « بداية الفصم في الشعور الأوربي بين الاتجاه العقلي الصوري والاتجاه المادي الحسي، وهذان الخطان اللذان سيظلان منبعجين منفرجين حتى يلم شملهما من جديد في القصديّة الشعورية».³

الجزء الثالث: يتعلق بنهاية الوعي الأوربي ويخص العصر الحاضر وهو محاولة لدراسة تاريخ الشعور الأوربي في لحظته الأخيرة في القرن التاسع عشر والقرن العشرين والجمع بين الاتجاهين العقلي الصوري والاتجاه المادي الحسي: « حيث تحاول مذاهب القرن التاسع عشر ضم الاتجاهين السابقين اللذين أفقدا الشعور الأوروبي توازنه في رؤية الظواهر حتى أتت الفينومينولوجيا فاكتملت المثالية الأوربية وعاد الخطان المنفرجان إلى الشعور من جديد. وتحول الموضوع داخل الذات حتى قضى نهائياً على الصورية والمادية».⁴

وبوضوح حنفي أن جبهة التراث الغربي والموقف منها هو التعبير عن وعينا ب (علم الاستغراب) ومادته الأساسية، وبالتالي فك عقدة النقص من اعتبار الحضارة الأوربية مصدر كل

¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مرجع سابق ، ص 182.

² المرجع نفسه، ص 182.

³ المرجع نفسه ، ص 182.

⁴ المرجع نفسه ، ص 183.

علم، وما سواها من حضارات تعيش عليها، وتنتظر منها المذاهب والنظريات، ويعبر هذا العلم عن قدرة الأنا باعتبارها شعورا محايدا على رؤية الآخر، ودراسته وتحويله إلى موضوع، وهو الذي طالما كان ذاتا يحول كل آخر إلى موضوع، إذن فالاستغراب هو: « الوجه الآخر والمقابل بل والنقيض من الاستشراق، فإذا كان الاستشراق هو رؤية الأنا (الشرق) من خلال الآخر (الغرب) يهدف (علم الاستغراب) إذن إلى فك العقدة التاريخية المزدوجة بين الأنا والآخر، والجدل بين مركب النقص عند الأنا ومركب العظمة عند الآخر».¹

وإذا كان الاستشراق يعني رؤية الأنا الأوربي للآخر اللا أوربي، علاقة الذات الدارس بالموضوع المدروس، فإن الاستغراب أصبح الأنا الأوربي الدارس بالأمس هو الموضوع المدروس اليوم كما أصبح الآخر اللأوربي المدروس بالأمس هو الذات الدارس اليوم، وبالتالي فمهمة علم الاستغراب هو: « فك عقدة النقص التاريخية في علاقة الأنا بالآخر، والقضاء على مركب العظمة لدى الآخر الغربي بتحويله من ذات دارس إلى موضوع مدروس، والقضاء على مركب النقص لدى الأنا بتحويله من موضوع مدروس إلى ذات دارس».²

- جبهة الواقع " نظرية التفسير": الهدف من نظرية التفسير إعادة بناء الحضارتين الحضارة العربية الإسلامية والحضارة الغربية معا، والغاية من هذه النظرية هو الوحي ذاته وإمكانية تحويله إلى علم إنساني شامل، و في الحقيقة كل الأفكار البشرية تخضع إلى نظرية في التفسير، تفسير النص أو تفسير الواقع، ويشمل هذا القسم ثلاثة أجزاء.

الجزء الأول (العهد الجديد): هو محاولة لتحقيق صحة الوحي في التاريخ ابتداء من مراحل الوحي السابقة حتى المرحلة الأخيرة أعني التوراة والإنجيل، سواء من حيث فهم النصوص أو سلوك أهل الكتاب باستعمال مناهج النقل التاريخي الشفاهي أو الكتابي من أجل التعرف على الكتب الدينية المقدسة تمحيصا وفهما وسلوكا: « في هذا الجزء تتم مراجعة العهد الجديد نشأة وتكويننا والتمييز

¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مرجع سابق، ص 29 .

² المرجع نفسه، ص 29 .

بين أقوال المسيح وأقوال الحواريين، والفصل بين الكتاب المقدس والتراث الكنسي. وهو نواة التراث الغربي، فالتراث الغربي كله ما هو إلا رد فعل على هذه النواة الأولى».¹

الجزء الثاني (العهد القديم): يتم فيه تحليل الكتاب المقدس عند اليهود والتميز بينه وبين كتب التوراة وكتب التاريخ وكتب الملوك وكتب القضاة وكتب الأنبياء وكتب الحكمة، وهو يعني: «دراسة تطور العقائد عند بني إسرائيل الذي لا ينفصل عن تاريخهم القومي: عصر البطاركة، عصر الأنبياء، عصر التدوين، والعصر الوسيط والعصر الحديث، وقد كانت هذه سنة علمائنا القدماء في التعرض إلى نقد الكتب المقدسة. وما زال المطلب قائماً. فنحن ما زلنا في مواجهة أهل الكتاب بمواجهتنا لمخاطر الاستعمار والصهيونية».²

الجزء الثالث (المنهاج): هو محاولة لتجاوز مناهج التفسير التي عرفها التراث القديم الكلامية والفلسفية والفقهية والصوفية، ثم محاولة وضع نظرية للتفسير تكون جامعة لها كلها. والبحث عن منهاج هو نهاية (التراث والتجديد) وغايته محاولة للعثور على منهاج إسلامي عام لحياة الفرد والجماعة ووصف الإنسان في الوحي في علاقته بقواه النظرية والعملية، وفي علاقته بالآخرين ومع الأشياء، ويكون بمثابة الإيديولوجية التي يمكنها تنظيم الواقع، وهي في الحقيقة نفسها التي حاول الجميع البحث عنها في تراثنا القديم وفي التراث الغربي: «وهو في الحقيقة حدسنا الأول الذي حدث لنا في مقبل حياتنا الفلسفية والذي ظل موجهاً لنا في كل كتاباتنا. وسيتم إخراجه ابتداء من نصوص الوحي ذاتها بلا حاجة إلى تراث ويكون هذا هو جزء الوداع».³

وتشير هذه الجبهات الثلاث إلى جدل الأنا والآخر في واقع تاريخي محدد، فالجبهة الأولى "موقفنا من التراث القديم" تضع الأنا تاريخها الماضي وموروثها الثقافي. والجبهة الثانية "موقفنا من التراث الغربي" تضع الأنا في مواجهة الآخر المعاصر وهو الوافد الثقافي الغربي أساساً، والجبهة الثالثة "موقفنا من الواقع" فإنها تضع الأنا في خضم واقعها المباشر، تحاول تنظيره تنظيراً مباشراً، فتجد النص جزءاً من مكوناته سواء كان نصاً دينياً مدوناً من الكتب المقدسة أو نصاً شعبياً شفاهياً من الحكم والأمثال العامة. ويمكن رؤية الجبهات الثلاث وكأنها أضلاع ثلاث

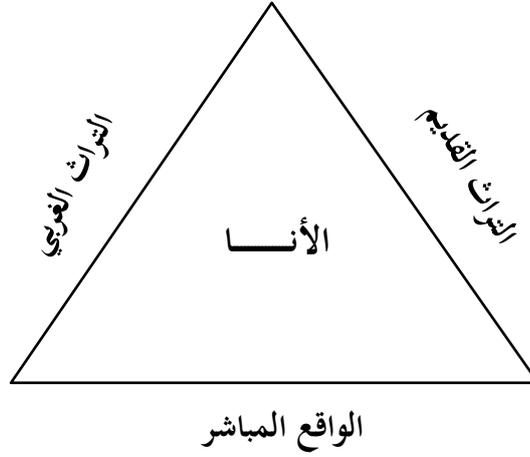
¹ حسن حنفي، التراث والتجديد، مرجع سابق، ص 185.

² المرجع نفسه، ص 185.

³ المرجع نفسه، ص 186.

الفصل الأول: مفهوم خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث والمعاصر وتأثيره على الخطاب النهضوي في الجزائر

والأنا في وسطها، الأول للتراث القديم (الماضي) والثاني للتراث الغربي (المستقبل)، والثالث للواقع المباشر (الحاضر) على النحو الآتي: ¹



¹ حسن حنفي، مقدمة في علم الاستغراب، مرجع سابق ، ص 12 .

خاتمة:

من خلال ما سبق يتضح لنا أن حملة نابليون على مصر، و ضعف الدولة العثمانية وسقوطها و دخول معظم أقطار العالم العربي تحت سيطرة الاستعمار الغربي، كان بمثابة المحرك الأساسي لنهضة العرب، حيث ظهرت تيارات فكرية تعددت مدلولات النهضة بتعددتها: التيار الإصلاحى الدينى والتيار القومى والتيار الليبرالى التغيريى. بالنسبة للتيار الإصلاحى الدينى كان له تأثير على الفكر الإصلاحى فى الجزائر، فالدعوة التى قادها جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا كان لها الأثر الكبير فى نشر الفكر الإصلاحى فى الجزائر، سواء فى فكر الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة والشيخ عبدالحليم بن سماية، أو فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين. وقد طرح خطاب النهضة من جديد بعد هزيمة 1967 م وبعد فشل الأنظمة العربية فى تحقيق أهداف النهضة العربية، حيث حاول بعض المفكرين أمثال زكى نجيب محمود و مالك بن نبي و محمد عابد الجابري و حسن حنفي وغيرهم. للنهوض بالفكر العربى والاسلامى ومن ثم النهوض بالأمة.

الفصل الثاني

الخطاب النهضوي في الفكر الجزائري

تمهيد

المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر قبل تأسيس

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الثاني: الحركة الفكرية والإصلاحية قبل تأسيس

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الثالث: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

المبحث الرابع: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومقاصدها

خاتمة

تمهيد:

أدرك الاستعمار الحديث أن وحدة الوطن من العوامل الأساسية لوحدة الأمة وتماسكها، ولذلك عمل على تجزئة الوطن العربي الإسلامي وتقسيمه إلى دويلات تفصل بينها الحدود التي تحول دون هذه الوحدة، وإذا ما تحدثنا عن هذا الاستعمار، علينا أن نشير إلى الاستعمار الفرنسي الذي حاول: « بكل ما أوتي من قوة وحقد أن يقتلع الجزائر من جذورها التاريخية والحضارية، وأن يجعلها امتدادا طبيعيا لفرنسا ليس جغرافيا فقط بل تاريخيا وثقافيا واجتماعيا ودينيا وحضاريا، وجند لذلك كل جيوشه الثلاثة: العسكرية، والتبشيرية، والاستشراقية، وقد نجد في الجيش الواحد من يجيد الأدوار الثلاثة كلها»¹

ويقدر ما كان للجزائر رجالها في مقاومة جيش الاحتلال، كان لها رجال كذلك في المجال العلمي والفكري مثل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي تصدت لمشاريع الاحتلال الثقافية والفكرية، وفضحت دسائس الاستعمار وكشف خبايا مشروعه الثقافي الاستدماري، وأحييت فكرة الوطن الجزائري، بعد أن ظنّ كثيرون أن فرنسا قد نجحت في جعل الجزائر مقاطعة فرنسية، هذا ما يجعلنا نتساءل: ما هي أوضاع الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين؟ وكيف كان رد النخب الجزائرية بصفة عامة وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين بصفة خاصة اتجاه هذه الأوضاع؟

¹ بن ابراهيم الطيب، مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون، (د ط)، دار مدني، الجزائر، 2002، ص 29.

المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

سياسة الاستعمار الفرنسي تجاه الجزائر ومواقفه ظلت ثابتة منذ بداية الاحتلال عام 1830 حتى استقلت الجزائر عام 1962، فقد كانت مشاريعه تدور كلها في نطاق سياسة إدماج الجزائر في فرنسا التي أعلنها سنة 1865، وفي محاربة الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، بقصد تدميرها باعتبارها العائق الكبير الذي وقف في وجه مشاريعه.

أولاً: الأوضاع السياسية

إن الجيش الفرنسي قد نزل بقرب الجزائر العاصمة يوم 14 جوان 1830، وبعد قتال مرير وخسائر فادحة من الطرفين، استسلمت الحكومة في 05 جويلية من نفس العام، ثم أمضى كل من الداوي رئيس الدولة الجزائرية والكونت دي بورمونت القائد الأعلى للجيش الفرنسي معاهدة تعرف باتفاق الجزائر، حيث: « نصت المادة 05 من هذا الاتفاق على مايلي: حرية العمل بالدين الإسلامي، ضمان حرية جميع الطبقات والأديان، والممتلكات والتجارة والصناعات واحترام كامل للمرأة الجزائرية. أما المادة 02 فقد نصت على احترام التقاليد الجزائرية، وعلى أنه لن يؤذن للجنود الفرنسيين بدخول المساجد الجزائرية»¹

بالإضافة إلى ذلك فإن الفرنسيين قد قدّموا أنفسهم إلى الجزائريين على أنهم محرّرون لا منتصرون، ففي: «بيان بالعربية وزعه عملاء خاصون عشية النزول بالجزائر، ادّعى الفرنسيون بأن حركتهم كانت تستهدف القضاء على الداوي الطاغية فقط، وأن كل الممتلكات وقضايا الأسرة والبلاد نفسها ستبقى في يد الجزائريين، وأن المساجد وأماكن العبادة ستحترم بصفة نافذة، وأن الفرنسيين سيحررون الجزائر من الطغيان التركي»².

وقد كان للجيش الفرنسي في الجزائر كامل الحرية في معالجة الوضع بالطريقة التي يراها مناسبة، وعندما وصلت باريس أخبار الاصطدامات السياسية والعسكرية بين الجزائريين والجيش الفرنسي بواسطة حملة نظمتها جماعة جزائرية منفية وصحافة المعارضة الفرنسية، أجابت باريس

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 17، 18.

² المرجع نفسه، ص 18.

بإرسال لجنة تحقيق تعرف باللجنة الإفريقية، وبعد بحث طويل قدمت اللجنة الإفريقية تقريرا استنكرت فيه تصرفات الجيش الفرنسي في الجزائر بهذه العبارات: « لقد حططنا ممتلكات المؤسسات الدينية وجردنا السكان الذين وعدناهم بالاحترام، وأخذنا الممتلكات الخاصة بدون أي تعويض، وذبحنا أناسا كانوا يحملون عهد الأمان، وحاكمنا رجالا يتمتعون بسمعة القديسين في بلادهم، لأنهم كانوا شجعانا لدرجة أنهم صارحونا بحالة مواطنيهم المنكوبين»¹ ولكن اللجنة قد أوصت بالإبقاء على الجزائر ملكا لفرنسا وبإدارتها بواسطة حاكم عام عسكري.

وبناء على هذه التوصيات، فإن الحكومة الفرنسية قد أصدرت قرارها المشهور في 22 جويلية 1834 الذي اعترف بالإحتلال كحقيقة واقعة والذي نص على إنشاء منصب حاكم عام عسكري ليدر الممتلكات الفرنسية في إفريقيا الشمالية، وقد: « كان الجنرال درويت ديرلون هو أول حاكم عام للجزائر، يساعده مجلس مكون من موظفين عسكريين ومدنيين، وبينما أعلن قرار سنة 1834 أن الجزائر أرض فرنسية، فإنه قد قسمها إداريا إلى ثلاث ولايات تحت المراقبة المباشرة للحاكم العام، وكل ولاية كانت قد قسمت إلى دوائر وبلديات، تماما مثلما كان الحال في فرنسا، وبالإضافة إلى ذلك فإن كل ولاية كانت تبعث بنائب إلى المجلس الوطني الفرنسي»²

وتعرضت الجزائر منذ بداية الإحتلال عام 1830 إلى نوعين من الجيوش الغازية هجما عليها في وقت واحد: « أحدهما جيش مدجج بمختلف أسلحة الفتك والدمار المعروفة في ذلك التاريخ، وثانيهما جيش من نوع آخر إلا أنه لم يكن مدججا بالأسلحة كالجيش الأول، وإنما كان في شكل حمامة السلام، ولكن مهمته في الواقع تعتبر أخطر من مهمة الجيش الأول، ونعني به جيش المبشرين المسيحيين الذين حضروا إلى الجزائر في ركاب جيش الإحتلال لمساعدته في تحقيق أهدافه الاستعمارية»³.

وكان الجيش الأول يقوم بالهجوم على ناحية من النواحي القطر فيدمر مساكنها ويخرب مزارعها ويفتك برجالها ونسائها، وبعد أن ينهي مهمته على الوجه المطلوب: « يخلي مكانه للجيش الثاني

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 19، 20.

² المرجع نفسه، ص 20.

³ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 42.

كي يكمل بقية المهمة، حيث يأتي رجال التبشير يحملون الخبز والدواء والكساء في يد والصليب والإنجيل في يد أخرى، فلا يطعمون البطون الجائعة ولا يداوون الجروح الغائرة ولا يكسون الأجسام العارية، إلا إذا قبلت الضحية التخلي عن أقدم مقدساتها وهو دينها الحنيف ورضيت بالدخول في النصرانية»¹

و نشط هؤلاء المبشرون الذين أصبحوا فيما بعد يعرفون باسم "الأباء البيض" لتتصير أبناء الجزائريين وبناتهم ممن استشهد آباؤهم في ساحات الجهاد، دفاعا عن شرف بلادهم وحرمتها، كما استغلوا كوارث المجاعات والأوبئة الفتاكة التي اجتاحت الجزائر في عهد الاحتلال كي يجمعوا الأطفال الصغار في مراكز خاصة من أجل تنصيرهم: « والواقع أن سياسة فرنسا في الجزائر كانت تقوم منذ البداية على أربعة أسس أو قواعد التزمت بها حتى خرجت من الجزائر في عام 1962 وهذه الأسس أو القواعد هي: التفجير، التجهيل، التنصير، الفرنسة»².

ولهذا يمكن الإشارة إلى أن الجزائر قد ابتليت على مدى قرن واثنين وثلاثين سنة بالاحتلال الذي شرد أهلها واغتصب أرضها واستباح ثرواتها وخيراتها، وركز منذ البداية على: « إحكام السيطرة السياسية والإدارية على هذه الأرض وعلى شعبها، واستمرت فرنسا في سياستها القائمة على محو الشخصية الوطنية للشعب الجزائري بكل مقوماتها اللغوية والثقافية والروحية والحضارية، بقصد القضاء عليها باعتبارها العقبة الكبرى التي وقفت في وجه مخططاته لابتلاع الجزائر نهائيا»³

ويلاحظ أن عملية الدمج التي فرضها الاحتلال على الجزائر، ورفضها الجزائريون كانت ذات وجهين: « فمن ناحية تعتبر الجزائر بحكم تطبيق الامدماج عليها جزءا لا يتجزأ من فرنسا أو بالأصح من التراب الفرنسي، ومن الناحية الأخرى يعتبر الجزائريون أصحاب البلاد مواطنين من الدرجة الثانية يقومون بجميع الواجبات المطلوبة من المواطنين الفرنسيين، ولكنهم لا يتمتعون بحقوق وامتيازات المواطن الفرنسي من أصل أوروبي في المجالات السياسية والثقافية والاجتماعية، وعلى هذا فهم فرنسيون وغير فرنسيين في وقت واحد، فرنسيون في أداء الواجبات مثل الخدمة العسكرية والضرائب وغيرها، وغير فرنسيين من ناحية حرمانهم من حقوق المواطن الفرنسي

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 42.

² المرجع نفسه، ص 42، 43.

³ تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981، ص 74.

وخضوعهم لقوانين زجرية خاصة بهم وحدهم أطلق عليها اسم قوانين الانديجينا أو قوانين السكان المحليين وهي قوانين في غاية القسوة والبشاعة»¹

ولقد كان للسياسة الفرنسية في الجزائر منذ الاحتلال سنة 1830 ثلاثة أهداف: «الأول: صنع الجزائر الفرنسية بكل ما يعنيه ذلك من أبعاد، ثانيا: طمس التاريخ والشخصية الجزائرية وإزالتها من الاعتبار، ثالثا: قهر أي نوع من أنواع المقاومة التي يمكن أن تزجج أمن فرنسا في الجزائر واستخدام كل الأساليب والوسائل للوصول إلى ذلك الهدف».²

ثانيا: الأوضاع الاقتصادية

لقد كانت المسألة الاقتصادية هي العمود الفقري في سياسة فرنسا الاستعمارية في الجزائر، فالاقتصاد الجزائري هو السبب الأول الذي دفع فرنسا لاحتلال الجزائر، و كانت سياسة فرنسا الاقتصادية في الجزائر عملية اغتصاب ونهب عبر عنها الجنرال "بيجو" بقوله: «يجب أن يقيم الفرنسيون المستوطنون حيثما وجدت المياه الغزيرة والأراضي الخصبة، بدون أي اهتمام بحق ملكية الأرض التي يجب توزيعها على المستعمرين المستوطنين، وأن تصبح هذه الأراضي الخصبة من أملاكهم الشخصية».³

وبدأ المستوطنون في الاستقرار على أرض السهول الساحلية، ثم لم يلبثوا أن أخذوا في التوغل نحو السهول الداخلية، ونحو مناطق المناجم الصحراوية، وعملت الحكومة الفرنسية على تشجيع الأفراد الفرنسيين خاصة والأفراد الأوروبيين عامة على الهجرة والاستيطان في الجزائر، وكان: «القطاع الزراعي هو المورد الرئيسي والتقليدي للبلاد، ولقد عمل النظام الاستعماري على جمع أكثر الأراضي خصبا وتركيزها في قبضة الاقطاع الفرنسي، وأدى ذلك بصورة طبيعية إلى بؤس الموطن الجزائري كنتيجة حتمية لانتزاع الأراضي الخصبة منه وتقديمها للأوروبي، ونجم عن ذلك تفاوت هائل بين الملاك الأوروبيين والملاك الجزائريين».⁴

¹. تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 76 ، 77 .

² أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2007، ص 89 .

³ بسام العسلي، الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر، ط2 ، دار النفائس، بيروت، 1986 ، ص 19.

⁴ المرجع نفسه ، ص 20 ، 21.

و نتيجة لهذا الوضع كان الجزائريون ملزمين بأنواع مختلفة من الضرائب، حيث: « فرض عليهم مبالغ من المال وبعض المواد الغذائية للقياد وأعوانهم، ومما أدى إلى نقص الأراضي لدى الجزائريين واستيلاء الفرنسيين عليها الهجرات الجماعية للجزائريين، وما بقي من أراض في أيدي بعض الجزائريين، فبالإضافة إلى أنها كانت أقل خصبا من أراضي المستوطنين، فإن جهل الجزائريين وفقدهم لم يمكنهم من الاستفادة منها الاستفادة الصحيحة، كما أن المستوطنين تمتعوا بالقروض الفلاحية التي حرم منها أبناء البلد»¹ كما تعرضت البلاد إلى مجاعة خطيرة عقب الحرب العالمية الأولى عامي (1920 - 1921) وذلك: « بسبب الجفاف، وقد حاولت الإدارة الفرنسية في الجزائر إخفاء الأمر عن الحكومة الفرنسية في باريس، لولا تسرب المعلومات عن طريق الصحف الفرنسية، وكان ضحية هذه المجاعة بلا شك هو الشعب الجزائري إذ وصل عدد الضحايا إلى نصف مليون جزائري»².

هذا من الناحية الزراعية أما الصناعة والتجارة فلم تتطور كثيرا منذ بداية الاحتلال، إذ: « اقتصرت الصناعة على الصناعات الخفيفة للاستهلاك المحلي مثل تصنيع الأغذية، وبعض الصناعات الآلية والكهربائية والمنسوجات والجلود، وقد تركزت الصناعات في المناطق التي كان عدد الأوروبيين فيها يفوق عدد المسلمين، وكان لهم السيطرة على هذه الصناعات امتلاكًا وتشغيلًا وكذلك الأمر بالنسبة للتجارة فقد احتكرها المستوطنون واليهود، فكانت الجزائر تصدر الخمر لتستورد مقابلها من فرنسا ما يحتاجه وما لا يحتاجه القطر الجزائري مما تنتجه معامل ومصانع فرنسا»³.

كما عرفت الجزائر كل أنواع الكوارث الطبيعية والنكبات الاقتصادية والأزمات السياسية والمآزق الاجتماعية منذ أن وطئت جحافل الغزو الاستعماري الاستيطاني بأقدامها ثرى الجزائر، وكانت: « السياسة الوحشية التي طبقتها السلطات الفرنسية ضد الجزائريين أساس كل هذه المحن، التي عملت على تحويل الجزائريين إلى طبقة بئسة محرومة من كل ضرورات الحياة ومتطلباتها، فالعمليات العسكرية التي شنها الجيش الفرنسي، أدت إلى تدمير إنتاجهم الزراعي وثروتهم

¹ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مؤسسة عالم الأفكار، المحمدية، 2011، ص 41، 42.

² المرجع نفسه، ص 42.

³ المرجع نفسه، ص 42، 43.

الحيوانية، بالإضافة إلى تخريب صناعتهم التقليدية والقضاء على أسواقهم التجارية، وجاءت الغرامات والضرائب الباهضة المفروضة لتزيد من بؤس المواطنين الجزائريين»¹.

ولم تقف الكوارث الطبيعية عند حدود انتشار الأوبئة، وإنما تجاوزتها بسبب ما حدث من القحط والجفاف، مما أدى إلى نفاذ المحاصيل الزراعية والغذائية: «فمنذ العام 1865 والمطر يشح ولا ينزل إلا بمقدار، وفي أيام قليلة من فصل الشتاء، ودام هذا القحط ثلاث سنوات، وخاصة عام 1867 الذي قلت فيه حتى مياه الشرب، وجفت الينابيع في الصيف، واشتد البرد في الشتاء، فبيست الحشائش وماتت المواشي، وتفشت من جراء ذلك المجاعة في البلاد حتى أصبح الناس يؤرخون بها ويقولون حدث ذلك (عام الشر)، وقضت هذه المجاعة على أكثر من ثلاثمائة ألف جزائري، في حين قدر بعضهم عدد الضحايا بضعف هذا الرقم»².

وقد استغل اليهود المجاعة عامي 1867 و1868 لتنمية ثرواتهم وأرباحهم عن طريق القروض التي كانوا يقدمونها للمنكوبين بفوائد فاحشة تتراوح بين أربعين ومائة بالمائة لمدة شهرين أو ثلاثة فقط من العام: «مما جعل الكثيرين من الجزائريين يفقدون في نهاية الأمر أملاكهم ويتحولون إلى عمال بالخماسة، وبات من المحال على الجزائريين الوفاء بديونهم حتى عندما تخصب أراضيهم ويرتفع مردودها، إذ كان السماسرة اليهود والمعمرون من الأوروبيين يتدخلون لخفض أسعار الحبوب بنسبة عشرين وحتى ثلاثين بالمائة»³. وهكذا بقي سواد الشعب الجزائري المسلم نهبا للأمية والفقر المدقع والأمراض الفتاكة. و كان هذا التناقض الفاضح بين حياة أقلية مترفة وأكثرية ساحقة محرومة هو الصورة الغريبة والمثيرة لما كانت عليه الجزائر طوال فترة الاستعمار.

ثالثا: الأوضاع الاجتماعية

من ناحية الوضع الاجتماعي انقسم المجتمع في الجزائر بعد الاحتلال إلى مجموعتين من السكان: المجموعة الأولى وتتكون من الجالية الأوروبية التي وفدت إلى الجزائر في ركاب الاحتلال، وتمكنت من السيطرة على أهم: «النشاطات الاقتصادية في البلاد، وبالتالي أصبحت تحتل مركزا اجتماعيا ممتازا نظرا لثرائها وحماية دولة الاحتلال لها، ويتكون من بينها الاقطاعيون

¹ بسام العسلي، محمد المقراني، ط3، دار النفائس، بيروت، 1990، ص 99.

² المرجع نفسه، ص 100، 101.

³ المرجع نفسه، ص 102.

في الريف والرأسماليون في المدن، وكلمتها نافذة لدى حكومة الاحتلال في كل ما يتعلق بحاضر الجزائر أو مستقبلها، وبالرغم من أن أفراد هذه الجالية خليط من مختلف البلدان الأوروبية إلا أنهم من ناحية الجزائريين يقفون كتلة واحدة بقصد حرمانهم من كل تطور اجتماعي أو ثقافي أو اقتصادي يستهدف الارتفاع بمستواهم العام»¹.

أما المجموعة الثانية فهي تتكون من أفراد الشعب الجزائري وهم يحتلون: «المركز الأدنى من السلم الاجتماعي، ويعيشون على هامش الحياة، باعتبارهم مجموعة خاضعة للاحتلال من ناحية، ومكروهين من الجالية الأوروبية من ناحية أخرى، وهذا ما يفسر الحرمان الذي كان يعانيه الجزائريون في كل الميادين، ومما ساعد على تردي وضع الجزائريين من الناحية الاجتماعية هو إبعادهم عن الوظائف الإدارية في البلاد»².

وهناك سياسة خطيرة وهي سياسة " فرّق تسد " التي حاول الاستعمار نشرها واستغلالها، من ذلك: «إحداث خلافات مذهبية من حنفية ومالكية وإباضية، واختلافات بين الطرق الصوفية من قادية وتيجانية وغيرها، بالإضافة إلى الاختلافات العرقية فهذا عربي وهذا قبائلي وهذا ميزابي ، بل إن الاستعمار صنف العرب أصنافا منهم الحضري والأندلسي والبدوي»³.

ولقد حاول الاستعمار بكل الوسائل أن يمزق شمل الوحدة الوطنية للشعب الجزائري عن طريق العمل على إحياء العصبية الأمازيغية (البربرية) التي قضى عليها الإسلام ، وزعم أن الأمازيغ هم من أحسن الناس إسلاما وعروبة، لهم كيانهم الخاص ولغتهم الخاصة وأعرافهم الخاصة التي تختلف اختلافا كبيرا عن كيان ولغة وأعراف بقية الجزائريين. كما زعم أن: «الأمازيغ (البربر) لم يعتقدوا الدين الإسلامي إلا ظاهريا فقط، ولم يمس الإسلام شغاف قلوبهم، وأنه من أجل ذلك يجب أن يكون لهم وضع خاص بهم يتمثل في إحياء اللغة الأمازيغية والتقاليد والأعراف الأمازيغية الوثنية التي ينبغي حسب زعمه أن تكون هي الأساس الذي يحتكمون إليه من الناحية القانونية في أمور الأحوال الشخصية بدل الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية»⁴.

¹. تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 90.

². المرجع نفسه، ص 91 .

³. مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 44.

⁴ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والترقية في الجزائر، مرجع سابق، ص 20 ، 21.

وقد بنى الاستعمار الفرنسي زعمه الباطل هذا على أساس أن الجزائر يقطنها: « عنصران مختلفان من السكان هما: العرب من ناحية، والأمازيغ (البربر) من ناحية أخرى، حتى أنه كون جهازا تعليميا خاصا بهم، وحرّم التحدث بينهم باللغة العربية، وقصره على اللغة الفرنسية واللهجة البربرية وحدهما، كما منع تكوين المدارس العربية الحرة والكتاتيب القرآنية لتعليمهم أبناءهم القرآن الكريم والدين الإسلامي».¹

ولم تقف جهود فرنسا عند حدود أعمال الإبادة المباشرة للجزائريين، وإنما تجاوزتها إلى أعمال الإبادة غير المباشرة وفي طبيعتها: « إهمال الناحية الصحية، ونقل الأمراض والأوبئة إلى الجزائر ومنها أمراض السل والسرطان والأمراض التناسلية، ومعروف أن الجزائر وإفريقيا كلها عامة لم تكن تعرف قبيل الاحتلال الفرنسي شيئا عن مثل هذه الأوبئة، ولم يأت بهذه الأمراض الفتاكة غير جنود الحملة الفرنسية المكونين من السجناء واللقطاء والمرتزقة، وهكذا فقد رافقت الحملة الفرنسية حملة أخرى من الأوبئة المخيفة التي صدرها المجتمع الفرنسي القذر».²

ولعل من أبرز الأمراض التي انتشرت في أوساط المجتمع الجزائري مرض الكوليرا والتيفوس، وكان: « وباء الكوليرا قد ظهر في العام 1866 بشكل محدود، ثم تعاظم خطره في العام 1867، وانتشر في البلاد عن طريق المسافرين الأجانب الذين كانوا يفدون إلى البلاد عن طريق الموانئ، ومع انتشار الكوليرا انتشر أيضا مرض التيفوس، فأخذ الجزائريون يموتون بالجملة في القرى والطرق العامة، مما أرغم السلطات الفرنسية على تسخير السكان لحفر الخنادق العميقة لدفن الموتى، وذكر أن عدد الضحايا الذين ماتوا خلال شهرين فقط قد وصل إلى مائتي وخمسين ألفا».³

ونتيجة لهذه الوضعية المتردية، فقد ضاقت الجزائر بأبنائها، بعد أن استحوذ الأوروبيون على الأراضي الخصبة وطردها أصحابها الشرعيين إلى الجبال الجرداء والمناطق القاحلة مما اضطرهم إلى الهجرة من بلادهم إلى فرنسا، وإذا كان القصد: « من هجرة الأوروبيين إلى الجزائر هو ملء البلاد بجنس آخر غير سكانها الأصليين، فإن هجرة الجزائريين إلى فرنسا وهي الهجرة المقابلة لها لم يكن الدافع إليها هو حب السيطرة، أو إحلال شعب محل شعب آخر، بل كان الدافع إليها

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 21.

² بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، ط2، دار النفائس، بيروت، 1983، ص 37.

³ بسام العسلي، محمد المقراني، مرجع سابق، ص 100.

اقتصاديا واجتماعيا ونفسيا، وهو البحث عن مصدر للعمل الشريف والشعور بالكرامة الإنسانية المهذورة في الجزائر والبحث عن جو تتوفر فيه الحرية الشخصية المفقودة في ظل الاحتلال».¹

رابعا: الأوضاع الثقافية

إذا كان الوضع الثقافي لأي مجتمع يعتبر انعكاسا لواقعه السياسي وبنائه الاقتصادي وتركيبته الاجتماعية، فلا شك أن حالة الجزائر من الناحية الثقافية: «تعتبر سيئة للغاية نظرا للضغوط العنيفة التي تعرض لها الشعب الجزائري خلال قرن وتلت من الاحتلال، والواقع أن الاستعمار بعد أن بسط نفوذه على الجزائر حارب اللغة العربية والثقافة العربية، كما حارب الشخصية الجزائرية حربا لا هوادة فيها، ولما كانت اللغة العربية هي وعاء الثقافة العربية، فقد ركز الاحتلال حربه عليها لأنه متى تم القضاء عليها يمكن القضاء على الثقافة العربية والشخصية الجزائرية بسهولة ويسر»²

لهذا منذ أن وطئت أقدام الاحتلال الفرنسي أرض الجزائر حتى بدأ في طمس معالمها العربية الإسلامية، وإحلال المعالم الفرنسية بدلها، وقد شمل ذلك كل المدن بدون استثناء، ولكن بدرجات متفاوتة، وشرعوا في ذلك منذ الوهلة الأولى مما يدل على عزمهم على البقاء والاحتلال الدائم خلافا لمن يزعم أنهم كانوا مترددين في البقاء وعدمه، وشمل الطمس: «تغيير الشوارع وأسمائها، وتهديم المنازل والأسواق القديمة وإحداث الساحات مكانها، وتحويل الدور والفيلات والقصور إلى مؤسسات عمومية للجيش والمستشفيات ونحو ذلك، وقد بيعت دكاكين وأضرحة وغيرها إلى الأوروبيين ليتاجروا فيها، كما جرى تحويل المساجد إلى كنائس ومخازن ومستشفيات، وتهديم بعضها نهائيا دون استبدالها بأخرى، ونفس الموقف كان مع المدارس والكتاتيب والزوايا».³

وكانت الكنيسة الكاثوليكية سريعة الترحيب باحتلال الجزائر عام 1830، ففي: «مرسيليا صرح رجال الدين بصراحة أن الأرض الجديدة ستوظف في إطفاء حماسة المبشرين الفرنسيين، وفي سنة 1838 أحيا البابا جريجوري السادس عشر أسقفية شرشال وعين الحبر دويوش رئيسا لها وتعهد أن

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 28 ، 29.

² تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 93 ، 94.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992، ص 66.

يعيد الأرض التي جعلها القديس أوغسطين ذات يوم مشهورة إلى الدين الحقيقي»¹.

واعتقد الفرنسيون أن سقوط الجزائر يعني سقوط قلعة إسلامية وعودة المسيحية إلى ديارها، ففي: «يوم الأحد الموالي لدخولهم مدينة الجزائر - أي يوم 11 يوليو 1830 - أقاموا حفلا دينيا ضخما في الساحة الرئيسية للقصبة، حضره الجنرالات والضباط والجنود، وها هو أحد الفرنسيين المعاصرين يروي لنا مشاعره في ذلك فيقول إن الاحتفال الضخم جرى في القصبة التي بناها أبناء محمد ﷺ لمواجهة أبناء عيسى (عليه السلام)، وقد رتلوا آيات الانجيل بأصوات عالية أمام آيات القرآن التي أصبحت ميته. وليس هذا الاحتفال خاصا بمناسبة نجاح الغزو الفرنسي، بل إنه تكرر في مختلف المناسبات»².

وكانوا يعتبرون الجنود الذين ماتوا في الجزائر شهداء المسيحية، وهذا: «أحد كُتّاب فرنسا المتحمسين للاستعمار الديني وهو (بوجولا) يكاد يتفجر فرحا بانتصار الصليب على الهلال في الأرض الإفريقية (الجزائر) ويعلن أن الفرنسيين قد علقوا الصليب منذ البداية على ثلاث مآذن في مدينة الجزائر، وفي نظره أن قتلى الحملة من الفرنسيين هم (شهداء الحضارة والوطن والمسيحية)، واعتبر أن دماءهم قد وطدت دعائم الكنيسة المسيحية في الجزائر»³.

لقد كان في مدينة الجزائر وحدها يوم وطئتها أقدام الصليبيين الفرنسيين سنة 1830 مائة وستة مساجد، وعندما حرر المسلمون الجزائريون بلادهم سنة 1962 لم يكن في عاصمة الجزائر أكثر من ثمانية مساجد فقط . و بدأت عملية احتلال المساجد مع البدايات الأولى لغزو الجزائر، ففي سنة 1832 صرح "روفيغو" : « بأنه يلزمني أجمل مسجد في المدينة لنجعل منه معبد إله المسيحيين، عجلوا بذلك فجامع كتشاوة هو أجمل مسجد في المدينة خاصة وأنه يتاخم القصر ويقع وسط الدوائر الحكومية والحي الأوروبي»⁴

¹ أندري ديرليك، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، ترجمة: مازن بن صلاح مطبقاني، (د ط)، عالم الأفكار، الجزائر، 2013، ص 77.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1، مرجع سابق، ص 79 .

³ المرجع نفسه، ص 80 .

⁴ بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 31.

وتملك الجزائريون الفزع وهرعوا إلى المسجد يحمونه بقلوبهم ودخل أربعة آلاف منهم رحاب المسجد، وأقفلوا الباب عليهم، وقد عقدوا النية على الاستشهاد معه، وفي: « يوم 18 ديسمبر 1832 حضرت قوات من المدفعية والمشاة الفرنسيين وأحاطوا بالمسجد، واقتربت فرقة من حاملي الفؤوس وأخذت تكسر الباب الموصد، وبينما كان صياح الأهالي واستغاثاتهم تملو عنان السماء، كانت القوات الفرنسية تفتح رحاب المسجد وتتطلق بوحشية وهي تطعن الأهالي بحد الحراب والسيوف، وقتل الجزائريون عن آخرهم وطلّي الجامع بدمائهم، وقام القساوسة يتلون أناشيد الغفران على أشلائهم الممزقة، وتم تحويل المسجد إلى كنيسة عرفت باسم (كنيسة سان فيليب) ».¹

وبهذا حاول الاحتلال أن يعزّز عملية غزوه العسكري للجزائر بغزو ثقافي وفكري، سعى من ورائهما إلى محاولة تحطيم الشخصية الوطنية للشعب الجزائري، حتى يجرده من أهم وأخطر أسلحة المقاومة المعنوية التي جعلته يحتفظ بكيانه العربي الاسلامي، وذلك من خلال محاولة إخراج الجزائريين من دينهم الإسلامي وتحويلهم، كي يصبحوا مسيحيين يحملون عقيدة المحتل لبلادهم وهذا يعني إحلال الديانة المسيحية محل الديانة الإسلامية في الجزائر، حتى ينهار مقوم من مقومات الشخصية الجزائرية وهو الإسلام: « إن فرنسا بادرت منذ الأيام الأولى للاحتلال إلى الاستيلاء على أوقاف الدين الإسلامي، وإلى تحويل عدد كبير من مساجد وجوامع الجزائر إلى كنائس للنصارى أو بيع لليهود رغم معارضة الجزائريين ومقاومتهم الشديدة لهذا الاعتداء على الإسلام ومقدساته، ومن ذلك عدد من الجوامع في العاصمة من بينها جامع كيتشاوة وجامع الباي في قسنطينة وعدد من المساجد في عنابة ووهران».²

ولهذا كان أول مشروع قام به الاستعمار في قطر الجزائر، بعد تفويض أسس الدولة الجزائرية، هو إلحاق: «الأوقاف الإسلامية بممتلكات الدولة سنة 1830، فكل المساجد الإسلامية والمؤسسات الإسلامية، قد أصبحت من ممتلكات الدولة الفرنسية الخاصة، تفعل بها ما تشاء، فهدمت منها على هذه القاعدة ما هدمت».³

¹ بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 31، 32.

² تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 110، 111.

³ أحمد توفيق المدني، هذه هي الجزائر، (د ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001، ص 147، 148.

لم تكن عملية التدمير لأماكن المسلمين المقدسة إلا واحدة من وسائل التدمير المادي والمعنوي، وكانت الوسائل الأكثر خطورة هي: « أعمال الإبادة الوحشية للمسلمين، نشر الأمراض والأوبئة وإهمال الشؤون الصحية، إفساح المجال للإرساليات التبشيرية حتى تكمل عملها فيما أطلق عليه سياسة التنصير، توجيه التعليم بما يتوافق مع الأهداف الاستعمارية»¹.

كما سعى الاحتلال إلى القضاء على اللغة العربية والثقافة العربية، وهذا تماشيا مع سياسة الفرنسة والادماج، حيث قضى على: « معظم مراكز الثقافة العربية واللغة العربية التي تتمثل في المدارس والجوامع والزوايا وكانت قائمة في البلاد قبل الاحتلال، فالبعض منها حوله إلى معاهد للثقافة الفرنسية وبعضه سلمه إلى الهيئات التبشيرية المسيحية التي اتخذته مراكز لنشاطها في هدم عقيدة الجزائريين والبعض الآخر قام بهدمه تحت دعوى إعادة تخطيط المدن الجزائرية»²، كما نهب الاحتلال التراث الثقافي العربي الاسلامي الذي عثر عليه في المكتبات الجزائرية مثل المخطوطات والوثائق والكتب، فقد كان: « ضباط جيش الاحتلال الفرنسي ورجال الدين المسيحي الذين رافقوه في عمليات الغزو ينهبون المكتبات الجزائرية التي يعثرون عليها في مختلف جهات القطر سواء كانت عامة أو خاصة، ويرسلون بمحتوياتها إلى ذويهم في فرنسا، أو يبيعونها لتجار الكتب الأوروبيين الذين يأخذونها إلى أوروبا»³.

ولهذا كان على رأس الأولوية السياسية عند فرنسا بالنسبة للجزائر هو سياسة التجهيل، بمعنى العمل على تجهيل الشعب حتى تسهل السيطرة عليه، أو العمل على برمجه ضمن سياسة تعليمية خاصة تخرجه من ثقافته الإسلامية، وتجعله يدور في فلك ثقافة فرنسا، وقد وجهت جنودها إلى تخريب المكتبات وتمزيق الكتب أو سرقتها، حتى أن: « أحد الكتاب الفرنسيين (بربروجر) قال أنه كان لكل جندي قرآنه، وهو يعني أن الجنود كانوا يعتبرون كل ورقة مكتوبة بالعربية قرآنا، فكان منهم من يقوم بحرقها وإتلافها، ومنهم من يأخذها ويرسلها ذكريات وهدايا إلى أهله»⁴،

¹ بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 33.

² تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 95.

³ المرجع نفسه، ص 96.

⁴ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، مرجع سابق، ص 89.

وقام الفرنسيون بإحراق وتخريب الكتب والمخطوطات التي كانت موجودة في مكتبة الأمير عبد القادر الجزائري، ويقول المؤرخون: « إن الأمير عبدالقادر أصابته نوبة من الحزن الشديد وهو يتتبع آثار الطابور الفرنسي مسترشدا بالأوراق المبعثرة في الصحراء التي انتزعها الجنود الفرنسيون من الكتب التي عانى الكثير في جمعها، وهذا هو تفسير ظاهرة انتشار المخطوطات العربية في مكاتب البلديات الفرنسية في معظم مدن فرنسا»¹

¹. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 96 ، 97.

المبحث الثاني: الحركة الفكرية والإصلاحية قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

في ظل الاحتلال الفرنسي وبفعل السياسة المنتهجة من التفتير والتجهيل والتنصير والفرنسة، ظهر بعض المفكرين والمصلحين كانت لهم بصمة في الحياة الثقافية وتأثير عميق في بعث الحركة الفكرية والإصلاحية في الجزائر، بهدف التصدي لمخططات الاحتلال ومشاريعه.

أولاً: الحركة الفكرية

على الرغم من أن جرائم الاحتلال الفرنسي كانت غاية في القسوة، إلا أن النخبة المثقفة أمام هذا الواقع المأساوي، قد حاولت بكل الطرق للحفاظ على هوية ومقومات الشعب الجزائري. والتصدي لكل مخططات الاستعمار الفرنسي، ولعل من أبرز هذه النخب حمدان خوجة، محمد بن محمود العنابي، محمد بن مصطفى بن الخوجة، محمد بن أبي شنب.

1 - حمدان خوجة (1773 - 1840):

كان للمحيط الذي نشأ فيه حمدان خوجة أثره البالغ في تكوينه الثقافي وتحديد شخصيته، وقد سمحت له ثقافته الواسعة بالإطلاع على ما كان يجري في كل أوروبا، ويعي أحوالها وأزماتها السياسية، ويدرك أهداف النهضة الثقافية فيها، لذلك حاول حمدان خوجة أن يقدم لأبناء وطنه بعض ما كان يؤمن به لصالحهم، وذلك من خلال كتبه، ولعل من أبرز مؤلفاته: كتاب (المرأة) الذي ألفه في باريس سنة 1833، ويعتبر: « كتابه (المرأة) أو ما أسماه بـ (لمحة تاريخية وإحصائية عن دولة الجزائر) مرآة للجزائر، من خلاله نستطيع أن نتعرف على الجزائر، ونحصل منه على كل ما يتصل بشؤون الجزائر: تاريخيا وجغرافيا واجتماعيا»¹ وكتاب (إتحاف المنصفين والأدباء عن الاحتراس من الوباء) الذي ألفه سنة 1836، وموضوع هذا الكتاب يتمحور حول: « وجوب الأخذ بالحضارة الأوروبية في مجال الوقاية من الأمراض، وسبل معالجة بعض منها، وذلك رغبة منه لإيقاظ الشعب من الطرق التقليدية البالية فيما يخص الوقاية من العلاج »²

¹ محمد الطيب عقاب، حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 26، 27.

² المرجع نفسه، ص 25، 26.

و يعتبر حمدان خوجة من البداية أن قضية الجزائر قضية خطيرة لأنها تتعلق بمصير أمة وتهديدها في كيانها ووجودها: « إن مسألة الجزائر مسألة خطيرة، لأنها تخص حياة أمة بأجمعها، تتكون من عشرة ملايين نسمة، وهي الآن من سوء الحظ في نقصان يتزايد من يوم لآخر بسبب الحرب، والبلاد يقودها الظلم والطغيان منذ ثلاث سنوات».¹

ويعتقد أن فترة الاحتلال الفرنسي للجزائر في السنوات الثلاثة الأولى تفرض عليه أن يقوم بتوضيح الوضع الحقيقي للجزائر قبل الاحتلال وبعده: « إن كل ما وقع في الجزائر، منذ ثلاث سنوات، يفرض علي واجبا مقدسا يتمثل في التعريف بالوضع الحقيقي لهذا البلد قبل الغزو وبعده، وذلك لألفت انتباه رجال الدولة إلى هذا الجزء من العالم، ولأقدم لهم ما لدي من معلومات وأنورهم حول بعض النقاط التي لا شك أنهم يجهلون، أفعل ذلك لعلمهم بيدون عطفهم على الجزائريين عندما يرون أوضاعهم».²

وتساءل حمدان خوجة: لماذا تتعرض الجزائر للاحتلال والظلم والطغيان وللإبادة والتشريد في حين أن بعض الدول كالليونان وبلجيكا وبولونيا يتم تحسين ظروفها ووضعها، وتقدم لها يد المساعدة: « إنني أتساءل لماذا تزرع بلادني في جميع أسسها وتصاب في جميع مبادئها الحيوية، وإلى جانب ذلك أنظر إلى الأوضاع التي توجد عليها دول أخرى مجاورة لنا، إنني أرى اليونان تساعد وتتكون على أساس متين، وأرى شعب بلجيكا يفصل عن هولندا بسبب بعض الاختلاف في المبادئ السياسية والدينية، وأرى جميع الشعوب الحرة تهتم بالبولونيين وباسترجاع سيادتهم، كما أنني أرى الحكومة الإنجليزية تخلد مجدها بعثق الزنوج، وعندما أدير البصر إلى بلاد الجزائر، فإنني أرى هؤلاء السكان المساكين يرزحون تحت نير الاستبداد معرضين للإبادة ولجميع آفات الحرب، وتلك المظالم كلها التي ترتكب باسم فرنسا الحرة».³

و لقد كان حمدان خوجة من الأعيان وذاق مرارة الاحتلال، وشاهدا حيا على تلك الفترة الهامة من التاريخ الجزائري الحديث، و كان يعتقد أن عصر العبودية قد ولى وعصر التحرر قد حان:

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبييري، (د ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، ص 08.

² المرجع نفسه، ص 07.

³ المرجع نفسه، ص 07، 08.

« لقد كنا نعتقد أن الأفكار التعصبية الضيقة قد نسيت في القرن التاسع عشر، وإن عصر تحرر الشعوب قد حان، وأنه أصبح من المحتوم اعتبار جميع سكان المعمورة كأسرة واحدة»¹ كما بين نوايا فرنسا السيئة تجاه الجزائر، وأوضح معاملاتها غير الإنسانية ضد الشعب الجزائري، وأدرك أن الظلم لا يدوم، وأن لكل ظالم نهاية: « فبتلك السياسة، وبتابعهم تلك الطريقة، استطاعوا أن يحكموا هذا الشعب، وأن يكتسبوا قلوب الإفريقيين الذين لم يستعملوا معهم أبدا لا القوة ولا العنف، إن الظلم لا يدوم، والعدالة خالدة، والحرية هي أساس النظام الاجتماعي»².

2 - محمد بن محمود العنابي (1775 - 1851):

إشتهر الشيخ محمود العنابي بالحنكة والخبرة الدبلوماسية والدراية بالشؤون العسكرية مع معرفة واسعة لشؤون القضاء، وقد عاش فترة الاحتلال الفرنسي والإسباني، من أبرز مؤلفاته: (صيانة الرياسة ببيان القضاء والسياسة) و(السعي المحمود في نظام الجنود)، وقد كان: « نموذجا للمثقف الملتزم والمنشغل بهموم أمته، والمشارك في مسيرة التغيير وحركة التجديد، لقد كرس قلمه لنقد الأوضاع السائدة في الجزائر والعالم العربي والإسلامي، ورسم معالم الطريق للنهضة. وخلافا لكثير من العلماء الذين سبقوه وعاصروه، اعتبر ابن العنابي أن الخلل ليس في الأمة وحدها، وإنما في السلطة بالدرجة الأولى»³.

ففي مجال السياسية تطرق محمود العنابي إلى طبيعة نظام الحكم، الذي حسب رأيه لا بد أن يقوم على ثلاثة مبادئ: « المبدأ الأول هي الليونة ويقصد بها المرونة وعدم التشدد في الموقف والتسامح والتعامل مع الآخر بالإحسان. أما المبدأ الثاني فيتمثل في الشورى ومعناها الإنصات إلى الآراء المختلفة وعدم الإستبداد بالرأي والإنفراد بالحكم والقرار، والمبدأ الثالث عنصر الكفاءة، وهي إسناد الأمر إلى من تتوفر فيه المعرفة والخبرة والتجربة والقدرة، وليس إلى من يجري وراءها، ويبيح كل محذور من أجل الوصول إليها وإن كان غير مؤهل لها»⁴.

¹ حمدان بن عثمان خوجة، المرأة، مرجع سابق، ص 139 .

² المرجع نفسه، ص 268 .

³ مولود عويمر، الفكر الإصلاحى المعاصر وقضايا التنوير، (د ط)، دار الهدى، الجزائر، 2017، ص 10.

⁴ المرجع نفسه، ص 12.

وفي مجال الأمور العسكرية، قد رأى ابن العنابي أن الأمور الحربية هي بمثابة قوة مادية أو معنوية لردع الأعداء والخط من شأنهم، واعتبر كل ذلك أمراً شرعياً، ومما جاء من كلامه في هذا المعنى قوله: « نعني بها كل ما أنتج قوة محسوسة أو معقولة على دفاع الأعداء وإرهابهم وإغاضة نفوسهم وإتعايبهم، فكل هذه المعاني أمور شرعية، لأن فيها إذلال الكفرة وعز الإسلام، وأنه المقصود الأعظم من شرعية الجهاد».¹

ومما يلفت النظر أن ابن العنابي يرى أن ما جاء به الأوروبيين من جديد في نظام الجيش تتلازم فيه الفكرة العسكرية والسياسية للارتباط الوثيق بينهما، لأنه لا جيش بدون حكم ولا حكم بدون جيش، وقد جاء في نص كلامه ما يلي: « اعلم أولاً أنه قد عرف أن ترتيب نظام الجند على الوجه الذي ابتدعه الكفرة يحصره أمران: أحدهما أمور حربية، والثاني أمور سياسية».²

فالأوروبيون في رأيه قد نظموا جندهم ليضروا بالإسلام وأهله، وأمام هذا الخطر الداهم أصبح من المحتم على المسلمين أن يتعلموا منهم ما اخترعوه من صنائع ونظم، لأن في ذلك مصلحة عليا للدين والأمة الإسلامية، حيث قال: « لما حدث في هذه الأعصار الآخرة، تناول طغاة الأمم الكافرة، بترتيب أجنادهم على طريقة محكمة ابتدعوها، وتدريبهم على فنون حيل اخترعوها، قصد المكيدة للإسلام وأهله، وسعياً في استباحة حماه وتمزيق شمله، عظم الخطب، فدعت ضرورة الحال إلى استعلام ذلك من قبلهم، والتدريب على ما ألفوا من صنائعهم وحيلهم».³

3 – محمد بن مصطفى بن الخوجة (1865 - 1915):

يعد من أوائل تلاميذ الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده الذين نشروا مبادئه الإصلاحية في الجزائر، وله مواقف معروفة في مقاومة الاستعمار الفرنسي وفي مجال الإصلاح ومحاربة البدع في الجزائر، وقد ألف مجموعة من الكتب الرائدة مثل: (الاكتراث بحقوق الإناث) و (اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب) و (إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام).

¹ أبو القاسم سعد الله، رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990، ص 64، 65.

² المرجع نفسه، ص 62، 63.

³ المرجع نفسه، ص 60، 61.

ففي مجال الإصلاح اعتبر محمد بن مصطفى بن الخوجة أن للمرأة دور جوهري في مجتمعها ككل، وفي أسرتها بشكل خاص، بل إن دورها يعتبر دوراً رئيسياً وهاماً، لأنها الركيزة الأساسية داخل الأسرة، فهي من تزرع في نفوس الأبناء كل مبادئ الحياة، سواء كانت مبادئ صحيحة أم خاطئة، لذلك يجب الاهتمام بتعليم المرأة وتوعيتها، لأن المسؤولية التي تقع على عاتقها كبيرة جداً، وتحتاج إلى دراية ومعرفة، ولا يمكن بأي حال من الأحوال الاستغناء عن دورها داخل الأسرة والمجتمع، لذلك أكد على ضرورة تعلم المرأة للكتابة والقراءة: «... وباليت شعري ما أيما أجمل بالمرأة أن تشتغل بمطالعة الكتب المشتملة على أنوار التنزيل وأسرار التأويل، أم تقعد مشتغلة بالقليل والقال، والوساوس والأضاليل... فلعمري إن حصول النساء على ملكة الكتابة والقراءة وعلى الأدب والمعارف لهو أجل شيء بهن، وبالجملة فإن جهل النساء ليهوي بهن في مهاوي مخيفة ويجرهن إلى مفاسد كثيرة، ويحملهن على الاعتقادات الفاسدة».¹

وأهمية تعليم المرأة لا يقتصر حسبه على الأهمية الشخصية بالنسبة لها، بل إنه يجعل لها دوراً فاعلاً في مجتمعها، من ناحية تربية الأولاد وترتيب أمور البيت وإتقان بعض الصنائع، كل ذلك يساهم في رفعة المجتمع وتطوره ورفعة أخلاق أبنائه: «... وإنما المراد أن تحصل المرأة على الواجبات الشرعية وحقوق الزوجية، وإتقان الخياطة والنسج والتطريز، وينبغي أن يكون لها إمام بمبادئ بعض الفنون بقدر ما تصون به أمور منزلها من النظافة، وحسن الترتيب والتدبير وتربية الأولاد، لأن الأم هي المدرسة الأولى للأطفال حتى إذا انتظمت لها تلك الأمور نالت العيشة الراضية والمنزلة العالية، وذلك مما يزيد جمالاً وعفة وكمالاً».² أما عن اللباس، فالأصل فيه الإباحة، أي أن المسلم له أن يلبس ما يشاء مما يصنعه هو أو يصنعه له غيره من المسلمين وغيرهم، شريطة أن يكون هذا اللباس لا يخالف شريعة الله: «والحاصل أنه لا حرج على من لبس الثياب الجيدة الغالية القيمة، إذا لم تكن مما حرمه الله، ولا حرج على من تزين بشيء من الأشياء

¹ محمد بن مصطفى بن الخوجة، الاكتراث بحقوق الإناث، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012، ص 81.

² المرجع نفسه، ص 80.

التي لها مدخل في الزينة ولم يمنع منها مانع شرعي، ومن زعم أن ذلك يخالف الزهد فقد غلط غلطا بيّنا»¹.

كما تطرّق محمد بن مصطفى بن الخوجة إلى قضية التعصّب الديني، حيث أكد على أنّ الإسلام قد نبذ التعصب ودعا إلى التسامح والتعايش المشترك مع أهل الأديان السماوية الأخرى: «... وما أحوج الناس أجمعين من بوذيين ومسلمين ومسيحيين وإسرائيليين وغيرهم إلى حكماء لا يبالون بغوغاء العلماء الغفل الأغبياء والرؤساء القساة الجهلاء، يجدّدون النظر في الدين فيعيدون النواقص المعطلة ويهذبونه من الزوائد الباطلة مما يطرأ عادة على كل دين يتقادم عهده فيحتاج إلى مجددين يرجعون به إلى أصله المبين البريء من حيث تمليك الإرادة والسعادة في الحياة من كل مايشين... ولا ريب في أن دين الله في جميع الأزمان واحد وهو كما في رسالة التوحيد إفراده تعالى بالربوبية والاستسلام له وحده بالعبودية وطاعته فيما أمر به ونهى عنه مما هو مصلحة للبشر وعماد لسعادتهم في الدنيا والآخرة»².

4 – محمد بن أبي شنب (1869 - 1929):

لقد عاش محمد بن أبي شنب فترة حياته في ظل الاحتلال الفرنسي للجزائر، و كان يتقن العديد من اللغات إلى جانب اللغة العربية مثل الفرنسية والانجليزية والاسبانية والألمانية واللاتينية والتركية والعبرية والفارسية، وأحرز شهادة الدكتوراه في الآداب بدرجة ممتازة سنة 1920 من جامعة الجزائر، وتحصل عليها بعد تأليفه لكتابين: أحدهما حول الشاعر العباسي أبودلامة، والثاني بحث لغوي عن الألفاظ التركية والفارسية المستعملة في لغة أهالي الجزائر. ورغم ذلك بقي محافظا على زيه الجزائري التقليدي. إذ كان: «مخلصا لدينه، و متمسكا بلباسه التقليدي، ولكي لا يتكرر لتقاليدِه الاسلامية، لم ير من الواجب أخذ الجنسية الفرنسية مما يجبره على التخلي عن الشرائع الاسلامية وعن منزلته الشخصية، وبالرغم من كل هذا، فقد كان مشبعا بالثقافة الفرنسية»³.

¹ محمد بن مصطفى الخوجة، اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012، ص 182.

² محمد بن مصطفى الخوجة، إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012، ص 124.

³ عبد الرحمان بن محمد الجبالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983، ص 138.

وبهذا كان محمد بن أبي شنب بحق بمثابة الرمز الحي للتوفيق بين الثقافتين العربية والفرنسية وهمزة وصل بين المدينتين الشرقية والغربية. فقد: « استطاع أن يأخذ من الآداب الفرنجية ما شاء ويقتبس من نفائس المدنية الأوربية القدر الوفير بدون أن يعود ذلك بأدنى أثر سيء على ثقافته العربية وبزته الجزائرية وأخلاقه الإسلامية وتقاليده الشرقية، بل أخذ أحسن ما عند الغير واحتفظ بأحسن ما عند قومه، ولم تبهره المدنية الغربية بخيالاتها وسرابها وبروقها الخلب، كما أنه لم يبخسها حقها فيعرض عنها تماما». ¹

وعرف عنه اهتمامه بجميع الميادين ما عدا السياسة، وهذا ما أشار إليه عبد الرحمن الجيلالي حين قال عنه: « كان شيخنا يخوض مع محدثه أو تلميذه أو صديقه في كل ميدان إلا ناحية واحدة لا يحوم حولها ولا يقرب ساحتها، وهي جانب السياسة فلم تتقل عنه كلمة واحدة في هذا الموضوع الشائك ولعله في ذلك كان متأثرا بكلمة الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده القائل: أعوذ بالله من السياسة ومن لفظ السياسة ». ²

وابتعاده عن السياسة جعل منه ينقطع للعلم، و يكون مثالا كاملا للجهد والنشاط والانقطاع للتأليف والبحث والتحقيق، وأخذت أبحاثه في مجال تحقيق التراث الجهد الأكبر، لكون الدوائر الإستشرافية الفرنسية اهتمت بهذا الجانب ورغبت فيه، وقد قام بعضهم بترجمة ونشر بعض الكتب المتعلقة بالتراث الجزائري، واستغل ابن أبي شنب مكانته بينهم فخدم التراث الجزائري بصفة خاصة والتراث العربي بصفة عامة دراسة وتحقيقا، حيث: « أنتج ما ينيف على الخمسين كتابا في سائر العلوم المتداولة واللغات الغابرة والعادات والتقاليد السابقة، غير أن المتأمل فيها يجدها لا تخرج عن حد العلوم الأدبية وبمعزل عن الروحانية أو ما وراء الطبيعة، وقد أحيا بعضها بالتأليف والنشر والتحقيق، وبعضها بالتنقيح والتصحيح أو بالشرح والتعليق» ³

وحرصه الكبير على التراث العربي والإسلامي بصفة عامة والتراث الجزائري بصفة خاصة دراسة وتحقيقا وشرحا وتعليقا وتصحيحا، جعله يولي اهتماما بأعمال المستشرقين، إذ أصبح ابن أبي شنب معروفا في عالم الاستشراق، فكان: « على صلة وطيدة بالمستشرقين الفرنسيين الذين

¹ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 129

² المرجع نفسه، ص 143.

³ المرجع نفسه، ص 30، 31.

احتضنوه فأصبح ينشر في مجلاتهم ويحضر مؤتمراتهم ويترجم لهم الوثائق العربية ويكتب على طريقتهم، ومن أكبر مؤيديه منهم أستاذه رينيه باسية وصديقه هنريه ماسية والفريد بيل ولبفي بروفنسال، وكان أول دخول ابن أبي شنب في ميدان المستشرقين مساهمته في مؤتمرهم الدولي الرابع عشر الذي انعقد بمدينة الجزائر سنة 1905م، وكان آخر مؤتمر حضره لهم هو المؤتمر السابع عشر الذي انعقد بمدينة اكسفورد سنة 1928م¹

ومما قاله الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يوم تأبينه في يوم الأربعاء: « مات محمد فأيقن زملاؤه وشركاؤه في الصنعة أنهم فقدوا ركنًا من أركان العلم الصحيح، وعلمًا من أعلام التاريخ الصحيح، ومثالا مجسما من الأخلاق العالية والخلال الرفيعة، لا بل فقدوا معيارا من أصدق المعايير لقيم الروايات وعينا لا تغر صاحبها بالسراب، لا بل فقدوا عقلا هذب العلم وعلمًا هذب العقل فأنتجا خير النتائج، لا بل فقدوا مثالا كاملا من حياة العمل والنشاط والعبادة للعلم والفناء في العلم»².

ثانيا: الحركة الإصلاحية

النهضة الجزائرية التي أحدثتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لم تكن وليدة الصدفة، بل جاءت كمحطة لجهود بعض العلماء أمثال عبد القادر المجاوي وصالح بن مهنا وعبد الحليم بن سماية والمولود بن الموهوب، الذين كانوا بمثابة طلائع حركة الإصلاح، وكانت كل جهودهم موجهة نحو إنقاذ المجتمع الجزائري من حالة التخلف والجهل التي وصل إليها من جراء كثرة البدع والخرافات والانحرافات، فكان لهم فضل السبق في شق الدرب الذي سار عليه الشيخ عبد الحميد بن باديس وأصحابه وتلامذته.

1 - عبد القادر المجاوي (1848 - 1914):

يعتبر الشيخ عبد القادر المجاوي من أبرز المصلحين في الجزائر خلال نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، ويمكن أن نحصر أفكاره الإصلاحية في نشاطه التربوي والتعليمي،

¹ عبد الرحمان بن محمد الجيلالي، محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، مرجع سابق، ص 47 .

² المرجع نفسه، ص 115 .

حيث أقبل عليه أهل قسنطينة كبارا وصغارا لينهلوا من علمه وليأخذوا بإرشاداته وتوجيهاته، فكان يعظ الناس ويرشدهم أينما اجتمع بهم، ويدعوهم للنهوض والاعتناء بالتربية والتعليم. ويحذر جموع الناس في دروسه ومواعظه واجتماعاته بهم من مضار البدع ومخاطرها، ويفرق لهم بين ما هو من الدين وما هو من البدع فكان: «حربا على الخرافات والبدع التي انتشرت في المجتمع يهاجمها وأصحابها في دروسه ويقنع العامة بأدلتها، ويبين لهم بفصاحته أضرارها وفتكها بهم، فيظهر عقولهم مما كان يحجب عنها النور، وقد ألف فيها منظومة سماها (اللمع في إنكار البدع)»¹.

وكان يحذر في دروسه التوجيهية من عمل الإرساليات التبشيرية التي كانت تخدع عقول العامة بدعاوى باطلة، وبعد أن أطلق الاستعمار أيديهم وفسح لهم المجال ومنحهم كل التسهيلات والإمكانات المادية والمالية، ليعبثوا بعقول الناشئة خاصة فكان: «في دروسه للتلاميذ وفي وعظه للعامة، وفي مجالسه يهجم على المبشرين ويشرح سمومهم وكيدهم للإسلام والمسلمين، ويفند دعاويهم التي يموهون بها على العامة»². كما نجده يعمل على تحرير العقول من التخدير الذي طبعها وشلها وأماتها، من تهويمات الطرقية وأذكارها وأعمالها المبتدعة، ويرشدها بتعاليم الإسلام لأن تنهض وتتحرر من أسرها، فكان: «يهجم على الجمود والتعصب في الدين ويندد بالطرفيين الضالين الذين يستخدمهم الاستعمار لتثويبه سمعة الإسلام وتخدير المسلمين وقتلهم»³.

وقد ألف الكثير من الكتب التربوية على غاية من الأهمية بالنظر إلى مواضيعها ومضامينها قياسا بتلك الفترة التاريخية، وكانت كلها موجهة ضد الآفات الاجتماعية والخرافات والعادات القديمة التي كان يراها في الحقيقة مصائب وكان ينادي بإصلاح التعليم والتربية. ومن أبرز مؤلفاته: "إرشاد المتعلمين" و "المرصاد في مسائل الاقتصاد" وشرح "منظومة اللمع في نظم البدع" وهو شرح لمنظومة تلميذه المولود بن الموهوب في البدع. وقرر أن السبب الرئيسي في النهضة إنما هو بالتربية والعلم حيث يقول: «وما كثر الفساد في أمة إلا بعدم تربية الأولاد، فإننا نرى الأولاد مهملين يتعلمون الفساد... وإننا نرى الأمم الحية إنما حصل لها الرقي بتربية أولادهم وتعليمهم

¹ عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس، ط1، دار الشهاب، بيروت، 1999، ص 68.

² المرجع نفسه، ص 68.

³ المرجع نفسه، ص 68.

العلوم النافعة والمعرفة المفيدة، فيجب التبصر لمثل هذا، وفي الغالب أن إهمال الأولاد من الأمهات الجاهلات أو المتعلمات تعلما ناقصا»¹.

وكان الشيخ عبدالقادر المجاوي من أبرز العلماء الذين أكدوا على وجوب تعليم المرأة العلم النافع، باعتبارها أساس بناء الأسرة، حيث يرى: « أن المرأة لا بد أن نعلمها علما نافعا صحيحا أو ندعها على سذاجتها، فالمرأة تبقى جاهلة أفضل من أن تتعلم علما ناقصا وتترى تربية تافهة، فالمرأة التي تظل باقية على سذاجتها الأولى ولم تتلق شيئا من مبادئ العلوم والفنون، قد يتيسر أن نقنعها بأنها جاهلة ثم نوصيها بلزوم الرجوع في تربية طفلها إلى رأي من هو أعرف منها بشؤون التربية، أما التي تعلمت تعلما ناقصا، فإن هذه المرأة تصبح بهذا التعليم الناقص ذات عجب ولجاج، فلا تعود تصغي لمشورة من هو أعلم منها، ولا تقف في إفساد تربية ابنها وتدبير منزلها عند حد»².

وقد نشر الشيخ المجاوي كتابه " إرشاد المتعلمين " وقدم فيه نصائح مفيدة لطلبة العلم، حيث أكد في البداية على أن ما يميز الإنسان على الحيوان هو العلم: « إن ما أشرف ما تميز به الإنسان على سائر الحيوان، النطق ولا نطق إلا بالعلم كما لا علم بدون معلم، ولقد ساءني ما رأيت في هذا الزمان من فتور المعلمين والمتعلمين حتى إن أهل قطرنا من إخواننا المسلمين القسنطينيين والجزائريين والوهرانيين قد تراكم عليهم الجهل، وسبب ذلك هو عدم اعتنائهم بالعلوم التي بها تهذيب أخلاقهم وإصلاح منطقتهم»³.

ثم أشار إلى فضل العلم والتعلم، وما يجب على كل شخص أن يتعلمه، فالله قد فضل الإنسان بالعقل والمنطق، ومجرد العقل والنطق لا يفيدان الإنسان شيئا، وإنما شرفا لكونهما واسطة لاكتساب العلوم: « إن الإنسان إذا أراد أن يجني ثمرة امتيازته عن بقية الحيوانات، يجب عليه أن يدب في تحصيل العلوم التي عليها مدار المعاش والمعاد، ووقت تحصيلها من المهد إلى اللحد»⁴.

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الأول، ج1، ط 3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص 19 ، 20 ، 21.

² محمد بسكر، الشيخ عبدالقادر المجاوي منهجه وفكره الإصلاحية التجديدي، جريدة البصائر، العدد : 724 ، الاثنين 12 - 18 ذو الحجة 1435 هـ / 06 - 13 أكتوبر 2014 ، ص 15.

³ عبد القادر المجاوي، إرشاد المتعلمين، ط 1 ، دار ابن حزم ، بيروت، 2008 ، ص 29.

⁴ المرجع نفسه، ص 31.

وإذا ما أراد الإنسان أن يتعلم حسب المجاوي فإن العلوم أكثر من أن يحاط بها، ولهذا عليه أن يأخذ ما هو أحسن منها، وما يفيد و ينفعه من هذه العلوم ، قالت العلماء: « أول ما يجب على الإنسان أن يتعلم القرآن الشريف ثم الحديث النبوي، ثم علم الفرائض لأنه ثالث علوم الدين ثم علم الفقه لأنه علم الحلال والحرام، وينبغي له أيضا أن يتعلم علوم العربية كالنحو والصرف والبيان واللغة وغير ذلك، وكذلك المنطق الذي به العصمة عن الخطأ في الفكر، وعلم الطب الذي به حفظ الصحة ومعالجة الأسقام، وعلم الكتابة والحساب والهندسة والزراعة والمساحة والجغرافية والهيئة وعلم الرماية والسباحة والفروسية»¹

و قسم عبد القادر المجاوي العلوم إلى ثلاثة أنواع: علوم اللسان، علوم الأديان، علوم الأبدان. ففي القسم الأول (علوم اللسان) أشار إلى أن اللغة العربية هي أقدم لغات العلم المستعملة الآن وأوسعها، فهي: « أفصح اللغات منطقا وبيانا وأكثرها تصرفا في أساليب الكلام وأقبلها تفننا في النثر والنظام، قد ملأها الله من الآداب والحكم فنالت من الأمثال القديمة والحديث ما لم ينله غيرها، وهي في الشعر لا يشق لها غبار ولا يباريها مبار، وقد انتشرت في أقطار البسيطة بانتشار الإسلام. وتنقسم علوم اللغة العربية، وإن شئت قلت: علوم الأدب إلى اثني عشر قسما: الصرف، البيان، المعاني، النحو، القافية، الشعر، العروض، الاشتقاق، علم الخط، الإنشاء، المحاضرات، اللغة»².

أما القسم الثاني (علوم الأديان) تحدث فيه عن العلوم الشرعية المتمثلة في العقيدة ، علم التفسير، علم الحديث، علم الفرائض، الفقه وأصوله: « بالنسبة للعقيدة، يجب على كل شخص أن يعتقد أن الله موجود ومنزه عن كل النقائص، كما ينبغي عليه أيضا أن يعرف علم التفسير لأنه متعلق بكلام الله تعالى وهو علم تعرف به معاني كلام الله من الأوامر والنواهي وغيرهما، وينبغي له أيضا أن يعرف الحديث دراية ورواية، وينبغي له أيضا أن يعرف علم الفرائض وهو علم بأصول يعرف بها قسمة التركات ومستحقوها وأنصباؤهم منها، وينبغي له أيضا أن يعرف علم أصول الفقه وهو علم بأصول يعرف بها أدلة الفقه الإجمالية وطرق استفادة جزئياتها وحال مستفديها»³.

¹ عبد القادر المجاوي، إرشاد المتعلمين، مرجع سابق، ص 31 ، 32.

² المرجع نفسه، ص 33.

³ المرجع نفسه، ص 42 ، 43 ، 44.

أما القسم الثالث (علوم الأبدان) رأى فيه أن الإنسان عرضة للآفات ومركز للأمراض، لذا يجب على كل شخص أن يعرف ما يحفظ به صحته ويدفع به مضرته. وتتمثل علوم الأبدان حسبه في: علم الطب، علم الطبيعة، علم التاريخ الطبيعي، علم الحيوانات، علم النباتات، علم الطبقات الأرضية، علم الكيمياء، علم التشريح، علم الأمراض الباطنية، علم قانون الصحة. ويعتبر: «أن علم الطب مقدم على سائر العلوم حتى علوم الدين لتوقف القيام بها عليه، وفي هذا العصر لا يسمى الإنسان طبيباً ما لم يتقن عدة علوم منها: الطبيعة والتاريخ الطبيعي، وعلم الكيمياء بأنواعه وعلم التشريح وعلم الأمراض بأنواعها وعلم قانون الصحة».¹

في الأخير تكلم عبد القادر المجاوي على ما سماه بعلم المعاش، ويتمثل هذا العلم في الصناعة والزراعة والتجارة والإمارة. أما الصناعة فكل الناس يحتاجون إليها: «فالصناعة أمان من الفقر، ولقد منّ الله سبحانه علينا بهذا العصر الذي لم يسبق له نظير بلغت فيه الصنائع غاياتها، والحرف نهاياتها».² أما الزراعة فهي علم يبحث فيه عن: «الفلاحة ومعرفة أحوال الزرع وأنواعه وكيفية زرع الأشجار وحفظها من البرد وتطعيمها بفروع أشجار مختلفة، وماذا ينبت منها في البلاد الحارة والباردة والأقطار المعتدلة، وكيفية تقليم الأشجار غير المثمرة لأجل أن تثمر، ومن فروع هذا العلم تدبير المياه وتصريفها بسهولة لسقي الأراضي، وذلك كصناعة القنوات والجداول والجسور والأرصفة والنواير والحياض».³ أما التجارة فهي من أحسن طرق المعاش وطرق الاكتساب، ولا يخفى أن هذه الطرق منها ما أحله الله ومنها ما حرمه: «فيجب على من أراد أن يتجر أن يتفقه حتى يعرف الحلال من الحرام، وينبغي للتاجر أيضاً أن يعرف قوانين التجارة وما يلزم لها من التوكيل والحوالة والكفالة والشفعة وغير ذلك».⁴ وأما الإمارة فيراد بها الاستخدام في أي وظيفة كانت من الوظائف وهي متنوعة، و أكد على كلمة الاستخدام لأن الأمير حسبه: «خادم للدولة والملة والأمة والوطن وإن كان مخدوماً، ولولا أن الإمارة خدمة وقيد ولها أُنقال وذل بعد العزل لقليل: هي أشرف معيشة للإنسان التي يمتاز بها على سائر الأقران».⁵

¹ عبد القادر المجاوي، إرشاد المتعلمين، مرجع سابق، ص 46، 47.

² المرجع نفسه، ص 50، 51.

³ المرجع نفسه، ص 51.

⁴ المرجع نفسه، ص 51.

⁵ المرجع نفسه، ص 52.

2 - صالح بن مهنا (1854 - 1910):

يعتبر أحد رواد الحركة الإصلاحية الذي سخر حياته لمحاولة إحداث تغيير اجتماعي وفكري وثقافي بقسنطينة خاصة، حيث شرع « في إلقاء الدروس بالمسجد وبصفة دائمة بالزاوية الحنصالية تطوعا لتلامذته في جميع المواد الدراسية، وللعوام الذين تأثروا بدرسه في الحديث النبوي الشريف من أول وهلة، فكان الناس يأتون إلى الزاوية الحنصالية للصلاة ولسماع درس الشيخ صالح القيم والمفيد في هذه الزاوية».¹

وقد قضى مدة ثلاثين سنة مدرّسا وواعظا ومربيًا ومعلّمًا بالزاوية والجامع الكبير بقسنطينة وغيرهما، ينبه الناس إلى مضار البدع التي يفعلونها وخصوصا ما شاع وقتئذ من ولاءم تذبح عند الأولياء الذين يلجأ إليهم عوام الناس للسؤال، حيث يقول: « ما يفعله بعض الناس في هذه البلاد من الطعام المسمى عندهم بالزردة، فيذبحون فيه جملة من إخوانهم البقر في وقت معلوم بقصد الشهرة ولو قيل تصدقوا بهذا الطعام سرا على المحاويج وهم كثيرون بجوارهم لا تمتنعوا لأنه يفوتهم غرض الشيطان ويثقل عليهم مع أن صدقة السر أعظم أجرا وأقل تعبًا وأما ما يفعلونه فإنه أكثر تعبًا وأقل أجرا إن لم نقل رياء لا أجر فيه أصلا».²

و لاقى الشيخ صالح بن مهنا في ميدان الإصلاح ما يلقاه كل عالم يحاول إصلاح المجتمع من صعوبات وعراقيل، غير أن الشيخ صالح لم تنه هذه العقبات في سبيل غايته النبيلة، فهو قد دعا الناس إلى نبذ الخرافات التي تدعو إلى السلبية والخمول، لذا ركز الشيخ ابن مهنا فكره حول هذه الناحية، وهاجم: « هذه الأشياء الغريبة والدخيلة على الدين الإسلامي، كما هاجم معتقدات خرافية كانت تتبناها الزوايا ومن يدور في فلكها من العلماء الخرافيين الذين كانوا يخدرون أعصاب الشعب باسم الدين ودفعه إلى الاستكانة والخضوع إلى المقدر والرضا بالواقع المر، وبالتالي الخنوع إلى الاستعمار الغاصب عدو الدين والوطن».³

¹ سليمان الصيد، صالح بن مهنا القسنطيني، ط1، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1983، ص 51.

² المرجع نفسه، ص 88.

³ المرجع نفسه، ص 23.

والصالح بن مهنا في خطته الإصلاحية كان قد اعتمد على الخطابة وجعل لها أسلوبا ونماذج، وألف في ذلك كتابا ما يزال مخطوطا ، وكان تلاميذه وبعض الخطباء يتداولونه للاستفادة منه وهو كتاب (الفتوحات الأزهرية في الخطب المنبرية الجمعية)، ومن الواضح أن الكتاب في الخطب الجمعية، حيث بدأ ابن مهنا كتابه بهذه العبارات: « أما بعد، فهذا ديوان يشتمل على الخطب المنبرية والمواعظ الجمعية، أنشأته دررا، وحبرته غررا، اقتطفت أكثره من حديث سيد الكائنات، وجنيت بعضه من الحكم المبتكرات، متجنبنا لغريب اللغات، جانحا إلى أوضح العبارات، عل الله ينفع به العباد، ويجعله خير زاد، ويفتح به آذانا صما وقلوبنا غلفا»¹

و ذكر أنه احتوى على ألف حديث شريف، بعض الأحاديث أوردها بألفاظها وبعضها بالمعاني فقط، وأخبرنا عن طريقة تأليفه فقال: « من فوائد هذا الديوان، مما اختص به ولم يوجد في غيره، إني صدرت كل خطبة بحديثين وذيلتها بثلاثة أحاديث... والتزمت أن يكون الأول من الثلاثة من صحيح البخاري والثاني من صحيح مسلم والثالث من غيرهما، كما التزمت في الصدر أن يكون أحد الحديثين من الشمائل النبوية، والثاني من الترغيب والترهيب، والتزمت أيضا تصدير كل خطبة بآية قرآنية وختمها بآية، فيشتمل الديوان " الكتاب " على نحو مائة آية قرآنية، وعلى نحو ثلاثمائة حديث نبوي المصريح بها»². وقد قال عنه مالك بن نبي: « الحق أن هذا الشيخ الوقور كان في طليعة المصلحين، إذ أنه قام قومة مباركة ضد الخرافيين (ال دراويش)، غير أن الحكومة الساهرة على الهدوء، كيلا يستيقظ النائمون، عملت على إبعاده وعاقبته بمصادرة مكتبته الثمينة، وفرقت أمثاله من مقلقي النوم العام في نظر الاستعمار»³.

ولم يتوقف عمل الإدارة الاستعمارية ضده بتوقيفه عن الإمامة بالجامع الكبير فحسب، بل ألقت عليه القبض واستولت « على مكتبته الثمينة ونقلتها إلى دار العمالة "الولاية" للاطلاع عليها والبحث عن أفكاره من خلالها، وقد اهتمت السلطة لذلك واستدعت النائب الفرنسي المستشرق البان روزي للبحث عن آراء الشيخ بن مهنا في كتبه»⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج 8، ط1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 120.

² المرجع نفسه، ص 120.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 23.

⁴ سليمان الصبيد، صالح بن مهنا القسنطيني، مرجع سابق، ص 103.

ولكن المستشرق تنبه إلى الآثار الخطيرة التي من الممكن أن يثيرها أمر الاستيلاء على مكتبة الشيخ ابن مهنا بالقوة، فأمر بأن ترجع إليه خاصة وأن طلبه الشيخ وأنصاره ومحبيه كانوا قد وقفوا وقفة رجل واحد ليمنعوا السلطة من أخذ المكتبة وصاحبها، لولا أن الإمام هدأهم وأمرهم بالصبر، حيث: «شاع في مدينة قسنطينة بأن الشيخ ابن مهنا قد ألقى عليه القبض وأخذت مكتبته من طرف السلطات الاستعمارية، هاجت المدينة وماجت، وقد وقف عدة أشخاص إلى جانب الشيخ ابن مهنا وناصروه بمدينة قسنطينة وخارجها».¹

3 - عبد الحليم بن سماية (1866 - 1933):

كان عبد الحليم بن سماية من أشد المصلحين الناقمين على الاستعمار الفرنسي، عمل صحفياً في عدد من الصحف الجزائرية والتونسية، له عدة كتب في الفقه والفلسفة والتصوف لكنها كلها مفقودة. تولى ابن سماية التدريس، وكانت تقارير المفتشين الفرنسيين تشيد به وبعلمه وبطريقته في التدريس وفصاحة لسانه. وقد نال أوسمة علمية تشجيعاً له و اعترافاً بفضلته في أداء مهمة التدريس وكان: «يلبس اللباس العربي الإسلامي ويعتز به، كما كان يفعل محمد بن أبي شنب وعبدالقادر المجاوي وغيرهم، وهذا التقليد كانت تشجع عليه الإدارة أيضاً لأنه في نظرها يزيد من تأثيرهم على العامة والتلاميذ، بخلاف ما إذا قلدوا الفرنسيين في ذلك، إذ تذهب هيبتهم وينتفي تأثيرهم».²

وما يشهد للشيخ عبد الحليم بن سماية موقفه الصارم الذي وقفه تجاه الاستعمار الفرنسي يوم أن جاء بمشروعه لتجنيد الشعب الجزائري في الجيش الفرنسي، فعارضه الأستاذ معارضة شديدة حتى أنه هم بمغادرة الوطن والهجرة منه إلى المشرق إن تم تنفيذ هذا القانون الإجمالي، وفعلاً لما شعر بتصميم الحكومة على تنفيذه أخذ: «يسعى في قطع جميع العلائق التي تربطه بوطنه وأقربائه، وقدم استقالته من وظائفه في التدريس، وباع مسكنه الذي كان أن ورثه عن أبويه، وعرض أثاث منزله على السوق، وأهدى كتبه وودع أصدقاءه واستعد للرحيل، لولا أن وقف في وجهه أهل

¹ سليمان الصبيد، صالح بن مهنا القسنطيني، مرجع سابق، ص 105.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 95.

الجزائر وأعيانها مستعطفين ومتوسلين، فاهتر الشيخ لهذا الموقف المؤثر الرهيب، وعدل عن رأيه مكبرا لهم كريم أخلاقهم وخالص وفائهم»¹.

وقد أبدى الشيخ بن سماية معارضته للتجنيد الإجباري للاعتبارات الدينية وذلك لعدم قدرة المجندين المسلمين على ممارسة شعائرهم الدينية، ومحاربة إخوانهم المسلمين وهذا ما يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي: «إن الجزائريين يجب أن يرفضوا الخدمة العسكرية في الجيش الفرنسي، حتى ولو رضيت فرنسا بتعويضهم بالحقوق السياسية، لأن إجبارهم على الخدمة العسكرية يخالف دينهم، و أيد وجهة نظره بآيات من القرآن الكريم»².

وإنتاجه العلمي قد كان قليلا، ولعل هذا الأمر راجع لمهنة التدريس التي أخذت منه جهده ووقته، كما هو حال بعض المصلحين الذين تفرغوا لإصلاح المجتمع بدل تأليف الكتب. ولكن رغم ذلك قد ألف بعض الكتب منها كتاب (فلسفة الإسلام) حيث قرأ الفصل الأول منه في مؤتمر المستشرقين الدولي الرابع عشر الذي انعقد في الجزائر 1905 وحضره عبد العزيز جاويش ومحمد بن أبي شنب والمستشرق الألماني كارل فولرس، وله عدة مقالات كتبها في الصحف العربية الجزائرية خصوصا جريدة "كوكب افريقيا" للشيخ محمد كحول³. كما كان حريصا على متابعة مجلة "المنار" فهي تعتبر بالنسبة إليه مدد الحياة، يقول محمد رشيد رضا: «ومن خيار العلماء الشيخ محمد بن الخوجة والشيخ عبد الحلیم بن سماية وقد عهد هؤلاء الفضلاء إلى الشيخ محمد عبده أن يوصي صاحب المنار بأن لا يذكر في مجلته دولة فرنسا بما يسوؤها لئلا تمنع المنار من الجزائر وقالوا له: (إننا نعدده مدد الحياة لنا فإذا انقطع انقطعت الحياة عنا)»⁴.

ويعتبر ابن سماية أحد الدعاة البارزين للجامعة الإسلامية في الجزائر، فعندما زار المصلح الشيخ محمد عبده الجزائر في سبتمبر 1903 كان مضيفه هو ابن سماية، ولما غادر الجزائر وحل بصقلية، قد خاطب منها الشيخ عبدالحليم بن سماية، وبها نعلم مقدار منزلة الشيخ العلمية كما يراها الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده جاء فيها: «حضره الأستاذ الفاضل الشيخ عبد الحلیم بن

¹ عبد الرحمان الجيلالي، جوانب من كفاح الشيخ عبد الحلیم بن سماية السياسي والثقافي، مجلة الأصالة، السنة الثالثة، العدد: 13 ، صفر - ربيع الأول 1393 هـ/ مارس - أبريل 1973 ، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص 200.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 149 ، 150 .

³ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الأول، ج1، مصدر سابق، ص 29 ، 30 ، 32.

⁴ المصدر نفسه، ص 33 ، 34.

سماية لا يزال يؤنسني مثال من علمك وفضلك، ويعجبني رفيق رقيق من كمالك ونبلك، وما كان ذلك ليفارقني بعد أن صار بضعة مني، ولو كشفت لك من نفسك ما كشف لي منها لعلمت مقدار ما أتاك الله من نعمة العقل والأدب، ولعرفت أنك ستكون أمام قومك تهديهم إن شاء الله سبل الرشاد وتبصرهم بما يوفر عليهم الحظين حظ المعاش وحظ المعاد، هذا هو ألمي الذي أسأل الله تحقيقه، فخذ من الوسائل ما يبلغك بفضل الله غاية ما يرمي إليه استعدادك»¹.

4 - المولود بن الموهوب (1866 – 1939):

كان ابن الموهوب مفتي قسنطينة مدة طويلة، وفي نفس الوقت أستاذ الفلسفة والعلوم الدينية والأدب العربي، وساعد اعجابه بالتقدم والعلوم الحديثة والأفكار الأوروبية على تنوير كثير من الجزائريين، وكان شعار ابن الموهوب أن الجزائر قد وصلت إلى أسفل نقطة في سلم التدهور، ولكي تتخلص من هذه الحالة، يجب عليها أن تؤمن بالتقدم والتعليم بكل الوسائل والعودة إلى منابع الإسلام الصافية، ولهذا السبب أعلن ابن الموهوب: «الحرب ضد الجهل والاحجاف والكسل لكي يحرر الجزائر من حالتها المنحطة، وقد علمه التاريخ أن تحرر أي شعب يتوقف على يقظته العقلية، فهو يرى أن كل الآفات التي كانت متسلطة على الجزائر، لا تنتهي إلا بخلق المدارس، المدارس، ثم المدارس»².

وفي محاضرة ألقاها حوالي عام 1909 بنادي صالح باي أوضح ابن الموهوب الأسباب الحقيقية لما كان يسميه بانحطاط الجزائر، من إهمال العناية بالآداب ودراسة الإسلام والتاريخ، وأصر على أن من واجب الجزائريين أن يتخلصوا من الكسل وأن يكرسوا أنفسهم لدراسة العلوم المتقدمة كالزراعة والطب والكيمياء والرياضيات، حيث يقول مخاطبا الجزائريين: «احترامنا متوقف على جودة عملنا، مزقوا عنكم عالم الظلام وافتحوا أعينكم على عالم مليء بالضوء»³.

و لإبن الموهوب خطبة خطب فيها الناس بمناسبة تعيينه مفتيا، حيث شكر فيها الحضور، وقد كانت خطبته دعوة للمسلمين إلى اليقظة والإقبال على التعلم وتقليد جيرانهم الأوروبيين، ونبذ التعصب والجهل والتباغض، ومن بين ما جاء في خطبته: «... فالأحوال تبدلت والعقول تنورت

¹ عبد الرحمان الجبالي، جوانب من كفاح الشيخ عبدالحليم بن سماية السياسي والثقافي، مجلة الأصالة، مرجع سابق، ص 205.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق، ص 151.

³ المرجع نفسه، ص 151، 152.

والمعارف كثرت، والثياب البالية ما نفعت، وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت، كما يقول قرآن الإسلام، زينوا أفكاركم بالمعارف واتركوا النوم، يا قوم فإنه ليس أمس كاليوم، فمن ترك التعلم واتكل على هذا فهو الجلمود، لأن الزمان زمان سباق، إذا كان الجهل طعاما فقد أكلناه، وإذا كان ماء فقد شربناه، وإذا كان ثوبا فقد لبسناه، عشقناه وعظمناه، فحرمنا مما نتمناه، وأسفاه علماؤنا في نصح العامة مقصرون والعوام يقلدون ويفعلون، وهم في الحقيقة معذورون لأنهم لا يعلمون. لا تقتلوا أنفسكم بالقنوط والكسل، فإن الحياة الطيبة علم وعمل، ولينظر كل واحد منكم لغيره نظرة الأخ المحب لأخيه، فمن لم يحيره ما حل من الأضرار بالمسلمين، فهو بعيد من الإنسانية والدين... أيها العلماء، أيها المدرسون، أيها الأئمة، أيها الخطباء ازرعوا نافع نصحكم في عقول عامتكم، وإلا فإنكم تموتون بموتهم كما يموتون بموتكم»¹.

¹ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2، مرجع سابق، ص 198.

المبحث الثالث: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

يقسم مالك بن نبي الفترة الحديثة إلى قسمين ما قبل 1925 وما بعدها، أما الفترة الأولى فتتمثل فيها البطولات الجزائرية في صورة أفراد وفي قوة رجال ، وأما الفترة الثانية فتتمثل في حركة مجتمع وتصارع أفكار ومحاولة تغيير للحياة الأخلاقية والعقلية والاجتماعية والسياسية والدينية، وبعبارة أخرى فإن الشعب في هذه الفترة استأنف رسالته، وبدأ تاريخه الجديد: « أما في الماضي فقد كانت البطولات تتمثل في جرأة فرد، لا في ثورة شعب، وفي قوة رجل لا في تكاتف مجتمع، فلم تكن حوادثها تاريخاً بل كانت قصصاً ممتعة، ولم تكن صيحاتها صيحات شعب بأكمله، وإنما كانت مناجاة ضمير لصاحبه، لا يصل صده إلى الضمائر الأخرى فيوقضها من نومها العميق»¹ ولهذا يمكن أن نصف محاولات رجال الحركة الإصلاحية قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أنها كانت جزئية فردية غير شاملة للوطن كله، وصيحة فرد لا حركة مجتمع، هذا ما جعل الشيخ عبد الحميد بن باديس يؤمن بحتمية العمل الجماعي: « إن ما وصلت إليه أوضاع الأمة الجزائرية من تدهور وتردي في ظل الاستعمار الفرنسي الغاشم، لم يترك للإمام ابن باديس من خيار سوى الانطلاق في دعوته، ولو بصفة فردية، ورغم الجهود الفردية المتواصلة التي كان يقوم بها ابن باديس في تلك الفترة، إلا أنه كان يؤمن بوجوب العمل الجماعي، وإنشاء حركة منظمة تتولى انتشال هذه الأمة من وهدة الجهل والتقصير والفرنسة»².

أولاً: عوامل نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الإيمان بالعمل الجماعي هو الذي جعل الشيخ ابن باديس يتدارس مع الشيخ البشير الإبراهيمي سنة 1924 تأسيس جمعية تحت إسم (الإخاء العلمي) تجمع: « شمل العلماء والطلبة، وتوجه جهودهم، وتقارب بين مناحيهم في التعليم والتفكير، وتكون صلة تعارف بينهم، ومزيلة لأسباب التناكر والجفاء»³

¹ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 23.

² مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مرجع سابق، ص 87.

³ المرجع نفسه، ص 89.

ثم تعطل المشروع، بعد ذلك بادر ابن باديس إلى تأسيس (جمعية التربية والتعليم الإسلامية) بقسنطينة عام 1930، وقد اهتمت هذه الجمعية بالنشاط التربوي والتعليم بوجه خاص، ذلك لأهمية هذا القطاع وحيويته بالنسبة لمستقبل الأمة، وما هي إلا أشهر قليلة حتى فكر العلماء في الجزائر بتأسيس: «جمعية لهم تجمع شملهم وتوحد صفوفهم، فكانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين استجابة واعية لما تقتضيه التحديات الخطيرة التي تواجهها الأمة الجزائرية في تلك المرحلة، ولأن اقتصرت جمعية التربية والتعليم الإسلامي على جانب التربية والتعليم، فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وسعت نشاطها ليشمل جوانب أخرى من حياة الأمة، وفق منهج واضح وأهداف محددة».¹

والتفكير في تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، كان نتيجة لعدة عوامل، من أبرزها:

1 - كانت الحركات الإصلاحية في الجزائر مدينة للحركة الإصلاحية التي قادها جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و محمد رشيد رضا: «الحركات التحررية في بعض بلدان المشرق العربي مدينة لحركة الإصلاح الفكري والديني التي قادها موقظ المشرق جمال الدين الأفغاني ومن بعده الإمام محمد عبده، ثم تلميذه رشيد رضا، ولم تكن هذه الحركة بعيدة عن الجزائر بل كان مددها متصلا، فجريدة (العروة الوثقى) التي كان يصدرها جمال الدين الأفغاني و محمد عبده و(المنار) التي كان يصدرها رشيد رضا من الصحف التي كانت تغذي نفوس المصلحين».²

ويعترف الشيخ عبد الحميد بن باديس بفضل الشيخ محمد رشيد رضا ومجلة "المنار" عليه بقوله: «نشرنا ما يلي في تفسير حجة الإسلام الشيخ محمد رشيد رضا من آخر جزء أصدره من مجلة المنار اعترافا له بفضل سبق إلى نشر هداية القرآن على المسلمين بمجلة شهرية كانت قدوتنا فيما ننشر من مجالس التذكير. ولم تقتصر الاستفادة من الشيخ رشيد رضا على موضوع تفسير القرآن، فإن ما كان يكتبه الشيخ رشيد رضا في المنار وغيرها قد أوضح الإسلام للمسلمين ولغيرهم، وبين لهم ما في الإسلام من خير وهداية».³

¹ مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مرجع سابق، ص 93.

² محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتوير، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1999، ص 66.

³ المرجع نفسه، ص 67.

ونتيجة لتأثر جمعية العلماء بدعوة محمد عبده ومحمد رشيد رضا، ظهرت بعض الأصوات التي وصفت علماء الجمعية بأنهم عبداويون ثم وهابيون، وهذا ما جعل الشيخ عبد الحميد بن باديس يكتب مقالا تحت عنوان: (عبداويون ثم وهابيون ثم ماذا؟ لا ندري. والله)، حيث يذكر في البداية أن التغيير في أساليب التعاليم ودعوة الطلبة إلى الفكر، جعلت البعض حسب الشيخ ابن باديس يصفنا بالعبداويين: «أحدثنا تغييرا في أساليب التعاليم وأخذنا نحث على تعليم جميع العلوم باللسان العربي والفرنسي ونحبب الناس في فهم القرآن وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر، ونرغبهم في مطالعة كتب الأقدمين ومؤلفات المعاصرين، قامت علينا وعلى من وافقنا قيامة أهل الجمود والركود وصاروا يدعوننا للتغيير والحط منا (عبداويين) دون أن نكون والله قرأت كتب الشيخ محمد عبده إلا القليل، فلم نلتفت إلى قولهم، ولم نكثرث لانكارهم، ومضينا على ما رسمنا من خطة وصمدنا إلى ما قصدنا من غاية. وقضيناها عشر سنوات في الدرس لتكوين نشء علمي».¹

ولما بدأنا بدعوة الناس إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح ومحاربة البدع والضلالات، تم وصفنا بالوهابيين: «... فلما كملت العشر وظهرت نتيجتها رأينا واجبا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص والعلم الصحيح إلى الكتاب والسنة وهدى صالح سلف الأمة وطرح البدع والضلالات ومفاسد العادات... وكانت هذه المرة غضبة الباطل أشد ونطاق فتنته أوسع وسواد أتباعه أكثر، وأصبحت الجماعة الداعية إلى الله يدعون من الداعين إلى أنفسهم (الوهابيين) ولا والله ما كنت أملك يومئذ كتابا واحدا لابن عبد الوهاب ولا أعرف من ترجمة حياته إلا القليل ووالله ما اشتريت كتابا من كتبه إلى اليوم».²

وهذا حسب الشيخ ابن باديس مجرد أوهام وأباطيل من أجل عرقلة مسيرة جمعية العلماء وإطفاء إشعاعها: «إنما هي أفيكات قوم يهرفون بما لا يعرفون ويحاولون من اطفاء نور الله ما لا يستطيعون وسنعرض عنهم اليوم وهم يدعوننا (وهابيين) كما أعرضنا عنهم بالأمس وهم يدعوننا (عبداويين) ولنا أسوة بمواقف أمثالنا مع أمثالهم من الماضين»³

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الثاني، ج1، ط3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص 27.

² المصدر نفسه، ص 28.

³ المصدر نفسه، ص 28.

وقد كان للشيخ ابن باديس موقفا من الحركة الوهابية، حيث بين أن غاية هذه الحركة من أنبل الغايات، لكن الحماس والشدة والجهل، جعلت أنصار هذه الحركة يرتكبون أفعالا نفرت منهم الناس: « كانت غاية دعوة ابن عبد الوهاب تطهير الدين من كل ما أحدث فيه المحدثون من البدع في الأقوال والأعمال والعقائد والرجوع بالمسلمين إلى الصراط السوي من دينهم القويم بعد انحرافهم الكثير وزيعهم المبين... قام الوهابيون لتحقيق هذه الغاية بحماس وشدة وجاهل في كثير منهم، فارتكبوا في سبيلها أمورا نفرت منهم النفوس، وأتى جهالهم شنائع كانت من النكارة بمكان، ووجدوا أصدادهم سلاحا قويا في تشويه سمعتهم إلى اليوم، وأسخطت عليهم العالم الإسلامي كله، فكانت الخيبة تصيبهم من جراء سلوكهم القاسي، وإن كانت غايتهم من أنبل الغايات»¹

ولأن الدعوة والإصلاح حسب الشيخ ابن باديس تتطلب الحكمة والموعظة الحسنة وليس الشدة والتسرع في نشرها: « إن الدعوة إلى الحق لا تنجح إلا إذا كانت كما أمر الله تعالى بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن. ولم تكن في الوهابيين كفاءة للقيام بتلك الدعوة العظيمة على هاته الطريقة الحكيمة فخابوا، وبقيت غايتهم مقصورة عليهم. ونهض بأعبائها الأستاذ الإمام والشيخ رشيد وحزبهما، فملأوا بها الأرض وانتشر مؤيدوها في العالم الإسلامي أي انتشار، بان بهذا أن الوهابيين ليسوا بمبتدعين لا في الفقه ولا في العقائد، ولا فيما دعوا إليه من الإصلاح، وإنما تنكر عليهم الشدة والتسرع في نشر الدعوة وما فعله جهالهم»²

ولهذا تبقى جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مدينة للدعوة الإصلاحية التي قادها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ولكن جمعية العلماء بالرغم من أنها تأثرت بهذه الدعوات، بقيت مستقلة عنهم تمام الاستقلال، وهذا ما أكده الشيخ أحمد حماني حين قال : « إن حركتنا الإصلاحية فرع لهذه الحركة المتصلة بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، ولا نعني أنه كانت متصلة بهم عاملة بوحيمهم مدبرة منهم، فقد كانت مستقلة تمام الاستقلال عنهم من هذه الناحية، إنما نعني أنه كانت متأثرة بهم، سائرة في الإصلاح الديني والديني على منهاجهم في الاعتماد على كتاب الله وإحياء سنة رسول الله ﷺ، وإماتة البدع، والإنكار على أهلها، ودعوة الأمة إلى اليقظة والنهضة الشاملة، والتخلص من كل أثر للجمود

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 5، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 32، 33.

² المصدر نفسه، ص 33، 34.

والجحود والتخلف الفكري، وبث التعليم القوي بإحياء اللغة والنخوة الإسلامية العربية والمحافظة على الوحدة الوطنية على أساس سليم تقبله الأمة ويمليه الدين»¹.

ومن هنا كان الخطاب الإصلاحية الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مستلهما من الواقع الجزائري، ولم يكن تقليدا للحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي، وذلك لعدة اعتبارات منها:

أ - خطاب الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي تشكل في الوقت الذي تعرضت فيه بعض البلدان في المشرق العربي لما سمي آنذاك بالحماية أو الانتداب البريطاني، وكذلك كنتيجة لجملة من العوامل لعل من أبرزها: ظهور الطباعة التي ساهمت في نشر العديد من المؤلفات، كما ساهمت في انتشار الصحافة التي لعبت دورا في توعية الشعوب وتنويرها. بينما خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تشكل في الوقت الذي تعرضت فيه الجزائر لأبشع استعمار عرفه التاريخ، فالاحتلال الفرنسي لم يقتصر على نهب خيرات و ثروات البلاد، واستغلال الأرض والإنسان، بل عمل منذ البداية للسيطرة على: « الإنسان الجزائري وتدميره من الداخل، ولم يكتف بتدميره جسديا عن طريق الجوع والعطش والمرض والبرد والتشريد والعمل الشاق والتكليف والتعذيب، لم يكتف بكل هذا، بل حاول تدمير شخصية الإنسان الجزائري والقضاء على مقوماتها الوطنية، الثقافية والفكرية والنفسية والاجتماعية والحضارية، فهو لم يكتف بالاستيطان الجغرافي للجزائر، وكان يعمل جاهدا للاستيطان داخل الإنسان الجزائري، ولم يكتف بأن يسكن أرضه، فراهن على أن يسكن بداخله»²

ب - الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي التي قادها كل من جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا، كانت دعوات ومحاولات فردية، ركزت على التأليف والتدريس، وقد خلفت وراءها إرثا علميا وفكريا وحضاريا أهمله المسلمون، كشأنهم مع كل المجددين والمفكرين وهذا بسبب عدم المتابعة وانعدام مؤسسات وجمعيات تتبنى أفكارهم و تُحوّل نظريات وأفكار المصلحين إلى واقع ثقافي وحضاري واجتماعي و سياسي. فالشيخ محمد عبده وخلال

¹ أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ، (د. ط)، دار البعث، (د.ت)، ص 52.

² بن ابراهيم الطيب، مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون، مرجع سابق، ص 27 ، 28.

سنوات نفيه دعاه جمال الدين الأفغاني إلى باريس فلبى دعوته، وهناك تم إصدار مجلة (العروة الوثقى) التي كانت تعبر عن جمعية سرية بنفس الإسم جمعية (العروة الوثقى)، تستهدف إشعال الثورة في العالم الإسلامي، وعندما عاد محمد عبده إلى بيروت بعد إغلاق العروة الوثقى، عاد إلى طبيعته المعتدلة الناقدة للتطور العنيف، وميله إلى الإصلاح العقلي والديني وتجنب السياسة، وفي إطار غضبه ونفوره من الثورة، كره السياسة والسياسيين، حتى أنه أبدى أسفه لا نهماك نبهاء الأمة في السياسة وإهمالهم أمر التربية، بل إنه انتقد أستاذه جمال الدين الأفغاني نفسه قائلاً: « السيد جمال الدين رجل عالم، وأعرف الناس بالإسلام وحالة المسلمين، وكان قادراً على النفع العظيم بالإفادة والتعليم، ولكنه وجه كل عنايته إلى السياسة فضاع استعداده هذا».¹

بينما جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت تخضع لتوجيه جماعي موحد ونظام محدد. يقول الشيخ الإبراهيمي: « لا يوجد في علماء الإسلام جماعة قاموا بهذه الدعوة الجريئة، متساندين مجتمعين، يجمعهم نظام وانسجام، كما قام رجال جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ... ومع أن إخواننا علماء الإسلام يملكون ما لا نملك من وسائل الاجتماع، وأسباب القوة، فإن جهودهم في الإصلاح الديني لم تزل فردية محدودة، وخطواتهم في السير به لم تزل بطيئة متناقلة».²

فبعد ثمانية عشرة سنة من الجهد الفردي لابن باديس من 1913 إلى غاية 1931 في ميدان التربية والتعليم، والاستفادة من تجربة عمله وتجارب السابقين عليه من العلماء أمثال محمد بن عبد الوهاب وجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا في الخارج، والشيخ عبد القادر المجاوي والصالح بن مهنا وغيرهما في الداخل، ومن خلال دراسته لتاريخ الجهود الفردية من رجال المقاومة والحركة الوطنية، سواء الثوريين أو السياسيين، والتي وصلت في نهاية مطافها إلى التوقف عن العمل إما كلياً، أو الانحصار والإنزواء من غير أن تستطيع تحقيق أهدافها. تيقن ابن باديس بالانتقال إلى المرحلة الثانية في حركته وهي مرحلة تأسيس العمل الجماعي ، وتكون هذه المرحلة: « امتداد للاولى ومكملة لها، وفي الوقت نفسه سبباً قوياً وصحيحاً لتحقيق الأهداف الكبرى التي يتطلع إليها هو ومجموع العلماء، وعموم الأمة، فشرعوا جميعاً في التمهيد لتأسيس جمعية

¹ صلاح زكي أحمد، أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، مرجع سابق، ص 66، 67.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 311.

تحقق ذلك كله، فتجمع جهود العلماء والغيورين من علماء وأبناء الأمة، لخدمتها وخدمة دينها ولغتها والمحافظة على ذاتيتها»¹

و لقد أدرك الشيخ ابن باديس ووعى آراء دعاة الإصلاح السابقين عليه كجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده، ومحمد رشيد رضا، وأيقن أن: « طبيعة الواقع الجزائري، وتسلب الاستعمار الفرنسي القاهر سوف يجعلانه في نهجه أقرب إلى ما آثره محمد عبده من الفكر والإرشاد والتربية والتعليم، لكن ابن باديس كان حركيا شعبيا في دعوته الإصلاحية، يؤثر العمل بين الجماهير الأمية الساذجة، ويحدثهم بما يفهمون في المساجد والمجامع، وبينما يخاطب القراء المتعلمين بقلمه في صحافته، وينشئ المدارس متطلعا إلى جيل قادم ومؤمن ومستتير في المستقبل»²

ج - خطاب الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي، جزئي وغير شامل، فجمال الدين الأفغاني مثلا كان يرى أن الأزمة تعالج بالوسائل السياسية، ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا لا تعالج إلا بإصلاح العقيدة والتربية، وهذا ما أشار إليه مالك بن نبي حين قال: « في الوثائق نجد أن كل مصلح قد وصف الوضع الراهن تبعا لرأيه أو مزاجه أو مهنته ، فرأي رجل سياسي كجمال الدين الأفغاني: أن المشكلة سياسية تحل بوسائل سياسية، بينما قد رأى رجل دين كالشيخ محمد عبده أن المشكلة لا تحل إلا بإصلاح العقيدة والوعظ... على حين أن كل هذا التشخيص لا يتناول في الحقيقة المرض، بل يتحدث عن أعراضه»³

بينما خطاب جمعية العلماء كان خطابا شاملا، مس كافة الجوانب الجانب العقدي والتربوي والاجتماعي والسياسي، لأنها استوعبت في خطابها النهضوي مجمل أفكار الحركات الإصلاحية القديمة والمعاصرة، فهي قد: « أخذت من أفكار ابن تيمية في مجال فهمها لحقيقة الدين وأصول الشريعة، وتأثرت بالحركة الوهابية في بعض مواقفها تجاه البدع والخرافات التي لحقت بجوهر العقيدة، واقتدت بالحركة السنوسية في ربط الدين بالدنيا والأخلاق بالسياسة واعتبار محاربة الاستعمار جزءا من الدين، وسايرت صيحات جمال الدين الأفغاني في ثورته على الحكم الأجنبي ومقاومة الاستبداد، وتبنت أفكار محمد عبده في نشر الوعي وتربية الجماهير ومكافحة التخلف

¹ عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس، مرجع سابق، ص 120 ، 121.

² محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتتوير، مرجع سابق، ص 91.

³ مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 41.

والجمود، كما تبنت أفكار الكواكبي وشكيب أرسلان في تحرير الإنسان من ضعفه، والمجتمع من أمراضه والدين من الشوائب التي لحقت به، والبلاد من كابوس الهيمنة الأجنبية وظلم المستبدين»¹.

بالنسبة للجانب العقدي، قد كان من أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: «تطهير عقيدة الجزائريين من البدع، وكل مظاهر الشرك بالله سبحانه وتعالى سواء العلني منه أو الخفي، حتى أن ابن باديس اعتبر المعركة ضدهم - يعني الطرقية والصوفية المحرفة - لها الأولوية على المعركة ضد الاستعمار، لأنهم أصبحوا ألعوبة في يديه يسخرهم لتحقيق مآربه ضد الإسلام وضد مصالح الوطن الجزائري العليا في الحرية والإستقلال»².

أما الجانب التربوي أدركت جمعية العلماء أهمية التربية والتعليم في تحقيق: «مقاصدها العقيدية والفكرية، فركزت على التعليم الإسلامي العربي وإنشاء المدارس وحث الأمة وتشجيعها على إرسال أبنائها إلى مدارسها، بغية تعليم وتنقيف أكبر عدد ممكن من أبناء المسلمين، فالتعليم هو الذي يطبع المتعلم بالطابع الذي يكون عليه في مستقبل حياته»³.

أما بالنسبة للجانب الاجتماعي فقد كان اهتمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتوعية المجتمع الجزائري وإصلاح أخلاقه والحرص على وحدته الوطنية، لأن جمعية العلماء: «تفخر بأنها نجحت في جمع طوائف عظيمة من الأمة الجزائرية على الحق بعد أن كانت كلها متفرقة على الباطل، واستطاعت أن تعلمهم معنى الاجتماع على الحق والخير وكيفية الاجتماع على الحق والخير، وتحبب إلى نفوسهم كلمة الاجتماع وحضور المجتمعات بعد أن كانت لا تجتمع إلا على شر أو مآثم... وبأنها نجحت في دعايتها إلى العلم النافع الصحيح وفي دعايتها إلى الأخوة الإسلامية الحقيقية، وبأنها انتصرت في حملتها على الخرافات والأوهام والدجل وانتصرت أو كادت في حربها على الجمود والعوائد الضارة والتقاليد السخيفة»⁴.

¹ علي محمد الصلابي، كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، ج 2، ط 1، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2017، ص 200، 201.

² تركي رايح عامرة، الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة، ط 2، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003، ص 92، 93.

³ مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مرجع سابق، ص 100، 101.

⁴ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 286.

وبالنسبة للجانب السياسي كان اعتماد ابن باديس على الدين كأساس للنهوض بالأمة، لم يكن منه الخشية من الخوض في أمور السياسة، بل إنه يرى أن النضال من أجل الحرية والسيادة واحد، وإن تعددت مجالاته وتتنوع أساليبه، فالدين والسياسة عنده متكاملان متلازمان، ومما قاله في محاضرة بعنوان (العلم والسياسة) ألقاها بتونس على جمعية الطلبة الجزائريين التونسيين: « ... وكلامنا اليوم عن العلم والسياسة معا، وقد يرى بعضهم أن هذا الباب صعب الدخول، لأنهم تعودوا من العلماء الاقتصار على العلم والابتعاد عن مسالك السياسة، مع أنه لا بد من الجمع بين العلم والسياسة، ولا ينهض العلم والدين، كل النهوض إلا إذا نهضت السياسة بجد»¹

د - ركزت الحركات الإصلاحية في العالم العربي والإسلامي في تبليغ خطابها وتحقيق غاياتها على تأليف الكتب، كما أنها اهتمت بالصحافة، كمجلة العروة الوثقى التي أصدرها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده أو مجلة المنار التي أصدرها محمد رشيد رضا، بينما جمعية العلماء في تبليغ خطابها وتحقيق غايتها لم تركز على الصحافة فقط، بل تعدت إلى استخدام كل الوسائل المتاحة كالمسجد والمدرسة والنوادي والجمعيات والفرق الكشفية. فالشيخ ابن باديس لم يترك وسيلة من الوسائل ولا ميدانا من الميادين إلا وتدخل فيه على أساس توجيهه ضد الاستعمار، ففي الوقت الذي كان يهتم فيه بالوعظ والتدريس في المساجد والمدارس وإصدار الصحف وإلقاء المحاضرات بالنوادي وتأسيس الجمعيات والفرق الكشفية، كان يولي: « عناية خاصة بميادين الشباب الرياضية والفن، فيساهم في تأسيس الأندية الرياضية، ويشجع بنفسه المتفوقين من الرياضيين، ويحضر حفلات الطرب الفني التي تقيمها جمعيات فنية جزائرية»²

2 - ظهور حركة فكرية مع بداية الاحتلال، حيث كانت هذه الحركة بمثابة مقاومة النخبة الجزائرية لكل مخططات ومشاريع الاستعمار التي أفسدت الحياة الثقافية، وأوشكت أن تقطع الصلة بين الأمة ولغتها وتاريخها، وصمود الثقافة الجزائرية كان صمودا ضد الذوبان و ضد المسخ الثقافي الذي عمدت إلى انتهاجه الإدارة الاستعمارية، ولعل من أبرز أعلام هذه الحركة: حمدان خوجة، محمد بن محمود العنابي، محمد بن مصطفى بن الخوجة، محمد بن أبي شنب. بالإضافة إلى

¹ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط 1، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1983، ص 16.

² محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007، ص 69.

ظهور حركة إصلاحية في بداية القرن العشرين على أيدي بعض العلماء أمثال عبد القادر المجاوي، صالح بن مهنا، عبد الحليم بن سماية، المولود بن الموهوب، وهذه الحركة حتى: « وإن كانت لا ترقى إلى أهمية حركة الشيخ ابن باديس لكنها لا شك هيأت الشعب الجزائري إلى قبول الإصلاح وتأييده».¹

3 - عودة مجموعة من الجزائريين الذين كانوا يتلقون العلم في الحجاز ومصر وتونس وغيرها بعد الحرب العالمية الأولى، ويذكر أنه في عام 1927 دعاهم عبد الحميد بن باديس لندوة يدرسون فيها أوضاع الجزائر وما يمكن عمله لإصلاح هذه الأوضاع، وكان ممن لبي الدعوة محمد البشير الإبراهيمي، ومبارك الملي، والعربي التبسي، ومحمد السعيد الزاهري، ومحمد خير الدين، واتفقوا على: « خطة عمل تقضي بإنشاء المدارس الحرة للتعليم العربي والتربية الإسلامية، والعمل على نشر الدعوة الإصلاحية في المساجد الحرة، واستخدام الصحافة والنوادي وإنشاء فرق الكشافة الإسلامية للشباب، هادفين من ذلك كله إنكاء روح النضال في أوساط الشعب لتحرير البلاد من العبودية والخنوع للأجنبي».²

وترجع فكرة إنشاء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى فترة ما قبل الحرب، لأن العلماء قد تعلموا من الزمن أن جهودهم الوطنية في الماضي كانت بلا ثمرة، لذلك بدأوا يعدون من أجل معركة فاصلة بينهم وبين الفرنسيين، فالعلماء الجزائريين كانوا قد: « تحدثوا عن قضية خلق منظمة لهم قبل الحرب عندما كانوا مقتنعين أن تدهور الجزائر الاجتماعي والديني أصبح منذرا بالخطر، فمنذ حقبة ما قبل الحرب كان العلماء يناقشون دورهم الفعال في قيادة الشعب إلى حياة أفضل».³

ولما قام ابن باديس عام 1912 برحلته إلى الحجاز، وهناك التقى بالعلماء ومفكري العالم الإسلامي، كما التقى هناك بالشيخ البشير الإبراهيمي، وربطت بينهما صداقة قوية إذ لا زم عبد الحميد البشير طيلة ثلاثة أشهر قضاياها في دراسة أوضاع وطنهما، قال الإبراهيمي: « كنا نوّدي فريضة العشاء الأخيرة كل ليلة في المسجد النبوي، ونخرج إلى منزلي، فنسمر مع الشيخ ابن باديس، منفردين إلى آخر الليل حين يفتح المسجد فندخل مع أول داخل لصلاة الصبح، ثم نفترق

¹ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 61، 62.

² المرجع نفسه، ص 71 .

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 385.

إلى الليلة الثانية، إلى نهاية ثلاثة الأشهر التي أقامها بالمدينة المنورة، وأشهد الله على أن تلك الليالي من سنة 1913 ميلادية هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي لم تبرز للوجود إلا في سنة 1931¹.

4 - الثورة التعليمية التي أحدثها الشيخ عبد الحميد بن باديس، حيث بدأ يدرس بالجامع الكبير، ثم انتقل إلى الجامع الأخضر، ولم يكن يعرف الراحة في ممارسة عمله الإصلاحية، فيعلم الطلاب مختلف الدروس، ويفسر القرآن للمواطنين بالليل، واستمر يتابع دروسه دون ملل، ويلقي دروس الوعظ والإرشاد في المساجد والمحاضرات في النوادي، حتى أنه كان يلقي في اليوم الواحد عشرة دروس أو أكثر، يقضي نهاره وليله بين التدريس والتعليم، فهو : « يبدأ التدريس بعد صلاة الفجر، ويقضي طيلة نهاره مدرسا الأطفال الصغار، وكان لا ينقطع إلا لصلاة الظهر، وبعدها يتناول قليل من الطعام، ثم يواصل تدريسه لهم إلى غاية صلاة العشاء فوجا فوجا، ومن التاسعة ليلا إلى منتصف الليل ينتقل إلى تدريس الكبار². » و لم يكن ينقطع عن التدريس إلا لراحة قصيرة أو عمل في مكتبه بجريدة الشهاب: « يعلم الصغار الذين لم يجدوا مكانا في المدارس الفرنسية صباحا، ويعلم طلبة المدارس الفرنسية عصرا بعد خروجهم من المدرسة ليربطهم بعقيدتهم وتراثهم الحضاري³. »

ولم يكتف الشيخ ابن باديس بدروسه في المساجد، بل كان: « يقوم بجولات في أنحاء القطر الجزائري خلال العطلة الصيفية وكذلك خلال عطلة نهاية الأسبوع، وقد كان يزور الزوايا ليناقتهم في العقيدة والفكر الإسلامي، وفي هذه الزيارات كان يطلب من شيوخ الزوايا أن يبعثوا أبناءهم لينتقلوا العلم في قسنطينة على يديه فيعود الكثير منهم محاربا للعقائد الفاسدة والخرافات⁴. » كما كان لدروس الإمام عبد الحميد بن باديس التي شرع فيها منذ عودته من جامع الزيتونة 1913 بمساجد مدينة قسنطينة واستمر فيها أكثر من خمس وعشرين سنة: « أثر بالغ في تجديد البناء

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 278.

² عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس، مرجع سابق، ص 112 .

³ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 60.

⁴ المرجع نفسه، ص 60، 61.

الفكري للأمة ونشر مبادئ الإصلاح الديني والاجتماعي بين صفوفها بتوجيه إياها إلى منابع الصافية من دينها، وإلى السبل القويمة من دنياها».¹

ثانيا: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

في جويلية من عام 1930 بلغ عمر الاحتلال الفرنسي للجزائر قرنا كاملا، وبهذه المناسبة أقامت فرنسا احتفالات صاخبة في الجزائر، وقد كانت هذه الاحتفالات عاملا قويا في سرعة إخراج فكرة تكوين جمعية العلماء من حيز الأمانى إلى حيز الوجود الفعلي. وبالفعل ففي العام التالي مباشرة وقبل أن ينقضي عام واحد على الاحتفالات تمّ: «تكوين جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من صفوة من علماء الجزائر، هؤلاء العلماء كلهم أو جلهم ممن له ماضٍ حافل في خدمة الثقافة العربية والدعوة الإصلاحية ومقاومة مشاريع الاحتلال ضد الشخصية الوطنية للشعب الجزائري مثل الشيخ عبد الحميد بن باديس، الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، الشيخ الطيب العقبي، الشيخ العربي التبسي، الشيخ مبارك الميلي، وهكذا برزت جمعية العلماء إلى الوجود رسميا في الخامس من شهر ماي سنة 1931».²

ولم يكن تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين يرضي بعض الجماعات وشيوخ الطريقة التي ألقت استغلال جهل الأمة وسذاجتها وعاشت على موتها، ومن ورائهم الإدارة الإستعمارية، ولكن: «التيار كان جارفا لا يقوم له شيء، فما كان من تلك الجماعات إلا أن تساير الجمعية في الظاهر وأسرت لها الكيد في الباطن. وما انقضت السنة الأولى في التنظيم والتنسيق، هجم العليويون ومن شايعهم على ضلالهم، وغايتهم استخلاص الجمعية من أيدي المصلحين وجعلها طريقة عليوية واستخدامها هذا الاسم الجليل في مقاصدهم الخاطئة كما هي عادتهم في لباس باطنهم لباس الحق»³

وهكذا كما قال الشيخ البشير الإبراهيمي: «قرروا تأسيس جمعية طرقية في معناها وحقيقتها، حلولية في باطن باطنها، علمية في ظاهرها وما يراه الناس منها، ليوهموها العامة أنهم يحاربون

¹ محمد بن سميحة، صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، دار مدني، 2004، ص 31.

² تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 67.

³ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 56 ، 57.

العلم بالعلم، لا العلم بالجهل، فبثوا في الزوايا وعبيدها دعوة جامعة إلى تكوين هذه الجمعية التي وصفوها بأنها جمعية قوية تقف في وجه الإصلاح، وكان من هذا كله أن تأسست (جمعية علماء السنة) من علماء ماجورين وطلبة مدحورين»¹

وهذا بعد مرور ثلاثة شهور في الإعداد والتحضير، وجهوا أثناءها الدعوات لسائر الشخصيات والعلماء الذين يتوسم فيهم تأييد الفكرة وهي العقيدة المذهبية السنية ضد العقيدة المذهبية الوهابية، وأعلن عن تأسيس هذه الجمعية رسمياً يوم 15 سبتمبر 1932، وجعل على رأسها الشيخ المولود بن الصديق الحافظي الأزهري. واعتقد مؤسسي جمعية علماء السنة، أن تأسيسها هو: «إنقاذاً للعقيدة الصحيحة في الجزائر، ووقوفاً أمام الإلحاد والتبديل والتغيير في دين الله، وذلك بضرب سياج أمام الدعوة الإصلاحية المتطرفة التي جاء بها هؤلاء الأغرار أو المغرضون من المشرق العربي الذي كان يعج بالدعو الوهابية التي نفخ في ضرامها جمال الدين الأفغاني ومحمد عبده ورشيد رضا، فاندفعت كتلة المصلحين في هذا الظل، لا لنشر المذهب الوهابي وحسب، بل لتقضي أيضاً على سمعة أهل العلم والدين التقليديين ولتحل محلهم»²

ولكن هذه الجمعية لم تصمد أمام إرادة وعزيمة مصلحي جمعية العلماء، كما أنها لم تلق المساندة والتأييد والدعم من الشعب الجزائري، لأن هذه الجمعية المدعومة من الإدارة الاستعمارية، حسب الشيخ الإبراهيمي اصطدمت: «بأسباب التفرقة الجوهريّة في أول يوم، وأراد حاو تلميذا أن يلاعب أساتذة الحواة، فكان الضحية وحده، ثم خرج مجلس هذه الجمعية بمواكبه إلى الأمة يسألها المال والتأييد، فقابلته بما يستحق من طرد ومقت، ولم يمض إلا قليل حتى حل الله ما عقدوا، وتبذر ما شيّدوا، ورأى الناس عبرة العبر في انهيار الباطل وانخزال أهله، وعدوها من عجائب صنع الله لجمعية العلماء المسلمين، وقرأوا قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: 17]»³

بقيت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادة الشيخ عبد الحميد بن باديس، وكانت تبسط نشاطها في ميدان التدريس والوعظ والإرشاد وبناء المدارس والمساجد وتأسيس النوادي الثقافية،

¹ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مصدر سابق، ص 57، 58.

² عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون، الكفاح القومي والسياسي، ج 1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984، ص 249، 254.

³ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مصدر سابق، ص 58، 59.

وتقوم بالتوعية وتدعو إلى غرس الحس الوطني والديني والتاريخي تقوية لما تدعو إليه الأحزاب الوطنية، ونتيجة لهذا النشاط المتعظم وضعت فرنسا الإمام ابن باديس تحت الإقامة الجبرية في أواخر سنة 1939، وبسبب نشاطه المتواصل في التدريس والصحافة تعرض غير ما مرة للاعتداء من طرف أعوان فرنسا، وشاء الله أن يتعطل عن هذا النشاط مدة ثلاثة أيام بسبب المرض وتنتقل روحه إلى الرفيق الأعلى في 16 أبريل 1940.¹

لما توفي الشيخ عبد الحميد بن باديس انتخب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رئيساً للجمعية وهو في منفاه بـ "أفلو" بولاية الأغواط، حيث شرع في تأسيس المدارس والمساجد والنوادي، وأعاد جريدة البصائر، وكان يجول في الأقطار العربية والإسلامية للتعريف بالقضية الجزائرية بعد قيام الثورة في أول نوفمبر 1954، وقد وجه بعد قيامها نداء من القاهرة إلى الشعب الجزائري لكي ينضم إلى الثورة، وبقي في القاهرة يشرف على البعثات الطلابية، ويقوم بتوجيهها إلى أن عاد إلى الجزائر في بداية استقلالها،² ملبياً نداء الوطن، لأن البلاد عرفت أزمة حادة، وذلك بسبب صراع الإخوة الأعداء من أجل السلطة، ولولا تدخل بعض الحكماء من أجل حقن الدماء، لكانت الجزائر شهدت حرب أهلية مدمرة لا نتيجة لها، حيث قال: «إذا استمر الخلاف.. فسوف أذهب إلى هناك.. إلى الجزائر.. وأقابلهم واحدا واحدا.. إنهم أبنائي.. وهم لا يريدون بالطبع لوطنهم أن يتمزق.. إنني سأذهب.. لن أتوانى.. لن أتردد.. إنني أحبهم جميعاً»³

وفي ظل هذه الأوضاع التي شهدتها الجزائر غداة الاستقلال، منعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من استئناف نشاطها، بحجة أن النظام السياسي أحادي لا يسمح بالتعددية الحزبية، وهذا بالرغم من أن الجمعية ليست حزبا سياسيا وليست طرفا سياسيا في منهجها أو في ممارستها للإصلاح، كما أن إقصاء الكثير من الإطارات من مراكز المسؤولية، وتهميش ممثلي تيارات فكرية كانت تتمتع بالأغلبية لدى الشعب الجزائري قد ساهم في رهن مستقبل الجزائر، هذا ماجعل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي يصدر بيانا بتاريخ: 16 أبريل 1964 والذي يصادف الذكرى الرابعة

¹ محمد الطاهر عزوي، التعريف برؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة البصائر، العدد: 297، الإثني 21-28 جمادى الثانية 1427 هـ / 17 - 24 جويلية 2006، ص 15.

² محمد الطاهر عزوي، التعريف برؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة البصائر، العدد: 298، الإثني 28 جمادى الثانية - 5 رجب 1427 هـ / 24 - 31 جويلية 2006، ص 15.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 303.

والعشرين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس: « إن وطننا يتدحرج نحو حرب أهلية طاحنة ويتخبط في أزمة روحية لا نظير لها، ويواجه مشاكل اقتصادية عسيرة الحل. ولكن المسؤولين لا يدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية»¹، وبعد إصدار الشيخ الإبراهيمي هذا البيان بعام، أصيب بمرض عضال وتوفي يوم 20 ماي 1965 م.

جاءت حركة 19 جوان ورأت ضرورة الإطاحة بالنظام والقضاء على سياسة الحكم الفردي، لأن ما كان يحلم به الشعب وما كان يتمناه قبل حركة جوان من وعود ذهبته مع أدراج الرياح، لقد جددت هذه الحركة في نفسه حسب الشيخ محمد خير الدين: « تلك الآمال، وأحيت في قلبه الرغبة إلى حياة أفضل، وجعلته يتطلع إلى مستقبل مشرق زاهر، ولكنه وجد نفسه بعد طول انتظار أن حالته اليوم تكاد تشبه في بعض الوجوه حالته بالأمس، وأن ما حدث من تغيير لم يمس غير المظاهر فقط، أما الأوضاع التي كان يشتكي منها فتكاد تبقى على ما هي عليه»².

وأصبحت البلاد تحت سيطرة الحكم الفردي من جديد، وهو ما أدى إلى غياب مبدأ التداول على السلطة تماما في ظل هذا الحكم، بالإضافة إلى اعتماده على إيديولوجية تتنافى مع قيم ومبادئ وثوابت المجتمع الجزائري، وهذا ما أشار إليه الشيخ محمد خير الدين حين قال: « للأسف الشديد إن هذا الانقلاب لم يغير شيئا، فعبادة الشخصية لا زالت في أوجهها والحكم الفردي لا يزال يمارس بدون رقابة، وحظوظ وطننا موضوعة بين يديه وكذا مواردنا والميزانية العامة، وهو الذي يحتم على أبنائنا مذهباً تروبوها وثقافيا حسب اختياره الشخصي، وقد أخضعتنا لإيديولوجية معادية للقيم الأخلاقية والروحية الإسلامية»³.

وبالتالي بدلا من أن تقوم السلطة الجزائرية غداة الاستقلال بتوجيه حماس الشعب الجزائري، وتعبئة الطاقات الهائلة التي كانت متوفرة في مؤسسة ضخمة للبناء الوطني في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، كان منطلق الإقصاء: « وعدم وجود الحوار بين القاعدة والهيئات القيادية لمختلف الأجهزة، ورفض كل نقد وإن كان نقدا بناء، والنمط البائس لاختيار المسؤولين الذي يقوم على اختيار الزملاء ومحاباة الأتباع، كل ذلك خلق مناخا سياسيا فاسدا منذ

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 317.

² محمد خير الدين، مذكرات، ج 2، ط 2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002، ص 235.

³ المصدر نفسه، ص 243.

نهاية الستينات وبداية السبعينات، يتسم بصراع العصب داخل السلطة الذي أفضى إلى القطيعة مع القاعدة وغذى أزمة الثقة التي قرضت النظام الجزائري ثم زعزحته، إلى أن وصلت إلى الذروة في نهاية الثمانينات، جاعلة الوضع السياسي متفجراً.¹

مع الإصلاحات السياسية التي اتخذتها السلطة بعد أحداث أكتوبر 1988، عادت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إلى الوجود لكن هذه العودة لم تبدأ بالتفكير مباشرة في الموضوع، وإنما كان المنطلق مع الاعتداء الأمريكي على العراق سنة 1990، فالتقى مجموعة من رجال الأمة المصلحين أمثال محمد فراح وعبد الوهاب حمودة ومحمد الهادي الحسني وغيرهم، وتشاوروا فيما يمكن فعله لتسجيل موقف مما يتعرض له العراق من اعتداء، ووسعوا دائرة التشاور، ليتوصلوا إلى: « إصدار بيان يسجلون به موقف علماء الجزائر، واختاروا لأن يكون الموقع عليه هو الشيخ أحمد حماني رحمه الله، فوافق الشيخ حماني على التوقيع على البيان، ولكنه ربط هذه الموافقة بموافقة المجموعة على السعي لأجل عودة جمعية العلماء، فكان التوقيع على البيان بمثابة أخذ العهد على السعي في سبيل ذلك لتعود جمعية العلماء من جديد، فوافقت المجموعة وصدر البيان، ثم شرع في السعي من أجل إعادة بعث الجمعية من قبل بقايا الجمعية وتلاميذهم من المعهد الباديبيسي».²

نظّم أول لقاء في الجامع الكبير بالعاصمة، حضره الكثير من بقايا الجمعية وطلبة معهد ابن باديس وعلى رأس الحضور الشيخ علي المغربي الذي كان من بقايا المجلس الأخير قبل إندلاع الثورة، والشيخ أحمد حماني، الساسي العموري، محمد الهادي الحسني، صالح نور، محمد الطاهر فضلاء، عبد الرزاق قسوم. وحصلت: « الجمعية على الاعتماد برئاسة الشيخ أحمد حماني، ورغم المعاناة والضعف المادي الذي صاحب الجمعية في مسيرتها الطويلة، أعادت الجمعية جريدة البصائر إلى الصدور من جديد باعتبارها لسان حالها ووسيلتها الإعلامية العتيقة».³

ومع وقوع الأزمة التي دخلتها الجزائر في سنة 1992 تأثرت الجمعية بذلك كأى هيئة وطنية أخرى، ولم يظهر لها أي أثر في الواقع إلا من: « خلال المساعي التي ربما كان يقوم بها رجالها

¹ عبد الحميد براهيم، في أصل الأزمة الجزائرية (1958 - 1999)، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001، ص 191.

² التهامي مجوري، هكذا استأنفت جمعية العلماء نشاطها، جريدة البصائر، العدد: 806، الاثنين 24 رجب 01 شعبان 1437 هـ / 02 - 08 ماي 2016، ص 09.

³ المصدر نفسه، ص 09.

من غير إعلان رسمي أو تبين مبدئي لرأي أو موقف، لأن الأزمة كانت أكبر من الجميع ، وتوقفت بطبيعة الحال جريدة البصائر عن الصدور في انتظار الزمن المناسب لإعادتها».¹

ولم تستأنف الجمعية النشاط من جديد إلا في سنة 1999 بعد وفاة الشيخ أحمد حماني والشيخ علي المغربي وانتخاب الشيخ عبد الرحمان شيبان رئيسا لها ونوابه الثلاثة عمار مطاطلة وابراهيم مزهودي وعبد الرزاق قسوم، ومحمد الطاهر الأطرش أمينا عاما، ومحمد الهادي الحسني مكلفا بالإعلام، ولما تولى الشيخ عبدالرحمان شيبان رئاستها عادت: « جريدة البصائر إلى الصدور من جديد ابتداء من سنة 2000 ، كما أنه استرجع في 27 جانفي 2002 (نادي الترقى) التاريخي الذي ولدت في أحضانه جمعية العلماء بالعاصمة سنة 1931 ، فاستأنف نشاطاته بمحاضرات أسبوعية، بالإضافة إلى أنه بعث تراث جمعية العلماء المتمثل في جرائدها: الشريعة، السنة، الصراط، الشهاب والبصائر كاملة في 12 مجلدا. كما أنه أسس وأشرف على شعب جمعية العلماء في مختلف الولايات».²

وقد كان للجمعية بعد عودتها سنة 1999 حراك وتفاعل مع الساحة الوطنية متميز بالفعل الإيجابي وانتقاء الكفاءات المؤمنة بالخط الإصلاحى للجمعية، وما إن حان مؤتمر سنة 2008 حتى كانت الجمعية حاضرة بأكثر ولايات الوطن بنشاطاتها، وقد كان هذا المؤتمر بمثابة البعث الحقيقي للجمعية. وبقي الشيخ عبدالرحمان شيبان على رأس الجمعية إلى أن وافته المنية صبيحة يوم الجمعة 12 أوت 2011 ، وبوفاة الشيخ شيبان تم انتخاب الشيخ عبدالرزاق قسوم رئيسا للجمعية يوم 17 سبتمبر 2011 ، حيث أكد أن الجمعية: « ستعمل على الاستمرار في خدمة الإسلام والعربية والوطن، عن طريق تقويم العقول وتزكية النفوس، وأنها ستبقى حاضنة لكل الجزائريين، حريصة على وحدتهم وانسجامهم».³

¹ التهامي مجوري، هكذا استأنفت جمعية العلماء نشاطها، جريدة البصائر، العدد: 806، مصدر سابق، ص 09.

² نوار جدواني، السيرة الذاتية للشيخ عبد الرحمان شيبان، جريدة البصائر، العدد: 561، الاثني 15 - 21 رمضان 1432 هـ / 15 - 21 أوت 2011، ص 13 .

³ أبو محمد الأخضر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تؤكد ريادتها، جريدة البصائر، العدد: 566، الاثني 21 - 27 شوال 1432 هـ / 19 - 25 سبتمبر 2011، ص 02.

المبحث الرابع: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومقاصدها

كانت مبادئ جمعية العلماء كما لخصها رئيسها الإمام عبد الحميد بن باديس هي: «العروبة، الإسلام، العلم، الفضيلة، وقال أنها أركان نهضتنا وأركان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين التي هي مبعث حياتنا ورمز نهضتنا، فجمعية العلماء هي التي تحفظ علينا جنسيتنا وقوميتنا وتربطنا بوطينتنا الإسلامية الصادقة»¹.

وقد جاء في الفصل الثاني: (مقاصد الجمعية ووسائلها)، المادة 04: مقاصد الجمعية، من قانونها الأساسي: «أ) نشر الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام وفقا لنصوص الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح باعتدال ووسطية. ب) المساهمة في إعداد الأجيال الناشئة وتحسينها فكريا وخلقيا وحضاريا. ج) العمل لتوعية المسلم الجزائري بانتمائه الوطني والحضاري ومواكبته العصر. د) المحافظة على المرجعية الفقهية المعتمدة في وطننا. هـ) محاربة الآفات الاجتماعية والأخلاقية بكل أنواعها والتي هي أحسن ونشر الفضيلة والقيم الحميدة. و) محاربة البدع وكل ما هو محرم بصريح الشرع بالتنوع والإقناع والحكمة والموعظة الحسنة. ز) تقديم النصح والمشورة للأفراد والهيئات والمؤسسات في ما يخدم صالح العباد والعباد»².

أولاً: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

لقد سعت جمعية العلماء من خلال مبادئها وقانونها الأساسي إلى تحقيق هدفين رئيسيين:

1 – بناء الإنسان الجزائري: المقصود بالبناء هو البناء الكامل الذي يشمل الحياة العقلية والأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فابن باديس كان يرى أن تربية الفرد الجزائري من أجل إعداد الكمال للحياة يعتبر من أهم الأهداف التربوية التي ينبغي أن تسخر الجهود في سبيلها، وإعداد الفرد يكون من خلال ثلاث مجالات: المنزل، المدرسة، المجتمع.

أ. المنزل: ابن باديس في منهجه الاصلاحى للمجتمع الجزائري وفي عمله التربوي لتلامذته، يؤكد كثيرا على ضرورة العناية بالأسرة باعتبارها النواة الأولى في المجتمع، لأن الأمة تتكون من

¹. تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 196.

²./ القانون الأساسي - لجمعية - العلماء - المسلمين/28/06/2017/www.oulamadz.org

مجموعات من الأسر، فإذا اعتنى كل فرد من أبناء الأمة بتعليم أسرته وتربيتها وتهذيبها ترتقي الأمة كلها بارتقاء مجموع أسرها والعكس صحيح، يقول ابن باديس: « على المرء أن يبدأ في الإرشاد والهداية بأقرب الناس إليه، ثم من بعدهم على التدريج، وعندما يقوم كل واحد منا بإرشاد أهله وأقرب الناس إليه، لا نلبث أن نرى الخير قد انتشر في المجتمع، فمن الأسر تتركب الأمة، فعندما يعنى كل واحد بأسرته ترتقي الأمة كلها بارتقاء أسرها»¹، ويؤكد ابن باديس كثيرا على المنزل ويراها المصنع الذي يصنع الرجال وأن تربية الطفل أخلاقيا ودينيا يتوقف على خلق المرأة وتدينها حيث يقول: « البيت هو المدرسة الأولى والمصنع الأصلي لتكوين الرجال، وتدين الأم هو أساس حفظ الدين والخلق، والضعف الذي نجده من ناحيتها في رجالنا معظمه نشأ من عدم التربية الإسلامية في البيوت بسبب جهل الأمهات وقلة تدينهن»²، وقد بذل ابن باديس جهودا كبيرة لتربية المرأة الجزائرية وتعليمها حتى تستطيع تربية أبنائها خلقيا وتعليمهم كي يمكن تدارك التدهور الخطير في أخلاق المجتمع الجزائري.

ب - المدرسة: إلى جانب الأسرة تلعب المدرسة دورها في تشكيل أخلاق الطفل وسلوكه العام فهي أول مجتمع يتصل به بعد أسرته، وتعتبر المدرسة بمثابة: « أعظم قوة خلقية في المجتمع بعد الأسرة، وهي باعتبارها مؤسسة اجتماعية تنوب عن الوالدين في تربية الأطفال وتعليمهم، لها ميزة خاصة على غيرها من المؤسسات الاجتماعية الأخرى، وهي انفرادها بعملية نقل التراث الفكري الذي تتكون منه ثقافة المجتمع إلى الأجيال الصاعدة من أبنائها لإعدادهم للحياة فيه، والمحافظة على تراثه، ومن هنا يتجلى دور المدرسة في بناء الناحية الأخلاقية في شخصية الأطفال»³، والتربية الحديثة تنادي بوجوب جعل مجتمع المدرسة مجتمعا طبيعيا يتأثر بالمجتمع الخارجي ويؤثر فيه، كي تنهيا الفرص الكافية للأطفال للحياة حياة اجتماعية تقارب الحياة الاجتماعية خارجها إلى حد كبير من أجل اكسابهم السلوك الاجتماعي والمفاهيم والمعايير والأخلاق الاجتماعية، وبذلك تكون المدرسة مركز اشعاع في المجتمع تؤثر فيه ويؤثر فيها.⁴

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 292.

² محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتطوير، مرجع سابق، ص 112.

³ المرجع نفسه، ص 113.

⁴ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 294.

ج . المجتمع: المجال الثالث والأخير للتربية هو المجتمع بمؤسساته وأحزابه ومنظماته وهيئاته النقابية وجمعياته وثقافته ونمط الحياة وطرق التعامل بين أفراده وعاداته وتقاليده، فإن الأطفال: « يمتصون في هذا المجتمع أساليب السلوك الذي يتعاملون به فيما بينهم ومع غيرهم، ومن هنا تلح التربية الحديثة والتربية الإسلامية على وجوب التعاون بين المنزل والمدرسة في التربية الأخلاقية للناشئين والعمل بكل وسيلة على توفير البيئة الاجتماعية الصالحة التي لا تهدم ما يقوم المنزل والمدرسة ببنائه، لذلك يجب اصلاح المجتمع من مظاهر الاعوجاج والانحراف حتى لا يكون عاملا معوقا للتربية الأخلاقية المنشودة».¹

وقد أولت جمعية العلماء اهتماما كبيرا بتربية الشباب وتوجيهه توجيهها دينيا وخلقيا واجتماعيا ووطنيا، وقد كان عملها التربوي للشباب والكهول من خلال: المدارس الابتدائية وذلك لتعليم الأطفال الصغار نهارا والشباب والكهول ليلا، ثم المساجد وهذه كانت تقام فيها دروس الوعظ والإرشاد للكبار ليلا، بالإضافة إلى النوادي وتعتبرها الجمعية وسطا بين المدرسة والجامع، لأن طبقات الأمة ثلاث: « صغار تضمهم المدارس الابتدائية وكبار تجمعهم المساجد، وشباب تتخطفهم الأزقة وأماكن الخمر والفجور، فإذا أرادت الجمعية أن تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم لا في المساجد ولا في المدارس، لذلك لا تجد وسيلة لتبليغهم دعوة الدين والعلم إلا في النوادي. وتنظيمهم في منظمات قومية كالكشافة والجمعيات الرياضية والثقافية والفنية بقصد ربطهم في شبكة محكمة من العلاقات الاجتماعية والدينية والوطنية».²

ويوجه ابن باديس نداء إلى المسلم الجزائري ويدعوه فيه إلى أن يكون ابن عصره في الفكر والعمل والتجارة والصناعة وكل ما من شأنه أن يرقى بمستواه الفكري والمادي فيقول: « حافظ على مالك فهو قوام أعمالك، واسلك كل سبيل مشروع لتحصيله وتنميته ... حافظ على حياتك ولا حياة لك إلا بحياة قومك ووطنك ودينك ولغتك وجميل عاداتك، وإذا أردت الحياة لهذا كله، فكن ابن وقتك تسير مع العصر الذي أنت فيه بما يناسبه من أسباب الحياة، وطرق المعاشرة والتعامل. كن عصريا في فكرك وفي عملك وفي تجارك وفي صناعتك وفي فلاحتك وفي تمدنك ورقيك ».³

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 294.

² تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 223 ، 224.

³ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 252.

2 – المحافظة على هوية المجتمع الجزائري: تعتبر المحافظة على الهوية العربية الإسلامية للشعب الجزائري من أبرز الأهداف التربوية التي نادى بها ابن باديس، فهو: « لا يتصور مستقبلا آخر للجزائر إلا في ظل عروبتها وإسلامها وهما ركنان أساسيان من أركان الشخصية الجزائرية الثلاث، أما الركن الثالث فهو الجزائر، فالإسلام بتراثه الروحي العظيم، والعروبة بقيمتها العريقة والجزائر بماضيها المجيد ومستقبلها الزاهر هي الأركان الثلاثة للشخصية الجزائرية في رأي جمعية العلماء»¹ وقد كانت مجمل أعمال ونشاطات الجمعية موجهة إلى المحافظة على دعائم هذه الشخصية، فقد آمن ابن باديس: « أن الخطر الحقيقي على مستقبل الجزائر لا يتمثل فقط في الاحتلال العسكري والسيطرة السياسية لترابها، بل الخطر الحقيقي يتمثل في محاولة هدم كيائها القومي عن طريق القضاء على دينها ولغتها وتاريخها»².

وإذا ما حاول أحد المساس بالشخصية الجزائرية أو بأحد مقوماتها، فابن باديس يتصدى له بالرد: « إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها»³ كما أكد ابن باديس على أن الأمة الجزائرية: « أمة متكونة موجودة كما تكونت ووجدت كل أمم الدنيا، ولهذه الأمة تاريخها الحافل بجلائل الأعمال، ولها وحدتها الدينية واللغوية ولها ثقافتها الخاصة وعوائدها وأخلاقها بما فيها من حسن وقبيح شأن كل أمم الدنيا»⁴ ويعتبر الشيخ عبد الحميد بن باديس أحد الرجال القلائل الذين ناضلوا بصلافة وإيمان طيلة ربع قرن من الزمن عن الهوية الجزائرية، ولعل عبقرية ابن باديس في هذه الناحية تعود إلى أنه كان من الرواد الأوائل الذين أدركوا بعمق نظرتهم ونفاذ بصيرتهم إلى أن تحرير الجزائر من الاحتلال الفرنسي إنما تبدأ الخطوة الأولى فيه من المحافظة على الشخصية الجزائرية، والعمل على بعث مقومات هذه الشخصية من سباتها العميق، بعد أن عمل الاستعمار بكل جهوده على محاولة القضاء عليها ومسح ملامحها العامة.⁵

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 255.

² المرجع نفسه، ص 255.

³ المرجع نفسه، ص 256.

⁴ المرجع نفسه، ص 256.

⁵ تركي رايح، ابن باديس والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد: 02، ربيع الأول 1391 هـ / ماي 1971، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص 63.

فالشيخ عبد الحميد بن باديس لا يتصور مستقبلا آخر للجزائر خارج دائرة الإسلام، فالإسلام هو الذي تبنى عليه العزة القومية للشعب الجزائري، لأنه يشكل مانعا حصينا لشخصية هذا الشعب القومية ضد كل تهديد داخلي أو خارجي، ولذلك بذل ابن باديس جهودا كبيرة في تطهيره من البدع ومحاولة إحياء جذوته في النفوس، حتى يصبح قوة دافقة للجزائريين إلى النضال من أجل تحرير بلادهم. أما اللغة العربية فإن الشيخ ابن باديس يراها الرابطة التي تربط بين ماضي الجزائر المجيد وحاضرها الأثمر ومستقبلها السعيد، ولا توجد هناك رابطة أخرى أقوى وأمتن من هذه الرابطة، لذلك يجب المحافظة عليها، فاللغة العربية هي لغة الدين ولغة الجنس ولغة القومية. أما الوطن الجزائري بكل تاريخه وأمجادته وانتصاراته وهزائمه هو شرف الإنسان، لأن شرفه من شرف الوطن.¹ يقول ابن باديس: « إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي، ومصالح الحاضر وآمال المستقبل، والنسبة للوطن توجب عليهم تاريخه والقيام بواجباته، من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية، والمحافظة على شرف اسمه وسمعة أبنائه، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه، ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه».²

ثانيا: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في كتابات الغربيين

أولى بعض المفكرين والكتاب الغربيين اهتماما بالغا بدراسة الحركة الإصلاحية في الجزائر وبالاهتمام بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إبان فترة الاحتلال الفرنسي، وبالتركيز على دراسة شخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس على وجه الخصوص.

فالمستشرق الانجليزي هاملتون جيب في كتابه: (الاتجاهات الحديثة في الإسلام) تحدث عن الحركة الإصلاحية في الجزائر، وعن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتأثيرها بمبادئ الشيخ محمد رشيد رضا، ومعارضتها لأصحاب الطرق المنحرفة، ورأى أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد تأسست في الجزائر لكي: « تناهض المرابطين والجمعيات الصوفية، وذهب هؤلاء الجزائريون إلى أبعد مما ذهب إليه جماعة أهل (المنار) فهم فيما عدا دعاياتهم المطبوعة

¹ تركي رايح، ابن باديس والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد: 02، مرجع سابق، ص 71 ، 72.

² المرجع نفسه ، ص 72.

والشفهية، قد بدأوا بإحياء المدارس القرآنية الابتدائية في جميع أنحاء البلاد بغية التأثير على الجيل الصاعد، وقد تكلفت جهودهم بالنجاح رغم المصاعب التي لاقتها¹

و اعتبر الفيلسوف الفرنسي فرنسيس جانسون أن جمعية العلماء قامت بإصلاحات شاملة، وذلك من خلال إنشاء المدارس ونشر الوعي الوطني ومحاربة الطريقة المنحرفة، ورأى أن ثورة الشيخ عبدالحميد بن باديس قد: «أحدثت إصلاحا شاملا فيما وصل إليه الإسلام، بعد تخلصه من التحريف والشوائب التي علقته به نتيجة للتفسيرات المشكوك في صحتها، حيث تراكمت خلال قرون عدة، كما عملت على تعميم الثقافة العربية بإنشاء مدارس تتولى تدريس اللغة العربية ونشرها في الجزائر، كما نشرت الوعي القومي مما وقف عقبة في وجه السيطرة الاستعمارية، ومما أقلق سلطات الاستعمار التي كانت تستخدم فئة من رجال الدين المأجورين لتجعل الإسلام وسيلة لتخدير الشعب، كما قاومت خطة القضاء على اللغة العربية، واستخدام كل سلاح لمحاربة تعليمها، ودفتر ثقافتها، لتصبح نوعا من التراث الذي لا يجد مجالا للبقاء، في غير بضع عشرة مدرسة من المدارس العتيقة التي تقرئ القرآن»²

كما رأى المؤرخ الفرنسي شارل روبير اجيرون أن إصلاحات جمعية العلماء أعادت الإيمان إلى صفائه، ومنذ تأسيسها عام 1931 كانت جمعية العلماء المصلحين تضم ثلاثة عشر عالما من بينهم مبارك الملي وأحمد توفيق المدني وهما أول من ألف كتابا في تاريخ الجزائر الوطني باللغة العربية، وعندئذ: «ظهرت في لغة الجزائر العربية كلمات ذات معنى جديد مثل: وطن، والأمة الجزائرية، والشعب... وكانت الجمعية تملك مجلات عقائدية متنوعة مثل الشهاب والسنة والشريعة المطهرة، والبصائر كانت تهاجم بالدرجة الأولى عبادة الأولياء وجميع التجديدات المستتكرة. وعمدت الجمعية أيضا إلى الوعظ في المساجد، وحرصت بوجه خاص على إنشاء مدارس ابتدائية وبعض المدارس الدينية الحرة التي تدرس فيها العلوم الحديثة باللغة العربية، وكانت مدارس للوطنية تبذل فيها الجهود التي تبعث في التلاميذ عظمة هذا المثل الأعلى: (الحياة من أجل الإسلام والجزائر)»³

¹ هاملتون جيب، الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966، ص 63.

² محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، مرجع سابق، ص 60.

³ شارل روبير اجيرون، تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، ط 1، منشورات عويدات، بيروت، 1982، ص 141، 142.

وبالرغم من أنّ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين جمعية دينية، رأى الفيلسوف الأمريكي (جون جيلسبي) أنها استطاعت من خلال مواقفها السياسية أن توقظ المشاعر الوطنية في الشعب الجزائري، لأنّ: «نداءاتها السياسية أفادت في إيقاظ المشاعر القومية في الجماهير الجزائرية، وفي سنة 1938 أكد ابن باديس: أن الإسلام دين الله، ويجب بالأولى أن يكون دين الإنسانية، إنه يشرف العقل ويمجده، ويدعو إلى أن تكون كل تصرفات الحياة قائمة على العقل، إنه يستنكر استعباد الإنسان للإنسان، كما يستنكر الاستبداد في كل صوره... وهو في جوهره ديمقراطي ولا يسمح بالحكم المطلق على الإطلاق، حتى لأكثر الناس عدلاً»¹

و حسب المؤرخ الكندي أندري ديرليك استطاعت جمعية العلماء أن تحافظ على هوية المجتمع الجزائري وأن تضع أسس القومية الجزائرية، ففي: «الوقت الذي كانت فيه فكرة وجود الجزائر غير واضحة في عقلية معظم الجزائريين، وضعت حركة عبد الحميد بن باديس الإصلاحية أسس القومية الجزائرية للشعب، لقد تصور عبد الحميد بن باديس شخصية جزائرية مستقلة، وبذل جهده كي يبلغ بها نضجها الكامل، لقد كانت نتيجة التزامه للأمة الجزائرية أن ولدت الثورة الجزائرية عام 1954 ، والدولة ذات السيادة التي نشأت عام 1962»²

واعتبر الفيلسوف الفرنسي روجي غارودي أن جمعية العلماء حافظت على مقومات الشخصية الجزائرية وحاربت الطرقية المنحرفة، فابن باديس والإبراهيمي ورجال الجمعية، قد: «حاربوا التعليم الاستعماري الهادف إلى تحطيم مقومات الشخصية وقطع الطفل الجزائري عن الثقافة العربية الإسلامية، وحاربوا كذلك العقلية الخرافية (المرابطية)، فتلك العقلية بما فيها من خرافات وإشاعات تتنافى مع روح الإسلام»³

كما ركزت مجموعة من الكتابات الاستشراقية الإسرائيلية على دور الشيخ عبد الحميد بن باديس في الحركة الإصلاحية، لا سيما ما يتعلق بدوره الفكري والدعوي المقاوم المبتعد عن العنف، وما كان له من تأثير قوي على حشد شعبه لمقاومة ومحاربة الاحتلال بشتى الطرق والوسائل.

¹ الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ط1، دار الهدى، الجزائر، 1997، ص 105.

² أندري ديرليك، عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية، مرجع سابق، ص 263

³ الزبير بن رحال، الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، مرجع سابق، ص 105

حيث أشار كتاب (ظهور الدولة الحديثة في إفريقيا) للمستشرقين ميخائيل أفيتبول، ودانيال زينسون إلى اعتبار الشيخ ابن باديس أحد: «القادة الإسلاميين والقوميين الذين ساعدوا على التخلص من الاحتلال الفرنسي للجزائر منذ العشرينيات من القرن الماضي. وأنه على العكس من فرحات عباس كان هناك قائد ديني آخر هو ابن باديس الذي اعترف بكينونة وأهمية الأمة الجزائرية التي لم يعترف بوجودها فرحات عباس، إذ أن ابن باديس اعتبر أن الأمة الجزائرية أمة ذات كيان تاريخي وديني وقومي وإثني»¹

واعتبر الكتاب أن الفكر المقاوم السياسي الإصلاحي لابن باديس يتلخص في أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بقيادته، كانت تمثل الطموحات (القومية) لكثير من الجزائريين، في نفس الوقت الذي احتفظت فيه جمعية العلماء بطابعها الديني الإسلامي، لأنها رأت في الإسلام أحد أبرز وأهم سمات الأمة الجزائرية التي تختلف عن الأمة الفرنسية المسيحية، وأضاف الكتاب أيضا إلى أن: «الفكر الإصلاحي لابن باديس عمل على إحياء الإسلام من خلال خطبه وعظاته ودروسه الدينية وجولاته ومقالاته الصحفية، فقد عمل على بث الفكر المقاوم والاستقلال عن الاستعمار لكن بدون عنف، مؤمنا بأن الإصلاح والتطور التدريجي من شأنهما أن يقودا إلى نهوض أمة جزائرية مستقلة»²

أما البحث الذي حمل عنوان (حركات التمرد الإسلامية في المغرب العربي) من إعداد المستشرق الإسرائيلي يعقوب دانيال، قد أشار إلى أن الشيخ ابن باديس هو أول من شكل الصورة القومية الجزائرية التي مزجت بين المقومات الدينية (الإسلامية) والقومية، معتبرا إياه القيادي الجزائري الأول الذي عمل على تحقيق استقلال سياسي للجزائر عن فرنسا، وذلك بما طوره وبثه في نفوس الجزائريين من فكر تحرري وثوري. واعتبر يعقوب دانيال أن: «الفكر الإصلاحي لابن باديس يتلخص في محاولته تطوير مفهوم (الأمة الجزائرية ذي الخصوصية الثقافية والماضي المشرف) واختلافه الشديد مع مشايخ الصوفية بالجزائر الذين عملوا على إضعاف مظاهر القوة القومية والإسلامية الحقبة في نفوس الشعب الجزائري»³

¹ أحمد بهنسي، رؤية الاستشراق الإسرائيلي لعلماء الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، (د ط)، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، (د ت)، ص 13.

² المرجع نفسه، ص 14.

³ المرجع نفسه، ص 14، 15.

كما اعتبر يعقوب دانيال أن كلا من (ابن باديس، وفرحات عباس، ومحمد بن جلول) هم من قاموا ببلورة الصورة القومية للجزائر في مواجهة الاستعمار الفرنسي، تلك الصورة التي تبلورت من خلال عمل سياسي ودعائي أكد على مساواة الجزائريين المسلمين مع الفرنسيين الأوربيين المسيحيين، إلا أن: « هؤلاء القادة الثلاث اختلفوا فيما بينهم حول ما هو الشرط الذي يحكم المساواة بين الجزائريين والفرنسيين، هل هو الاندماج الجزائري في المجتمع الفرنسي، أم الحصول على استقلالية عن فرنسا؟ وبرز من بين ذلك فكر ابن باديس المؤكد على ضرورة الاستقلال وعدم التبعية لفرنسا»¹

أما كتاب (المسلمون واليهود في المغرب) للمستشرق الإسرائيلي يجيئال شالوم نزي قد أشار فيه إلى أن: « ابن باديس كان من المتنبهين مبكرا للمشروع الصهيوني في فلسطين، وله مقالة نشرت في صحيفة الشهاب عام 1938 أعرب فيها عن ضرورة الحرص على المقدسات الإسلامية في فلسطين وعدم السماح بأي مشروع قومي صهيوني بالأراضي المقدسة. وأن موقف ابن باديس يأتي كرد فعل طبيعي للفكر القومي الذي يحمله والذي يعادي أية مشاريع قومية أخرى في المنطقة العربية أو الإسلامية، وهو يتمسك بموقف قومي معادي لأي طموح قومي يهودي في المنطقة»²

أما الباحثة الفرنسية شارلوت كوراي من المعهد الوطني للغات وحضارة المشرق بباريس، في محاضرة حول (مدرسة ابن باديس خلال سنوات الثلاثينيات: تكوين الأمة) بمركز البحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية والثقافية لوهران. قد ذكرت أن: « جمعية العلماء المسلمين نجحت كثيرا في نشر التربية والتعليم والتكوين في وسط الأمة، بالرغم من عقبات الإدارة الفرنسية للحد من نشاط المدارس التي فتحتها الجمعية خلال الثلاثينيات، وأن مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت تعتمد على استراتيجية مزدوجة في تربية وتعليم وتكوين الأمة الجزائرية، امتزج فيها التعليم التقليدي بالعلوم الأخرى، وأن هذه الاستراتيجية كانت تكمن في تعليم علوم الإسلام واللغة العربية مدعمة بتكوين في الحساب والتاريخ والجغرافيا»³.

¹ أحمد بهنسي، رؤية الاستشراق الإسرائيلي لعلماء الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 15.

² المرجع نفسه، ص 17، 18.

³ https://www.djazairss.com/alfadjr/247616، القيت المحاضرة يوم 17 جوان 2013

وأشارت الباحثة للدور الفعال الذي لعبته جمعية المسلمين الجزائريين في: « تعليم الكبار والشباب والفتيات، باعتماد أقسام مختلطة وكذا دروس محو الأمية للنساء بمسجد (سيدي لخضر) بقسنطينة، كما تناولت الباحثة طرق التدريس المعتمدة من قبل الجمعية التي كانت تركز في مرحلتها الأولى على كتيبات بيداغوجية مصرية لتتجز بعدها أخرى مواضيعها مستوحاة من تاريخ وشخصيات جزائرية».¹

وقد تحدثت الباحثة اليابانية شوكووتاناابي في حوار لها مع جريدة البصائر، أن زيارتها للجزائر كان من أجل إنجاز مشروع بحث حول جمعية العلماء المسلمين قبل الاستقلال في فترة الثلاثينات إلى الأربعينات، وأشارت في حوارها أنها درست التاريخ الفرنسي فلم تجد شيئاً مشتركاً بينه وبين التاريخ الياباني، ومن خلاله اكتشفت تاريخ الجزائر والأمور الثقافية المشتركة بينها وبين اليابان، وهذا ما أدى بها إلى الاهتمام بتاريخ الجزائر وأصبحت حريصة على تعلم اللغة العربية وتاريخ الجزائر الثقافي، واعتبرت من خلال: «الدراسة التي تقوم بها حول جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قبل الاستقلال كحركة إصلاحية، ومقارنتها بالحركات الإصلاحية الأخرى، أنها الهيئة الأولى من اهتمت وناضلت من أجل الهوية الوطنية للمجتمع الجزائري»² واعتبرت أن الشيء المشترك بين اليابان والجزائر هو مشكلة الهوية الوطنية، فاليابان حسبها مازالت تعاني من مشكلة الهوية الثقافية، فهي تقول قد: « عشنا فترة الانتداب والاستسلام ولوعين بالثقافة الغربية، وهذا ما تفسره الأزمة الثقافية التي نعيشها اليوم، فاليابانيون مثلاً الآن يعانون مشكلة اللغة، هناك صراع بين اللغة اليابانية التي هي اللغة الوطنية، وبين الإنجليزية التي هي لغة العلم والتكنولوجيا».³

وحتى الصحف والمجلات الفرنسية أولت اهتماماً بالغاً بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين إبان فترة الاحتلال الفرنسي، وبشخصية الشيخ عبد الحميد بن باديس.

فها هي شهادة مجلة (الإيكو دو باري Echo de paris) التي نشرتها جريدة البصائر في عددها الصادر بتاريخ 02 أبريل 1937 بعنوان: (ماذا يقال عن جمعية العلماء). وجاء فيها: « إن الحركة التي يقوم بها العلماء المسلمون في الجزائر أكثر خطراً من جميع الحركات التي قامت حتى الآن

¹ <https://www.djazairress.com/alfadjr/247616> ، القيت المحاضرة يوم 17 جوان 2013

² حوار مع الباحثة اليابانية شوكووتاناابي، جريدة البصائر، العدد: 816، الاثنين 13- 19 شوال 1437هـ / 18 - 24 جويلية 2016، ص 24

³ المرجع نفسه ، ص 24

فيها، لأن العلماء المسلمين يرمون من وراء حركتهم هذه إلى هدفين كبيرين: الأول سياسي، والثاني ديني، فالعلماء المسلمون المثقفون هم العالمون بأمور الدين الإسلامي وفلسفته، والواقفون على أسرار معتقداته، فهم لا يسعون إلى إدماج الجزائر بفرنسا، بل يفتشون في القرآن نفسه عن مبادئ استقلالهم السياسي، أسس هؤلاء العلماء في عام 1931 اجتماعا عظيما، وشكلوا على أثره جمعية كبيرة، انتشرت في قليل من الزمن انتشارا سريعا، ولا تزال هذه الجمعية تنمو نمو مطردا يوما عن يوم»¹

ومما قالته إحدى الصحف الفرنسية التي كانت تصدر بتونس (Le Petit Matin) عن الشيخ ابن باديس، والتي نشرتها جريدة الشهاب في عددها الصادر بتاريخ 13 جويلية 1937: « الشيخ ابن باديس يمثل حقا الزعيم الخطيب، فهو قد ملك مقاليد الكلام، وبصوته الناري، يستفز الجماهير فيثير الحروب أو ينزل في القلوب سكينه السلام، وهو الرجل الذي وصل في القطر الجزائري إلى درجة التقديس، وتسير وراء خطواته تسعة أعشار الأمة، أما سمعته فقد اخترقت البحار، وأصبح الشرق يعتبره من أكبر رجاله ... إن عملا يقوم به ابن باديس لا يمكنه أن يتضاءل ولا أن يقف، إنه لعمل لا يسير إلا إلى الأمام، ولا بد له من أن يتضخم وأن ينتشر وأن يكتسح كالسيل العرم المدن والبادية، فيحي الموات، ويتلف المعارضة»²

¹ عبد الرحمان شيبان، حقائق وأباطيل، ط 2، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2009، ص 170

² محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، مرجع سابق، ص 59

خاتمة:

في خاتمة هذا الفصل ومن خلال ما سبق يتضح أن الاحتلال الفرنسي حاول من خلال مخططاته ومشاريعه تدمير شخصية وهوية الشعب الجزائري بكل أبعادها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والحضارية، لكن كان للجزائر نخبها في المجال الفكري والثقافي التي تصدت لمشاريع الاحتلال الثقافية والفكرية، وفضحت دسائس الاستعمار وكشف خبايا مشروعه التدميري مثل الحركة الفكرية عند كل من حمدان خوجة ومحمد بن مصطفى بن الخوجة ومحمد بن محمود العنابي ومحمد بن أبي شنب، والحركة الإصلاحية عند كل من عبدالقادر المجاوي والصالح بن مهنا وعبد الحليم بن سماية والمولود بن الموهوب، كما كان رد الفعل اتجاه هذه الأوضاع من خلال الخطاب النهضوي الذي تبنته جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي من البداية كان هدفها بناء الإنسان الجزائري والمحافظة على هوية المجتمع الجزائري.

الفصل الثالث

الخطاب النهضوي في فكر جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين

تمهيد

المبحث الأول : الخطاب العقدي

المبحث الثاني : الخطاب التربوي

المبحث الثالث: الخطاب الاجتماعي

المبحث الرابع: الخطاب السياسي

خاتمة

تمهيد:

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد رأت منذ البداية أن المجتمع الجزائري يواجه استعماراً مادياً يتمثل في الاحتلال الفرنسي ، واستعماراً معنوياً يتمثل في الزوايا والطرق الصوفية المنحرفة، وكلا الاستعمارين متحالفين معاً ضد الشعب الجزائري. واعتبرت جمعية العلماء أن البدء بمحاربة الزوايا والطرق الصوفية المنحرفة هو المنهج الصحيح لمقاومة الاحتلال الفرنسي، ولا يكون هذا الأمر إلا من خلال التفكير في إحداث نهضة شاملة، وفي إقامة مشروع نهضوي يمس كافة الجوانب العقدية والتربوية والاجتماعية والسياسية، ويستهدف إلى إعادة تشكيل الشخصية الجزائرية وبنائها، والمحافظة على ثوابت المجتمع الجزائري وهويته، ولهذا كان : « مبدأ الجمعية في إصلاح المجتمع الجزائري منذ تأسيسها مبنياً على الآية الكريمة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11] ، وهذه الآية هي التي اتخذها المصلحون دستوراً لهم، فالحركة الإصلاحية التي قادتها جمعية العلماء هي الباعث الحقيقي والعامل الرئيسي الأول للنهضة الجزائرية، لأنها جاءت بإصلاح شؤون الفرد في المعتقد والسلوك من جهة، وإصلاح الأسرة والمجتمع من جهة أخرى، وذلك عملاً بالمبدأ القرآني، والسنة الإلهية العمرانية».¹

وإذا كان مبدأ جمعية العلماء قائماً منذ البداية على أساس إصلاح المجتمع الجزائري والتفكير في إقامة مشروع نهضوي، فإن التساؤل المطروح: كيف كانت طبيعة المشروع النهضوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ؟ و إلى أي مدى استطاعت أن تجعل من مشروعها النهضوي مشروعاً عملياً واقعياً ؟

¹ عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، (د ط)، عالم المعرفة، الجزائر، 2009، ص 98

المبحث الأول: الخطاب العقدي

كان خطاب جمعية العلماء العقدي واضحا جليا من خلال إحياء قلوب الناس، وبعث فيهم روح الإيمان الصحيح المولد للطاقة الجهادية ضد المستعمر، وتطهير للعقيدة الإسلامية مما علق بها من الشرك والأوهام والأباطيل التي شوهتها أو حماية عقيدة الشعب الجزائري من التصير والإلحاد والتجنيس.

أولا: محاربة البدع والخرافات

لقد أدركت جمعية العلماء أن نشر العقيدة الصحيحة لا يتحقق إلا بتطهيرها وتخليصها مما علق بها من شوائب الشرك والبدع، واهتمت بهذا الأمر وجعلته نصب عينيه، حيث جاء في قانونها الداخلي ما نصه: «العقيدة الحقّة لها ميزان دقيق وهو الكتاب والسنة. فإذا عرضنا أكثر عقائد الناس على ذلك الميزان وجدناها طائشة، فأى سبيل نسلكه لتقويمها؟ إن اقتصرنا على بيان العقيدة الصحيحة واجتهدنا في إقامة الأدلة، فإن التأثير يكون قليلا، لأن النفوس قد اصطبغت بعوائد وتقاليد مستحكمة، والفطر قد فسدت بما لابسها من خرافات وأوهام. فالواجب إذن أن نبدأ بمحاربة تلك البدع والخرافات بطرق حكيمة تقرب من أذواق الناس، فإذا ماتت البدع والخرافات، وصفت الفطر من ذلك الشوب سهل تلقين العقيدة الصحيحة وتلقنتها النفوس بالقبول»¹

لهذا أخذت جمعية العلماء على عاتقها منذ نشأتها، الدعوة إلى التوحيد وغرس العقيدة الصحيحة في النفوس، ومحاربة الشرك والبدع، فقد كان: «جهد علماء الجمعية مضاعفا في إحياء السنة من جهة وإماتة بدعة من جهة أخرى. والأمثلة كثيرة جدا من ابن باديس إلى الإبراهيمي إلى مبارك الملي إلى العربي التبسي إلى الشيخ أحمد حماني، فمنتوج الجمعية الفكري في محاربة البدع كبير وكبير تمثل في كتب وخطب ودروس ومقالات ومنشورات في الصحف وأشعار وردود ومطالبات وغيرها»²

¹ عبد الرحمان شيبان، من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009، ص 64.

² عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، ط 1، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012، ص 269.

واهتمام الشيخ عبد الحميد بن باديس بالجانب العقدي، راجع لانتشار الشرك والبدع، حيث كتب في العقيدة كتابه: (العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية) وتكلم فيه عن قواعد الإسلام الخمس، وعن معنى الإسلام و معنى الإحسان ومعنى الإيمان بالقدر والملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، ومما جاء فيه أن: «الإيمان في لسان الشرع مراداً به التصديق الجازم بالله وملائكته وكتبه ورسوله واليوم الآخر، والقدر كله خيره وشره حلوه ومره... والدين كله عقد بالقلب ونطق باللسان وعمل بالجوارح الظاهرة والباطنة»¹

وقد ذهب الشيخ ابن باديس إلى الفصل بين الإسلام الوراثي والإسلام الذاتي، فالإسلام الوراثي يعني أن يولد المرء من أبوين مسلمين فيعدّ مسلماً، فيشرب ويكتهل ويشيخ وهو يعد من المسلمين، تجري على لسانه وقلبه كلمات الإسلام، وتبأشر أعضاؤه عبادات وأعمال إسلامية. ولكنه لم يتعلم يوماً شيئاً من الإسلام ولا عرف شيئاً من أصوله في العقائد والأخلاق والآداب والأعمال، قد أخذه بكل ما فيه مما أدخل عليه وليس منه من عقائد باطلة وأعمال ضارة وعادات قبيحة، فذلك كله عنده هو الإسلام، إذن فالإسلام الوراثي: «هو الإسلام التقليدي الذي يؤخذ بدون نظر ولا تفكير وإنما يتبع فيه الأبناء ما وجدوا عليه الآباء، ومحبة أهله للإسلام إنما هي محبة عاطفية بحكم الشعور والوجدان. هذا الإسلام الوراثي هو إسلام معظم عوام الأمم الإسلامية، ولهذا تراها مع ما أدخلت على الإسلام من بدع اعتقادية وعملية، ومع ما أهملت من أخلاق الإسلام وآدابه وأحكامه، متمسكة به غاية التمسك لا ترضى به بديلاً ولو لحقها لأجل تمسكها به ما لحقها من خصومه من بلاء وهوان. لكن هذا الإسلام الوراثي لا يمكن أن ينهض بالأمم، لأن الأمم لا تنهض إلا بعد تنبه أفكارها وتفتح أنظارها، والإسلام الوراثي مبني على الجمود والتقليد فلا فكر فيه ولا نظر»²

و الإسلام الذاتي هو إسلام من يفهم قواعد الإسلام ويدرك محاسن الإسلام في عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه وأعماله ويتفقه في الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ويبني ذلك كله على الفكر والنظر فيفرق: «بين ما هو من الإسلام وما ليس منه، فحياته حياة فكر وإيمان وعمل، ومحبته للإسلام محبة عقلية قلبية بحكم العقل والبرهان كما هي بمقتضى الشعور والوجدان. هذا الإسلام

¹ عبد الحميد بن باديس، العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ط1، دار الفتح، الشارقة، 1995، ص 41، 43.

² عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 240، 241.

الذاتي هو الذي أمرنا الله به في مثل قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْظُمُ بَوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشَى وَفَرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا ﴾ [سبأ:46]، فبالنظر في آيات الله السمعية وآياته الكونية وبناء الأقوال والأعمال والأحكام على الفكر، تنهض الأمم فتستثمر ما في السماوات وما في الأرض وتزيد صروح المدنية والعمران»¹

أما الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قد أكد أن معظم نشاط الجمعية الأساسي، ومنتهاى غايتها، هو رجوع الجزائريين إلى كتاب الله وسنة رسوله، ولذلك قال: «إن الحد الأخير الذي يحدده التاريخ لهذه الجمعية هو اليوم الذي يصبح فيه المسلمون كلهم بهذا الوطن ولا مرجع لهم في التماس الهداية إلا كتاب الله وسنة رسوله، ولا سلطان على أرواحهم إلا الله الحي القيوم، ولا مصرف لجوارحهم وإرادتهم إلا الإيمان الصحيح تنشأ عنه الأعمال الصحيحة فتثمر آثاراً صحيحة... يوم يصبح المسلمون متساوين في العبودية لله، لا يعبدون غيره ولا يدعون سواه، ولا يسلمون وجوههم إلا إليه، ولا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله»²

وركز الإبراهيمي على الجانب العقدي، لأن البدع والمنكرات قد تغلغت في الأمة وطال عليها الأمد، فلا بد لها من صيحة مخيفة ورجة عنيفة تصدع بنيانها وتزلزل أركانها، وتضعف في النفوس هيبة أهل الباطل ورهبته، حيث نادى أبناء الأمة أن: «صحوا عقائدكم في الله، واعلموا أنه واحد أحد، فرد صمد، لا شريك له في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، هو المتفرد بالخلق والرزق والإعطاء، والمنع والضر والنفع، فأخلصوا له الدعاء والعبادة ولا تدعوا معه أحداً ولا من دونه أحداً، وطهروا أنفسكم وعقولكم من هذه العقائد الباطلة الرائجة بين المسلمين اليوم، فإنها أهلكتهم وأضلتهم عن سواء السبيل، وإياكم البدع في الدين فإنها مفسدة له، وكل ما خالف السنة الثابتة عن نبينا ﷺ فهو بدعة».³

و بالنسبة للشيخ مبارك الميلي فهو قد تطرق كذلك إلى مظاهر الفساد العقدي والشرك بالله، التي كانت متفشية في المجتمع الجزائري، كنتيجة لسياسة التجهيل بالإسلام وتعاليمه، التي مارسها

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 240، 241، 242.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 138.

³ المصدر نفسه، ص 406.

الاحتلال الفرنسي وكذا فساد الطرقيين، ونشرهم للبدع بين أفراد الشعب، مما أدى مع الزمن إلى استساغتها، وتحولها إلى سلوكات عادية يظن أنها من الإسلام، والإسلام منها بريء وقد ألف في هذا المضمار كتابه: "رسالة الشرك ومظاهره"، يقول الشيخ العربي التبسي عن هذا الكتاب: «المجلس الإداري لجمعية العلماء يقرر أن ما اشتملت عليه (رسالة الشرك ومظاهره) لمؤلفها الأستاذ مبارك الميلي هو عين السنة، وأن هذه الرسالة تعد من الكتب المؤلفة في نشر السنة ورد البدع... ودعاة الإصلاح اليوم في حاجة ماسة إلى رسالة في هذا الموضوع، جامعة لأدلة هذه المسائل، ناقله للآيات أو الأحاديث... لتكون حجة للمستيقنين، وهداية للمسترشدين، وسيفا مصلتا على أعداء السنن المعروفين في الجزائر، من المتعيشين بهذه البدع والعوائد الضالة».¹

ويشير الشيخ العربي التبسي إلى أن هذه الرسالة قد تم عرضها على مجلس إدارة الجمعية، حيث: «تصفحها واستقصى مسائلها، فإذا هي رسالة تعد في أوليات الرسائل أو الكتب المؤلفة في نصر السنن وإماتة البدع، تقر بها عين السنة والسنين، وينشرح لها صدور المؤمنين، وتكون نكبة على أولئك الغاشين للإسلام والمسلمين من جهلة المسلمين ومن أحمره المستعمرين، الذين يجدون من هذه البدع أكبر عون لهم على استعباد الأمم، فيتخذون هذه البدع التي ينسبها البدعيون إلى الدين الإسلامي مخدرا يخدرون بها عقول الجماهير»²

و هذه الرسالة تعد وجها آخر من وجوه نشاط جمعية العلماء، التي ركزت على دعوة الجزائريين إلى الرجوع إلى عقائد الإسلام الصحيحة، بكشف العقائد الزائفة منها، والبدع الفاسدة، فإذا كان: «الاحتياج إلى معرفة الشرك شديدا، كان تعريف الناس به أمرا لازما أكيدا، وإذا كان الباعث على هذا التعريف إقامة العقيدة، فهو من النصيحة المفيدة الحميدة، وليس الإرشاد إلى الخير النافع بأولى من التنبيه على الباطل الضار، بل كلاهما غرض حسن وسنن، لا يعدل عنه الساعون في

¹ مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق وتعليق: أبي عبدالرحمان محمود، ط1، دار الراية للنشر والتوزيع، الرياض، 2001، ص 27، 28.

² المصدر نفسه، ص 29.

خير سنن، وهذا ما حمل المصلحين المجددين على الاهتمام بدعوة المسلمين إلى إقامة التوحيد وتخليصه من خيالات المشركين».¹

وتعتبر هذه الرسالة كذلك هي ترجمة علمية لجهود جمعية العلماء في محاربة البدع وكشف حقيقة شيوخ الزوايا، التي كانت تجثم على صدر الجزائريين، وتبتز أموالهم، وتمتحن كرامتهم، والأخطر من ذلك تستغل جهلهم وعاطفتهم الدينية السليمة، لإيقاعهم في الشرك بالله تعالى بتكريس ممارسات ظاهرها العبادة وباطنها الشرك بالله، و يكون بيان حقيقة الإسلام بشعائره النقية وعباداته الصحيحة من خلال العلماء، فالمسلمين: «قد عمهم الجهل، وفشا بينهم الدجل، وانتشرت فيهم البدع والمعاصي، وكثفت غفلتهم عن يوم الأخذ بالنواصي، وهذا ضروري لا يستطيع جحده المكابر العنيد، والمسؤول عن هذا الحال هم العلماء، لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾ [البقرة: 159]، فبيان العلماء لمسائل الشرك أداء للأمانة، وقيام بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ثم رجاء لصلاح حال المسلمين».²

فالعلماء لا بد أن يكونوا هم في مقدمة الناس، يوجهونهم ويرشدونهم، ويبثون الوعي فيهم، ولا يمكن لأي مجتمع ولا لأي واقع أن يتخلص من جهله إذا تخلى العلماء عن دورهم، ولعل من أخطر المظاهر التي تموج بها الأمة اليوم هو سكوت العلماء عن بيان الحق الذي أوجبه الله تعالى عليهم بيانه، فالأمة: «متى فقدت العالم البصير، والدليل الناصح، والمرشد المهتدي، تراكمت على عقولها سحائب الجهالات، وران على بصائرها قبائح العادات، وسهل عليها الإيمان بالخيالات، فانقادت لعالم طماع وجاهل خداع ومرشد دجال ودليل محتال، وازدادت بهم حيرتها، واختلت سيرتها، والتبست عليها الطرائق، وانعكست لديها الحقائق، فتتهم العقل وتقبل المحال وتشرذم من الصواب وتأنس بالسراب».³

والشرك حسب مبارك المليلي له آثار خطيرة، ومفاسد جسيمة، وأضرار مهلكة، لأن: «الشرك أم المساوي، وكلية الرذائل ومعمل الموبقات، فهو معصية لا تجدي معها طاعة، ومنقصة لا يجزى

¹ مبارك بن محمد المليلي، رسالة الشرك ومظاهره، مصدر سابق، ص 51.

² المصدر نفسه، ص 60 ، 61.

³ المصدر نفسه، ص 161.

عنها كمال، وضعة لا يقوم منها عز، وسفه لا ترشد به نفس، ولولا الجهل ما نجم له قرن، ولولا الوهم ماحيي له عود، ولولا العادة ما امتد له عرق، فهو شجرة خبيثة، ثراها الجهالة، وسقياها الخيال، وعرقاتها الاعتياد، وجناها نار حفت بالشهوات، وعار ستر بالترهات، فلا كان الجهل القبيح، ولا كانت العادة الضارة، ولا كان الوهم الضال، ولا كان الشرك ومساوئه»¹.

وإذا كان الشرك حسب مبارك الميلي هو السبب في انحطاط المجتمعات، فالتوحيد هو السبب في رقيها، لأنك إن كنت باحثاً عن: «علل انحطاط الأمم، فلن تجد كالشرك أدل على ظلمة القلوب وسفه الأحلام وفساد الأخلاق، ولن تجد كهذه النفاثص أضر بالاتحاد وأدر للفوضى وأذل للشعوب، وإن كنت باحثاً عن أسباب الرقي، فلن تجد كالتوحيد أظهر للقلوب وأرشد للعقول وأقوم للأخلاق، ولن تجد كهذه الأسس أحفظ للحياة وأضمن للسيادة وأقوى على حمل منار المدنية الطاهرة»².

ويؤكد على أن الشهادتان هي أول الأركان وأهمها، فهي المفتاح الذي يدخل به الإنسان إلى دائرة الإسلام: «يدخل المرء في الإسلام بقوله: لا إله إلا الله محمد رسول الله، ومعنى الجملة الأولى: أنه لا يعترف لغير الله بقوة غيبية تخضع لها روحه، فلا يخضع لسواه ولا يعبد إلا إياه. ومعنى الجملة الثانية: أنه لا يعبد بهواه ولا بهوى أحد من أهل المنزلة والجاه، وإنما يعبد به بما جاء به الرسول. فمحصل الجملتين: أن لا يعبد إلا الله، وأن لا يعبد إلا بما شرعه على لسان رسوله. وعلى هذين الأصلين أنبنى الإسلام، وكل ما في الكتاب والسنة تفصيل لما تضمنه هذان الأصلان، وكل ما نافي هذين الأصلين، فهو مناف للكتاب والسنة أجنبي عن دين الإسلام»³.

وهذا معناه أن " لا إله إلا الله " ينطق بها الإنسان بلسانه ويقر في نفس الوقت بقلبه، بأنه لا يوجد إله إلا الله، وعليه يتوكل المسلم، وتقتضي الشهادة أيضاً أن يؤمن الإنسان أن لا خالق لهذا الكون إلا الله وحده لا شريك له. أما شهادة "محمداً رسول الله" فتعني أن تؤمن بأن النبي محمد ﷺ مبعوث من الله رحمة للعالمين، بشيراً ونذيراً إلى الخلق كافة، وتؤمن بأن شريعته ناسخة لما سبقها من الشرائع.

¹ مبارك بن محمد الميلي، رسالة الشرك ومظاهره، مصدر سابق، ص 89 ، 90.

² المصدر نفسه، ص 90 .

³ المصدر نفسه، ص 63 .

ثانيا: محاربة الزوايا والطرقية المنحرفة

لقد كان من نتيجة سياسة الاحتلال الفرنسي أن أصبح الوضع في المجتمع الجزائري يشهد تخلف حضاري عام وشامل، وقد زاد تخلفه ما كان يراه من المنتسبين للطرق الصوفية المنحرفة والتمسك بها والتأييد لشيوخها، الذين جعلت منهم سلطات الاحتلال أداة لغرس الأفكار الضالة، والمعتقدات الفاسدة التي تزيد من قابلية الشعب للاستعمار. فانتشرت في أوساط المجتمع ظاهرة زيارة شيوخ الطرق، والعباد الصالحين الأحياء منهم والأموات، للتبرك بهم وطلب الحوائج منهم، وإقامة الولائم المكلفة حول أضرحتهم، وسط مواكب بشرية تأتي من كل حدب وصوب، لتحقيق لها ما عجزوا عن تحقيقه، لهذا كانت المدرسة الاستعمارية: «تهيء تلامذتها أو مريديها للشر، وتروضهم عليه في حال تطول قليلا، أو تقصر جدا، على نسبة استعداد التلميذ، وإنما تروض نفوسهم على الشر بالجملة، فإذا جاء دور التفصيل لم يعجزها أن تلبس الفاتك منهم لباس الناسك، وتقلد الراعي وظيفه الداعي، وتسم الخلي بسمة الولي، وتحرك لسان الماكر بورد الذاكر، وتؤزر أولاد الحرام بإزار الإحرام، وتخلع على الصعلوك ألقاب الملوك».¹

و في ظل هذه السياسة الاستعمارية انتشرت الطرق الصوفية في كل ربوع الوطن، وسيطرت: «الطرق الصوفية في القرن التاسع عشر، سيطرة مذهلة، فبلغ عدد الزوايا في الجزائر 349 زاوية وعدد المريدين أو الاخوان 295000 مريد... فساد الظلام، وخيم الجمود، وكثرت البدع، واستسلم الناس للقدر، وأصبحوا إذا سئل أحدهم عن حاله أجاب: (ناكل القوت ونستنى في الموت) وهذه الظاهرة الاجتماعية أدت إلى تعطيل الفكر وشل جميع الطاقات الاجتماعية الأخرى».²

كما أن هذه الطرق قد سيطرت على عقول الناس، حيث: «نشرت بينهم التواكل والكسل، وثبتت همهم في الاستعداد للكفاح من أجل طرد المحتل الغاصب، بدعوى أن وجود الاحتلال في الجزائر هو من باب القضاء والقدر، الذي ينبغي التسليم به والصبر عليه، وأن طاعته هي طاعة لولي الأمر»³

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، مصدر سابق، ص 414.

² عيد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الأول، ج 1، مصدر سابق، ص 18.

³ عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، مرجع سابق، ص 31.

وذهبت الطريقة المنحرفة إلى أبعد من ذلك حين اتخذوا الفرنسيين أولياء لهم، ورضوا بالذنية في دينهم، وأوحوا إلى الشعب الجزائري أن: «سلطة الدولة الاستعمارية من سلطة الله وسلطة الله لا تقاوم، وأن التسليم لها تسليم لله، والرضى بأحكامها رضى بقدر الله، فما عليها - أي الأمة - إلا أن تصبر لقضاء الله، فإذا شاء الله جعلهم يرتحلون من عند أنفسهم ويتركون لنا الوطن من بعدهم».¹

وبهذا باعدت هذه الطرق بين الأمة الجزائرية وبين عقيدتها ودينها، حتى: «أصبحت مقاليد العامة والدهماء في أيديهم. إنهم بعد أن أفسدوا فطرتها وأماتوا ما غرسه الإسلام فيها من فضيلة وفككوا كل ما أحكم بينها من روابط أخوة، ورضوها على الذل والمهانة والخضوع، وسدوا عليها منافذ النور، فاستقامت لهم على ذلك. فرقوها فرقا وقسموها إلى مناطق نفوذ، يتزاحمون على استغلالها واستعمارها».²

وعملت الطرق على استغلال الناس وابتزازهم، فعندهم أن: «حق الشيخ قبل حق الزوجة والأولاد والآباء والأجداد، وحق الشيخ في المال قبل حق الفقير والمسكين. بل إنهم يصرفون لهم الزكاة كاملة وينقلونها لأجلهم من بلد إلى بلد... لعمرك إن الطريقة في صميم حقيقتها احتكار لاستغلال المواهب والقوى، واستعمار بمعناه العصري الواسع، واستعباد بأفطع صورته ومظاهره».³

وهكذا انتشرت الطرق الصوفية، وتعددت وتنوعت، وصارت تتحكم بزمام أوضاع الأمة، فلم يكن يتجرأ أحد على مواجهة شيوخ الطرق ومريديهم، أو رفض الانصياع لمطالبهم، والإذعان لأحكامهم وأوامرهم، فقد: «دانت لهم الأمة وألقت إليهم يد الطاعة ومكنتهم من أعراضها وأموالها، أن يأخذوا أموالها سارقين، ثم يورثونها أولادا لهم فاسقين، يبددونها في الخمر والفجور والسيارات والملابس والقصور. ما ضرهم أن تهزل الأمة إذا سمنوا؟ ما ضرهم إذا فسدت أخلاقها مادام خلق البذل والطاعة لهم صحيحا. ما ضرهم أن تتفرق كلمة الأمة ما دامت مجمعة على تعظيمهم

¹ أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج1، مصدر سابق، ص 53.

² محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، ط1، مكتبة الرضوان، الجزائر، 2008، ص 40.

³ المصدر نفسه، ص 41.

واحترامهم؟ ولكن الذي يضيرهم ويقض مضاجعهم هو أن ترتفع كلمة حق بكشف حيلهم الشيطانية وتنفير الناس منهم وتحذيرهم من إفكهم وباطلهم»¹.

وقد تظن الاستعمار لما للطرقية من قوة ونفوذ، وعمل على احتوائها واستيعابها لاستخدامها وسيلة لبسط نفوذه وإحكام سيطرته، بتنصيبه من يضطلع لتشويه الدين عن طريق ضعاف النفوس، وهذا ما جعل جمعية العلماء تدرك أن هذه: «الطرق المبتدعة في الإسلام هي سبب تفرق المسلمين، وأنها هي السبب الأكبر في ضلالهم في الدين والدنيا. وأنا حين نقاومها نقاوم كل شر، وإننا حين نقضي عليها نقضي على كل باطل ومنكر وضلال. ونعلم زيادة على ذلك أنه لا يتم في الأمة الجزائرية إصلاح في أي فرع من فروع الحياة مع وجود هذه الطرقية المشؤومة ومع ما لها من سلطان على الأرواح والأبدان ومع ما فيها من إفساد للعقول وقتل للمواهب»².

كما توصل رجال الجمعية إلى قناعة على أن الجزائر تواجه استعماراً مادياً فرنسياً، واستعماراً معنوياً طريقياً صوفياً، وأنهما متحالفان معاً ضد الشعب الجزائري. ورأى الشيخ ابن باديس والشيخ الإبراهيمي أن البدء بمحاربة الطرقية والصوفية المنحرفة هو المدخل السليم لمحاربة الاستعمار الفرنسي. قال الشيخ الإبراهيمي: «كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنورة، أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين أت من جهتين متعاونتين عليه، وبعبارة أوضح من استعمارين مشتركين يمتصان دمه ويتعرقان لحمه، ويفسدان عليه دينه ودنياه: الأول استعمار مادي وهو الاستعمار الفرنسي، يعتمد على الحديد والنار والثاني استعمار روحاني، يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه المتجرون باسم الدين المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية. الاستعماران متعاضان يؤيد أحدهما الآخر بكل قوته، ومظهرهما معا تجهيل الأمة لئلا تفيق بالعلم فتسعى في الانفلات وتفقيرها لئلا تستعين بالمال على الثورة. فكان من سداد الرأي واحكام التدبير بيني وبين ابن باديس أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون وكذلك فعلنا»³.

¹ محمد البشير الإبراهيمي، الطرق الصوفية، مصدر سابق، ص 42.

² المصدر نفسه، ص 52.

³ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 236.

وهذا ما أدى بآبن باديس إلى أن يؤكد أن الإصلاح لا يكون إلا بالانتقاد، ولذلك كانت له انتقادات سياسية واجتماعية وأدبية ودينية، وكانت وجهته الأولى في النقد الديني هي العقيدة، حيث كان همه الأول: «تطهير عقيدة التوحيد من أضرار الشرك القولي والفعلي والاعتقادي، فإن التوحيد هو أساس السلوك ولذلك ابتدئ بـ ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ قبل ﴿اهْدِنَا﴾ في فاتحة القرآن العظيم. هنا اصطدنا بزعماء الطرق وشيوخ الزوايا الاصطدام المعروف، لأنه إذا خلص التوحيد توجه الناس إلى ربهم الذي خلقهم وتركوهم، واعتقدوا فيهم أنهم مخلوقون مثلهم لا يضررون ولا ينفعون إلى غير هذا مما ينتجه التوحيد الصحيح من تحرير العقول والأرواح والقلوب والأبدان».¹

واستمر الشيخ ابن باديس في حربه على الطريقة والصوفية المنحرفة، إلى أن تأسست الجمعية ونصت في منهجها على محاربة الطريقة، حيث جاء في الأصل السادس عشر: «الأوضاع الطريقة بدعة لم يعرفها السلف، ومبناها كلها على الغلو في الشيخ، والتحيز لاتباع الشيخ، وخدمة دار الشيخ، و أولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال وإذلال، وإعانة لأهل الإذلال والاستغلال، ومن تجميد للعقول، وإماتة للهمم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور»²

وأول من اصطدم به الشيخ ابن باديس من الصوفية ومشائخها الطريقة العليوية وشيخها أحمد بن عليوة المستغانمي، وهذا بسبب انحرافها وولاءها للمحتل الفرنسي، فكانت تفتح له الأبواب وتمهد له السبل، في الوقت الذي كان الشرفاء من العلماء المصلحين والصوفية يعانون الأذى من الفرنسيين، وأن هذا الصدام: «دواعيه شاملة للهدفين اللذين أعلن ابن باديس أنه يعمل لهما في الميدانين الديني والدنيوي، وقد تيقن بخطورة هذه الطريقة فيهما. أما الهدف الديني فقد تيقن الخطورة مما تروجه الطريقة من مبادئ الباطنية والدعوة إلى مذهب الحلول ووحدرة الوجود. وأما الهدف السياسي فهو اتصالها بالقوى الاستعمارية والتحالف معها، والتعاون بينهما على العمل المنسق للنجاح المزدوج».³

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 5، مصدر سابق، ص 75.

² محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، ط 2، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002، ص 108.

³ أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1، مصدر سابق، ص 60، 61.

وكاد الشيخ عبد الحميد بن باديس يدفع حياته ثمنا لصدعه بالحق وقيامه بالواجب وشجاعته في الدفاع عن آيات الله وسنة رسول الله ﷺ، فقد حقد ابن عليوة وأتباعه على ابن باديس وأرسلوا له من يقتله، حيث: «دبرت مكيدة شنيعة ضد حياته، وشرع المعتدون فعلا في اقتراف جريمتهم لولا أن حماه الله وأنقذه، ومع ذلك فقد شج وجهه وسالت دماؤه وذلك مساء يوم 14 ديسمبر 1926 م، وتحقق أن الجاني من أتباع ابن عليوة الصوفي العصري».¹

كما كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي من العلماء المجاهدين بالقلم لتحرير العقول التي هي السبيل الأوحى لتحرير الأبدان والبلدان، ومن الذين كان لهم الفضل في تنوير عقول شباب الأمة، والصدع بالحق، وانتقاد أهل الباطل من الطرقية والزوايا المنحرفة، وقد شخص علة المسلمين فلم يجد إلا الطرق الصوفية المنحرفة، هي السبب الرئيسي في تردي أوضاع المسلمين، فالمتمتع والمتأمل في: «أحوال المسلمين ممن رزق ملكة التعليل وأراد ارجاع كل شيء إلى أصله ومنبته الأول، فإنه لا يعسر عليه أن يرجع أمهات علل المسلمين الدينية والاجتماعية إلى هذه الطرق الكاذبة والخطئة، التي أصبحت من قرون فكرة تسود العالم الإسلامي وتتحكم في دينه ودنياه، وتتدخل في حياته وسياسته ثم تستحكم في طباعه، فإذا هو غمرة من الذهول مطبقة أضاع معها آخرته ودنياه»²

ويزيد الشيخ الإبراهيمي توضيحا لحقيقتهم الاستغلالية والاستعبادية، وفتنة شيوخها في الحياة وبعد الممات، فالطرقية حسبه هي: «في صميم حقيقتها احتكار لاستغلال المواهب والقوى، واستعمار بمعناه العصري الواسع، واستعباد بأفضع صورته ومظاهره. يجري كل هذا والأشياخ أشياخ يقدس ميثمهم وتشاد عليه القباب، وتساق إليه النذور، ويتمرغ بأعتابه، ويكتحل بترابه، وتلتمس منه الحاجات وتفيض عند قبره التوسلات والتضرعات، ويكون قبره فتنة بعد الممات كما كان شخصه فتنة في الحياة، ثم تتوالد الفتن فيكون اسمه فتنة، وأولاده فتنة. وداره فتنة وإذا هو مجموع فتون»³

¹ أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1، مصدر سابق، ص 93، 95.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 170.

³ المصدر نفسه، ص 172.

ويضيف الشيخ الإبراهيمي إلى أن الجمعية على دراية ومعرفة بهذه الطرق وأنهم جهلاء ويفخرون بالجهل، وأنصاف أميين ويتباهون بالأمية، إذ: «ليس العلم ولا القراءة شرطا في طرقهم ولا في مشيختهم، ونعرف أنهم لا يملكون من أسلحة هذا الميدان إلا العناد والإصرار على الباطل. ونحن لا نعترف بالعلم لهذا الصنف المتهاافت على أبواب الزوايا المتعيش من فضلاتها، ويأبى لنا شرف العلم أن يكون هؤلاء المسلوبو الإرادة الفاقدو الاستقلال في العلم نظراءنا في المناظرة، لأننا بلوناهم في العمل فوجدناهم جبناء، وبلوناهم في العلم فوجدناهم يحكمون الهوى ولا يحكمون الدليل، وبلوناهم في الكتابة فوجدنا أمثلهم يسمى البدع المنكرة عوائد دينية».¹

ويؤكد الشيخ الإبراهيمي على أن جمعية العلماء عملت على هدم هذه الطرق، وفضح مخططاتها ومشاريعها وتعاونها مع الاحتلال الفرنسي، حيث: «أقمنا على أنقاضها بناء الحق. بدأنا ذلك كله بإزالة هيبتها الباطلة من الصدور، ومحو سلطتها الكاذبة من النفوس، ثم كشفنا عن نسبتها المزورة إلى الدين الحنيف. فما تم لنا ذلك حتى انهارت من أساسها، وتلك عاقبة كل بناء بني على الوهم والتزوير. وقد أحيانا الله حتى شهدنا جنازتها بلا ردة، وهلنا عليها التراب بأيدينا غير آسفين».²

و الشيخ العربي التبسي كان قد وضع نصب عينيه ضرورة محاربة هؤلاء المشعوذين وال دراويش والمرابطين الذين كانوا يعملون مع الاستعمار الفرنسي على تشويه الإسلام تمهيدا لإبعاده عن قلوب الناس وإبقاء الشعب في الجهل مستسلما لقدره المحتوم خاضعا وخنوعا بدل الثورة ضد الاستعمار والجهل والتخلف، وبهذا استطاع تحديد أصل الداء الذي كانت تعاني منه الأمة الجزائرية، فكتب مقالة في مجلة الشهاب عام 1927 يتحدث فيها بثورية عن الذين كانوا يضررون بالدين والوطن باسم الدين، ويقول فيه: «إن أخوف ما يخافه المسلمون الذين خالط بشاشة الإيمان قلوبهم على دينهم دعوى الدجاجلة الذين سيكونون بين يدي الساعة، أولئك النفر الذين جعلهم الله فتنة لمن لم يرد بهم خيرا، فلم يفقههم في الدين، وقد قضت سنة الله أن يكونوا أتباع كل ناعق، وأنصار كل ضال، وعونا على الحق»³

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، مصدر سابق، ص 301، 302.

² المصدر نفسه، ص 407.

³ بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، (د ط)، دار المعرفة، الجزائر، 2006، ص 499، 500.

والشيخ الطيب العقبي تصدى كذلك بدوره إلى بدعة الطريقة وانحرافاتهما، وهاجمها بعنف وقوة، مستخدماً موهبته الشعرية وبلاغته النثرية لفضح الطرق ومشايخها، ولإسقاط الهالة الدينية التي كانوا يتسترون بها. واستمر الشيخ العقبي عنيفاً في هجومه وفي نقده، مما أثار شيوخ الطرق ضده، وكانت: «جمعية العلماء قد تبنت خطأ معتدلاً يرمي إلى جمع الشمل وإجراء الإصلاح من الداخل بالحجة والإقناع واكتساب الوقت وإقناع رجال الطرق بوجود تطوير زواياهم حتى تصبح معاهد علم ونور وهداية، على نحو ما كان عليه أمرها عند ظهورها، وأدى تطرف العقبي في هجومه إلى أن انفكت العصبية، وانحلت الرابطة الأولى، وانسحب المرابطون من نادي الترقى ومن جمعية العلماء، وأسسوا جماعة (علماء السنة)»¹

كما أن الشيخ أبو يعلى الزواوي عزم على القيام بمهمة الدعوة إلى الإسلام الصحيح ومحاربة أهل البدع والخرافات، وأبرز ما كان يمتاز به في دروسه ومحاضراته وخطبه الجمعية شجاعته الأدبية وصوته القوي الواضح النبرات، فكان: «يهاجم الاستعمار وعملاءه بشجاعة وقوة ويندد بأهل البدع والمنكرات، والعقائد الزائغة، والأهواء المضلة والعادات المرذولة التي لا تنتشر إلا في بلد حرم من نور العلم، وحيل بينه وبين الحياة الكريمة التي من شأنها أن تسمو بالإنسان عن الرذيلة ومواطن السوء»²

و يمكن القول أن جمعية العلماء كانت جهودها منذ البداية منصبة لمواجهة خطر الصوفية والطرقية، وعلى تصحيح عقائد الأمة الجزائرية وتربية النشئ تربية إسلامية صحيحة، حيث نادى أبناء الأمة: «أيها المسلم لست مسؤولاً غداً عن شيخ ورث المشيخة عن آباءه وجدوده، أو اشتراها بعرضه ونقوده، ثم هو ليس له من الفضل إلا أنه يفوقك في الجهل ويحسن دونك الدجل، ولكنك مسؤول عن ربك، كيف كانت معرفتك به؟ وعن رسولك، كيف كان جوابك له؟ وعن كتاب وسنة، كيف كان عملك بهما؟ قال تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُم بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: 84] ، ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ﴾ [القصص: 65] ، ﴿أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهَم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ﴾ [الزخرف: 21]»³.

¹ بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 186.

² محمد الصالح الصديق، شخصيات ومواقف، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 311.

³ مبارك بن محمد المليي، رسالة الشرك ومظاهره، مصدر سابق، ص 445.

لهذا يكون واجبنا تجاه الله حسب مبارك الميلي هو أن نعبدته دون أن نشرك به شيئاً، وأن العقيدة الصحيحة لا بد أن تكون مستمدة من القرآن والسنة. وللأسف ما يراه حالياً هو أن الوعاظ والدعاة ليس لهم دراية وفهم وإدراك لما جاء في القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وهذا ما يجعلهم يتحولون تدريجياً من عبادة الله إلى الشرك بالله دون وعي بذلك. حتى أصبح فهم الإسلام لا يكون من خلال الرجوع إلى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وإنما إلى تقاليد وعادات المجتمع، وهذا مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَن ذَلِكُمُ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيُبْسِ الْمَصِيرُ﴾ [الحج:72]¹

وهكذا أدت جهود الجمعية إلى تنوير الأمة والنهوض بها، وكانت بمثابة الحركة التي: «قضت على الجمود وعلى التخلف الفكري، وعلى البدع الملصقة بالدين من خنوع وخضوع أمام القبور والقباب وتقديم البخور والندور لها، والأشجار والأحجار، والخوف من الأرواح الشريرة وعبادة الجن، والسمع والطاعة لأصنام بشرية تأكل وتشرب وتبول وتتغوط وتمرض وتموت، ومع ذلك فهي تدعو الناس لعبادتها، وتزعم لها أن الكون في قبضتها ونزول المطر بيدها والنفع والضرر من أثرها وفي قدرتها».²

وهو الأمر الذي ساهم في تحرير الجزائر، حين اعترف أحد قادتهم أنهم لم يجدوا شيوخ طرق وصوفية يوقفون ثورة الجزائر ضد فرنسا، بسبب جهود جمعية العلماء، في حين وجد الاستعمار الفرنسي شيوخاً صوفيين في المغرب ليتمكن من إيقاف الثورة ضد فرنسا: «إن الجنرال الاستعماري للجيش الفرنسي الذي كلف بإخماد الثورة في الأوراس عام 1955 م وهو الجنرال بارلانج قد اعترف بهذا عام 1955 م في تصريح لبعض الصحف الفرنسية عن سر إخفاقه في الجزائر فيما نجح فيه في المغرب، فقال في ذلك أنه في المغرب اعتمد على سلطة المشائخ في التأثير على الجماهير، أما في الجزائر فإنه لا وجود لهؤلاء المشائخ ولا سلطة لهم على الجماهير».³

¹ Ahmed El Rifaei Chorfi, Imam Moubarak Ben Mohammed El Milli, Traduit par : wafa bedjaoui ,Tome 1, DAR EL HOUDA, AIN M LILA, ALGERIE, 2015, P: 281 , 282

² أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1، مصدر سابق، ص 52، 53.

³ المصدر نفسه، ص 53، 54.

ثالثاً: موقف جمعية العلماء من التنصير والإلحاد

لم يكن الاحتلال الفرنسي للجزائر الذي استمر أكثر من 130 سنة يسعى إلى احتلال الأرض فقط ، ولم يكن المطلب وقتها استغلال خيرات هذه الأرض، بل كان الخطر الرهيب الذي واجهه الشعب الجزائري إبان الاحتلال كان خطر الاستعباد بكل ما تعنيه الكلمة من ذوبان في ثقافة وعقيدة ولغة المحتل، فتحويل المساجد إلى كنائس، وفرض البديل الفرنسي اجتماعياً وعقدياً ولغويًا وثقافياً عبر جملة من الممارسات لأجل التبشير بالدين المسيحي، ولقد: « وضع أساس التبشير المسيحي في الجزائر الكاردينال لا فيجيري، وأسس مراكزه المهمة، ثم أتمت الجمعيات التبشيرية ما بدأ به، وهي جمعيات قوية يمدّها الأغنياء من المسيحيين بالملايين من المال، ويمدّها رجال الكهنوت ونسأؤه بالعمال، وتمدّها الحكومات بالمعونة والتأييد. وقد راعت هذه الجمعيات في اختيار المراكز نفسية السكان وحالة المعيشة، ومن أهم المراكز مركز (ورقلة) في الجنوب الجزائري حيث تكثرت المجاعات، ومركز (بني اسماعيل) قرب بجاية، ومركز (ايغيل علي) ومركز زاوّة»¹.

ولقد عارض الجزائريون حركة التبشير منذ البداية ورأوا فيها خطراً على هويتهم ودينهم، وتحصنوا أولاً في بيوتهم فلم يرسلوا بأولادهم إلى مدارس الإدارة الفرنسية خوفاً عليهم من التنصير والفرنسة المتلازمين، واحتجوا على تحويل المساجد إلى كنائس، وقد لجأت هذه الحركة إلى: « استخدام وسائل الإغراء مستغلة حاجة السكان إلى العلاج والمساعدات الخيرية والتعليم، فنصبت الورشات والمصحات وبعض المدارس التي كانت مفيدة للأهالي، ولكنها كانت أفخاخاً لاصطياد الضحايا الذين كانوا قلة من الناس، وكان رجال الكنيسة أنفسهم قد اعترفوا أن الناس كانوا يأخذون منهم دون أن يقعوا في حبالهم»².

و ذكر الشيخ البشير الإبراهيمي في كلامه عن دوافع التبشير بأنه ليس سوى نتيجة: « من نتائج التعصب المسيحي المسلح، ومولود من مواليد القوّة الطاغية التي تسمي كل ما ترضى عنه من الأعمال المنكرة حرية دين أو حرية فكر، أو حرية تجارة، وأداة من أدوات السياسة في ثوب ديني وشكل كهنوتي، دفعته أولاً ليكون رائدها في الفتح وقائدها إلى الاستعمار، وأمدته بالمعونة

¹ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مصدر سابق، ص 69.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 139.

والحماية، والصيانة والرعاية، وأصبحت جميع الأوطان أوطانه، حتى إذا صاح صائح بالويل أو صرخ مستغيث بالليل، قالت السياسة: اسكت فعمل التبشير من عملي، هو حر وأنا حامية الحرية، وهو إنساني وأنا منقذة الإنسانية»¹

كما ذكر الشيخ الإبراهيمي أنه من المعقول أن يثمر التبشير في الجزائر أكثر من بقية الأقطار الأخرى، وذلك راجع لعدة أسباب: «أولا تقادم عهده، وثانيا وجود الاستعمار الذي يحميه، ثالثا نقشي الجهل والأمية والفقير في الأمة التي هي فريسة التبشير، رابعا انتشار الطريقة التي هي حزن التبشير وكافلته والممهدة له حسا ومعنى، خامسا قعود علماء الدين عن المقاومة وسكوتهم عن المعارضة قبل جمعية العلماء».²

ولكن الواقع حسب الشيخ الإبراهيمي أن التبشير رغم طول فترة الاحتلال لم يلق النجاح، والسبب الأكبر في تصوره هو: «تصلب الجزائري في دينه مهما بلغت به العامية والأمية والفقير»³ و قاومت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حركة التبشير وهاجمتها بقوة وسخرت: «صحفها ودروس المساجد إلى كشف مخططاته، وكان كتابها يتصدون أيضا للمنحرفين الذين وقعوا ضحية التجنس، وهاجمت جريدة (الشريعة) ما قام به الآباء البيض سنة 1933 حين استعرضوا المنتصرين الجزائريين بلباسهم المحلي وسط العاصمة، ومعظمهم كانوا من أطفال العائلات الفقيرة، واعتبرت الجريدة ذلك إهانة لمشاعر المسلمين وتحديا لها، كما هاجمت ما كانت تكتبه وسائل إعلام الكنيسة من التفريق بين المسلمين الجزائريين وادعاء (مجلة المغرب الكاثوليكي) من أن البربر قرييون من الإنجيل وأنهم لذلك يقتربون من أخلاق الفرنسيين».⁴

وقد انتشر الإلحاد بين بعض الشباب الجزائري المثقف نتيجة: «التعليم الذي كان يتلقاه في المدارس الفرنسية دون أن يتعلموا شيئا من اللغة العربية والدين الإسلامي، وكذلك إلى نقشي الخرافات وأضاليل الطرق الصوفية بين العامة كان له هو الآخر أثره الكبير في نشر الإلحاد بين

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 196.

² جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مصدر سابق، ص 69.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 197.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 140

الشباب المتعلم تعليماً أوروبياً، الجاهلين بحقائق دينهم لأنهم يحملون من الصغر، فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين»¹.

وأوضح الشيخ البشير الإبراهيمي أسباب انتشار ظاهرة الإلحاد بين أوساط الشباب الجزائري، حيث قال: «الإلحاد ضيف ثقيل حل بهذا القطر منذ انتشرت بين أبنائه الثقافة الأوروبية من طريق التعليم اللاديني أو من طريق التقليد الأعمى، وغدته غفلة الآباء والأولياء عن هذه الناحية الضعيفة من أبنائهم»².

ثم ذكر كيفية انتشار الإلحاد من خلال التعليم في المدارس اللائكية، حيث بين: «أن الناشئ الذي يتلقى التعليم في هذه المدارس اللائكية يحس من أول أيامه في التعليم بمنافرة ما يتعلمه في المدارس من حقائق الكون مثلاً لما تعود سماعه من أهليه، ثم يزداد ما يسمعه في المدارس رسوخاً في نفسه بما يقام عليه من الدلائل فيزداد على قدر ذلك نفوراً من كل ما يسمعه من أهليه، ثم ينقلب ذلك النفور منهم ومما يسمعه منهم احتقاراً لهم وله، ولكل ما يلبسهم من عوائد وأزياء حتى ينتهي به الأمر إلى الدين إذ يجد أبويه وأقاربه لا يعرفون منه إلا قشوراً ممزوجة بالخرافات، ثم هم لم ينشئوه على احترام الدين ولم يشربوه حبه من الصغر ولم يروضوه على إقامة شعائره، فإذا تمادت به مراحل التعليم وهو على هذه الحالة، شب على الوحشة من قومه ولغته ودينه وملك الإلحاد عليه أمره إلا من رحم ربك، وهذه عاقبة طبيعية للإهمال المتفشي في مثل الأوساط الجزائرية»³.

وإن تفشي الخرافات وأضاليل الطرق بين الأمة حسب الشيخ الإبراهيمي هو الذي: «أدى إلى تفشي الإلحاد بين أبنائها المتعلمين تعلماً أوروبياً، الجاهلين بحقائق دينهم، لأنهم يحملون من الصغر فكرة أن هذه الأضاليل الطرقية هي الدين، وأن أهلها هم حملة الدين، فإذا تقدم بهم العلم والعقل لم يستسغها منها علم ولا عقل، فانكروها حقاً وعدلاً، وانكروا معها الدين ظلماً وجهلاً، وهذه هي إحدى جبايات الطرقية على الدين»⁴ وأن مقاومة التصوف والطرق الصوفية سدا لباب من

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 367 ، 368.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 194.

³ المصدر نفسه، ص 194.

⁴ المصدر نفسه، ص 195.

أبواب الإلحاد: «أرأيت أن القضاء على الطريقة قضاء على الإلحاد في بعض معانيه وحسم لبعض أسبابه؟»¹

ويرد على من عاتبهم على إهمالهم الإلحاد وانشغالهم بالطرق الصوفية، لأنه حسبه قد: «قرأ في هذه الأيام لكاتب تونسي مقالاً ينعى فيه على جمعية العلماء إهمالها لهذه الجهة من جهات الفساد وهي جهة الإلحاد... وفات هذا الكاتب الفاضل أن جمعية العلماء لم تسكت عن الإلحاد بل هاجمته في أمتع معاقله، ونازلته في أضيق ميادينها، كما فاته أن صرعى الإلحاد لا يغشون المساجد، فما تأثير الخطب الجمعية التي تلقى على المصلين؟ وهل يداوى المريض بتحذير الأصحاء من المرض أو أسباب المرض؟ ألا إن العالم المرشد كالطبيب، لا ينجح في إنقاذ المريض من الموت إلا بغشيان مواقع الموت ومباشرة جراثيم الموت»²

وهو يذكر اهتمام أعضاء الجمعية بهذا الصنف من الناس، بل يعتبر أنهم أقرب إلى الإصلاح من غيرهم، لأن: «رجال جمعية العلماء يعلمون أن هذه الطائفة المعرضة للإلحاد هي زهرة الأمة وأنها جديرة بكل عناية واهتمام، وأنها - وإن لم تسلم من طائف الإلحاد - سالمة من الجمود والتخريف، وأنها أقرب إلى الإصلاح والرجوع إلى الحق بما معها من إدراك صحيح وبما فيها من ملكات الاستدلال، لذلك مازجوا هذه الطائفة وخطوها بأنفسهم، وعرفوا كيف يجذبونها إلى المحاضرات والدروس الدينية، فكان لهذه الطريقة الرشيدة أثرها الصالح في تقويم زيغ الزائغين منها وإرجاعهم إلى حظيرة الدين بكل سهولة»³

ولم يقف رجال جمعية العلماء مكتوفي الأيدي إزاء موجة الإلحاد التي بدأت تنتشر بين طائفة من الشباب المثقف بالثقافة الأجنبية بل قاوموها وعملوا على: «حمايته من آثارها المدمرة، وذلك عن طريق الاتصال بالشباب، ومحاولة جذبهم إلى أحضان الحركة الإصلاحية، وتلقينهم دروسا في اللغة العربية ومحاضرات عن الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية، والعمل على إزالة الشبه التي

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 195.

² المصدر نفسه، ص 195، 196.

³ المصدر نفسه، ص 194.

تحريرهم من ناحية الدين، وذلك في نوادي الجمعية ومدارسها مما كان له أثره في الحد من موجة الإلحاد ثم القضاء عليها في نهاية الأمر»¹.

رابعاً: موقف جمعية العلماء المسلمين من التجنيس

انتشرت موجة في الجزائر تدعو إلى الدخول في الجنسية الفرنسية والحصول على الحقوق السياسية والاجتماعية، والمتجنسون قد جعلوا أنفسهم عرضة لا متهان وازدراء بني جلدتهم إلا أنهم بدل أن يصبحوا مقابل ذلك فرنسيين، أصبحوا طبقة ثالثة في البلاد لا هم من الفرنسيين ولا هم من الأهالي، وأصبحت الجزائر تشمل: « طبقة الفرنسيين، تليها طبقة المتجنسين، ثم طبقة الأهالي. والمسلمين الجزائريين يريدون أن يتحصلوا على الحقوق وعلى الحرية، إنما مع بقائهم مسلمين يحتكمون في أمورهم الشخصية إلى ما أنزل الله، أما إن كان احرازهم على الحقوق لا يكون إلا من طريق الرضى الاختياري بنبذ الأحكام الإسلامية، فهم يفضلون الاحتفاظ على دينهم ولو بضياح الحقوق الطفيفة التي أحرزوا عليها. فالذين يرون أنه يمكن أن يجعل من هذا الشعب المسلم القومي الصلب شعباً فرنسياً بحتاً مع طول الزمن في عوائده وأخلاقه ونظمه وتقاليده إنما هم قوم يعللون النفس برؤية البدر ساطعاً في رابعة النهار»².

وهاجم العلماء محاولة فرنسا تجنيس الجزائريين، فقد كانوا ينظرون إلى التجنيس على أنه خطة فرنسية لمحو الإسلام وعروبة الجزائر، وكان أولئك الجزائريون: « الذين قبلوا التجنيس غالباً محل سخرية وشفقة من العلماء، فقد نشرت "لافاودي هامبل" في 4 سبتمبر 1930 شكوى من رئيس جمعية الجزائريين المتجنسين تخص الحالة التي كان يعيشها أعضاء الجمعية، وقد أصر على أن المجتمع الفرنسي كان يرفضهم بسبب التمييز العنصري، بينما كان يعتبرهم الجزائريون ملعونين وطبقة خارج المجتمع»³.

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 367.

² أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931، ص 352.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 403.

وكانت سياسة الشيخ ابن باديس هو توضيح حكم الإسلام في قضية التجنس وأن ما يقتضيه من رفض أحكام الشريعة الإسلامية بعضها أو كلها، يعد ارتدادا عن الإسلام وخروجا منه. وأعلنت جمعية العلماء أنها كلفت رئيسها بالرد على أسئلة الناس واستفتاءاتهم وقدم إليه الكثير من الأسئلة من الجزائر وتونس حول التجنس، قالها مرة أخرى بصراحة لم تعرف عن كثير من علماء شمال إفريقيا آنذاك، فكتب يقول: «التجنس بجنسية غير إسلامية يقتضي رفض أحكام الشريعة ومن رفض حكما واحدا من أحكام الإسلام عد مرتدا عن الإسلام بالإجماع، فالمتجنس مرتد بالإجماع».¹

وقد سأله أحد أفراد الشعب الجزائري عن أبناء المتجنسين بالجنسية الفرنسية هل يجوز دفنهم في مقابر المسلمين فكان الجواب منه: «الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته وبعد، فابن (المطورني) إذا كان مكلفا ولم يعلم منه انكار ما صنع أبوه والبراءة منه فهو مثل أبيه لا يصلى عليه ولا يدفن في مقابر المسلمين، وإن كان صغيرا فهو مسلم على فطرة الإسلام يدفن معنا ونصلي عليه».²

وخلال الثلاثينات وقف زعماء جمعية العلماء ضد التجنيس مطلقا سواء للنخبة فقط أو لكل الجزائريين، وقد اشترك في ذلك الشيوخ: ابن باديس والإبراهيمي والعقبي والميلي والتبسي وغيرهم، وهاجموا أيضا محاولات التأثير على علماء تونس ليفتوا بإباحة التجنس مثل الشيخ الطاهر بن عاشور الذي قيل إنه مال إلى ذلك، وقد اشترك في الهجوم عليه ابن باديس والإبراهيمي والعقبي، وظهرت ردود ضد التجنيس من علماء الزيتونة وعلماء القرويين، وقد أفتى هؤلاء جميعا بأن: «المتجنس مرتد عن دينه، وأن حكم المرتد هو الكفر، ومن ثمة لا يمكن للمتجنس أن يرث أو يدفن في مقابر المسلمين ولا أن يتزوج على طريقتهم، وإن ذلك يسري على أولاده، وإذا أراد التوبة فعليه أن يخرج من البلاد التي دخل في قوانينها وأن يعلن توبته صراحة».³

¹ مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس، ط 2، دار القلم، دمشق، 1999، ص 78، 79.

² عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 2، مصدر سابق، ص 424.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 375.

وفي الحقيقة لم نر في تاريخ الإنسانية أن أمة من الأمم وقع عليها الاحتلال، فاندمجت بكيبتها عقيدة وأخلاقاً ولغة ونظاماً في المحتل وأصبحت وإياه جزءاً واحداً، فذلك مخالف لنواميس الطبيعة ولسنن الله في كونه، فالجزائر لن تترقى ولن تتقدم ولن تنهض من كبوتها إلا عن طريق الجزائرية والعروبة والإسلام. وأحسن عبارة قيلت في الموضوع، هي تلك: «الكلمة التي فاه بها رجل الجزائر وفخرها العلامة الأستاذ عبد الحميد بن باديس رئيس جمعية العلماء المسلمين في خطاب له ألقاه ببجاية إذ قال ما معناه: لا تنتظم العلاقات وينمو الود إلا إذا تعاملنا بصفاء على قاعدة أنت أنت وأنا أنا، أما أن تصبح أنت أنا أو أنا أنت فذلك عين المستحيل».¹

وحسب وجهة نظري أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين محقة في خطابها العقدي، حين ركزت على مسألة حماية عقيدة الشعب الجزائري من التنصير والإلحاد والتجنيس، وتطهير عقيدته الإسلامية مما علق بها من الشرك والبدع والأوهام والأباطيل التي شوهتها، حتى تبعث فيه روح الإيمان الصحيح المولد للطاقة الجهادية ضد المستعمر. على عكس موقف مالك بن نبي حين نبّه في أكثر من كتاب بوجود ثغرة وقعت فيها الحركات الإصلاحية، لأن المسألة حسبه لا تتمثل في تلقين أو في إعادة تلقين المسلم عقيدته، ولكنها تتمثل في إعادة تلقينه استخدامها وفعاليتها في الحياة، إلا أن المصلحين قد أغفلوا وضع هذه المشكلة، حيث قال: «وعليه فليست المشكلة أن نُعلم المسلم عقيدة هو يملكها، وإنما المهم أن نرد إلى هذه العقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية، وتأثيرها الاجتماعي، وفي كلمة واحدة: إن مشكلتنا ليست في أن نبرهن للمسلم على وجود الله، بقدر ما هي في أن نشعره بوجوده، ونملاً به نفسه باعتباره مصدراً للطاقة».²

ولكن كيف نرد للعقيدة فاعليتها وقوتها الإيجابية وتأثيرها الاجتماعي في الواقع كما يقول مالك بن نبي، وهي قد تعرضت للتشويه وشابها الكثير من أمور الشرك والبدع والأباطيل والأوهام، بفعل رجال الزوايا والطرقية المنحرفة من جهة وكذلك سياسة الاحتلال الفرنسي من خلال تطبيق مشروعه التدميري كالتنصير والإلحاد والتجنيس، والقضاء على هوية المجتمع الجزائري وثوابته من جهة أخرى. فالبديهي هو العمل على تطهير عقيدة المجتمع الجزائري، حتى تكون له عقيدة صحيحة، ومن ثم تفعيلها لتكون مصدراً للطاقة الجهادية ضد الاحتلال الفرنسي.

¹ أحمد توفيق المدني، كتاب الجزائر، مصدر سابق، ص 353

² مالك بن نبي، وجهة العالم الإسلامي، مرجع سابق، ص 54

المبحث الثاني: الخطاب التربوي

اتبعت فرنسا العديد من السياسات أثناء احتلالها للجزائر، ولعلّ أهم هذه السياسات هي القضاء على الشخصية الجزائرية وطمس هوية المجتمع الجزائري، وهذا ما يحاول أي استعمار القيام به في أي دولة لفرض سيادته، فاعتمد الاحتلال الفرنسي على سياسة التجهيل والفرنسة والتنصير، وقد اتجه إلى التربية والتعليم لفرض لغته في المدارس وغرس في أذهان التلاميذ فكرة مفادها أن الجزائر جزء من فرنسا، و عملوا على إحلال التاريخ الفرنسي محل التاريخ الجزائري و كذلك القضاء على المساجد و الزوايا و حرق المكتبات ومحاربة الأئمة و العلماء، والواقع أن السياسة الاستعمارية الفرنسية فيما يتعلق بالناحية التربوية التعليمية كانت ترمي إلى: « تكوين جماعات منفصلة عن مقومات الشخصية الإسلامية العربية وإلى تحويل الشعب الجزائري كله وإدماجه في الحضارة الأوروبية والثقافة الفرنسية عن طريق نشر اللغة الفرنسية ومقاومة الشريعة الإسلامية التي ترى أنها هي العقبة الوحيدة التي تحول دون الاندماج»¹.

وقد أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين مشاريع الاستعمار ومخططاته، فركزت على التعليم الإسلامي العربي، بإنشاء المدارس الحرة في جميع أنحاء القطر الجزائري، وحثت الأمة وشجعت الشعب على إرسال أبنائه إلى مدارسها. وكانت الطريقة التي بنت عليها جمعية العلماء أصول هذه النهضة كما يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي هي الجمع بين التربية والتعليم، لأن: « العلم الخالي من التربية ضرره أكثر من نفعه، وما أصيب المسلمون في عزتهم إلا يوم فارقت التربية الصالحة العلم، وكم شقي أصحاب العلم المجرد بالعلم وأشقوا أممهم، والسعادة غاية لا يسلك إليها طريق العلم وحده من غير أن تصاحبه التربية، وأن الجمع بين التربية والتعليم هو وظيفة النبوة التي بينها الوحي في آية: ﴿ وَيُزَكِّكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: 151]»²

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الأول، ج1، مصدر سابق، ص 49.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 173.

أولاً: أهمية التعليم

أدرك الإمام ابن باديس أهمية العلم والتعليم والتربية بالنسبة للأمة الجزائرية التي حورت في عقيدتها ولغتها وهويتها، فوجه كل اهتمامه لنشر العلم ، ذلك لأن: « العلم الصحيح المبني على العقيدة السليمة، هو وحده السبيل إلى سعادة الإنسان في الدنيا والآخرة... و أن البشرية بدون علم تعود إلى حيوانيتها».¹

ومن نعمة الله تعالى على الإنسان أن يرزقه سعة في الأفق، وعمقاً في النظر، فيتسع فكره، وينطلق في آفاق رحبة واسعة، ويؤتية الله بصيرة نافذة تجعله ينفذ إلى أعماق الحقائق وأبعادها، ولذلك أدرك ابن باديس مدى أهمية العلم، لأن: « الإنسان خاصيته التفكير في أفق العلم الواسع الرحيب، فمن حرم إنساناً - فرداً أو جماعة - من العلم فقد حرّمه من خصوصية الإنسانية، وحوله إلى عيشة العجماءات، وذلك من نوع المسخ، فهو عذاب شديد، وأي عذاب شديد»²

والعلم وحده الإمام المتبع في الحياة ، في الأقوال والأفعال والاعتقادات، لأن: « سلوك الإنسان في الحياة مرتبط بتفكيره ارتباطاً وثيقاً: يستقيم باستقامته ويعوج باعوجاجه، ويثمر بإثماره، ويعقم بعقمه، لأن أفعاله ناشئة عن اعتقاداته، وأقواله إعراب عن تلك الاعتقادات، واعتقاداته ثمرة إدراكه الحاصل عن تفكيره ونظره»³

ويذهب ابن باديس إلى أن العلم هو حياة القلوب وإمام العمل، بينما العمل تابع له: « العلم قبل العمل ومن دخل في العمل بغير علم، لا يأمن على نفسه من الضلال ولا على عبادته من مداخل الفساد والاختلال، وربما اغتر به الجهال فسألوه فاغتر هو بنفسه فتكلم بما لا يعلم فضل وأصل».⁴ وأن حياة الإنسان من بدايتها إلى نهايتها، مبنية على أركان ثلاثة: الإرادة، والفكر، والعمل، وهذه الثلاثة متوقفة على ثلاثة أخرى لا بد للإنسان منها: « فالعمل متوقف على البدن، والفكر متوقف على العقل، والإرادة متوقفة على الخلق، فالتفكير الصحيح من العقل الصحيح، والإرادة القوية من

¹ مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مرجع سابق، ص 109، 111.

² عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 269.

³ المصدر نفسه، ص 102.

⁴ المصدر نفسه، ص 107 ، 108.

الخلق المتين، والعمل المفيد من البدن السليم. فهذا كان الإنسان مأمورا بالمحافظة على هذه الثلاثة: عقله وخلقه وبدنه، ودفع المضار عنها، فيثقف عقله بالعلم، ويقوم أخلاقه بالسلوك النبوي، ويقوي بدنه بتنظيم الغذاء، وتوقي الأذى، والترخيص على العمل».¹

لذلك اتخذ ابن باديس التربية وسيلة للإصلاح الثقافي والاجتماعي والسياسي، لأن الأهداف التربوية عنده تشمل ذلك كله، يقول ابن باديس: «إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر، وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله».²

وقد نوّه ابن باديس لمسألة تعليم الأطفال دينهم ولغة دينهم، باعتبارها من أهم المطالب وأعظم المسائل، فهي تغرس: «حفظ الإسلام في قلوب أبنائنا وبقائهم مسلمين لا يموتون إلا وهم مسلمون، وهذا الإسلام الشريف عندنا أعز من الأرواح والأموال وكل عزيز، فكان التعليم الذي يحفظها علينا ألزم لنا من القوت الذي تتغذى به الأبدان ومن الهواء الذي يعيش عليه الحيوان، ومنعنا منه أشد علينا من منعنا منهما، فلن نستطيع صبرا على منعنا منه ولا سكوتا على من يتسبب في ذلك المنع كائنا من كان».³ كما أن الشيخ البشير الإبراهيمي أدرك دور العلم وأهمية التعليم الذي كان يعتبره وسيلة فعالة من أجل إصلاح أوضاع الجزائر، وهذا بتوعية الشعب وتعليمه مبادئ دينه ولغته حتى يكون مستعداً للدفاع عنها أمام المستعمر، وإذا كان حسب الإبراهيمي أن: «جهنم تتقى بالأعمال الصالحة، وأساسها الإيمان، فإن الاستعمار يتقى بالأعمال الصالحة وأساسها العلم، وإذا كان العدو الأكبر لجهنم هو العمل الصالح، فإن العدو الأكبر للاستعمار هو التعليم... إن هذه الأمة رضيت لأبنائها سوء التغذية، ولكنها لا ترضى لهم - أبدا - سوء التربية، وأنها صبرت مكرهة على أسباب الفقر، ولكنها لا تصبر - أبدا - على موجبات الكفر»⁴

¹ عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003، ص 191

² المصدر نفسه، ص 150.

³ جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، العدد: 03، الإثنين 05 جمادى الثانية 1352هـ / 25 سبتمبر 1933، دار الغرب الإسلامي، بيروت 2003، ص 01.

⁴ محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، مصدر سابق، ص 220، 221.

و كان الإبراهيمي يؤمن إيماناً مطلقاً بدور المدرسة وأهميتها في المحافظة على هوية المجتمع الجزائري، وكذا الاهتمام باللغة العربية باعتبارها وعاء الإسلام وحافظة قرآنه وتراثه، والمحافظة على اللغة العربية في الجزائر تعني بقاء الإسلام والعروبة في الجزائر، وأن محاولة فرنسا القضاء عليها إنما تستهدف عروبة الجزائر وإسلامها في الدرجة الأولى، فالأمم حسبه: «تبني ما تبني من القصور، وتشيد ما تشيد من المصانع، وتتسق ما تتسق من الحداثق، وتحف ذلك كله بالسور المنيع، فإذا ذلك كله مدينة ضخمة جميلة، ولكنها بغير المدرسة عقد بلا واسطة، أو جسم بلا قلب، وإذا ذلك كله إرواء للغرائز الحيوانية، وإرضاء للعواطف الدنيا بالمتع واللذات، والتباهي وطلب الذكر، أما إرواء العقل والروح، وإرضاء الميول الصاعدة بهما إلى الأفق الأعلى، فالتمسهما في المدرسة لا في القصر ولا في المصنع، ولو تباهت الأبنية المشيدة بغاياتها، وتفاخرت بمعانيها لأسكتت المدرسة كل منافس»¹

ثانياً: إصلاح التعليم

اعتبرت جمعية العلماء أن قضية إصلاح التعليم من أهم وأخطر القضايا، لأن صلاح الحياة وإصلاح الأحياء يرتبط ارتباطاً وثيقاً بإصلاح التعليم. فقضية إصلاح التعليم من القضايا المتشابكة لأنها لا تهم ولا تخص فرداً بعينه ولا طائفة بشخصها، بل هي قضية تخص المجتمع كله بل والأمة بأسرها، وقد أكد ابن باديس على أن إصلاح المجتمع يكون من خلال إصلاح العلماء، ولا يصلح العلماء إلا إذا صلح التعليم، فلن: «يصلح المسلمون حتى يصلح علماؤهم فإنما العلماء من الأمة بمثابة القلب إذا صلح صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله... وإذا أردنا أن نصلح العلماء فنصلح التعليم ونعني بالتعليم التعليم الذي يكون به المسلم عالماً من علماء الإسلام يأخذ عنه الناس دينهم ويفقدون به فيه. ولن يصلح هذا التعليم إلا إذا رجعنا به للتعليم النبوي في شكله وموضوعه في مادته وصورته، فقد صح عنه ﷺ فيما رواه مسلم أنه قال: "إنما بعثت معلماً"»².

وقد انتقد ابن باديس أساليب التربية ومناهجها في المعاهد الإسلامية كجامع الزيتونة وجامع الأزهر وعاب عليها جفاف أسلوبها واشتغالها بالماحكات اللفظية كما عاب عليها مبالغتها في

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، ج3، مصدر سابق، ص 258.

² عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج1، مصدر سابق، ص 217.

العناية بالفروع مع إهمال الأصول، والاهتمام الزائد بتحصيل علوم الوسائل من نحو وصرف وجدل وإغفال علوم المقاصد من فقه وحديث وتفسير وأخلاق وعلوم إنسانية. وقد ضرب لنا ابن باديس مثلاً على عقم أساليب التعليم في جامع الزيتونة بحالته هو شخصياً عندما كان طالبا فيه (1908 - 1912) فذكر أنه قد حصل على شهادة العالمية من الزيتونة ومع ذلك لم يدرس آية واحدة من تفسير القرآن الكريم، ولم يمل قلبه إلى دراسته لعدم تشجيع أساتذته وتوجيههم نحو دراسته، يقول في ذلك: « قد حصلنا على شهادة العالمية من جامع الزيتونة ونحن لم ندرس آية واحدة من كتاب الله، ولم يكن عندنا أي شوق أو أدنى رغبة في ذلك، ومن أين يكون لنا هذا ونحن لم نسمع من شيوخنا يوماً منزلة القرآن من تعليم الدين والتفقه فيه، ولا منزلة السنة النبوية من ذلك».¹

أما الشيخ الإبراهيمي قد رأى أن إصلاح التعليم والحفاظ على غاياته العلمية والمعرفية، لا بد أن يكون بعيداً عن الصراع السياسي والإيديولوجي، وأن لا تكون المدرسة ميدان صراع بين الأحزاب، لأن: « التعليم عند الأمم التي عرفت الحياة معدود في المقومات التي هي رأس مال الوطن، ورأس المال يسمى عن الحزبيات... وقد تختلف الأحزاب عند تلك الأمم في فكرة سياسية وترتفع حرارة الخلاف إلى درجة الغليان، ولكن محال أن يصل الخلاف أو تمتد أسبابه إلى قدس التعليم ومدارسه ورجاله ونظمه وبرامجه ووسائله، محال ذلك لأن التعليم عندهم فوق الأحزاب وفوق الحزبية وأشرف منهما، ولأنه رأس مال الأمة وذخيرة الوطن، وهما مقدسان عند الأحزاب التي تحترم أممها وأوطانها».²

ثالثاً: أركان التعليم

يستند التعليم إلى أركان أربعة: المعلم، الطالب، المادة العلمية، المنهاج

1 - المعلم: المعلم له دوره المهم والبارز في العملية التربوية، فالطالب ينظر إلى معلمه نظرة اقتداء واهتداء، ويتخذ منه القدوة والنموذج الأعلى، و يقلده في أقواله وأفعاله، لذا ينبغي على المعلم أن يضع نفسه دائماً موضع القدوة لطلابه ولمجتمعه، فالمعلم مصلح في نظر ابن باديس، وهو: « لا

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 309.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج2، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997، ص 237.

يمكن أن تثمر جهوده أو تصيب مراميها من أعماق القلوب، إلا إذا كان هو نفسه قوي الإيمان بأفكاره، حريصا على تأصيلها في نفوس مريديه عن طريق السلوك العملي قبل الإتيان عليها من الجانب النظري، جاهدا نفسه على أن يشمل برسالاته التربوية الوسط الاجتماعي، فيكون بذلك النموذج الأمثل لطلابه والقُدوة الحسنة لدى أفراد مجتمعه»¹.

أما الشيخ الإبراهيمي، فقد نبه المعلمين على أنهم رعاة وبناءة، وأنهم مسؤولون عن رعيتهم وبناءهم، حيث خاطبهم قائلا: «إنكم رعاة، وإنكم مسؤولون عن رعيتهم، وإنكم بناءة، وإن الباني مسؤول عما يقع في البناء من زيغ أو انحراف، وواجب المربي الحاذق المخلص، إذا أراد أن يصل إلى نفوس الأطفال أن يحملهم على طاعته وامتنال أمره بأسهل وسيلة، هو أن يتحجب إليهم، ويقابلهم بوجه مهتل وبيادلهم التحية بأحسن منها... وإن الصغير لا يفلح في التربية ولا ينجح في القراءة إلا إذا أحب معلمه كحبه لأبويه أو أعظم، وأحب المدرسة كحبه لبيت أبويه أو أشد»².

كما بين لهم مكانتهم في المجتمع، ودورهم في تربية النشء: «إنكم تجلسون من كراسي التعليم على عروش ممالك، رعاياها أطفال الأمة، فسوسوهم بالرفق والإحسان، وتدرجوا بهم من مرحلة كاملة في التربية إلى مرحلة أكمل، إنهم أمانة الله عندكم، وودائع الأمة بين أيديكم، سلمتهم إليكم أطفالا، لتردهم إليها رجالا، وقدمتهم إليكم هياكل لتتفخوا فيها الروح، وأفاظا لتعمروها بالمعاني، وأوعية لتملأوها بالفضيلة والمعرفة»³. وحثهم على الحرص في إعطاء الأولوية للتربية قبل التعليم: «واحرصوا كل الحرص على أن تكون التربية قبل التعليم، واجعلوا الحقيقة الآتية نصب أعينكم، واجعلوها حاديتكم في تربية هذا الجيل الصغير، وهاديتكم في تكوينه وهي: أن هذا الجيل الذي أنتم منه لم يوت في خيبته في الحياة من نقص في العلم، وإنما خاب أكثر ما خاب من نقص في الأخلاق، فمنها كانت الخيبة، ومنها كان الإخفاق»⁴.

¹ محمد بن سميحة، المشروع التربوي الباديسي، جريدة البصائر، العدد: 147، الاثنين 08 - 15 ربيع الثاني 1424 هـ / 09 - 16 جوان 2003، ص 15.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، مصدر سابق، ص 112، 113.

³ المصدر نفسه، ص 112.

⁴ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، مصدر سابق، ص 264.

و نَبَّههم من البداية على أن تربية الصغار لا تعتمد على البرامج والكتب، لأنها لا تبني عالما ولا تكون أمة ، وإنما التربية عنده تكون بالقوة فهي: « ما يفيض من نفوسكم على نفوس تلاميذكم الناشئين من أخلاق ظاهرة قويمة يحتذونكم فيها ويقتبسونها منكم، وما تثبونه في أرواحهم من قوة وعزم، وفي أفكارهم من إصابة وتسديد، وفي نزعاتهم من إصلاح وتقويم، وفي أسنتهم من إفصاح وإبانة، وكل هذا مما لا تغني فيه البرامج غناء، ولو كانت البرامج تكفي في التربية لكان كل عالم مربيا». ¹

وحذّر الإبراهيمي المعلمين من أخذ الأطفال بالقسوة والترهيب، لأن هذه الطريقة حسبه هي: « التي أفست هذا الجيل وغرست فيه ردائل مهلكة، إن القسوة والإرهاب والعنف تحمل الأطفال على الكذب والنفاق وتغرس فيهم الجبن والخوف وتبغض إليهم القراءة والعلم، وكل ذلك معدود في جنایات المعلمين الجاهلين بأصول التربية». ² وأن يدرس المعلم ميول الأطفال و يختلط بهم، ويجب أن يكون: « بينهم كأخ كبير يفيض عليهم عطفه، ويوزع بشاشته ويزرع بينهم نصائحه، إن درس الميول يمكن المعلم من إصلاح الفاسد منها، ومن غرس أضرارها من الفضائل في نفوسهم، وإن المعلم لا يستطيع أن يربي تلاميذه على الفضائل إلا إذا كان هو فاضلا، ولا يستطيع إصلاحهم إلا إذا كان هو صالحا، لأنهم يأخذون منه بالقوة أكثر مما يأخذون منه بالتلقين». ³

دون أن ينسى الشيخ الإبراهيمي حقوق المعلمين والاهتمام بالجانب المادي، فجمعية العلماء: « مهتمة بشأنها كل الاهتمام، مشفقة على أبنائها المعلمين كل الشفقة، وستتعاون مع الجمعيات المحلية على إزاحة العلل، وسد الخلل، وتحسين الحالة، وقد قامت الجمعية بعدة أعمال من صميم الإصلاح، منها إعلان اللائحة الداخلية التي تحدد العلاقات والوظائف والحقوق والواجبات بين الهيئات المتعاونة على التعليم، ومنها وضع البرنامج المتحد، ومنها الزيادة في الأجور». ⁴

- الطالب: خاطب الشيخ الإبراهيمي طلبة الجزائر وبين لهم أن: « الحياة قسمان: حياة علمية وحياة عملية، وإن الثانية منهما تتبني على الأولى قوة وضعفا، وإنتاجا وعقما، وإنكم لا تكونون أقوياء في

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، مصدر سابق، ص 111.

² المصدر نفسه، ص 113.

³ المصدر نفسه، ص 113.

⁴ المصدر نفسه، ص 265.

العمل إلا إذا كنتم أقوياء في العلم، ولا تكونون أقوياء في العلم إلا إذا انقطعتم له، ووقفتم عليه الوقت كله».¹ وحثهم على عدم الاكتفاء بالكتب المدرسية، والاطلاع على غيرها من الكتب حتى تتسع مداركهم: « لا تقنعوا بالكتاب المقرر، واقرأوا غيره من الكتب السهلة المبسطة في ذلك العلم، تستحكم الملكة ويتسع الإدراك، فوطنوا أنفسكم على ذلك من الآن، وروضوها على اختيار النافع المفيد من الكتب، لا تقطعوا الفاضل من أوقاتكم في ذرع الأزقة إلا بمقدار ما تستعيدون به النشاط البدني، ولا في الجلوس في المقاهي إلا بقدر ما تدفعون به الملل والركود، ولا في قراءة الجرائد إلا بقدر ما تطلعون به على الحوادث الكبرى، خذوا من كل ذلك بمقدار، ووفروا الوقت كله للدرس النافع والمطالعة المثمرة».²

وقد وجه الشيخ الإبراهيمي نصيحة للطلبة، حيث خاطبهم قائلاً: « احفظوا كل ما يقوي مادتم اللغوية وينمي ثروتكم الفكرية، ويغذي ملكتكم البيانية، والقرآن القرآن، تعاهدوه بالحفظ وأحيوه بالتلاوة، وربوا ألسنتكم على الاستشهاد به في اللغة والقواعد، وعلى الاستشهاد به في الدين والأخلاق، وعلى الاستظهار به في الجدل، وعلى الاعتماد عليه في الاعتبار بسنن الله في الكون».³

كما أراد الإبراهيمي أن يبين للطلبة أن الوطن هو بحاجة إلى جيل قوي متمسك بالعلم: « إن الوطن يرجو أن يبني بكم جيلاً قوياً الأسر، شديد العزائم، شديد الآراء، متين العلم، متماسك الأجزاء، يدفع عنه الفوضى السائدة في الآراء، وهذا الفتور البادي على الأعمال، وهذا الخمول المخيم على الأفكار، وهذا الاضطراب المستحكم في الحياة، وهذا الخلاف المستمر على السفاسف، فإذا جاريتم هذه الأهواء المتباينة، واستجبتم لهذه الأصوات المتنافرة، ضيعتم على الوطن جيلاً، وزدتم في بلائه ومحنته، وأطلتم مدة المرض بتأخير العلاج. لا يعذلكم في حب وطنكم إلا ظالم، ولا يصرفكم عن إتقان وسائل النفع له إلا أظلم منه، أنتم اليوم جنود العلم فاستعدوا لتكونوا غداً جنود العمل».⁴

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، مصدر سابق، ص 203.

² المصدر نفسه، ص 203.

³ المصدر نفسه، ص 204.

⁴ المصدر نفسه، ص 204.

- **المادة العلمية:** لقد كان التعليم الذي قامت به جمعية العلماء وقام به ابن باديس على قسمين: تعليم ديني لغوي مسجدي يشبه إلى حد كبير التعليم بمعاهد الأزهر والزيتونة والقرويين في كل من مصر وتونس والمغرب وهذا النوع من التعليم هو الذي كان تلامذته يتعلمونه عليه في الجامع الأخضر بقسنطينة. وتعليم مدرسي حديث وهو ذو صبغة دينية ولغوية، وهذا النوع من التعليم كان يتعلمه الأطفال الصغار في مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة وفروعها في بعض مدن القطر الأخرى، ثم في مدارس جمعية العلماء بعد تكوينها في عام 1931 وهو يشبه إلى حد كبير التعليم الحديث في المدارس العربية بالشرق العربي في الثلاثينات.¹

وكان يقبل على هذا التعليم المدرسي الأخير نوعان من الأطفال: الأطفال الذين يتابعون دراستهم النهارية في المدارس الفرنسية حيث يحضرون ساعات معينة بعد انتهاء دراستهم فيها لتلقي مبادئ اللغة العربية والقرآن والدين والأناشيد الوطنية. والأطفال المحرومون من التعليم في المدارس الفرنسية وهؤلاء يتابعون دراستهم فيه كاملة بحيث يتناولون معظم المواد التي يدرسها زملاؤهم بالفرنسية في المدارس التابعة لحكومة الجزائر ولكن باللغة العربية مع تغليب الجانب اللغوي والديني على غيره من الجوانب الأخرى.²

ويتميز التعليم الذي نهض به ابن باديس في الجزائر بأنه ذو طابع ديني ولغوي في الغالب يقوم على: «دراسة العلوم الشرعية والعلوم التي لها صلة بها، ثم على الأدب العربي شعرا ونثرا وفنون اللغة العربية، وعلى شيء من التاريخ والجغرافيا والرياضيات».³ ولقد كان الدافع الذي دفع ابن باديس إلى العمل على نشر التعليم العربي الإسلامي بين أبناء الجزائر هو شعوره بضرورة: «العمل على تدارك الحالة الخطيرة التي وصلت إليها اللغة العربية والدين الإسلامي في الجزائر، ولذلك رأى أن إنقاذ الشخصية الجزائرية التي تقوم في رأيه على ثلاثة أركان هي: الإسلام والعروبة والجزائر من عوامل التدهور والانحلال والمحافظة عليها من الطعنات التي توجه إليها من الاستعمار ورجال التبشير المسيحي المتعاونين معه، إنما يكون عن طريق واحد فقط هو العمل

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 306.

² المرجع نفسه، ص 306، 307.

³ المرجع نفسه، ص 301.

على نشر التعليم العربي الإسلامي»¹. ولم يقتصر التعليم الذي قامت به جمعية العلماء على التعليم الديني اللغوي المسجدي والتعليم المدرسي الحديث، بل تعدّاه إلى تعلم اللغات الأجنبية، واعتبر الشيخ ابن باديس أن تعلّم لغات الأمم الأخرى من الشرع والسنة، حيث استشهد بحديث نبوي شريف رواه الترمذي: «زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب اليهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب، قال: فما مرّ بي نصف شهر حتى تعلّمته. قال: فلما تعلّمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليّ قرأت له كتابهم»²

ولعل الفائدة حسب الشيخ ابن باديس من تعلم لغات الأمم الأخرى راجع لارتباط المصالح بين الأمم والمجتمعات، فكل: «قوم تربط بينهم المصالح لا بد لهم من التعاون، ولا يتم التعاون إلا بالتفاهم، والتفاهم بالمشافهة والكتابة، فعلى القوم المترابطين بالمصلحة أن يفهموا بعضهم لغة بعض وخطه، وبقدر ما تكثر الأقوام المترابطة بالمصلحة تكثر اللغات والخطوط ويلزم تعلمها، لأن العلة هي الحاجة، وسواء كانت المصلحة التي تربط الأقوام عمرانية أو علمية، لأن المصلحة من حيث هي مصلحة محتاج إلى تحصيلها»³.

– **المنهاج:** منهج جمعية العلماء الدراسي لم يكن يهتم بالجانب المعرفي من شخصية التلاميذ فحسب وإنما كان يوجه اهتمامه الأكبر إلى تكوين شخصياتهم تكويناً متكاملًا في جوانبها المعرفية والخلقية والذوقية والاجتماعية والوطنية والدينية، وقد عبر الشيخ البشير الإبراهيمي عن هذا المنهج بقوله: «كانت الطريقة التي اتفقنا عليها أنا وعبد الحميد بن باديس في اجتماعنا بالمدينة المنورة في عام 1913 في تربية النشء هي: ألا نتوسع له في العلم وإنما نربيّه على فكرة صحيحة ولو مع علم قليل، فتمت لنا هذه التجربة في الجيش الذي أعدناه من تلامذتنا»⁴.

لهذا كان الشيخ ابن باديس لا يختلف في تصوره للمنهج عما تتادي به التربية الحديثة، فهو في مناهجه الدراسية يراعي هذين الأساسين التربويين بكل دقة، فهو: «من ناحية يطلب من المعلم

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 301

² عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، اعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الأول، ج 2، ط 3، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997، ص 231 .

³ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 72.

⁴ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 305 ، 306.

ضرورة مراعاة مدارك التلاميذ وقواه العقلية ودرجة استعداده للتعلم ومراحل نموه في مختلف أطوار حياته، ويؤكد عليه بأنه في حاجة إلى معرفة أساليب التفهيم، وفهم نفسية المتعلمين، وحسن التنزل لهم، والأخذ بأفهامهم إلى حيث يريد بهم حسب درجتهم واستعدادهم، وهو من ناحية أخرى يراعي التراث الثقافي والحضاري للمجتمع الجزائري العربي المسلم ويعمل على المحافظة عليه»¹.

وطريقة التدريس التي كان ابن باديس يستعملها في تدرسيه فهي تختلف حسب اختلاف نوعي التعليمين: «فالتعليم المسجدي للكبار له طريقة الإلقاء والمحاضرة، والحوار والاستفهام والمراجعة وهي ما كان ابن باديس يستعمله في تدرسيه أثناء دروس الأدب العربي والحضارة الإسلامية والبلاغة وتفسير القرآن الكريم وشرح الحديث الشريف، أما النوع الثاني فالطريقة المتبعة هي الطريقة الجزئية في الصفوف الأولى المبتدئة والطريقة القياسية في الصفوف المتقدمة»².

وكانت طبيعة الفكر الذي اتبعته جمعية العلماء في مدارسها أنه يجمع بين الفكر والعمل، بين النظر والتطبيق، ويعتبر ابن باديس أنه لا سبيل إلى محو البدع والضلالات إلا بالعمل والعمل، وإظهار الإسلام بسلوكنا في الحياة أمام الناس في مظهره الصادق الصحيح، وأكثر من ذلك فإنه أدخل الصناعات التطبيقية في منهاج التعليم وخصوصا الصناعة اليدوية، والانقلاب الأساسي الذي حدث في التربية الحديثة هو التوحيد بين التعليم النظري والعمل اليدوي أو التطبيقي، باعتبار أن العمل نشاط قائم على أساس المعرفة وعلى أساس إدراك المرء لما سيعمله، وقد عبر لنا عن هذه الحقيقة الحية بقوله: «العلم قبل العمل ومن دخل العمل بغير علم لا يأمن على نفسه من الضلال»³.

رابعا: نظام التعليم بعد الاستقلال

منذ أن حققت الجزائر استقلالها، وهي تسعى لإقامة عهد جديد يخرج المجتمع من حالة الجهل والتخلف والحرمان، ومقاومة كل العوائق من أجل استكمال التحرير وإقامة أركان الدولة المستقلة، وقد وجهوا: «كل اهتمامهم إلى ترتيب البيت من خلال النظام السياسي الذي تبناه، والوجهة الفكرية

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 302 ، 303.

² المرجع نفسه، ص 307.

³ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الأول، ج 1، مصدر سابق، ص 102.

التي اتبعوها، وكان التعليم أهم المجالات التي اعتمدها في بناء واقع الأمة وصناعة وجودها»¹. وحرص آنذاك المسؤولين على جعل التعليم ركيزة أساسية لتشييد وبناء الدولة، لأن: «التعليم أساس كل تقدم وعماد كل نهضة، وهو الإطار المعتمد في رسم طريق التنمية التي يتطلع إليها المجتمع. ومن أجل ذلك اتجه اهتمام الدولة منذ البداية إلى التفكير الجاد في تنظيم العمل المدرسي، وانعاش المحيط المعرفي في أول عمل لها بعد الاستقلال مباشرة»².

لكن البلاد قد واجهتها أوضاع معقدة، وجعلت المسؤولين عاجزين عن تغيير ما وجدوه قائما في هذا المجال، منها وجود نظام تعليمي قائم عاشت معه البلاد فترة طويلة، ولذلك كان: «من الصعب الاستغناء والتفكير في تصميم جهاز بديل في تلك الفترة القصيرة التي سبقت الموسم الدراسي الأول، إذ لم يكن أمام المسؤولين حل آخر غير اعتماد هذا الجهاز، رغم أنه لا ينسجم في كثير من جوانبه مع الحقائق الوطنية، فاضطرت البلاد إلى تبنيه والعمل به رغم ما يطرحه من إشكالات، وأهمها الجانب اللغوي الذي كان معتمدا، وهو الذي انتقل العمل به»³.

وكان اعتماد المدرسة الموروثة هو الخطوة الأولى في نظام التعليم غداة الاستقلال، وتبني هذه المدرسة هو بمثابة: «الخطوة الأولى التي تبناها نظام التعليم حين أصبح خاضعا للإدارة الجزائرية، بعد أن كان تابعا للإدارة الاستعمارية، فالقرار السياسي الأول الذي اتخذته الدولة في مجال تسيير شؤون التعليم هو تبني أوضاع المدرسة الموروثة، بهدف ضمان سير التعليم بالمدارس القائمة، مع الحرص على استغلال كل طاقاتها، من أجل توفير فرص التعلم لأكثر عدد ممكن من الأطفال»⁴.

لكن رغم تبني أوضاع المدرسة الموروثة، إلا أن المسؤولين جعلتهم يفكرون في الحلول العاجلة، ويطرحون الأفكار التي يجب أن تتبناها السياسة التعليمية مستقبلا، وقد برزت الإشارة إلى هذه الأفكار في ميثاق الجزائر المنعقد عام 1964، ومن أهم الأفكار التي وردت في هذا الميثاق وطرحت أبعاد التوجه التربوي والثقافي: «الإلحاح على أهمية التعليم الشامل وجعل تعميمه بعدا استعجاليا، إعطاء التعليم التقني مكانا مفضلا ضمن البرامج المدروسة، تعميم التكوين المهني

¹ عبد القادر فضيل، نظام التعليم في الجزائر، ط 1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016، ص 40.

² المصدر نفسه، ص 40 ، 41.

³ المصدر نفسه، ص 42.

⁴ عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر، ط 2 ، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013، ص 32.

وجعله بعدا من أبعاد النظام التربوي، توجيه الاهتمام إلى العناية باللغة العربية، وضبط برنامج تعريب شامل يرمي إلى صيانة قيمنا الروحية والثقافية، توجيه الاهتمام إلى ضبط مفهوم جديد للثقافة وإدراج سياسة محو الأمية بمعانيها المختلفة»¹.

لهذا كان من الواجب هو إعادة هيكلة النظام التعليمي الموروث، والذي كان هدف الإصلاحات الجزئية التي تمت على فترات متعاقبة، وخصوصا في بداية السبعينيات والتي مهدت السبيل للتغيير الشامل وبناء نظام تربوي وطني، نابع من: «ظروفنا وتجارنا وتحولات مجتمعنا، معبر عن توجهاتنا وتطلعات أجيالنا، مؤسس وفق الاتجاه الفكري والعقائدي الذي تسيّر عليه بلادنا سياسيا واجتماعيا، هذا النظام هو الذي توجهنا به الإصلاحات الجزئية وأنهينا به المرحلة الانتقالية التي عرفتها المدرسة، وأسسنا بمقتضاه المدرسة الجزائرية التي صدرت النصوص المؤسسة لها عام 1976 ، وشرع في تعميم العمل بها عام 1980»²

وقد اتجهت جهود الإصلاح في مطلع السبعينيات إلى وضع معالم كبرى لنظام تربوي، وحددت في هذه المعالم المحاور الكبرى التي توجه العمل المدرسي، ولهذا: «حرص المسؤولون في هذه الفترة من خلال الوثيقة التي أعدت لاستكمال صورة الإصلاح المزمع تنفيذه على تحقيق الرغبة التي ظلت هاجسا يحرك وعي القائمين على قطاع التعليم، هذه الرغبة هي أن يتوجه الجهد لتغيير وضعية المدرسة من مدرسة في الجزائر إلى مدرسة جزائرية»³

ولعل من أبرز توجهات هذا النظام: «جعل اللغة العربية لغة تعليم جميع المواد في جميع المراحل، لتحقيق الغاية الأساسية من تجديد النظام، وهي توحيد التعليم وتأصيله وربطه بقيم المجتمع، التركيز على التربية والتكنولوجية التي تتيح للمتعلمين توظيف المعارف النظرية في مجالات العمل التطبيقي، تنظيم تعليم اللغات الأجنبية بصفقتها روافد مساعدة على التفتح على العالم والاستفادة من تجارب الغير مع تحديد الدور الذي يسند لها في إطار اهتماماتنا العلمية»⁴

¹ عبد القادر فضيل، نظام التعليم في الجزائر، مصدر سابق، ص 54.

² عبد القادر فضيل، المدرسة في الجزائر، مصدر سابق، ص 36.

³ المصدر نفسه، ص 46.

⁴ المصدر نفسه، ص 36 ، 37.

وبإقرار نظام تعليمي جديد هو نظام التعليم الأساسي الذي غير وجه الممارسة التربوية، وربط المدرسة بمحيطها وبعصرها، وأهم ما يميز هذا النظام هو: «أنه يمدد فترة التعليم الإلزامي، ويدمج في مناهجه بين الجانب الفكري والعمل اليدوي (التطبيق التكنولوجي)، ويؤمن لجميع الأطفال حقهم في التعليم، والاستمرار فيه مدة كافية (تسع سنوات) تسمح لهم باكتساب القدر الضروري والأساسي من المعارف والمهارات والاتجاهات التي تكسبهم أسس المواطنة الواعية، وتهيئتهم للاندماج الإيجابي في المجتمع».¹

وبقي العمل بنظام التعليم الأساسي إلى غاية أحداث أكتوبر 1988، بعد هذه الأحداث تم إقرار التعددية الحزبية والدخول في عهد الانفتاح السياسي، وهذا ما أدى بالنظام التعليمي إلى أن عرف محاولات عديدة في مجال الدعوة إلى التغيير والتجديد ومسايرة الاتجاهات الفكرية والثقافية التي أفرزتها سياسة الانفتاح، ففي هذه المرحلة: «عاشت البلاد بين من يدعون إلى مدرسة متفتحة على الخبرات العالمية، ومدرسة متجذرة في بيئتها، ومرتبطة بقيم مجتمعنا، وهذه المرحلة استمرت من سنة 1990 إلى سنة 2003 وهي المرحلة التي فقد فيها النظام التعليمي استقراره ووضوح اتجاهه... والدليل على ذلك شعور المسؤولين بأن نظام التعليم بحاجة إلى مراجعة، لأنهم غير راضين بالوضع القائم، لذا شكلوا لمراجعة الوضع لجانا عديدة، أسندوا إليها مهمة المراجعة والإصلاح».²

ومنذ سنة 2003 بدأت المرحلة التي انطلق فيها تطبيق إجراءات الإصلاح، والتي دعا إليها تقرير لجنة إصلاح بن علي بن زاغو، ذلك التقرير الذي: «اعتمده الوزارة، وشرعت في تنفيذ ما ورد فيه من أفكار، وسمت الوزارة ما كانت تنفذه إصلاحا، لأنها لم تصلح وضعا فاسدا، ولم تعالج خلا أو جانبا سيئا، وفي هذه المرحلة شهد التعليم عددا من إجراءات التغيير التي كان الهدف منها التحول من وضع قائم إلى وضع أراده المسؤولون أن يكون وضعا مغايرا لما هو قائم من غير أن يرفق هذا التغيير بتعليل واضح، وتحديد الهدف المنتظر».³

¹ عبد القادر فضيل، نظام التعليم في الجزائر، مصدر سابق، ص 56.

² المصدر نفسه، ص 81، 82.

³ المصدر نفسه، ص 82

وهذا ما أدّى بالشيخ عبد الرحمان شيبان إلى أن يصرّح أن المنظومة التربوية الجزائرية منذ فجر الاستقلال قد عرفت: « تطورات كثيرة سلبية وإيجابية، وأبرزها إيجابيا المدرسة الأساسية، وأبرزها سلبيا مشروع لجنة بن زاغو التي تعرضت فيها التربية الإسلامية واللغة العربية إلى إجحاف خطير ينذر بمستقبل كالح فيما يتصل بالجانب الذاتي في تكوين أجيال جزائرية صحيحة العقيدة سوية الخلق فصيحة اللسان والقلم طموحة التقدم الحضاري، والتنمية الاقتصادية، في كنف الحرية والعدل والسلم والاستقرار».¹

فالتقرير الذي أعدته لجنة إصلاح بن علي بن زاغو، والإصرار على تنفيذه من طرف الوزارة هو الذي أدى إلى فرض نموذج تعليمي لا ينسجم مع ثوابت المجتمع وهويته، وبالتالي أضحت المنظومة التربوية بين الإصلاح والصراع الأيديولوجي، لأن: « أصحاب الاتجاه التغريبي والمتعاطفين معهم كل همهم أن يفرضوا لنا نمودجا تعليميا عالميا يجتث الأجيال من واقعها العربي الإسلامي، وينسيها أصولها وتراثها، ويقدم حواجز سميكة بينها وبين هذه الأصول، التي ظلت تحمي كيان مجتمعها، يريدون أن يبنوا مجتمعا نكرة ضائع الهوية فاقد الذاكرة ذاتيا في الغير، يريدون بالنموذج التعليمي الذي يسعون إلى فرضه، واتخاذها بديلا عن النموذج القائم أن ينزعوا من أعماق شبابنا الإحساس بالتوافق النفسي والرضى الاجتماعي والاعتزاز بالذات ليجعلوه يعيش في صراع دائم مع ذاته وحيرة مستمرة تجاه الأنا الفردي والاجتماعي»²

لكن بالرغم من فشل إصلاحات لجنة بن زاغو، إلا أن وزارة التربية عمدت إلى إصلاحات جديدة وشرعت في تنفيذها في العام الدراسي (2016 - 2017) وهي ما سمي آنذاك بـ (الجيل الثاني من الإصلاحات) لاستكمال (الجيل الأول) الذي وضعت اللجنة الوطنية برئاسة بن علي بن زاغو. ولما بدأت المدرسة في تنفيذ إصلاحات الجيل الثاني، شرع الخبراء في مجال التربية إلى إعداد تقارير تكشف العيوب والنقائص، حيث: « جاءت فضيحة الكتاب المدرسي التي جعلت الحليم حيرانا، عندما وضعت أمام الطفل الجزائري البريء صورة العدو الصهيوني الغاصب في الخريطة الجغرافية، بدل الأرض الفلسطينية المقاومة باسم فلسطين، وما صحب ذلك من تزييف للتاريخ،

¹ عبد الرحمان شيبان، مع محنة المنظومة التربوية، جريدة البصائر، العدد 273، الاثنين 30 ذو الحجة 1426. 07 محرم 1427 / 30 جانفي - 06 فيفري 2006، ص 01.

² عبد القادر فضيل، اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، ط 2، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015، ص 65، 66.

يجعل استقلال الجزائر قد تم بفضل الاستفتاء الذي نظمه المستعمر الفرنسي، وليس بفضل تضحيات شعبنا طيلة مائة وثلاثين سنة من الجهاد ضد هذا المستعمر نفسه، ثم كانت آفة استبدال اللسان العربي المبين الذي به نتلو القرآن، ونطل على العالم، ونحقق به العالمية، استبدال هذا بلهجات عامة هجينة، لو تحققت، للجأنا إلى تراجمه لتفاهم أطفال تلمسان مع أطفال تمنراست وهم أبناء الوطن الواحد. وتوالت بعد ذلك سلسلة الآفات التربوية، حتى وصلت إلى حذف البسمة من الكتب المدرسية»¹

ونتيجة لهذه الأوضاع التي وصلت إليها مستويات التعليم في الجزائر، لم تعد تخفى على أحد، بل يكاد يجمع المختصون والمهتمون بالشأن التربوي وعامة المواطنين أن المدرسة الجزائرية في جميع مراحلها لم تعد تؤدي الدور المنوط بها، وأصبح مستوى التعليم متدنيا إلى درجة جعل النظام لا يحقق أهدافه، وأصبحت الشهادات العلمية مجرد وثائق لا تعبر عن درجات معرفية ومستويات فكرية قادرة على تحقيق الإقلاع التنموي. وما نلحظه اليوم من ضبابية في الرؤية والتسيير يكشف لنا عن حالة من الاستمرارية للسياسات التربوية التي أنتجت هذا الوضع البائس، ولهذا فإيماننا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمسؤوليتها أمام الله والوطن والتاريخ والأجيال القادمة فإنها أصدرت بيانا كان بمثابة نداء وتنبية إلى كل المسؤولين والمهتمين بالشأن التربوي وكافة أبناء الشعب الجزائري.²

لهذا لا يمكن إصلاح المجتمع حسب جمعية العلماء إلا من خلال إصلاح المنظومة التربوية، وذلك نظرا لمحورية النظام التربوي في بلورة المشروع النهضوي والحضاري، والذي يساهم في تقديم الخبرات البشرية القادرة على تحقيق الريادة في عالم يحتدم فيه الصراع بشكل غير مسبوق حول المعرفة والعلم، لأن: «صالح الأمة واستقامة حياتها لن يتحقق إلا بصالح التعليم ومنظومته، وصالح التعليم لا يكون إلا بصالح المعلم، وصالح المعلم يتوقف على رفع شأنه واحترام مهنته، وتحسين ظروف حياته، وقد اشتعلت غلاء وضنكا وأوغل فيها الضرر. إننا في زمن اقتصاد المعرفة ومجتمع المعرفة، فإذا اختلت المعرفة اختل كل شيء بعد ذلك واضطرب، وإذا نمت المعرفة نما

¹ عبد الرزاق قسوم، تأملات في المنظومة التربوية، جريدة البصائر، العدد 878، الاثني 10 - 06 محرم 1439 / 02 - 08 أكتوبر 2017، ص 24.

² جريدة البصائر، العدد 821، الاثني 26.19 ذو القعدة 1437هـ/ 22 - 29 أوت 2016، ص 12، (أنظر: البيان كاملا في الملاحق، ص 302)

الاقتصاد والمجتمع والتقنية وقوي ظهر السياسة واستقام عمود فقرها، فنظرت بعيدا وامتدت قوتها أمدا مديدا»¹.

ورحم الله الشيخ محمد البشير الإبراهيمي حين كان حريصا على إبراز أهمية التربية في تحقيق النهضة المنشودة، لأن نهضة الأمة مرتبط حسب اعتقاده بما يبذله المعلمون في تربية وتعليم النشء، حيث اعتبر أن: « غاية الغايات من التربية هي توحيد النشء الجديد في أفكاره ومشاربه، وضبط نوازعه المضطربة، وتصحيح نظراته إلى الحياة، ونقله من ذلك المضطرب الفكري الضيق الذي وضعه فيه مجتمعه، إلى مضطرب أوسع منه دائرة، وأرحب أفقا، وأصح أساسا، فإذا تم ذلك وانتهى إلى مدها طمعنا أن تخرج لنا المدرسة جيلا متلائم الأذواق، متحد المشارب، مضبوط النزعات، ينظر إلى الحياة نظرة واحدة، ويسعى في طلبها بإرادة متحدة، يعمل لمصلحة الدين والوطن بقوة واحدة، في اتجاه واحد»².

وبهذا تكون نظرة جمعية العلماء صائبة حين أعطت الأولوية للعلم والتعليم والتربية، لأن حسب تصورهما أن نهضة الشعوب والمجتمعات والعمل على إصلاحها يبدأ من خلال الاهتمام بالتربية والتعليم، فهو يعد بمثابة الطريق والمنهج الصحيح للإصلاح والتغيير. ولكن مما يؤسف له حسب وجهة نظري أنه بدلا من الاستفادة من مشروع جمعية العلماء التربوي التعليمي وبتجربة إدارتها في هذا الميدان غداة الاستقلال، تم منعها من استئناف عملها ونشاطها وتحقيق أهدافها، بحجة أن النظام السياسي آنذاك لا يسمح بالتعددية الحزبية، وهذا بالرغم من أن الجمعية ليست حزبا سياسيا وليست طرفا سياسيا في منهجها أو في ممارستها للإصلاح. ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل قام هذا النظام بتسييس قطاع التربية والتعليم وأدلتته، وهذا ما كان حسب نظري أحد أبرز الأسباب في تدهور مستوى التعليم في الجزائر، والدخول في سلسلة من الإصلاحات، وأصبحت الشهادات العلمية مجرد وثائق لا تعبر عن درجات معرفية ومستويات فكرية قادرة على تحقيق نهضة المجتمع ورقية.

¹ عمار طالبي، أزمة المنظومة التربوية في الجزائر، جريدة البصائر، العدد 488، الاثنين 06 - 12 ربيع الثاني 1431 / 22 - 28 مارس 2010، ص 24 .

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، مصدر سابق، ص 275 .

المبحث الثالث: الخطاب الاجتماعي

إن جمعية العلماء من خلال خطابها الاجتماعي حاولت الاهتمام بجملة من القضايا أبرزها محاربة الجهل، وإصلاح أخلاق المجتمع، ومكافحة الفقر، وتعزيز الوحدة الوطنية، والاهتمام بشؤون الجالية الجزائرية في فرنسا

أولاً: محاربة الجهل

ركزت جمعية العلماء منذ بداية تأسيسها على تحقيق جملة من الأهداف أبرزها: إصلاح عقيدة الشعب الجزائري، وتنقيتها من الخرافات والبدع، وتطهيرها من مظاهر التخاذل والتواكل التي تغذيها الطرق الصوفية المنحرفة، محاربة الجهل بتنقيف العقول، والرجوع بها إلى القرآن والسنة الصحيحة، عن طريق التربية والتعليم، المحافظة على الشخصية العربية الإسلامية للشعب الجزائري، بمقاومة سياسة التنصير والفرنسة التي تتبعها سلطات الاحتلال.

ولهذا قام الشيخ ابن باديس بثورة تعليمية من خلال الدروس التي كان يلقيها في الجامع الأخضر، وزاد من حماسه ما كان يلمسه من تجاوب عميق في نفوس تلاميذه وأتباعهم، وما هو يعبر عن هذه الحقيقة بقوله: «إنني أرى حالة البلاد قبل دروس الجامع الأخضر وبعدها: كان الجهل سائداً، والبدعة قائمة، والضلال مخيماً، فإذا بهذه الثلاثة الصالحة من الطلبة الذين يرتادون دروسنا، تبث الفضيلة، وتتهى عن الفحشاء والمنكر، وتبين أمام الناس سبيل الخير... جعلنا منه دعاة صالحين يحثون على الخير، ويقضون على الخرافات والأباطيل».¹

وقد أدرك الشيخ ابن باديس طبيعة المعركة التي كان يخوضها، وما تتطلبه من استنفار كل القوى، وزجها جميعها في معركة المصير، ويظهر ذلك في مقولته وهو يوجه حديثه إلى الشيخ أحمد توفيق المدني: «سواء أطل مقامك بالجزائر أو قصر، وسواء إن اهتديت إلى كفاح سياسي أو أخفقت، فهذا واجب عيني قد وضعه القدر فوق عاتقك، فابدأ كفاحك بهذا ريثما يبسر لك أسباب

¹ بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 96، 97.

كفاح آخر، وكفاحنا هنا شاق، مرير، متعدد النواحي، مختلف الاتجاه، فأينما ضربت بسهم صائب في أي ميدان، كان نضالك مشرفا وكان جهادك محمودا».¹

و نَبّه الشيخ عبد الحميد بن باديس على حق المرأة في التعليم ودورها في بناء المجتمع، وأولى تعليم المرأة المسلمة اهتماما كبيرا، مدركا الخطر المحدق بالأمة إذا تركت المرأة بغير تعليم، فهي الركن الأساس الذي يقوم عليه بناء الأسرة، فإهمال تربيتها وتركها جاهلة هو هدم لهذا الركن، وتفكيك لبنية الأسرة، وإضعاف لقدرتها على الاضطلاع بمسؤوليتها التربوية والاجتماعية، ولهذا: «أوجب تعليم المرأة وإنقاذها مما هي فيه من الجهل، ونصح بتكوينها على أساس العفة وحسن تدبير المنزل والنفقة والشفقة على الأولاد وحسن تربيتهم، كما أنه حمل مسؤولية جهل المرأة لأولياتها وللعلماء الذين يقع عليهم واجب تعليم الأمة بأبنائها وبناتها ونسائها ورجالها على أساس الدين والقومية إلى أقصى ما يمكن أن نصل إليه من العلم الذي هو تراث البشرية جمعا».²

ومع قناعة الشيخ ابن باديس بأن التعلم حق للمرأة كما للرجل، أحدث دروسا للوعظ خاصة بالنساء بالجامع الأخضر، وكانت هذه الدروس تتناول واجبات المرأة المسلمة نحو بيتها وأولادها وزوجها، ونحو دينها ووطنها، وكثيرا ما كان يصطحب زوجته إلى هذا الدروس ويجلسها بقربه لأجل كسر باب الخجل أمام استفسارات وأسئلة النسوة، لأننا: «إذا أردنا أن نكون رجالا فعلينا أن نكون أمهات دينيات، ولا سبيل إلى ذلك إلا بتعليم البنات تعليما دينيا، وتربيتهن تربية إسلامية، وإذا تركناهن على ما هن عليه من الجهل بالدين، فمحال أن نرجو منهن أن تكون لنا عظام الرجال».³

و أدرك ابن باديس أن المجتمع لا يستطيع أن يتقدم إلى الأمام وشطره يقبع في ظلمات الجهل، حيث يقول: «لماذا تعاقب المرأة بعلمها؟ هل العلم ورد صفاء للرجال ومنهل كدر للنساء؟ هل له تأثيران: حسن على فكر الذكور قبيح على فكر الإناث؟ وعلى كل حال إن كان العلم يسكن القلب والفكر ومنه نور العقل، فسيان ذلك عند الرجال والنساء، وإن كان مسكنه في محل الأنوثة أو

¹ بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 97.

² عبدالمالك حداد، الشيخ ابن باديس رائد تعليم البنات ونصير المرأة، جريدة البصائر، العدد: 801، الاثنين 19 - 25 جمادى الثانية 1437 هـ / 28 مارس - 03 أبريل 2016، ص 09.

³ المصدر نفسه، ص 09.

الذكورة، فالخلاف بين، وحاشا أن يكون الأمر كذلك ... وكل عاقل منصف لا يرى في المدرسة إلا سيدة وفي الطيبة إلا حكيمة وفي الوكيلة إلا فصيحة وفي العضوة إلا سياسية وفي الجندية إلا وطنية»¹.

أما الخطوات العملية التي اتخذها ابن باديس في سبيل تعليم المرأة، فكان من خلال تأسيسه لجمعية التربية والتعليم بقسنطينة، حيث حرص أن يتضمن قانونها الأساسي: «تعليم البنات مجانا سواء كن قادرات على دفع مصاريفه أم عاجزات عن دفعها وذلك تشجيعا لهن على الإقبال على الدراسة، وزيادة على هذا فإنه كان يتصل شخصا بالمواطنين يحثهم على إرسال بناتهم إلى مدرسة التربية والتعليم، وكان يفعل ذلك أثناء جولاته في أنحاء القطر، ويطلب من زملائه العلماء إلى تعليم المرأة. ولم يكن كافيا أن تتعلم الفتيات الصغيرات، فقد خصص دروسا للنساء في المسجد الأخضر وغيره من مساجد قسنطينة، وكن يحضرن بأعداد كبيرة حتى ضاقت عليهن جنبات المسجد المخصصة للنساء»².

وقد تقدم ابن باديس خطوة رائدة في تعليم المرأة، فبعد أن أنهت بعض التلميذات دراستهن في مدرسة جمعية التربية والتعليم، فكر في إرسالهن إلى مدرسة جمعية دوحة الأدب السورية، وبعث رسالة بهذا الخصوص إلى رئيسة هذه الجمعية، جاء فيها: «يسرك يا سيدتي أن تعرفين أن بالجزائر نهضة أدبية تهذيبية تستمد حياتها من العروبة والإسلام، غايتها رفع مستوى الشعب العقلي والأخلاقي، ومن مؤسسات هذه النهضة جمعية التربية والتعليم الإسلامية بقسنطينة، ولما علمت إدارتها بجمعيتكم المباركة بما نشرته عنها مجلة "الرابطة العربية" رغبت أن ترسل بعض البنات ليتعلمن في مدرسة الجمعية فهي ترغب في حضرتكم أن تعرفوها بالسبل إلى ذلك»³.

ثانيا: محاربة الانحراف الأخلاقي

لقد وجه ابن باديس عنايته لإصلاح أخلاق الجزائريين التي تدهورت تدهورا كبيرا نتيجة لفساد العقول وفساد العقيدة الدينية، باعتبار أن الأمم أخلاق، فإذا صلحت أخلاقهم صلحوا، وإذا فسدت

¹ جريدة المنتقد، السنة الأولى، العدد: 08، الخميس 30 محرم 1344هـ/ 20 أوت 1925، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008، ص33.

² مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 62.

³ المرجع نفسه، ص 64.

أخلاقهم فسدوا، وابن باديس ذهب إلى أن الأخلاق إنما تتبع من داخل الفرد وبالتالي يجب العناية بإصلاح هذا الداخل قبل كل شيء آخر، والوسيلة هي تطهير القلوب وتهذيب النفوس وإصلاح العقائد حتى يعمل الفرد على تغيير ما بنفسه كي يغير الله ما به من سوء وانحطاط، طبقا لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:11]، يقول ابن باديس: «إن الذي نوجه إليه الاهتمام الأعظم في تربية أنفسنا وتربية غيرنا هو تصحيح العقائد، وتقويم الأخلاق، فالباطن أساس الظاهر وفي الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله»¹. و كان ابن باديس يرى أن التربية الأخلاقية الفاضلة تكون في الأسرة ثم المدرسة ثم المجتمع وهي العاصم للفتى والفتاة من الانحرافات الخلقية والوطنية معا، لأن: «الشخص الذي لا يستطيع أن يكبح جماح نفسه وشهواته في سبيل مرضات ربه أو مصلحة وطنه لا يمكن ائتمانه على مصالح الأمة والوطن. حيث كان يعمل على المحافظة على التراث العربي الإسلامي في الجزائر بكل إمكانياته ونشره بين أبناء وبنات الجزائر حتى لا تتحرف أخلاقهم عن الجادة القويمية، لأن المحافظة على هذا التراث هو الذي يحفظ الشخصية الجزائرية من الانهيار»².

وجمعية العلماء إذ تؤكد على أن الدين الإسلامي مثلما أشار إلى نظافة النفس من الرذائل، ونظافة العقول من الباطل، ونظافة الأبدان من الأوساخ، أشار إلى نظافة أفنية المساكن وساحاتها من الأزبال والقاذورات، لأن: «شأن الناس أنهم إذا نظفوا منازلهم يلقون الأزبال خارجها يحسبون أنهم بذلك قد نظفوها واستراحوا من عفونتها مع أنهم بوضع الأوساخ خارجها ما نظفوها ولا أبعدها عن القذارة ومضارها، فالرياح بهبوبها لا تقتأ تنقل إلى البيوت من ساحاتها الأوساخ وأضرارها وأسباب الأمراض منها، مع ما في وضع الأوساخ بالساحات من جناية على المارين وعلى المجاورين، فالنظافة لا تتم للبيوت إلا إذا نظفت ساحاتها مثلما تتظف هي وألقي وسخ الجميع في الأمكنة البعيدة الخالية»³.

¹ تركي رايح، ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد: 24، ربيع الثاني 1395 هـ / مارس - أبريل 1975، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر، ص 89.

² المرجع نفسه، ص 89.

³ جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، العدد: 10، الاثنين 2 شعبان 1352هـ/ 22 نوفمبر 1933، دار الغرب الاسلامي، بيروت 2003، ص 01.

و كانت عواصم الإسلام ومدنه في العصور الوسطى بالغة أقصى درجة في النظافة والنقاوة بينما كانت عواصم الأمم الأخرى في ذلك العهد تتراكم الأقدار في أفنيتها، ولكن: «لما انحط المسلمون بنسيانهم آداب دينهم وإعراضهم عن كتاب ربهم وأحاديث نبيهم، انقلبت الحال وأصبحت ترى في كثير القرى والمدن الإسلامية الأوساخ مائة الأفنية والساحات... ندعوا إخواننا المسلمين إلى النظافة التي هي أصل من أصول دينهم، ونوجههم إلى العناية بتنظيف أفنيتهم وساحات ديارهم حتى يكونوا مثلاً ظاهراً لغيرهم من النظافة وقوة حسنة لسواهم، وفي ذلك راحة النفس وصحة البدن وجلب القلوب وكسب الاحترام والفوز بالثوبة وتحصيل رضى الرب الكريم الرحيم».¹

ثالثاً: مكافحة الفقر

لقد تصدت جمعية العلماء لسياسة التقدير التي انتهجها الاحتلال، وهذا ما جاء في دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها، أن: «الإسلام يدعو إلى إشراك الفقراء في الأموال حيث شرع في مجال التنمية الاقتصادية، وسائل غير الربا والاحتكار مثل القراض، المزارعة، المغارسة، مما يظهر فيه التعاون العادل بين العمال وأصحاب الأراضي والأموال، و يدعو إلى رحمة الضعيف فيكفى العاجز ويعلم الجاهل ويرشد الضال ويعان المضطر ويغاث المهوف وينصر المظلوم ويأخذ على يد الظالم»²

فجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عملت على مساعدة الفقراء والأرامل والمساكين والضعفاء، ولهذا كانت تسعى دائماً إلى تكوين أمة بكل مقوماتها في الجانب العقدي والتربوي والأخلاقي والسياسي والاقتصادي، وهذا هو الأمر الذي ميزها عن غيرها من حركات الإصلاح الديني التي عرفتها الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء أو الحركات الإصلاحية في المشرق العربي، وكان من المجالات التي ركزت عليها المجال الاقتصادي، فالشيخ ابن باديس سعى للاتصال بكل فئات الشعب الجزائري ومنهم التجار، وذلك: «للدعم الجمعيات الخيرية وجمعية التربية والتعليم والجامع

¹ جريدة الصراط السوي، السنة الأولى، العدد: 10، مصدر سابق، ص 01.

² عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، ط2، دار مداد بونيفار سيتي براس، قسنطينة، 2009، ص 155.

الأخضر، وتحت سيطرة المستوطنين واليهود على التجارة والصناعة والزراعة، كان لا بد لابن باديس أن يفكر في تحطيم هذه السيطرة فسعى أولاً إلى تأسيس جمعية تجار قسنطينة عام 1934¹ ومن خلال تأسيسه لهذه الجمعية، كان ابن باديس في نفس الوقت يؤكد على قضية أساسية هي قضية الأكل الحلال والعمل الصالح، وذلك انطلاقاً من قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: 51]، حيث اعتبر أن: «الإنسان خلق مركباً من روح وبدن، وإنما بقاء بدنه بالغذاء، وإنما كمال روحه بالعمل، فأمر الله بالأكل لبقاء البدن واشترط أن يكون من الطيبات، لأنها هي التي تغذي ولا تؤذي، أما الخبائث ففيها الأذى ويتفه أو يعدم منها الغذاء، وأمر بالعمل الصالح الذي فيه زكاء للنفس ونفع لها في العاجل والآجل وخير للعباد والبلاد، وأخبر بعلمه بعمل العاملين ليجتهدوا في العمل ويخلصوا له فيه وينتظروا جزاءهم من عنده، والدين كله عمل صالح وتوحيد خالص»²

كما أشار إلى أن العمل يتوقف على سلامة البدن، فكانت: «المحافظة على الأبدان من الواجبات، ولهذا قدم الأمر بالأكل على الأمر بالعمل، فليس من الإسلام تحريم الطيبات التي أحلها الله كما حرم غلاة المتصوفة اللحم، وليس من الإسلام تضعيف الأبدان وتعذيبها كما يفعله متصوفة الهنادك ومن قلدتهم من المنتسبين للإسلام، وفي تقديم الأكل من الطيبات على العمل الصالح تنبيه على أنه هو الذي يثمرها، لأن الغذاء الطيب يصلح عليه القلب والبدن فتصلح الأعمال، كما أن الغذاء الخبيث يفسد به القلب والبدن فتفسد الأعمال»³

وكانت جمعية تجار قسنطينة هي النواة التي تأسست على منوالها (جمعية آمال) سنة 1942 من خلال دعوة الشيخ البشير الإبراهيمي إلى توجيه جهود الجزائريين وتجميع قوتهم، وتكوين مؤسسة اقتصادية يساهم فيها التجار وغيرهم برؤوس أموال تصبح نواة لانطلاق اقتصاد كبير في المستقبل عوضاً عن الاقتصاد الآخر المتمركز في أيدي كبار التجار من اليهود والنصارى، وقد ضمت هذه الجمعية تجارا من جميع أنحاء الجزائر، وكان لها: «نفوذ كبير في الاقتصاد الجزائري حتى أن السلطات الاستعمارية كانت تراقب أعمالها وتحسب لها ألف حساب، حيث أصبحت

¹ مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 121.

² عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الأول، ج 1، مصدر سابق، ص 365.

³ المصدر نفسه، ص 365.

الجمعية تستورد من الخارج ونظمت أعمالها برأس مال وطني، وكانوا يستفيدون من ذلك أفرادا ويستغلون التجار الفرنسيين لصالحهم، وقد ظهر أثر ذلك على المشروعات الخيرية من بناء المدارس والمساجد والنوادي ومساعدة الفقراء»¹.

لأن الحكمة حسب الشيخ الإبراهيمي تقتضي لكي نحفظ أنفسنا من منافسة كبار التجار من اليهود والنصارى هو: «تأسيس شركات التعاون بين الفلاحين وشركات التعاون بين التجار لتقي الصغار من الجانبين شر تحكم الأجانب في أملاكهم ومجهوداتهم، ثم تأسيس مصارف مالية صغيرة تكون واسطة بين الجميع وتكون مع ذلك مستودعا للأموال المخزونة المعطلة ومرجعا لصناديق التوفير والاحتياط التي يجب أن تصحب هذه الحركة»².

كما أننا بحاجة حسب الإبراهيمي إلى تكوين اجتماع خاص تنتج عنه نهضة منظمة في جميع مجالات الحياة، وذلك من خلال التركيز على أربع مقومات أساسية: الدين والأخلاق والعلم والمال. ولعل أولوية هيئات المجتمع محاربة الجهل بالعلم، ولا يتم ذلك إلا بالمال. والمال: «ليس كبقية مقومات الحياة بل يفارقها في نظر جوهرى وهو التأثير بالمزاحمة، فالزحام الشديد لا يكون إلا عليه والتكاليف العنيف لا يكون إلا لأجله، وقد تموت في هذا الزحام أمة أو أمم لا تعرف كيف تزاحم ولا تحسن الدفاع حين تزاحم، فالمزاحمة في المال تضر وتنفع. وهذا العلم وهو قرين المال وأخوه في تكوين الحضارة الوقتية تفيد المزاحمة فيه ولا تضر»³.

و نتيجة اهتمام جمعية العلماء بالجانب الاجتماعي وتناولها للأمور الاقتصادية جعل البعض يعتقد أنها جمعية دينية يجب أن ينحصر عملها في الإصلاح الديني، وأنها خرجت عن مجالها حين زجت نفسها في بعض شؤون الحياة غير الدين، والحقيقة أن هذه الجمعية: «تعمل من أول يوم من تكوينها للإصلاح الديني وللإصلاح الاجتماعي، وكل ذلك يسع الإسلام، وكل ذلك يسعه مدلولها وموضوعها وقانونها، فالإسلام دين واجتماع، وإذا كانت دائرة الأول محدودة، فإن دائرة الثاني واسعة الأطراف، وأن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي»⁴.

¹ مازن صلاح مطبقاني، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 121.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 55.

³ المصدر نفسه، ص 55.

⁴ المصدر نفسه، ص 282 ، 283.

رابعاً: تعزيز الوحدة الوطنية

كان من جملة أهداف السياسة الفرنسية في الجزائر بث الخلاف والشقاق بين أبناء الجزائر حتى لا تجتمع لهم كلمة، ولا يتوحد لهم صف، ولا تقوم بينهم رابطة وطنية قوية تدفعهم إلى الثورة على المستعمر الذي يحتل بلادهم، ومن هذا القبيل: « ادعاء فرنسا بأن الجزائر يسكنها شعبان مختلفان تمام الاختلاف هما : العرب والأمازيغ، ثم ادعت بأن الأمازيغ يمتون بأصلهم الجنسي إلى أوروبا، وقد عملت منذ البداية على فصل المناطق التي يسكنها الأمازيغ في الجزائر عن بقية القطر، وحاولت فرنسة وتصير سكانها وادماجهم في الكتلة الكاثوليكية الأوروبية متعاونة في تحقيق هذا الهدف مع جماعات المبشرين بل تمادت في عملية بث الخلاف والشقاق حتى بين الأمازيغ أنفسهم حيث قسمتهم إلى قبائل وشاوية وميزابيين وطوارق».¹

وجعلت لكل طائفة نظاماً إدارياً خاصاً بها، وعملت على تغذية النعرات العنصرية والقبلية في مختلف المناطق الجزائرية حتى أصبح الجزائريون منقسمين على أنفسهم انقساماً كبيراً مما اتاح مجالاً واسعاً للسياسة الاستعمارية أن تضرب هذا بذلك. وقد رأى الإمام ابن باديس بثاقب نظره أن الخطوة الأولى في سبيل تحرير الجزائر من الاستعمار تبدأ من الوحدة الوطنية والقومية، ولذلك عمل على إيجاد هذه الوحدة، فسعى: « إلى توحيد الشعب كله وراء هدف واضح ومحدد على أساس من رابطة الدين والعروبة، ولذلك كانت فلسفته التربوية تقوم على دعائم العقيدة الإسلامية فعن طريق الإسلام والعروبة استطاع ابن باديس أن يوحد صفوف الشعب ويكفل قواه الحية من أجل المحافظة على وحدته القومية من ناحية، وإفساد أهداف الاستعمار في بذر بذور الخلاف والشقاق بين الجزائريين».²

و كتب ابن باديس مندداً بأحد دعاة التفرقة ومدافعا عن الوحدة القومية للشعب الجزائري تحت عنوان (ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان) يقول: « إن أبناء يعرب وأبناء أمازيغ (البربر) قد جمع بينهم الإسلام منذ بضع عشرة قرناً، ثم دأبت تلك القرون تمزج ما بينهم في الشدة والرخاء

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 269.

² المرجع نفسه، ص 270.

وتؤلف بينهم في العسر واليسر وتوحدهم في السراء والضراء حتى كونت منهم منذ أحقاب بعيدة عنصرا مسلما جزائريا أمه الجزائر وأبوه الإسلام»¹.

وقد تحقق ما توقعه ابن باديس من فشل سياسة بث الخلاف بين أبناء الجزائر، وكانت مناطق: « جرجرة التي عملت فرنسا على فصلها عن بقية الوطن الجزائري، وحاولت فرنستها وتنصيرها، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر من أشد المناطق الجزائرية تمسكا بالوحدة الوطنية والقومية وأشدّها عنفا في مقاومة أهداف السياسة الفرنسية في الجزائر، ومن أقواها غيرة على العروبة والاسلام»².

و كان ابن باديس يقيس وطنية المواطن بمدى تمسكه بالشخصية العربية الاسلامية للجزائر ومدى اخلاصه لهذه الشخصية وتفانيه في الدفاع عنها، وكان يعتبر شرف المواطن من شرف وطنه وسمعته من سمعة قومه، ولذلك فإنه لا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه، يقول: « إنما ينسب للوطن أفراده الذين ربطتهم ذكريات الماضي ومصالح الحاضر وآمال المستقبل، والنسبة للوطن توجب علم تاريخه والقيام بواجباته من نهضة علمية واقتصادية وعمرانية والمحافظة على شرف اسمه وسمعة بنيه، فلا شرف لمن لا يحافظ على شرف وطنه ولا سمعة لمن لا سمعة لقومه»³.

ولعل الشيخ ابراهيم بيوض كان من أبرز الشخصيات المتمسكة بوحدة الوطن، وهذا نتيجة لمواقفه الوطنية الحازمة، خاصة في مسألة الحركة الانفصالية التي أرادت فصل الصحراء عن التراب الوطني، لأن في مفاوضات اتفاقيات (إيفيان) كانت فرنسا تسعى إلى منح الاستقلال للشمال الجزائري، مع الإبقاء على منطقة الصحراء تحت إدارتها. و قد خطت لاستمالة بعض الزعماء في الجنوب، لكن الشيخ بيوض استطاع بحنكته إقناعهم بعدم قبول مساومة الجنرال ديغول حول مسألة تقسيم الجزائر، حيث قال في هذا الصدد: « إننا وطنيون جزائريون، لسنا أجانب كما يدعي بعض المثوسين، فلا يمكننا أن ننفصل عن إخواننا في النظم العامة المشتركة، ولا أن

¹ تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الاصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 270.

² المرجع نفسه، ص 271.

³ المرجع نفسه، ص 270.

نتحلل ونذوب وندنازل عن الخصائص والمميزات، على أن للوطن حقوقا مشتركة يتساوى فيها أبناءها، وإن اختلفت مذاهبهم»¹

وبقيت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دائما حريصة على وحدة الشعب الجزائري، وهذا ما جعلها تتابع باهتمام ما وقع من أحداث واضطرابات في منطقة غرداية، وما الأحداث في بريان وهزيمتها فيها: «إلا رمز لهزائم أخرى، تكبدناها في أنحاء شتى من الوطن، في الشمال وفي الجنوب، وفي الشرق والغرب، وفي أكثر من ميدان من ميادين الوطن والأمة. انهزمنا بجميع أطياننا وأصنافنا وأوصافنا في بريان، فانتصرت الفوضى على النظام، والتعصب على الحكمة، والفرقة على الوحدة، والغوغائية على الرشاد، والمذهبية على السنية».²

ولقد تابعت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بكل ألم وأسى ما حدث في منطقة غرداية من فتنة وصراع مرير، أفضى إلى سقوط الأرواح وانتهاك الحرمات والاعتداء على المقدسات والأماكن والعقارات، وإذ تجدد جمعية العلماء عزمها على بذل المزيد من الجهد والمساعي بالتعاون مع كل العقلاء والخيرين من أجل تطويق الأزمة، ولهذا أصدرت بيانا تهيب فيه كل المخلصين من أبناء الوطن عموما وأبناء غرداية خصوصا، أن لا يقعدوا في شرك الفتنة وبعث النعرات الطائفية أو المذهبية المقيتة.³

خامسا: الاهتمام بالجالية الجزائرية في فرنسا

لما سافر الشيخ العربي التبسي إلى باريس، واطلع على حال الجالية الجزائرية التي استقرت هناك، خشي أن ينسى: «الآباء والأبناء الإسلام والعربية العامية فضلا عن العلمية، والانسلاخ منها بالتدرج، إن لم تتداركهم جمعية العلماء بالإنقاذ، لأنها هي المسؤولة وحدها عن إنقاذهم، وفي باريس وحدها ما يقرب من مائة وخمسين ألف عامل جزائري، وقد ولد المتزوجون منهم نحو من

¹ مولود عويمر، الفكر الإصلاحى المعاصر وقضايا التنوير، مرجع سابق، ص 58

² عبد الرزاق قسوم، حصاد قلم جزائري، ط1، دار منشورات الجمعية للنشر والتوزيع، برج بوعريبيج، 2016، ص 79.

³ جريدة البصائر، العدد 700 بتاريخ: الاثنين 14 . 20 جمادى الثانية 1435هـ/ 14 . 20 أبريل 2014، ص23، (أنظر: البيان كاملا في

خمسة عشر ألف ولد، وهذا العدد يكون جيشا كاملا إن خسرت الجزائر لأسباب قاهرة، فحرام أن يخسره الإسلام والعروبة».¹

ولهذا لم يقتصر جهد جمعية العلماء على إصلاح أحوال الجزائريين في الداخل فحسب، بل اهتمت بهم في فرنسا، حيث: «أرسلت الدعاة إلى المناطق التي يقيم فيها الجزائريون. فمنذ منتصف سنة 1936 غادر الشيخ الفضيل الورتلاني الجزائر قاصدا البلاد الفرنسية حيث يوجد عشرات الآلاف من العمال الجزائريين الذين هاجروا إليها إما مضطهدين وإما باحثين عن لقمة العيش التي أصبح الحصول عليها في الجزائر عسيرا بسبب استغلال الكولون الفظيع للفلاحين الجزائريين».²

وامتد نشاط جمعية العلماء في مجال التعليم إلى الجزائريين المقيمين في فرنسا لربطهم بلغتهم العربية ودينهم الإسلامي، فقامت الجمعية بتأسيس النوادي للقيام بالتعليم والوعظ والإرشاد وربط الجزائريين بوطنهم، ومن العلماء الذين أوفدتهم الجمعية الفضيل الورتلاني والسعيد صالح وحمزة بوكوشة وغيرهم، وقد تحدث حمزة بوكوشة في افتتاح نادي التهذيب بأولان رون عن أهداف النادي قائلا: «إن جمعية العلماء لا تريد إهمالكم وترككم سدى وإن فارقتم الجزائر فهي لحقتكم إلى فرنسا وأسست لكم النوادي (النادي) الذي ما هو إلا مسجد لمن أراد الصلاة ومدرسة لمن أراد التعليم وناد لمن أراد سماع الوعظ والإرشاد».³

وبعد جهد شاق وعمل منتظم قامت به جمعية العلماء، ظهرت مدارس وأندية في مختلف المدن الفرنسية، وانطلقت تؤدي رسالتها التربوية والتعليمية، من تنظيم المحاضرات الدينية وإلقاء الدروس التربوية، وفي رحلة الفضيل الورتلاني إلى أرض فرنسا، يقول الشيخ البشير الإبراهيمي: «جاوز البحر سنة 1936 بموافقة من الأستاذ الرئيس، ومنى لي رد على الضالين من أبناء قومه هداية الإسلام، ويرد على الناشئين هناك من أبنائهم ما أضاعه الوسط من دين ولغة، وليزرع في قلوب الآباء والأبناء معا حب الدين والجنس واللغة والوطن، وليعيد إلى الجزائر بذلك كله قلوبا قد تتكرت

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، مصدر سابق، ص 387.

² عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، مرجع سابق، ص 309.

³ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 110.

لها، وأفئدة هوت إلى غيرها، وغراسا اظماهم الاستعمار في مغارسه، فالتمس الربي والنماء في غيرها، فنتبعهم الفضيل في مطارح اغترابهم وجمع شملهم على الدين، وقلوبهم على التعارف والأخوة، وجمع أبناءهم على تعلم العربية، وأسس في باريس وضواحيها بضعة عشر ناديا، عمرها هو ورفاقه الذين أمدته بهم جمعية العلماء، بدروس التذكير للآباء والتعليم للأبناء والمحاضرات الجامعة في الأخلاق والحياة، ونجح الفضيل في أعماله كلها نجاحا عاد على المسلمين في فرنسا بالخير والبركة»¹

وبرغم ما كانت عليه الحياة في فرنسا من سحر وجمال، ومن مفاتن الدنيا ومغرياتها، إلا أن الأستاذ الفضيل الورتلاني لم: «يجعل نصب عينيه سوى رسالته، ولم يكن يشغله أبناء وطنه الذين أمسوا كالأيتام في مأدبة اللئام، فلم يفكر في جولة أو راحة أو استجمام، بل عزم على انقاذهم والنهوض بهم إلى المستوى اللائق، مهما واجهه في ذلك من متاعب ومشاق، وما هي إلا أشهر قليلة حتى جمع كلمة العمال الجزائريين وأخذ يعلمهم الإسلام الصحيح، ويرشدهم إلى الطريق الأمينة، وقام بحركة أدبية دينية تهذيبية كان لها أثرها العميق في نفوس أبناء الجزائر».²

ولعل أحسن وصف لهذه النهضة التي قام بها الورتلاني في فرنسا، ما نشره أحد الجزائريين في إحدى الصحف المشرقية آنذاك، حيث قال: «ولقد كان للورتلاني أعظم جهاد في هذه البلاد الأوروبية، وفي العاصمة الفرنسية بالذات، حتى أنك لتشعر في أيامه وأنت بباريس، كأنك في إحدى عواصم الشرق، من حيث الجو الإسلامي والعربي، ففي باريس وحدها تم فتح خمسة عشر ناديا، يتردد على كل منها بضع مئات من أبناء المسلمين، يتلقون الدروس، ويسمعون المحاضرات، ويؤدون فروض العبادات، ويحيون تعاليم الإسلام، وفضائل العروبة، ويكافحون الاستعمار، وكانت هذه الأندية مثابة لكل شرقي ينزل في هذه البلاد».³

وبهذا أثبتت جمعية العلماء من خلال خطابها الاجتماعي أنها ليست جمعية نخبة مهتمة بتأليف الكتب وبالاهتمام بالصحافة وبعقد الندوات وبتعزيز نشاطها على المدن فقط، بل كانت

¹ الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، (د ط)، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص 24، 25.

² المصدر نفسه، ص 23، 24.

³ عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، مرجع سابق،

جمعية ممتدة في عمق المجتمع الجزائري ومتواجدة في المدن والقرى والأرياف، واستخدمت كل الوسائل المتاحة كالمسجد والمدرسة والنوادي والجمعيات للوصول إلى كل فئات المجتمع من خلال الاهتمام بتعليم الكبار والصغار، وبتعليم المرأة، وأولت اهتماما كذلك بتربية الشباب وتعليمه، وكانت تعمل على تنظيمهم في منظمات كالشافة والجمعيات الرياضية والثقافية والفنية. ولم يتوقف نشاط الجمعية على التربية والتعليم، بل تعداه إلى مساعدة الفقراء والأرامل والمساكين والضعفاء. وكننتيجة لاهتمام جمعية العلماء بالجانب الاجتماعي جعل البعض يعتقد أنها جمعية دينية وعليها أن تهتم بالإصلاح الديني فقط، في حين أنها ترى بأن الإسلام دين واجتماع، وأن الإصلاح الديني لا يتم إلا بالإصلاح الاجتماعي.

المبحث الرابع: الخطاب السياسي

حاولت جمعية العلماء من خلال خطابها السياسي التركيز على جملة من القضايا أبرزها قضية الوطن، وما تعرض له من احتلال بشع، حيث لم يقتصر هذا الاحتلال على نهب ثروات البلاد واستغلال الأرض، بل تجاوز إلى تدمير شخصية الإنسان الجزائري والقضاء على هويته، كما اهتمت بقضية فلسطين والقضايا العربية والإسلامية وحتى القضايا الإنسانية.

وهذا ما جعل الاحتلال الفرنسي يقول عن جمعية العلماء أنها: «جمعية سياسية في ثوب ديني، وإنها تستر القومية بستر الدين، وتخفي الوطنية بخفاء العلم والعربية... إنها تخدم سياسة أجنبية، إنها تعمل للجامعة العربية أو الإسلامية».¹

ولكن جمعية العلماء قد ردت على الاحتلال، واعتبرت من واجبها أن: «تدافع عن الذاتية الجزائرية، وتعمل لإحياء اللغة العربية وآدابها وتاريخها، وتعمل لتوحيد كلمة المسلمين في الدين والدنيا، وتعمل لتمكين أخوة الإسلام العامة بين المسلمين كلهم، وتذكر المسلمين الذين يبلغهم صوتها بحقائق دينهم وسير أعلامهم وأمجاد تاريخهم، وتعمل لتقوية روابط العروبة بين العربي والعربي. فإذا كانت هذه الأعمال تعد في فهمك ونظرك سياسة، فنحن سياسيون في العلانية لا في السر، وبالصرحة لا بالجمجمة».²

أولاً: قضية الوطن

– بث روح الوطنية: لاحظ الاحتلال الفرنسي أن جمعية العلماء أدخلت بيداغوجية وطنية جديدة في حملتهم التعليمية، فابن باديس قد: «استعمل هذه الطريقة الجديدة في محاضراته في الجامع الأخضر، لكي يعد طلابه لمسؤولياتهم الوطنية، فقد علمهم "المحفوظات العربية" و"الأناشيد الوطنية" وكان الطلاب يحفظون ذلك وينشدونه في المناسبات الاجتماعية والدينية، مثيرين بذلك روح الوطنية والتضامن الإسلامي والحرية».³

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، مصدر سابق، ص 61.

² المصدر نفسه، ص 62.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 400.

ولهذا ساهمت جمعية العلماء خلال العشرينيات في خلق وبعث التاريخ الوطني، فبفضلها تم توعية الجزائريين بتاريخهم وغرسه في أذهان الطلاب، وكانوا يدعون الجزائريين إلى اليقظة من سباتهم ، وفي هذا الصدد ظهر مبارك الميلي كأول مؤرخ جزائري حديث، لأنه حاول: « أن يعيد كتابة تاريخ الجزائر على أساس وطني من خلال كتابه " تاريخ الجزائر في القديم والحديث" ، وباعتبار الميلي عضوا من العلماء فقد ركز على فكريتي الإصلاح والوطنية في تاريخه. وقد تأسف على أن الجزائريين في وقته كانوا يجهلون كل شيء عن تاريخهم، بينما كانوا يعرفون الكثير عن تاريخ البلاد الأجنبية».¹

وقد صدر الجزء الأول من هذا الكتاب في صيف 1928 أي قبل عامين من احتفال الفرنسيين بمرور قرن على الاحتلال، والكتاب هو: « بدايات مشروع ثقافي وطني لإحياء المشروع الاستعماري، فالشيخ مبارك ينص في أكثر من مكان، على كل ما من شأنه أن يوحد الشعب ويقضي على عناصر التفرقة. وتحليل تناول الشيخ مبارك للتاريخ الجزائري، يكشف عن مسعى وطني واضح من أجل توظيف التاريخ في إيقاظ الشعور القومي، وفي خدمة مفهوم للوطن ومشروع للثقافة لا يمكن إلا أن يكون متناقضا مع استمرار الاستعمار».²

واهتمام جمعية العلماء بالتاريخ الوطني، باعتباره أحد الأركان الثلاث التي اعتمدها الاحتلال لفرنسة الجزائر إلى جنب محاربة الإسلام والقضاء على اللغة العربية. فقد أراد الاحتلال أن: « يخضع تاريخ الجزائر كما أخضع أرضها، وأراد أن يلغي الخصائص الوطنية للتاريخ، كما حاول أن ينكر خصائصها الجغرافية عندما اعتبر أن البحر الأبيض المتوسط يشق أرض فرنسا كما يشق السين مدينة باريس. وهذا ما جعل الاهتمام الفرنسي بتاريخ الجزائر يتركز على عصور ما قبل التاريخ، وعلى العهد الروماني والحقبة الفرنسية وإهمال العصور الإسلامية».³

كما أن الشيخ عبد الحميد بن باديس لما أصدر جريدة (المنتقد) سنة 1925، وهذا بهدف تسليط الضوء على أخطار الاحتلال ومحاربة بدع وضلالات رجال الطرق الصوفية التي خدرت

¹ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2 ، مرجع سابق، ص 401 ، 402.

² مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ت) ، ص 36، 37.

³ المصدر نفسه، ص 29.

المجتمع الجزائري وانحرفت به عن الإسلام الصحيح ، كان قد أصدرها تحت شعار: « الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء» ، في فترة كانت: « كلمة الوطن والوطنية كلمة إجرامية لا يستطيع أحد أن ينطق بها، وقليل جدا من يشعر بمعناها، وإن كان ذلك المعنى دفيناً في كوامن النفوس ككل غريزة من غرائزها، لا سيما في أمة تنسب إلى العروبة وتدين بالإسلام مثل الأمة الجزائرية ذات التاريخ المجيد». ¹

– رفض سياسة الاندماج: ظهرت سياسة الاندماج منذ 1891 على إثر زيارة لجنة التحقيق بقيادة (جون فيري)، حيث لا حظ هذا الأخير وجود جماعة جزائرية بدأت تطالب بالحقوق وتؤمن بالاندماج في المجتمع الفرنسي، وهذه الجماعة: « ما اصطلح على تسميته بالنخبة، ونحن نسميهم هنا (بالاندماجين) . وبينما كان أعيان المدن عندئذ يطالبون باحترام العادات والتقاليد الجزائرية، واسترجاع الأحكام للقضاة المسلمين، وتعليم اللغة العربية، وغير ذلك من المطالب التي كانت تهدف إلى الإبقاء على الهوية الوطنية موازاة مع الهوية الفرنسية، كان الاندماجين يكتبون عن إمكانات الاندماج مع الفرنسيين ويبحثون عن طرق التقارب بين الفرنسيين والجزائريين على أساس المستقبل الواحد والوطن الواحد». ²

وإذا كان القانون الفرنسي أعلن أن الجزائر مقاطعة فرنسية، فإن جماعة النخبة أو الاندماجين: « طالبوا بتطبيق هذه القوانين على الجزائر بالروح والحرف، فطالبوا بالمساواة في الحقوق السياسية مع الفرنسيين، وبإلغاء قانون الأهالي وغيره من القوانين الاستثنائية، وبالتمثيل النيابي للجزائريين، والمساواة في التعليم والضرائب، وفرص العمل، وباختصار فإن جماعة النخبة قد فضلوا التجنيس الكامل والاندماج وغير ذلك من الاجراءات الأخرى التي قد تساعد على توحيد الجزائر مع فرنسا». ³

وقد أعلن الاحتلال الفرنسي منذ البداية على لسان قادته أن هدفهم هو: « تمدين الجزائريين المتوحشين أو نصف المتمدنين، وأن لهم رسالة حضارية يؤدونها، وهي تتمثل في إحلال النظم

¹ محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، مرجع سابق، ص 174

² أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6 ، مرجع سابق ، ص 370 ، 371.

³ أبو القاسم سعد الله ، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 162، 163.

الفرنسية محل النظم الإسلامية القائمة، وجعل اللغة الفرنسية هي لغة السيادة، ومن ثمة كان هدفهم هو الوصول إلى نقطة الاندماج حين يصبح المجتمع الجزائري مجتمعا متفرنسا لغة ودينا ونظما»¹

ونتيجة لسياسة الاندماج أضاعت جماعة النخبة دينها ولغتها وعاداتها وتقاليدها واحترامها، كما أنهم: «أداروا وجوههم نحو الحياة الأوروبية، لذلك تزوجوا في كثير من الأحيان بفرنسيات، وتكلموا اللغة الفرنسية، وعاشوا مع المجموعة الفرنسية، وأرسلوا أطفالهم إلى المدارس الفرنسية، محاولين أن يخرجوهم على الطريقة الفرنسية... وفي نفس الوقت وجهوا غضبهم ضد العلماء والأعيان والمرابطين الجزائريين متهمين إياهم بالرجعية، وبأنهم حواجز في طريق التقدم والحياة الحديثة»²

ولهذا وقفت جمعية العلماء ضد سياسة الاندماج، وكان لموقفها صدى واسع وعواقب كبيرة لصالح الحركة الوطنية، فعندما نفى فرحات عباس وجود أمة جزائرية، أجابه ابن باديس بعبارات زعزعت من كانوا يعتقدون أن هذه الأمة قد اندثرت فعلا، وبنوا على ذلك أوهام الاندماج في أمة أخرى، قائلا: «إن هذه الأمة الجزائرية الإسلامية ليست هي فرنسا ولا يمكن أن تكون فرنسا، ولا تريد أن تصير فرنسا، ولا تستطيع أن تصير فرنسا ولو أرادت، بل هي بعيدة عن فرنسا كل البعد، في لغتها وفي أخلاقها وفي عنصرها وفي دينها، وهي لا تريد أن تندمج»³.

وفي نفس الاتجاه كتب الشيخ أبو يعلى الزواوي في جريدة البصائر يستنكر الفرنسية والتنصير والتجنس والاندماج، ورأى أن: «استعمال الأيتام والصبيان لنشر الفرنسية والتنصير بينهم وتحضيرهم للتجنس، سيجعلهم منبوذين فلا هم نصارى ولا هم مسلمون، واعتبر الحكومة الاستعمارية حكومة مبيدة ومهلكة، لأن العرب الأهالي مجردون من كل سلاح مادي وأدبي، ومنعوا من خصائص الإنسانية من الاجتماع والنطق والكتابة، ولا حرية لهم في ذلك»⁴.

¹ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 197.

² أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 162.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، مرجع سابق، ص 372.

⁴ المرجع نفسه، ص 372 ، 373.

- المؤتمر الإسلامي: تعود فكرة المؤتمر الإسلامي الجزائري إلى الإمام عبد الحميد بن باديس، حيث انعقد المؤتمر يوم 07 جوان 1936 بدعوة من الشيخ ابن باديس والدكتور محمد بن جلول رئيس كتلة نواب عمالة قسنطينة بقاعة سينما ماجستيك (الأطلس اليوم) بحي باب الواد بالعاصمة، وهذا: « لمحاولة إيجاد مخرج من تردي أوضاع الجزائر، وقد شارك في هذا المؤتمر الشعبي العلماء والنواب والشبان والشيوعيون والاشتراكيون وشخصيات مستقلة. وشكل المؤتمر بعد الاجتماع وفدا سافر إلى باريس لتقديم مطالب الأمة الجزائرية إلى الحكومة الفرنسية، لكنه عاد خالي الوفاض، نظرا لضغوط المستوطنين المعاكسة وتردد الحكومة الفرنسية».¹

و رأى ابن باديس أن من نتائج المؤتمر أن عرفت فرنسا حكومتها وأحزابها وصحافتها، بوجود: « أمة جزائرية اسلامية تطالب فرنسا بحقوقها وتحافظ تمام المحافظة على شخصيتها ومقومات شخصيتها. وهذا هو الأساس الذي يجب أن يبني عليه كل عمل للجزائر، والنهج الذي يجب أن يسير فيه كل من يتولى قيادة ناحية من نواحي سيرها في الحياة، وكل من حاد عنه قولاً أو عملاً فإنه يعد خائناً للأمة ويجب أن يعامل بما يستحقه الخائنون».²

والشيخ ابن باديس لم يحاول التهوين من المسعى، لكنه لم يعمل على تخدير الشعب، بل دعاه إلى الاستعداد لمعركة أشق وأشد ضراوة، قائلاً له: «أيها الشعب إنك بعملك العظيم الشريف برهنت على أنك شعب متعشق للحرية هائم بها، تلك الحرية التي ما فارقت قلوبنا منذ كنا الحاملين للوائها وسنعرف في المستقبل كيف نعمل لها، وكيف نحيا لأجلها، إننا مددنا إلى الحكومة الفرنسية أيدينا وفتحنا قلوبنا، فإن مدت إلينا يدها وملأت بالحب قلوبنا فهو المراد، وإن ضيقت فرنسا فرصتها هذه فإننا نقبض أيدينا ونغلق قلوبنا فلا نفتحها إلى الأبد».³

وهذا الأمر وهذا العمل حسب الشيخ ابن باديس على قدر جلالته ما هو إلا خطوة ووثبة وراءها خطوات ووثبات وبعدها إما الحياة وإما الممات، حيث توجه بندائه للشعب: «لنعتمد على أنفسنا ولننكل على الله، لأن المرحلة الماضية كانت مرحلة أمل في تحقيق مطالب الشعب بطريق سلمي

¹ بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، مرجع سابق، ص 383، 384.

² عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 340.

³ محمد الملي، ابن باديس وعروبة الجزائر، مرجع سابق، ص 25، 26.

بواسطة تفهم فرنسا وإعطائها جميع الحقوق للذين قاموا بجميع الواجبات، أما المرحلة الجديدة فهي مرحلة الكفاح والاعتماد على النفس وغلق القلوب على فرنسا إلى الأبد، والاستعداد لمعركة ضارية بعدها إما الحياة وإما الممات»¹

وتقابل مالك بن نبي مع زعماء الوفد الجزائري الذي زار باريس سنة 1936 بزعامة الشيخين: عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي، وأعاب على العلماء مشاركتهم في المؤتمر الإسلامي، حيث اعتبر أن: «زلة العلماء عام 1936 كان لها الأثر في عودة البلاد إلى الأفكار الوثنية، فقد كان من آثار هذه النكسة تلك الزردة الكبرى التي أقامتها (النخبة) من رجال السياسة في بلدة (سطيف)... وما كانت تلك الزردة إلا ابتداء لدروشة جديدة، تذهب معها جهود الإصلاح هباء، وكأنها لم تكن، دروشة لا تختلف عن سابقتها إلا بأنها تباع بدل الحروز والتمايم حروزا في شكل آخر هي أوراق الانتخابات والحقوق السياسية، والأمانى السابحة في الخيال»².

و كان الشيخ عبد الرحمان شيبان قد رد على أولئك الذين أعابوا على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإشرافها على تنظيم المؤتمر الإسلامي، معتبرين ذلك تبنيًا منها لمشروع بلوم فيوليت الداعي إلى اندماج الشعب الجزائري في الأمة الفرنسية، بينما الأمر على خلاف ما اعتقدوه تماما، فما كان لجمعية العلماء التي تأسست سنة 1931 إثر احتفال الاستعمار الفرنسي بمرور قرن على احتلاله الجزائر، للرد عن مزاعم الاستعمار بأن الجزائر أصبحت أرضا فرنسية، أن: «تنتكر للهدف الأساسي الذي أنشئت لأجله، وإنما تولت مهمة الإشراف على المؤتمر للحيلولة دون استغلال المؤتمر لتمرير المشروع الاندماجي عن طريق بعض النواب ورجال الأحزاب الذين كانت جمعية العلماء تخشى أن تسيطر عليهم مصالحهم الحزبية الضيقة، فيستجيبوا لضغوط المحتل الفرنسي، ويستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير، وإذن فجمعية العلماء تولت الإشراف على المؤتمر حتى تقف سدا منيعا ضد المشروع الاندماجي، وتحول بين المؤتمرين وبين إصدار قرارات تبارك الاندماج وتدعو إليه، مما يعطي للمحتل الفرنسي مرتكزا قانونيا يعتمد عليه في فرض الاندماج»³.

¹ محمد الميلي، ابن باديس وعروبة الجزائر، مرجع سابق، ص 26.

² مالك بن نبي، شروط النهضة، مرجع سابق، ص 32.

³ عبد الرحمان شيبان، المؤتمر الإسلامي 1936 تجذير للهوية الجزائرية ونسف للاندماجية، جريدة البصائر، العدد: 337، الاثنين

12 - 19 ربيع الثاني 1428 هـ / 30 أبريل - 07 ماي 2007، ص 02.

ويضيف الشيخ عبد الرحمان شيبان أن المؤتمر لو كان يصب في مشروع الاستعمار لما كان هناك داع لاغتيال الشيخ محمد كحول أصلاً، واتهام الجمعية بدمه، فاغتياله دليل على أن المؤتمر أقيم لصالح الجزائر، لا لخدمة الاستعمار، ذلك أن الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس حسبه: «أراد من المؤتمر الإسلامي أن يكون مجرد محطة ينتقل منها إلى غيرها، من باب خذ وطالب، وقد كان بالنسبة للشعب مجرد مرحلة من مراحل الكفاح السياسي السلمي الذي يعتمد الحوار والإقناع، ريثما يتم إعداد الأمة للظروف الملائمة للكفاح المسلح الذي يضمن بحول الله الظفر والانتصار»¹

- مساندة الثورة التحريرية: كتب الشيخ ابن باديس مقالا في جريدة الشهاب سنة 1930 يتحدث فيه عن سياسة الانكليز، ومن خلال هذه السياسة تكلم عن الحرية والاستقلال، حيث قال: «قلب صفحات التاريخ العالمي، وانظر في ذلك السجل الأمين هل تجد أمة غلبت على أمرها ونكبت بالاحتلال ورزئت في الاستقلال ثم نالت حريتها منحة من الغاصب وتنازلا من المستبد ومنة من المستعبد؟ اللهم كلا فما عهدنا الحرية تعطى إنما عهدنا الحرية تؤخذ، وما علمنا الاستقلال يمنح ويوهب، إنما علمنا الاستقلال ينال بالجهد والاستماتة والتضحية، وما رأينا التاريخ يسجل بين دفتي حوادثه خيبة للمجاهد إنما رأيناه يسجل خيبات للمستجدي»².

ويذكر الشيخ محمد خير الدين في مذكراته أنه: «ذات يوم من عام 1933م التفت نفر من الشباب المتحمس حول الإمام ابن باديس بنادي الترقى، وطلبوا منه أن يرفع صوته قويا مدويا عاليا مطالبا باستقلال الجزائر وحريتها، فقال لهم رحمهم الله جميعا: وهل رأيتم أيها الأبناء إنسانا يقيم سقفا دون أن يشيد الجدران؟ فقالوا - كلا - ولا يمكن هذا، فقال لهم: إن من أراد أن يبني داره فعليه أن يبني الأسس ويقيم الجدران أولا، ثم يشيد السقف على تلك الجدران، ومن أراد أن يبني شعبا ويقيم أمة، فإنه يبدأ من الأساس لا من السقف»³.

¹ عبد الرحمان شيبان، المؤتمر الإسلامي 1936 تجذير للهوية الجزائرية ونسف للاندماجية، جريدة البصائر، مصدر سابق، ص 02.

² عبد الحميد بن باديس، سياسة الانكليز، جريدة الشهاب، ج 5، المجلد السادس، غرة محرم 1349هـ/ جوان 1930، دار الغرب الاسلامي، بيروت، 2001، ص 345.

³ محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، مصدر سابق، ص 289.

ولهذا كان الشيخ عبد الحميد بن باديس يستوجب الشباب الوافد إليه عند وصوله عن شيء هام، وهو ما إذا كان قد أدى الخدمة العسكرية عند فرنسا أم لا ؟ فإذا وجد من أداها، يوصيه بشيء واحد: « إياك أن تضيع ما تعلمته من استعمال السلاح فسيأتي يوم تحتاج الجزائر فيه إليك » ، وكذلك أجاب عن سؤال أحد تلاميذه ذات يوم: « كيف يكون خلاصنا من فرنسا يا سيدي ؟ » فأجابه رحمه الله: « من هناك يكون الخلاص، وأشار بيده إلى الجبال».¹

وكان مما قاله ابن باديس عام 1936 حتى يوقظ به الأمة إلى حقها في الاستقلال: « إن الاستقلال حق طبيعي لكل أمة من أمم الدنيا، وقد استقلت أمم كانت دوننا في القوة والعلم والمنعة والحضارة، ولسنا من الذين يدعون علم الغيب مع الله، ويقولون أن حالة الجزائر الحاضرة ستدوم إلى الأبد، فكما تقلبت الجزائر مع التاريخ، فمن الممكن أنها تزداد تقلبا مع التاريخ، وليس من العسير بل إنه من الممكن أن يأتي يوم تبلغ فيه الجزائر درجة عالية من الرقي المادي والأدبي وتتغير فيه السياسة الاستعمارية، وتصبح البلاد الجزائرية مستقلة استقلالاً واسعاً، تعتمد عليها فرنسا اعتماد الحر على الحر».²

ولهذا مع اندلاع الثورة التحريرية في أول نوفمبر 1954 لم تتأخر جمعية العلماء في مسانبتها وإصدار البيانات لدعمها، حيث أصدر مكتبها بالقاهرة بيانا حرره كل من محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني، وكان ذلك يوم 02 نوفمبر 1954، ووزع حينها على الصحافة المصرية ووكالات الأنباء العالمية، ومما جاء فيه: « إن فرنسا ابتلعت أجزاء الوطن الواحد على ثلاث لقم، ثم أوهمتنا وأوهمت العالم أن هذه العملية لا تسمى ابتلاعا، وإنما هي تكييف كيميائي تصبح به أمة متمدنة، وكذبها الله وكذبها طبع السوء فيها فكنا في حشاها أشواكا تخز وأوجاعا تؤلم، فإذا هداؤ الوخز والإيلام فإنما هي هداة عارضة، ثم تعود وستلفظنا مكرهة عند الحشجة الأخيرة من حياتها، وسنكون سبب موتها»³

¹ عبد الرزاق قسوم، أعلام ومواقف في ذاكرة الأمة، ط 1 ، الدار العثمانية، الجزائر، 2014 ، ص 18.

² تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 198.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 39.

كما وجه الفضيل الورتلاني بيانا في 03 نوفمبر 1954 بالقاهرة، نشر في حينه بالجرائد المصرية وغير المصرية، ومما جاء فيه: « إلى الثائرين الأبطال من أبناء الجزائر: اليوم حياة أو موت، بقاء أو فناء، حياكم الله أيها الثائرون الأبطال، وبارك في جهادكم، وأمدكم بنصره وتوفيقه، وكتب ميتكم في الشهداء الأبرار، وحكم في عباده الأحرار.... اعلّموا أن الجهاد للخلاص من هذا الاستعباد، قد أصبح اليوم واجبا عاما مقدسا، فرضه عليكم دينكم، وفرضته قوميتكم، وفرضته رجولتكم، وفرضه ظلم الاستعمار الغاشم الذي شملكم، ثم فرضته أخيرا مصلحة بقائكم، لأنكم اليوم أمام أمرين: إما حياة أو موت، إما بقاء كريم أو فناء شريف»¹

و أصدر كذلك مكتبها بالقاهرة بيانا حرّره كل من محمد البشير الإبراهيمي والفضيل الورتلاني، وكان ذلك يوم 11 نوفمبر 1954، ووزع حينها على وسائل الإعلام المصرية ووكالات الأنباء، ومما جاء فيه: « انفجر بركان الثورة المباركة في الجزائر ليلة اليوم الأول من نوفمبر الحالي وقد كنا نحن الجزائريين الموجودين خارج الجزائر نتربح هذه الثورة ونتوقعها، نتربحها لأنها الأمل الوحيد في تحريرنا من العسف الفرنسي الذي لا يعرفه إلا من ابتلي به، ونتوقعها لأن هذا هو وقتها، ولأن فرنسا لا تفهم إلا هذه اللغة ولا يفتح آذانها إلا هذا الصوت»²

وقد حرّر كل من الإمام محمد البشير الإبراهيمي والشيخ الفضيل الورتلاني بيانا تاريخيا آخر، وكان ذلك في 15 نوفمبر 1954م بالقاهرة، يحرض فيه الشعب الجزائري على الانضمام إلى صفوف المجاهدين، ويحذره من مغبة خذلان قضيته التي فيها شرفه وعزه وكرامته، لأن خذلان جهاد التحرير معناه الفناء، وعندئذ يكون بطن الأرض خيرا من ظهرها: « أيها الإخوة الأحرار هلموا إلى الكفاح المسلح، إننا كلما ذكرنا ما فعلت فرنسا بالدين الإسلامي في الجزائر، وذكرنا فظائعها في معاملة المسلمين، لا لشيء إلا لأنهم مسلمون، كلما ذكرنا ذلك احتقرنا أنفسنا واحتقرنا المسلمين، وخجلنا من الله أن يرانا ويراهاهم مقصرين في الجهاد لإعلاء كلمته، وكلما استعرضنا الواجبات وجدنا أوجبها وألزمها في أعناقنا، إنما هو الكفاح المسلح فهو الذي يسقط علينا الواجب،

¹ الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، مصدر سابق، ص 170، 171.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 40.

ويدفع عنا وعن ديننا العار، فسيروا على بركة الله، وبعونه وتوفيقه إلى ميدان الكفاح المسلح، فهو السبيل الواحد إلى إحدى الحسينيين، إما موت وراءه جنة، وإما حياة وراءها العزة والكرامة»¹.

وعندما اندلعت الثورة المسلحة ضدّ الاحتلال التحق الكثير من تلامذة مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بها، فحملوا السلاح لتحرير البلاد، والتحق هؤلاء التلاميذ بالجهاد ضد المحتل الفرنسي، لأن الشيخ العربي التبسي كان قد: «أفتى في بداية الثورة أنه (لا يجوز لأي مسلم دون عذر أن يتخلف عن الجهاد)، وكان يتأسف لأنه غير قادر على حمل السلاح لمرضه وشيخوخته، فكان يقول: (لو كنت في صحتي وشبابي ما زدت يوماً واحداً في المدينة أسرع إلى الجبل فأحمل السلاح فأقاتل مع المجاهدين)، ورغم ذلك فإنه التحق بالثورة منذ بدايتها وكان يجمع لها المال ويعبئ الشعب ويدعوه إلى الجهاد ضد الاستعمار، وعندما نصحه عبّان رمضان بالالتحاق بالخارج خوفاً من أن يمسه الاستعمار بسوء رد عليه قائلاً: إذا كنا سنخرج كلنا فمن يبقى مع الشعب يوعيه ويعبئه ويحمسه؟»²

و فضلّ الشيخ العربي التبسي البقاء في الجزائر، حيث يلقي الدروس والخطب في مسجد بلكور بالعاصمة يدعو فيها الشعب إلى الالتحاق بالثورة ضد الاستعمار، وكانت دعوته تصل إلى أرجاء الوطن كله، فأصبح الاستعمار يعتقد أن بقدرة هذا الرجل إيقاف الثورة، فأرسلت إليه الحكومة الاستعمارية عدّة مبعوثين تسترضيه وترجو منه التفاوض، فكان يرفض كل حديث معهم ويشير إلى أن جبهة التحرير الوطني هي الممثل الشرعي والوحيد للشعب، حيث قال لهم: «إذا أرادت فرنسا إيقاف الحرب فلتفاوض جبهة التحرير الوطني، أما العربي التبسي وغيره فليس لهم أن يتكلموا باسم الشعب وثورته ولا يستطيعون إيقاف ثورة الأمة كلها»³

و ذكر أحمد توفيق المدني أن جمعية العلماء في اجتماعها قد قررت بالإجماع أنها مع الثورة، حيث قال في مذكراته: « دعوت رجال الجمعية لعقد الاجتماع الإداري بمدينة قسنطينة، يوم غرة نوفمبر من سنة 1954 فأصبحنا بها، ونحن نقرأ أنباء حوادث الانتفاضة الأولى، وقررنا بإجماع:

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 36.

² بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، ج 1، مرجع سابق، ص 505.

³ المرجع نفسه، ص 505، 506.

أنا مع الثورة، وبعثنا لكل رجالنا وشبابنا قرارنا هذا، جاءت الساعة التي حدّدها الله، فالى الميدان الشريف، إلى الشهادة أو إلى النصر»¹

وفي وثيقة سرية مدونة بتاريخ 18 ديسمبر 1954، نشرها جاك كاري في كتابه "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" وتكمن أهمية هذا الكتاب في كون مؤلفه ضابطا برتبة رائد اطلع قبل تأليف كتابه على المعلومات السرية المدونة في وثائق المصالح المختصة، أن الشيخ البشير الإبراهيمي قدّم دروسا وندوات لأعضاء الكومندوس الثلاثين الذين اختارهم محمد خيضر للتدريب في (حلوان) بمصر، بغية الإعداد لقيام الثورة. حيث جاء: «في تقرير أمني سري عن نشاطات جمعية العلماء المسلمين، صادر عن مصلحة التوثيق الخارجي والجوسسة المضادة، أن محمد خيضر قاد هؤلاء المناضلين إلى مقر جمعية العلماء المسلمين بالقاهرة، حيث وعظهم الشيخ البشير الإبراهيمي من أجل إثارة حماسهم الوطنية، وأعلن أنه لا يستطيع تعيين إلا ثمانية طلبة لهذا التبرص التدريبي. وقدم التقرير الأمني الفرنسي خمسة أسماء من هؤلاء الطلبة فقط تم التعرف عليهم، من بينهم محمد بوخروبة (هوارى بومدين)»²

و لهذا لم تكن دعوة جمعية العلماء للجهاد والثورة ضد المحتل الفرنسي قولية فحسب، تعتمد على إصدار البيانات فقط، بل كانت حسب الشيخ أحمد حماني: «قولا وعملا وسعيا وجهادا متواصلًا وتضحيات عزيزة، وآلاما جسمية ونفسية، كان لها الأثر الأكبر والحظ الأوفر فيما وصلت أمتنا إليه، ولولا أن هذه الحركة مهدت للثورة المسلحة التي نشبت عام 1374 هـ (1954 م) لما قُدر لها أن تجد من النجاح الباهر ما وجدته»³

لكن الذي غفل عنه البعض حسب المؤرخ أبو القاسم سعد الله حتى الآن هو: «أن عددا من معلمي جمعية العلماء كانوا أيضا وبطريقة سرية أعضاء في حزب الشعب في نفس الوقت، لأنهم آمنوا بأهدافه في الحرية والاستقلال، وهذه نقطة تحتاج إلى دراسة على حدة وإلى أدلة. وإنصافا للتاريخ أن جمعية العلماء كانت تقريبا هي الهيئة الوحيدة الفاعلة في المجتمع الجزائري عندئذ،

¹ إسعد لهاللي، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية، ط 1، بيت الحكمة، الجزائر، 2015، ص 120.

² Jacques Carret, L'ASSOCIATION DES OULAMAS D'ALGERIE, Alem El Afkar, Alger, 2008 P 125, 126.

³ أحمد حماني، صراع بين السنة والبدعة، ج 1، مصدر سابق، ص 52.

ولعلمهم سيجدون أن أنصارها قد تكاثروا نتيجة الأزمة التي مر بها حزب الشعب منذ 1949 وخصوصا منذ 1953، لأن الشعب قد تزعزعت ثقته في الأحزاب السياسية عموما.¹ وإنصافا للتاريخ أيضا يقول أبو القاسم سعد الله: «لولا أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم ووطنهم، وكوّنوا أنفسهم في الخفاء، واجتمعوا وتجاوبوا وقرروا الثورة، لكانت الجزائر بدون جمعية العلماء كريحة في مهب الريح سنة 1954، ويبقى أن نعرف مستقبلا كم من الذين فجروا ثورة 1954 كانوا من خريجي خلايا حزب الشعب وكم منهم كانوا من خريجي مدارس جمعية العلماء».²

- أصول الحكم في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: كان الإمام عبد الحميد بن باديس على يقين من أن جهاد الجزائر وثورتها سيُتَوَجَّح بحول الله بالنصر والاستقلال والحرية، فوضع لهم دستوراً اقتبسه من خطبة الخليفة الأول لرسول الله ﷺ أبي بكر الصديق رضي الله عنه عندما بويع بالخلافة، ثم راح الإمام ابن باديس يشرح هذه الخطبة القصيرة البسيطة في ألفاظها، الواسعة العميقة في معانيها، فاستخلص منها ثلاثة عشر أصلا:

الأصل الأول: لا حق لأحد في ولاية الأمر من أمور الأمة إلا بتولية الأمة، فالأمة هي صاحبة الحق والسلطة في الولاية والعزل، فلا يتولى أحد أمرها إلا برضاها. وهذا الأصل مأخوذ من قوله: (وليت عليكم) أي قد ولاني غيري وهو أنتم.

الأصل الثاني: الذي يتولى أمرا من أمور الأمة هو أكفؤها فيه، لا خيرها في سلوكه، فإذا كان شخصان اشتركا في الخيرية والكفاءة، وكان أحدهما أرجح في الخيرية والآخر أرجح في الكفاءة لذلك الأمر، قدم الأرجح في الكفاءة على الأرجح في الخيرية. وهذا الأصل مأخوذ من قوله: (ولست بخيركم)

الأصل الثالث: لا يكون أحد بمجرد ولايته أمرا من أمور الأمة خيرا من الأمة، وإنما تنال الخيرية بالسلوك والأعمال. فالأفضلية بالمفهوم القرآني تكون بالإيمان والتقوى لا بالمنصب والمسؤولية. وهذا الأصل مأخوذ أيضا من قوله: (ولست بخيركم)

¹ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996، ص 147.

² المرجع نفسه، ص 147، 148.

الأصل الرابع: حق الأمة في مراقبة أولي الأمر، لأنها مصدر سلطتهم، وصاحبة النظر في ولايتهم وعزلهم.

الأصل الخامس: حق الوالي على الأمة فيما تبذله له من عون إذا رأت استقامته، فيجب عليها أن تتضامن معه وتؤيده إذ هي شريكة معه في المسؤولية. وهذا الأصل والذي قبله مأخوذ من قوله: (إذا رأيتموني على حق فأعينوني)

الأصل السادس: حق الوالي على الأمة في نصحه وإرشاده ودلالته على الحق إذا ظل عنه، وتقويمه على الطريق إذا زاغ في سلوكه. وهذا مأخوذ من قوله: (وإذا رأيتموني على باطل فسددوني)

الأصل السابع: حق الأمة في مناقشة أولي الأمر ومحاسبتهم على أعمالهم، وحملهم على ما تراه هي لا ما يرونه هم، فالكلمة الأخيرة لها لا لهم. وهذا مأخوذ أيضا من قوله: (وإذا رأيتموني على باطل فسددوني)

الأصل الثامن: على من تولى أمرا من أمور الأمة أن يبين لها الخطة التي يسير عليها، ليكونوا على بصيرة، ويكون سائرا في تلك الخطة عن رضى الأمة، إذ ليس له أن يسير بهم على ما يرضيه، وإنما عليه أن يسير بهم فيما يرضيهم. وهذا مأخوذ من قوله: (أطيعوني ما أطعت الله فيكم)

الأصل التاسع: لا تحكم الأمة إلا بالقانون الذي رضيته لنفسها، وعرفت فيه فائدتها، وما الولاية إلا منفذون لإرادتها، فهي تطيع القانون لأنه قانونها، لا لأن سلطة أخرى لفرد أو لجماعة فرضته عليها. وهذا الأصل مأخوذ من قوله: (أطيعوني ما أطعت الله فيكم، فإذا عصيته فلا طاعة لي عليكم)

الأصل العاشر: الناس كلهم أمام القانون سواء لا فرق بين قويهم وضعيفهم، فيطبق على القوي دون رهبة لقوته، وعلى الضعيف دون رقة لضعفه.

الأصل الحادي عشر: صون الحقوق: حقوق الأفراد وحقوق الجماعات، فلا يضيع حق ضعيف لضعفه، ولا يذهب قوي بحق أحد لقوته عليه.

الأصل الثاني عشر: حفظ التوازن بين طبقات الأمة عند صون الحقوق، فيؤخذ الحق من القوي دون أن يقسو عليه لقوته، فيتعدى عليه حتى يضعف وينكسر، ويعطى الضعيف حقه، دون أن يذل لضعفه فيطغى عليه، وينقلب معتديا على غيره. وهذا الأصل واللذان قبله مأخوذة من قوله: (ألا إن أقواكم عندي الضعيف حتى آخذ الحق له، وأضعفكم عندي القوي حتى آخذ الحق منه).

الأصل الثالث عشر: شعور الراعي والرعية بالمسؤولية المشتركة بينهما في صلاح المجتمع، وشعورهما دائما بالتقصير في القيام بها ليستمر على العمل بجد واجتهاد، فيتوجهان بطلب المغفرة من الله الرقيب عليهما وهذا مأخوذ من قوله: (أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم) ¹.

و كان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي قد أصدر بيانا في 16 أفريل 1964 بمناسبة الذكرى الرابعة والعشرين لوفاة الشيخ عبد الحميد بن باديس، ضد توجهات نظام الحكم الجزائري آنذاك، حيث بيّن فيه طبيعة الحكم الذي ينبغي حسبه أن يكون نابعا من هويتنا العربية الإسلامية، وأن يعتمد الحاكم على مبدأ الشورى، ويتحلى بالنزاهة والكفاءة وتغليب المصلحة العامة على المصلحة الخاصة، وهذا كلّه من أجل إقامة دولة يسودها العدل والحرية، حيث قال موجها كلامه للحكام: «لا يدركون أن شعبنا يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية، وأن الأسس النظرية التي يقيمون عليها أعمالهم، يجب أن تتبعث من صميم جذورنا العربية الإسلامية، لا من مذاهب أجنبية. لقد آن للمسؤولين أن يضربوا المثل في النزاهة وألا يقيموا وزنا إلا للتضحية والكفاءة، وأن تكون المصلحة العامة هي أساس الاعتبار عندهم، وقد آن أن يرجع لكلمة الأخوة - التي ابتذلت - معناها الحق، وأن نعود إلى الشورى التي حرص عليها النبي ﷺ، وقد آن أن يحتشد أبناء الجزائر كي يشيدوا جميعا (مدينة) تسودها العدالة والحرية، (مدينة) تقوم على تقوى من الله ورضوان» ².

و الشيخ محمد خير الدين كان قد قدم كذلك نصحا وتوجيها لنظام الحكم بتاريخ: فيفري 1969 وهذا بدافع إيمانه بأن الواجب الوطني يملي عليه أن يلفت نظره إلى الأخطاء التي ترتكب عمدا أو جهلا في شتى ميادين الحياة، لأن هذا النظام بعد أن تحكّم في مقاليد الحكم، وقعت الجفوة بينه وبين الناصحين، ولم يبق أمامه حسب الشيخ محمد خير الدين إزاء ما رأته من أمور تسير نحوها

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 401، 402، 403، 404.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 317.

أمتنا تخالف ما عاهدنا الله عليه، إلا أن أعلن له ولكافة أبناء وطني أنني بريء منه، ولهذا أعلنها براءة وقطيعة مع هذا النظام بتاريخ: مارس 1976، قائلا: «إن النظام الاستعماري الذي كنّا تجنّدنا ضدّه، قد اذلّنا حقاً، ومنعنا من ممارسة سيادتنا الوطنية، وحدّد قضايانا في مسائل معيشية واقتصادية، لكن بعد انتصارنا عليه وانتزاع استقلالنا، فإن نظام السلطة الفردية قد جرّنا تدريجياً إلى نفس الوضع مع فقدان الحرية والكرامة، إن هذا الخضوع سبّب عار في طبيعة الإنسان وخاصة في الإنسان الجزائري، إنه مساس بشخصيته».¹ لهذا رأى الشيخ محمد خير الدين أن على جميع الجزائريين ذوي النية الحسنة، أن يضعوا حدّاً لهذا الوضع، وأن يناضلوا من أجل: «انتخاب جمعية وطنية تشريعية ذات سيادة بواسطة استشارة شعبية حرة، وجعل حدّ لهذا النظام الفردي، وإقامة حواجز شرعية ضد كل انحراف من هذا النوع، وإقامة حرية التعبير والفكر اللذين طالما كافح الشعب الجزائري من أجلهما، وفتح السبيل إلى إقامة مغرب عربي إسلامي يسوده الاتحاد والأخوة»²

وكنتيجة لاستمرار الحكم الفردي جاءت أحداث أكتوبر 1988 واتخذت السلطة بعدها جملة من الإصلاحات السياسية، لكن وقوع الجزائر في أزمة سنة 1992، على خلفية الأوضاع السياسية والأمنية المتوتّرة آنذاك، جعلت أصوات العلماء والحكماء والعقلاء في الجزائر لم تتقطع من أجل حقن الدماء وتأمين الوطن من ويلات العنف، وللأسف لم يستجب آنذاك النظام السياسي لهذه الأصوات، هذا ما جعل الجزائر تدفع ثمن ذلك الغلوّ والتعنّت أرواحاً بمئات الآلاف من خيرة أبنائها، لكن: «وتيرة العنف ومنحنى التدمير والتقتيل والإرهاب والترهيب قد بدأت في التراجع والانخفاض، بعد دخول قانون الوئام المدني حيز التنفيذ وأثره الإيجابي على حقن دماء الجزائريين والعودة التدريجية للأمن والتفاؤل بالمستقبل. و رغم إيجابيات قانون الوئام المدني الكثيرة، ظلّ مجرد خطوة لمعالجة نتائج الأزمة، ومحاولة إطفاء لهيبها، وليس توجهها كلياً لمعالجة أسباب الأزمة والقضاء على جذورها واستئصال عوامل تجددتها، ومن هنا جاء الحديث عن ضرورة ترقية الوئام المدني إلى مصالحة وطنية كخيار حضاري سلمي»³

¹ محمد خير الدين، مذكرات، ج 2، مصدر سابق، ص 244.

² المصدر نفسه، ص 244.

³ عبد الحميد عبدوس، من يتحمل مسؤولية تجسيد مشرع المصالحة الوطنية؟ جريدة البصائر، العدد 194، الاثنين 11 - 18 ربيع

الثاني 1425هـ/ 31 ماي - 07 جوان 2004، ص 03

وهذا ما جعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تصدر بيانا تساند فيه ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، وترى من الواجب دعمه بكل وسيلة، وهذا للقضاء على الفتنة والفرقة، وتمتيننا لعرى الوحدة وتحقيقنا للازدهار والأمان.¹

ولكن للأسف بعد إقرار ميثاق السلم والمصالحة الوطنية، عاد النظام إلى أساليبه القديمة وفرض سيطرته على كل مناحي الحياة، وإلى حكم النظام الفردي المطلق، وإلغاء دور المؤسسة التشريعية وتحويلها إلى مؤسسة خاضعة لمؤسسة الرئاسة، وخصوصا بعد تعديل الدستور سنة 2016 لتبشير ترشح الرئيس لعهدة ثالثة ورابعة. وأصبحت صناعة القرار السياسي في الجزائر مرتبهة بيد مؤسسة الرئاسة، وصولاً إلى تمرير العهدة الخامسة بالقوة رغم اعتراض الكثيرين على ذلك. وكانت جمعية العلماء قد نبّهت وحذرت بانفجار الوضع، وهذا من منطلق وفائها لمبادئها ومقاصدها، لأن من مقاصدها: (تقديم النصح والمشورة للأفراد والهيئات والمؤسسات في ما يخدم صالح البلاد والعباد)، يقول الشيخ عبدالرزاق قسوم في هذا الشأن: « لطالما نبهنا وحذرنا وأعلنا وأسررنا بأن البركان الشعبي الهائج، مهما تحلى بالمسالمة في مطالبه ومهما تجلد بالصبر في معاملته، فإن الصدود والاستفزاز، والصد عن تحقيق مآربه، سيحول الهدوء إلى ثورة، والانضباط إلى عصيان، والمسالمة إلى هجمة عمياء قد تأتي على الأخضر واليابس»² وهذا ما كان بالفعل إذ انفجر الشعب وخرج مطالباً بإصلاحات سياسية في فيفري 2019، ووعيا بمسؤوليتها الملقاة على عاتقها، هتأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الشعب الجزائري على حراكه السلمي، ونبّهته إلى من يحاول أن يُشوّه هذا الحراك ويُخرجه عن مساره الحقيقي، يقول الشيخ عبدالرزاق قسوم: « لقد كان شعبنا الجزائري وطنيا عظيما، وذكيا حكيما، عندما رفع الشعارات الأصيلة والنبيلة، وحمى المؤسسات العامة والخاصة من كل التصرفات الأثيمة، فكشف عن طينته العريقة وأصالته الدقيقة والعميقة. إن أخطر ما نخافه على حراكنا الشعبي، الطاهر الأبى أن تتسلل إليه يد غادر أو مجرم أو دعيّ، فتشوّه صفاءه، وتُعكر نقاءه، وتُسوّد بياضه وبهائه»³ وبعد دراستها للواقع الوطني وتطوراتها، وفي

¹ جريدة البصائر، العدد 252، الاثنين 01 - 08 شعبان 1426هـ / 05 - 12 سبتمبر 2005، ص 01، (أنظر: البيان كاملا في الملاحق، ص 299)

² عبد الرزاق قسوم، جمعية العلماء تحذر من عواقب العصيان المدني، جريدة البصائر، العدد 952، الاثنين 04 - 10 رجب 1440هـ / 11 - 17 مارس 2019، ص 03

³ المصدر نفسه، ص 03

ضوء الحراك الشعبي، أصدرت جمعية المسلمين الجزائريين بياناً، تدعو فيه الشعب الجزائري إلى مزيد من التمسك بسلامة حراكه، ووحدة صفوفه، وصيانة مبادئه وثوابته.¹

ثانياً: القضية الفلسطينية

كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من أوائل الجمعيات التي دافعت عن فلسطين، حيث أظهر العلماء: «موقفهم الصريح والشجاع منذ الشرارة الأولى التي أصابت الأرض المباركة، ونهبوا إلى خطورة المؤامرة الصهيونية، وكشفوا عنها القناع في مرحلة مبكرة في الصراع الصهيوني الفلسطيني، حيث نجد المقالات السياسية والتحليلات الفكرية والشعر والأدب والبيانات والنداءات والمراسلات للجهات الدولية، وحملات الاككتاب لجمع الأموال وتأسيس اللجان الإغاثية وتنظيم التجمعات الشعبية»²

و أدرك الشيخ عبد الحميد بن باديس منذ البداية طبيعة العلاقة بين الاستعمار البريطاني والصهيونية، وأعطى للقضية الفلسطينية بعداً دينياً وعربياً، واعتبر هذه القضية مسؤولية كل مسلم وقد قال بهذا الصدد: «جاء الزوجان المشؤومان الصهيونية والاستعمارية فكان البلاء على فلسطين كلها عربها ويهودها، فليست الخصومة بين كل عرب فلسطين ويهودها، ولا بين كل مسلم ويهودي على وجه الأرض، بل الخصومة بين الصهيونية والاستعمار الإنجليزي من جهة والإسلام والعرب من جهة، والضحية فلسطين والشهداء حماة القدس الشريف، والميدان رحاب المسجد الأقصى، وكل مسلم مسؤول أعظم المسؤولية عند الله تعالى على كل ما يجري هنالك من أرواح تزهر وصغار تيتيم ونساء ترمل وأموال تهلك وديار تخرب وحرمان تنتهك، كما لو كان ذلك كله واقعا بمكة أو بالمدينة، إن لم يعمل لرفع الظلم الفظيع بما استطاع».³ كما وضع الشيخ ابن باديس طبيعة الاستعمار الانكليزي ومدى دعمه للصهيونية، وتقسيمه للوطن العربي: «يريد الاستعمار الانكليزي الغاشم أن يستعمل الصهيونية الشرهة لقسم الجسم العربي وحط قدس الإسلام فيملاً

¹ جريدة البصائر، العدد 970، الاثنين 19 - 25 ذو القعدة 1440هـ / 22 - 28 جويلية 2019، ص 05، (أنظر: البيان كاملاً في الملاحق، ص 305)

² يحي صاري، جمعية العلماء والقضية الفلسطينية، مجلة التبيان، العدد 01، ذو القعدة 1437 / سبتمبر 2016، ص 37.

³ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 414.

فلسطين بالصهيونيين المنبوذين من أمم العالم، ولأجل هذه الغاية الظالمة تجند جنود الإنكليز وتجمع أموال الصهيون وتسفك الدماء البريئة وتلطح بها الرحاب المقدسة»¹

ولهذا للفلسطينيين الحق في تقديم المسؤولين عن قرار تقديم فلسطين لليهود إلى المحاكم الدولية لأنهم اغتصبوا الأرض التي لا يملكونها وأعطوها لليهود، وهذا أمر خطير، ومن المفروض على اليهود أن يرفضوا هذا القرار من الاستعمار الإنكليزي وأن لا يقدموا على احتلال فلسطين، ويستمروا في العيش بسلام مع العرب، كما كانوا دائماً منذ الفتح الإسلامي وهم يعرفون جيداً أن العرب والمسلمين أهل خير وعدل اتجاه الآخر، وهذا بفضل سماحة الإسلام.²

وبهذا تكون جمعية العلماء أدركت مبكراً حقيقة الصهيونية وخطورتها ومن يقف وراءها، قال الشيخ محمد البشير الإبراهيمي: «إن الصهيونية فيما بلونا من ظاهر أمرها وباطنه نظام يقوم على الحاخام والصيرفي والتاجر، ويتسلح بالتوراة والبنك والمصنع، وغايتها جمع طائفة قُدِّر لها أن تعيش أوزاعاً بلا وازع، وقُدِّر لها أن تعيش بلا وطن - ولكن جميع الأوطان لها - فجاءت الصهيونية تحاول جمعها في وطن تُسميه قولاً فلسطين، ثم تُفسره فعلاً بجزيرة العرب كلها، فهو في حقيقته استعمار من طراز جديد في أسلوبه ودواعيه وحُججه وغاياته، يجتمع مع الاستعمار المعروف في أشياء، وتفرق بينهما فوارق، منها أن الصهيونية تعتمد قبل كل شيء على الذهب، تشتري به الضمائر والأرض والسلاح، وتشتري به السكوت والنطق، وتشتري به الحكومات والشعوب، تعتمد عليه وعلى الحيلة والمكر والتباكي والتصاغر في حينه، وعلى التتمّر والإرهاب في فرصته».³

وأكد الشيخ البشير الإبراهيمي أن الجزائر لا يمكن أن تنسى فلسطين: «أيظن الظانون أن الجزائر بعراقتها في الإسلام والعروبة تنسى فلسطين، أو تضعها في غير منزلتها التي وضعها الإسلام من نفسها، لا والله، ويأبى لها ذلك شرف الإسلام ومجد العروبة ووشائج القرى، ولكن

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 414.

² Ahmed El Rifaei Chorfi, IMAM ABOU YAALA EZZOUAOU, Traduit par : Wafa Bedjaoui, Tome 4, Dar El Houda Ain M Lila, Algerie, 2015, P: 282 , 283.

³ يحي صاري، جمعية العلماء والقضية الفلسطينية، مجلة التبيان، العدد 01، مصدر سابق، ص 38.

الاستعمار الذي عقد العقدة لمصلحته، وأبى حلها لمصلحته، وقايض بفلسطين لمصلحته، هو الذي يباعد بين أجزاء الإسلام لئلا تلتئم، ويقطع أوصال العروبة كيلا تلتحم، وهيئات هيئات لما يروم»¹

وقد نبّه الإبراهيمي العرب والمسلمين إلى أن قضية فلسطين ليست للفلسطينيين وحدهم وإنما هي قضيتهم: «أيها العرب، إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائرکم وهممکم وأموالکم ووجدتکم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب کلهم، وليست حقوق العرب فيها تُنال بأنها حق في نفسها، وليست تُنال بالهويّنا والضعف، وليست تنال بالشعريات والخطابيات، وإنما تنال بالتصميم والحزم والاتحاد والقوة. إن الصهيونية وأنصارها مصمّمون، فقابلوا التصميم بتصميم أقوى منه وقابلوا الاتحاد باتحاد أمتن منه... أيها العرب، أيها المسلمون، إن فلسطين وديعة محمد عندنا، وأمانة عمر في ذمتنا، وعهد الإسلام في أعناقنا، فلئن أخذها اليهود منا ونحن عصابة إنا إذا لخاسرون»²

واعتبرت جمعية العلماء أن الوقوف بجانب إخواننا في فلسطين، ومد يد العون إليهم والتضامن معهم فريضة على كل عربي ومسلم، ولهذا بادرت بتشكيل الهيئة العليا لإعانة فلسطين بتاريخ 14 جوان 1948: «إعانة فلسطين فريضة مؤكدة على كل عربي وعلى كل مسلم، فمن قام به أدى ما عليه من حق لعروبه وإسلامه، ومن لم يؤده فهو دين في ذمته لا يبرأ منه إلا بأدائه، ومن سبق فله فضيلة سبق ومن تأخر شفعت له المعاذير القائمة حتى تزول، فإذا زالت تعلق الطلب ووجب البدار. وقد قامت الأمم العربية والإسلامية بهذا الواجب كل أمة على قدر استعدادها وعلى حسب الظروف المحيطة بها لا على حسب الشعور والوجدان... وإذا تأخرت الأمة الجزائرية عن إعانة فلسطين بالممكن الميسور فعذرنا أنها كانت منهمكة في المطالبة بحقها في الحياة، وكانت من أجل ذلك في صراع مستمر مع الاستعمار. وقد تشكلت الهيئة العليا لإعانة فلسطين من أربع شخصيات: محمد البشير الإبراهيمي (رئيس)، عباس فرحات (كاتب عام)، الطيب العقبي (أمين مال)، إبراهيم بيوض (نائبه)»³.

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، مصدر سابق، ص 438.

² المصدر نفسه، ص 438، 445.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 2، مصدر سابق، ص 209، 210.

وفلسطين حسب البشير الإبراهيمي هي في قلب كل مسلم جزائري وعلى لسانه، فهي قطعة من وطنه الإسلامي الكبير قبل أن تكون قطعة من وطنه العربي الصغير، و هي كذلك في عنقه، وإن: « فرط في جنبك، أو أضاع بعض حقك، فما الذنب ذنبه، وإنما ذنب الاستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه والمرء وداره والمسلم وقبلته. يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب، والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، وأن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وإنك كنت نهاية المرحلة الأرضية، وبداية المرحلة السماوية، من تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعوداً، بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطاً»¹.

وبقيت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين دائماً بجانب إخوتنا في فلسطين، ومدّ يد العون إليهم والتضامن معهم، حيث بادرت في فترة رئاسة الشيخ عبد الرحمان شيبان إلى تشكيل لجنة الإغاثة وهي واحدة من اللجان التي أنشأتها الجمعية، تهتم بتنظيم حملات للإغاثة والمساعدات الإنسانية والاجتماعية داخل الوطن وخارجه، ومن خلال هذه اللجنة تعمل على بعث روح التعاون والتآزر والتفاعل مع قضايا الأمة الإسلامية عامة، والقضية الفلسطينية خاصة.

وكانت إنجازات لجنة الإغاثة بالنسبة لأشقائنا في فلسطين تتمثل في القوافل الإنسانية التي أطلقت عليها اسم قافلة الجزائر والتي أرسلتها إلى قطاع غزة المحاصرة:

فكانت قافلة الجزائر الأولى قد دخلت إلى غزة في شهر رمضان 1431 هـ الموافق لـ أوت 2010م كانت حصيلتها: 60 حاوية من الحجم الكبير اشتملت على 1500 طناً من مواد غذائية، حاجيات خاصة بالأطفال، ألبسة، أدوات مدرسية، أفرشة، أدوية، 402 كرسي لذوي الاحتياجات الخاصة، 26 جهازاً طبياً متطوراً. وتكللت بتدشين مستشفى الجزائر التخصصي بمدينة خان يونس بغزة. وتقدر القافلة بـ 6.7 مليون دولار.

ثم قافلة الجزائر الثانية دخلت إلى غزة في شهر شعبان 1435 هـ الموافق لـ جوان 2014م كانت حصيلتها: 5 حاويات من الحجم الكبير تحتوي على 160 نوعاً من الأدوية الموجهة للمستشفيات،

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، مصدر سابق، ص 435.

144 جهازا طبيا متطورا. وكانت هذه القافلة موجهة بالخصوص إلى مستشفى الجزائر التخصصي لتطويره بالمعدات الطبية وإمداده بالأدوية. وتقدر القافلة بـ 3.5 مليون دولار.

وقافلة الجزائر الثالثة دخلت إلى غزة في شهر صفر 1435 هـ الموافق لـ 22 / 12 / 2014 م بعد أن مكثت ما يقارب الشهرين في ميناء بورسعيد بجمهورية مصر، وكان دخولها بعد العدوان الصهيوني الغاشم على قطاع غزة، وكانت حصيلتها: 6 حاويات من الحجم الكبير تحتوي على 19 جهازا طبيا، 16 نوعا من الأدوات الطبية المساعدة، 151 نوعا من الأدوية، 98 نوعا من المستهلكات الطبية. وتقدر القافلة بـ 4 مليون دولار.¹

وأخيرا قافلة الجزائر الرابعة دخلت إلى غزة في شهر رمضان 1438 هـ الموافق لـ 18 جوان 2017، وكانت تحتوي القافلة على 14 حاوية، تتضمن أدوية وأفرشة ومواد غذائية وطبية، وتجهيزات هامة، منها أربع سيارات إسعاف، وعشرون نوعا من الأدوية، ومائة وثلاثة وسبعين نوع من المضادات الحيوية، وستة وعشرون مولدا كهربائيا.²

و تبقى قضية فلسطين من أخطر القضايا التي يواجهها العالم العربي الإسلامي، لأنها حسب الشيخ عبد الرحمان شيبان: «الميدان الذي قد تجلى فيه الصراع القائم بين الحق والباطل في أعنف صورة وأتم أهبة، ولهذا كان من الطبيعي والواجب معا أن يهتم بفلسطين قادة العروبة والإسلام كل الاهتمام، وأن تتفق كلمتهم على وجوب " بذل النفس والنفيس " في سبيل إنقاذها من الهوة التي يطمع الباطل وأشياع الباطل إلقاءها فيها، ويأبى الحق وأصحاب الحق إلا أن تبقى أرض النبوة، طاهرة الأديم، عربية السمات، صلبة العود، لا تقبل انقسامًا، ولا تريد زحاما».³

ولهذا لا يمكن استعادة فلسطين والقدس بالبيانات والمفاوضات مع العدو الصهيوني، ولا تكون كذلك بالاعتماد على القرارات الدولية، لأن: «فلسطين لا تستعاد بالتنازلات، والمساومات، أو المناورات والمهاترات، ولكن بالثبات على حق يؤيده عدل وقوة، وبالصمود على عهد تسنده مقاومة وفتوة، وبالوقوف صفا واحدا أمام العدو في تضامن وأخوة... فما أشأنا في النهاية على أنفسنا، إذا

¹ علي عسكري، لجنة الإغاثة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة البصائر، العدد: 758، الاثنين 13 - 19 شعبان 1436 هـ / 07 جوان 2015، ص 03.

² قافلة الجزائر - غزة الرابعة، جريدة البصائر، العدد: 863، الاثنين 24 - 30 رمضان 1438 هـ / 19 - 25 جوان 2017، ص 24.

³ عبد الرحمان شيبان، حقائق وأباطيل، مصدر سابق، ص 40.

لم نعامل الصهيونية، بما تستحقه من أنها شيطان، يجب حماية الإنسانية منه بكل الوسائل الممكنة»¹.

وظلت جمعية العلماء تتابع باهتمام ما يحدث في فلسطين، حيث أصدرت بيانا أشارت فيه إلى حالة التواطؤ الدولي والاستسلام العربي الرسمي، و سياسة الكيل بمكيالين الذي اعتمده الولايات المتحدة الأمريكية حامية إسرائيل وهيئة الأمم المتحدة و مجلس الأمن الدولي بقلب الحقائق، الذي يجعل الضحية إرهابيا والإرهابي معتدى عليه، ويحق له الدفاع عن نفسه، واعتبرت الجمعية أن وحدة الصف الفلسطيني ضرورة شرعية ووطنية واستراتيجية، و الضمان الوحيد لمنع المعتدي الإسرائيلي من تحقيق أهدافه.²

ثالثا: القضايا العربية والإسلامية

كانت القضايا العربية والإسلامية في صلب اهتمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بداية بقضية المغرب العربي ثم قضايا المشرق العربي وصولا إلى بقية قضايا أقطار العالم الإسلامي. لقد ساندت جمعية العلماء الحركات الاستقلالية والإصلاحية والطلابية في الأقطار المغاربية، حيث هاجمت من خلال: « صحفها الاستعمار الإيطالي في ليبيا، وساندت الاستقلاليين هناك منذ الثلاثينات، وكتب الإبراهيمي عدة مقالات بعنوان (ليبيا وموقعها منا) تحدث فيها عن تاريخ ليبيا وعلاقتها بجيرانها وحقوقها عليهم، والمرارة التي تعرضت لها من إهمال الترك واستعباد إيطاليا، واعتبر أن الجزائر مشاركة لليبيا في كل شيء. ومنذ 1936 وجدنا في الشهاب تنويها بعمل الكتلة الوطنية المغربية والمطالب التي تقدمت بها إلى السلطات الفرنسية، وطالب ابن باديس بإصلاح جامع الزيتونة الذي كان قد تخرج منه ورأى أن يقسم التعليم فيه إلى مشترك ومتخصص، ولكل قسم علومه، وطالب بإنشاء فرع للقضاء وآخر للخطابة وثالث للتعليم»³.

فالشيخ ابن باديس لم يكن مهتما بقضايا بوطنه بل تعدى إلى الاهتمام بالمغرب العربي أو ما كان يطلق عليه من طرف فرنسا والغرب بشمال إفريقيا، حيث شغلته وحدة المغرب العربي، وقد

¹ عبد الرزاق قسوم، حصاد قلم جزائري، مصدر سابق، ص 89 ، 90.

² جريدة البصائر العدد 425 ، الاثنين 08 - 14 محرم 1430هـ/ 05 - 11 جانفي 2009، ص 02 ، (أنظر: البيان كاملا في الملاحق، ص 300)

³ أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 4 ، مرجع سابق، ص 151 ، 152.

جاء في برقية وداع وشكر للشعب التونسي إثر زيارة قام بها إلى تونس عام 1937 : « أُودع الأمة التونسية الكريمة شاكرا لها ولصحافتها الراقية ما أبدته نحوي من عواطف الود الأخوي الذي فاق كل تقدير، وأن الذي يسرني من ذلك هو أنه كان موجها في الحقيقة نحو المبدأ الذي دعوت إليه في خطبتي، وهذا الاحتفاظ بالذاتية العربية الإسلامية في الشمال الإفريقي كله، والإعلان بوحدة أقطاره في الحاضر والمستقبل مثلما هي ثابتة في الماضي».¹

كما كان الشيخ ابن باديس شديد الاهتمام بقضايا الأمة العربية وبوحدتها: « إذ قلنا العرب فإننا نعني هذه الأمة الممتدة من المحيط الهندي شرقا إلى المحيط الاطلانطيقي غربا، والتي فاقت سبعين مليوننا عدا تتطق بالعربية وتفكر بها وتتغذى من تاريخها وتحمل مقدارا عظيما من دمها، وقد صهرتها القرون في بوتقة التاريخ حتى أصبحت أمة واحدة، هذه الأمة العربية تربط بينها - زيادة على رابطة اللغة - رابطة الجنس ورابطة التاريخ ورابطة الألم ورابطة الأمل، فالوحدة القومية والأدبية متحققة بينها ولا محالة».²

أما الشيخ البشير الإبراهيمي كان قد وجه صيحته إلى أبناء المغرب العربي لمواجهة الاستعمار برأي واحد وصف واحد، حيث قال: « إذا كان الاستعمار قويا كما نتخيل فإننا نزيده قوة بتخاذلنا وتفرفقنا وتطاحن هيئاتنا وإضاعة أوقاتنا الثمينة في الجهل الفارغ والانسحاق مع الأهواء المضللة التي أضاعت علينا استغلال الكفاءات الموجودة، وهيهات أن يحيا وطن أو يستقل بالهتافات المترددة من الحناجر بين يحيا فلان ويسقط فلان. إن عدونا واحد فلنلقه في ميدان واحد برأي واحد وصف واحد، ولو فعلنا وأخلصنا لسعت إلينا الحرية ركضا، ولكن عدونا أعلم بهذه النقائص فينا منا فهو نائم ملء عينيه ما دام يرانا على هذه الحالة، أزعجوه وأقصوا مضاجعه باتحاد لا يتزعزع وعزائم لا تتزلزل وأخلاق يذعن لها الجبابرة»³

ورحم الله الشيخ البشير الإبراهيمي حين قال أن : « المغرب العربي جمعه يد الله وربطته برباط واحد هو الإسلام والعروبة ومع الإسلام القوة ومع العروبة الإباء والشمم فلا تفرقه يد الشيطان،

¹ موسى ميلي، الجانب السياسي في فكر الإمام ابن باديس، جريدة البصائر، العدد: 598، الاثنين 08 - 14 جمادى الثانية 1433هـ/ 30 أبريل 06 ماي 2012، ص 22.

² عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 398.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، مصدر سابق، ص 302.

وكل من سعى في التفرقة بين أبنائه - ولو من أبنائه - فهو شيطان لا يدفع باللحن والاستعاذة كما يدفع شيطان الجن، وإنما يدفع بالطرد من الحظيرة فإن لم يدفع فبإعدامه من الوجود»¹

وكانت معظم الحركات والأحزاب المغاربية أثناء حقبة الاحتلال تنادي بالوحدة، ولكن بعد استقلال دول المغرب العربي: «أخذ كل من هذه البلدان ينكفى على نفسه، فذهبت بذلك الوحدة الواقعية، وبقي الكلام عليها دون فاعلية سياسية واضحة ولا اقتصادية إزاء مصالح الآخرين وإستراتيجيتهم، ونحن نعلم أن بعض الدول الأوروبية تود وتعمل من أجل هذا البعد عن الاتحاد الحقيقي لتبقى دول منفردة متفرقة متصارعة تضعف في أي مفاوضات معها، ولا تتمكن من أن تكون كتلة واحدة ذات كلمة واحدة تحفظ وجودها ومصالحها».²

و سافر الإمام الإبراهيمي إلى المشرق العربي عام 1952 ممثلاً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، واتخذ من مصر منطلقاً لنشاطه، وكان سفيراً للجزائر يلقي المحاضرات والدروس والأحاديث الإذاعية قبل الثورة التحريرية وفي أثنائها، وقد زار العديد من الدول العربية والإسلامية. وذلك لتحقيق جملة من الغايات ولعل من أبرزها وأهمها: «السعي لتوحيد الأمة الإسلامية، وذلك نابع من إيمانه أن أكبر عللنا التي أطمعت أعداءنا فينا، وأطالت أيامهم في بلداننا هي تفرق كلمتنا وتمزق شملنا وتصدع صفنا، فقضى حياته داعياً إلى الوحدة جامعاً للشمل راتقاً للصف بين أبناء الوطن الواحد وبين أقطار الأمة».³

و رأى الشيخ الإبراهيمي أن المسلمين يمثلون الكثرة، ولكن التشتت والتفرقة جعلتهم قليلاً مستضعفين في الأرض، والإسلام حسبه هو الذي يجعلهم أمة واحدة: «لو صدقت نسبة المسلمين إلى الإسلام، وأشربوا في قلوبهم معانيه السامية ومثله العليا، واتخذوا من كتابه ميزاناً، ومن لسانه العربي ترجماناً، واتجهوا إلى هذا الكتاب الخالد بأذهان نقية من أوضار المصطلحات، وعقول صافية لم تعلق بها أقدار الفلسفات، لسعدوا به كما أراد الله، ولأسعدوا به البشر كما أمر الله،

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، مصدر سابق، ص 301.

² عمار طالي، أما أن للمغرب العربي أن يلتئم؟ جريدة البصائر، العدد: 935، الاثنين 04 - 10 ربيع الأول 1440 هـ / 12 - 18 نوفمبر 2018، ص 24.

³ رايح زرواتي، رحلة الإمام محمد البشير الإبراهيمي إلى الأقطار الإسلامية، جريدة البصائر، العدد: 611، الاثنين 11 - 17 رمضان 1433 هـ / 30 جويلية - 05 أوت 2012، ص 20.

ولأصبح كل مسلم بالخير والصلاح سفيرا، وكان المسلمون في أرض الله أعز نفرا وأكثر نفيرا، وكان التقاء المسلم بالمسلم كالتقاء السالب بالموجب في صناعة الكهرباء ينتج النور والحرارة والقوة»¹

أما الشيخ الفضيل الورتلاني كان بدوره ينادي بالوحدة بين العرب، وهذا نتيجة هجرته إلى أوروبا في إطار الحركة الإصلاحية، واستئناف نشاطه السياسي بمصر ورحلته إلى اليمن، حيث قال: «نحن في عصر يؤمن الواعون فيه بجدوى التكتل أشد الإيمان، وليس هذا الإيمان قاصرا على الضعفاء، بل ربما كانت أعراضه عند الأقوياء أظهر وأوضح، خذ هؤلاء الأمريكان كيف يبحثون عن التكتل والترتيب في جميع القارات ... وهذا العصر بالذات يؤمن بجدوى رابطة المصلحة أشد الإيمان، حتى قال قائلهم المستر تشرشل: (لا مانع عندي من محالفة الشيطان، إذا كان ذلك في مصلحة أمتي ووطني)»² وقد أدرك الورتلاني جدوى الوحدة العربية واعتبرها بمثابة أمر مقدس: «... والواعون اليوم في سباق جنوني نحو رابطة المصلحة، إلا العرب المساكين ويا ما أتعس العرب المساكين، فإن أمامهم أريح ورقة في عالم التكتيل والمصلحة، ما جربوا أن يلعبوا بها جديا في يوم ما... ولكنهم مع الأسف ما فطنوا أو بالأحرى ما أحسوا بأن التعارف بينهم، ولو لمجرد المصلحة (فضلا عن الروابط المثالية الأخرى التي يؤمن بها اليوم جميع الناس)، إنما هي عملية مقدسة تؤدي إلى إسعادهم وإعزازهم»³.

وظلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تتابع باهتمام ما يحدث في العالم العربي والإسلامي، حيث نشرت بيانا تستتكر فيه ما يحدث في سوريا، وتدعو الجمعية إلى ضرورة إيقاف هذه المأساة التي طالت الشعب السوري كله، وما يحدث في العراق من حرب طائفية، وكذلك اليمن وما يشهده من حرب تغذيها النزعة الطائفية، بالإضافة إلى ما يحدث من حرب أهلية في ليبيا، دون أن تنسى

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 4، مصدر سابق، ص 60.

² الفضيل الورتلاني، الجزائر الثائرة، مصدر سابق، ص 91، 92.

³ المصدر نفسه، ص 92.

إلى أن تنبه الضمير الإسلامي والإنساني إلى المأساة المروعة المتمثلة في إبادة المسلمين الروهينغا. ولا تنسى الجمعية أن تذكر دائما بقضية المسلمين المركزية (فلسطين)¹

رابعاً: القضايا الإنسانية

من أهداف التربية عند ابن باديس خدمة الإنسانية ونشر محبتها بين تلامذته في جميع شعوبها وأوطانها واحترامها في جميع مظاهر تفكيرها ونزاعاتها، وذلك بهدف نشر المحبة والأخوة والتفاهم والسلام بين أبناء الإنسانية قاطبة، يقول ابن باديس: «أنا زارع محبة ولكن على أساس من العدل والانصاف والاحترام مع كل أحد من أي جنس كان، ومن أي دين كان، فاعملوا للأخوة ولكن من يعمل للأخوة، فبذلك تكون الأخوة صادقة»²، وهو يحث دائما تلامذته وأتباعه على نبذ التعصب والحقد والبغض والكراهية لمن يخالفهم في الدين أو الجنس، وأن يعملوا على نشر المحبة والأخوة بين الناس بأعمالهم وسلوكهم العام، لأن هذا هو روح الإسلام وجوهره، يقول ابن باديس: «نهضتنا نهضة بنيت على الدين، فكانت سلاما على البشرية... لا يخشاها - والله - النصراني لنصرانيته، ولا اليهودي ليهوديته، بل ولا المجوسي لمجوسيته، ولكن يجب - والله - أن يخشاها الظالم لظلمه والدجال لدجله والخائن لخيانته»³، ويرى ابن باديس أن خدمة الوطن الجزائري ومحبته تعتبر خدمة ومحبة الإنسانية، لذلك فإن خدمة الوطن تأتي بالنسبة له في الدرجة الأولى من اهتمامه، فهو الطريق الطبيعي لخدمة الإنسانية، ثم تأتي بعده في الترتيب خدمة الوطن المغاربي ثم الوطن العربي الإسلامي ثم وطن الإنسانية العام، ويرى ابن باديس أن الناس ازاء هذه الحقيقة أربعة أقسام:

— قسم لا يعرفون إلا أوطانهم الصغيرة وهؤلاء هم الأتانيون الذين يعيشون على أممهم كما تعيش الطفيليات على دم غيرها من الحيوان، وهم في الغالب لا يكون منهم خير حتى لأقاربهم وأهل بيتهم.

¹ جريدة البصائر العدد 834، الاثنين 27 صفر 04 ربيع الأول 1438هـ / 28 نوفمبر 04 ديسمبر 2016، ص 02، (أنظر: البيان كاملا في الملاحق، ص 303)

² تركي رايح، الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر، مرجع سابق، ص 276.

³ محمد الملي، ابن باديس وعروبة الجزائر، مرجع سابق، ص 65.

- وقسم يعرفون وطنهم الكبير فيعملون في سبيله كل ما يرون فيه خيره ونفعه، ولو بإدخال الضرر والشر على الأوطان الأخرى، بل يعملون على امتصاص دماء الأمم والتوسع في الملك، لا تردهم إلا القوة، وهؤلاء شر وبلاء على غير أممهم بل وعلى أممهم فهم مصيبة البشرية جمعاء.

- وقسم زعموا أنهم لا يعرفون إلا الوطن الأكبر، وأنكروا وطنيات الأمم كما أنكروا أديانها ووصفوها بأنها مفرقة بين البشر، وهؤلاء عاكسوا الطبيعة جملة.

- وقسم اعترف بهذه الوطنيات كلها، ورتبها ترتيبها الطبيعي في تدرجها، وآمن بأن الإنسان يجد صورته وخيره وسعادته في بيته ووطنه الصغير، وكذلك يجدها في أمته ووطنه الكبير ويجدها في الإنسانية كلها ووطنه الأكبر. وهذا القسم الرابع هو الوطنية الإسلامية العادلة. إذ هي التي تحافظ على الأسرة بجميع مكوناتها وعلى الأمة بجميع مقوماتها وتحترم الإنسانية في جميع أجناسها وأديانها.¹

و رأى الشيخ ابن باديس أن الإسلام قرر في قلوب المسلمين مجانية العقائد المخالفة له، دون أن يحملوا حقدا على مخالفيهم أو تحقير لهم أو لمعتقداتهم أو يكرهوهم على شيء من الدين، ولأجل أن يقتلع الإسلام جذور الحقد الديني والتعصب على المخالف من قلوب أتباعه ويزرع فيهم التسامح، بين لهم أن: « اختلاف الأمم وتباينهم في نحلهم هو بمشيئة الله وما كانت مشيئته إلا حكمة وصوابا، فقال الله تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [المائدة:48]، ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ﴾ [يونس:99]، ﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾ [النحل:93]، ﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾ [يونس:100] وعرفهم بوجه الحكمة في هذا الاختلاف وهي أن تباين أعمالهم بتباين مشاربهم ومداركهم مما هو ضروري لنمو العمران وتقديم الإنسان وظهور حقائق الأفراد والأمم بالابتلاء والاختبار فيما أوتيت من عقول وإرادات وقوى وأعمال».²

أما الشيخ الإبراهيمي من جانبه قد رأى أن الإنسانية الآن تعاني من الحروب وتغليب القوة ومن الفقر وخراب العمران، فهي: « تستغيث من داهية الحرب وتحكيم السيف في مواقع الخلاف. فمتى يقف عقلاء الأمم بين الصفيين؟ لا ندري ولا ندري لماذا لا ندري. وهي تستغيث من غائلة الفقر وشروره وجيوشه التي يجرها من خراب العالم لتخريب معمره، فمتى يفقه أغنياء الأمم هذا السر،

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 367 ، 368.

² المصدر نفسه ، ص488.

فيعملون على اتقاء الشر؟ لا ندري ولا ندري لماذا لا ندري. إنما الذي ندرية ونقوله ولا نخفيه، هو أنه لو تساند أغنياء الأمم ومدوا أيديهم متعاضدين، وعرفوا كيف يحاربون الفقر باستجلاب الفقر والأخذ بيده لأحسنوا لأنفسهم وللعالم. ولو فعلوا ذلك لدفعوا عن العالم غارة شعواء تلتهم الأخضر واليابس وشرا مستظيرا يستأصل. بل لو بذل أغنياء المسلمين ما أوجبه عليهم الإسلام من الزكاة، وعرف عقلاؤهم كيف يستخدمونها لقاموا ببعض من هذا الواجب الاجتماعي».¹

وبمقتضى الأخوة بين البشر حسب الإبراهيمي أن يشارك الإنسان أخاه الإنسان في جميع: «لوازم الحياة سرورا وحرنا لذة وألما مشاركة معقولة تنتهي إلى حدود لا تتعدها، بحيث يعلم العالم الجاهل ويرشد النبيه الغافل ويواسي الغني الفقير ويقع التعاون المتبادل بين الناس في كل جليل وحقير، ومن مقتضى هذه الأخوة المساواة في الحقوق البشرية العامة، تلك المسألة التي طالما بذل فلاسفة الأمم قواهم لتقريرها وتمكين دعائمها في الكون، وعملت الشرائع على تنميتها وتغذيتها بالمبادئ الصحيحة حرصا على راحة البشر وهناء الإنسانية».²

وما نستخلصه أن الاحتلال الفرنسي كان يعتبر أن جمعية العلماء جمعية سياسية في ثوب ديني، من منطلق فقط أنها تدافع عن هوية المجتمع الجزائري، والمحافظة على ثوابته، والوقوف ضد سياسة الاندماج، وهذا ما جعلها تتولى مهمة الإشراف على مؤتمر 1936 وذلك حسب وجهة نظري ليس خروجاً عن خطها الإصلاحية التربوي أو من أجل أن يكون لها دوراً سياسياً مثل بقية الأحزاب السياسية، بل حتى تكون سداً منيعاً ضد المشروع الاندماجي، وتحول بين المؤتمرين وبين إصدار قرارات تبارك الاندماج وتدعو إليه، وعند اندلاع الثورة التحريرية لم تتأخر جمعية العلماء في مسانبتها وإصدار البيانات لدعمها، كما حاولت أن يكون لها موقف ضد توجهات نظام الحكم الجزائري غداة الاستقلال، وبينت فيه طبيعة الحكم الذي ينبغي أن يكون نابعا من هويتنا العربية الإسلامية، وقائماً على مبدأ الشورى والنزاهة والكفاءة، وهذا كله من أجل إقامة دولة يسودها العدل والحرية. كما كانت جمعية العلماء من أوائل الجمعيات التي دافعت عن قضية فلسطين، وعن مختلف القضايا العربية والإسلامية بداية بقضية المغرب العربي ثم قضايا المشرق العربي وصولاً إلى بقية قضايا أقطار العالم الإسلامي.

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 63.

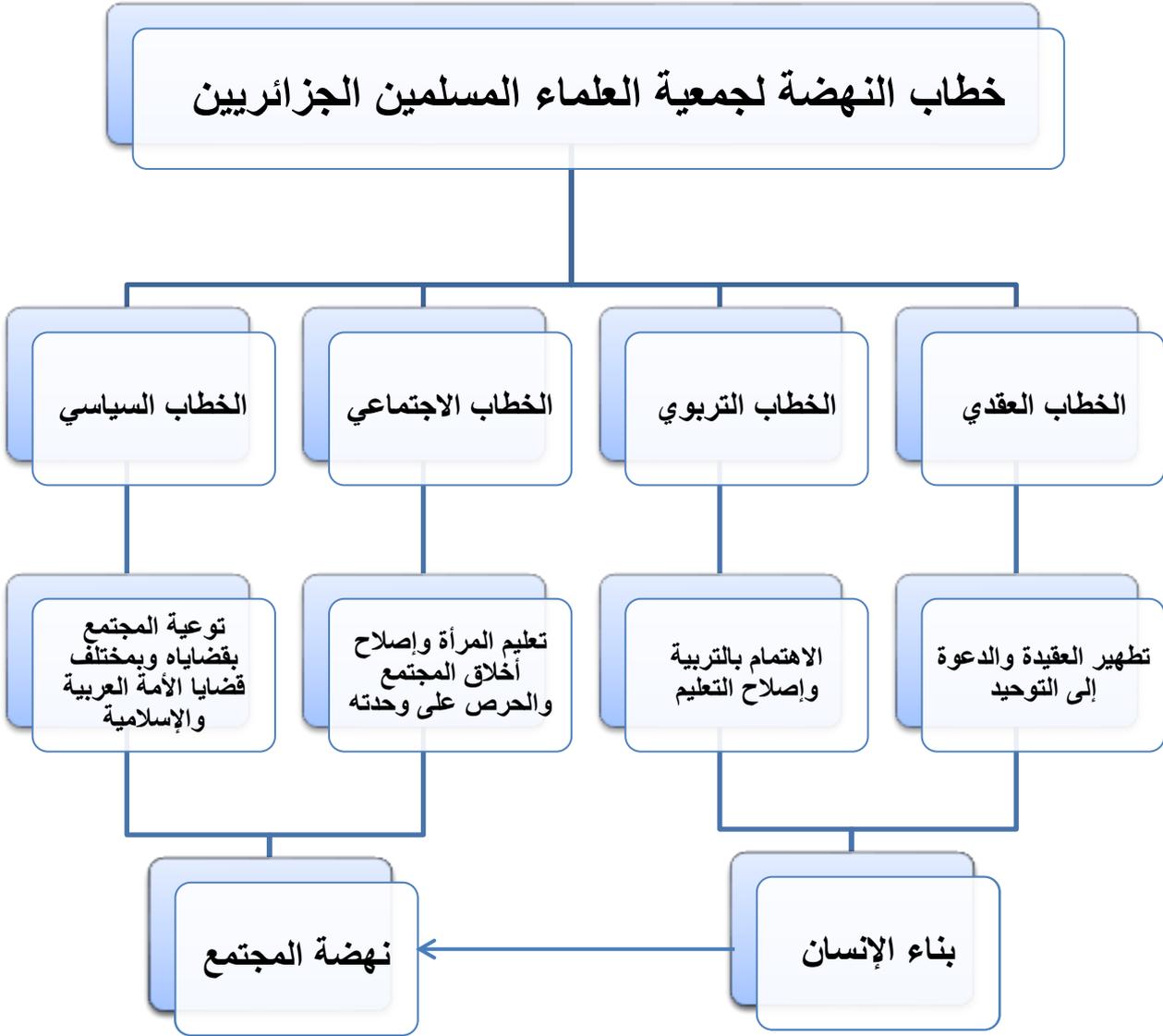
² المصدر نفسه، ص 59.

خاتمة:

في خاتمة هذا الفصل ومن خلال ما سبق يتضح أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد أدركت أن التصدي للاحتلال ومقاومته لا يكون إلا من خلال إحداث نهضة شاملة، على مستوى الجانب العقدي والجانب التربوي والجانب الاجتماعي والجانب السياسي، لهذا أخذت جمعية العلماء على عاتقها منذ نشأتها، الدعوة إلى التوحيد وغرس العقيدة الصحيحة، ومحاربة الشرك والبدع، وإدراكها لأهمية العلم والتعليم والتربية بالنسبة للأمة الجزائرية التي حوربت في عقيدتها ولغتها وهويتها، ومحاولتها لمحاربة الجهل، وإصلاح أخلاق المجتمع، ومكافحة الفقر، وتعزيز الوحدة الوطنية، والاهتمام بشؤون الجالية الجزائرية في فرنسا، ولم يقتصر اهتمامها على ما يحدث في الوطن فقط بل اهتمت بقضية فلسطين والقضايا العربية والإسلامية وحتى القضايا الإنسانية. وكانت غاية جمعية العلماء من هذا المشروع النهضوي هو بناء الإنسان الجزائري والمحافظة على هويته.

ويمكننا توضيح الخطاب النهضوي في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال هذا

الشكل البياني:



الفصل الرابع

وسائل الخطاب النهضوي في فكر

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

تمهيد

المبحث الأول: المسجـد

المبحث الثاني: المدرسة

المبحث الثالث: الصحافة

المبحث الرابع: النوادي والجمعيات والملتقيات

خاتمة

تمهيد:

في الحقيقة أن الوسيلة هي كل ما يتم استخدامه لتحقيق غاية معينة. ولما كانت غاية جمعية العلماء المسلمين الجزائريين إصلاح المجتمع الجزائري، والتصدي للخرافات والبدع التي شوهت الإسلام، ونشر اللغة العربية على نطاق واسع، وبعث التاريخ العربي الإسلامي، والمحافظة على الشخصية الجزائرية بمقوماتها الحضارية والدينية والتاريخية، ومقاومة سياسة الاحتلال الرامية إلى القضاء عليها، فقد اتبعت في ذلك وسائل لتحقيق هذه الغاية. ولهذا عملت جمعية العلماء منذ البداية لمواجهة مكائد الزوايا والطرق الصوفية المنحرفة من جهة والاحتلال الفرنسي من جهة أخرى، وتبليغ دعوتها لكافة أفراد المجتمع الجزائري، إلى استخدام كل أسلحة البلاغ، وإذا كان: « لجمعية العلماء منذ نشأتها تنظيمات ووسائل كثيرة ومختلفة سخرتها لبث دعوتها، وتحقيق أهدافها، ونشر الوعي بين مختلف أفراد الشعب الجزائري»¹. فإن السؤال المطروح: فيم تتمثل هذه الوسائل التي استخدمتها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تبليغ خطابها وفي تحقيق غاياتها ومقاصدها سواء في عهد الاحتلال أو في عهد الاستقلال ؟

¹ عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، مرجع

المبحث الأول: المسجد

نشطت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في تأسيس الجوامع والمساجد والتي كانت مهمتها لا تقتصر على أداء فريضة الصلاة فقط ، وإنما كانت إلى جانب ذلك : « أمكنة لنشر العلم وبعث الوعي واليقظة في الجزائريين بحيث أسست الجمعية بواسطة شعبها المنبثثة في مختلف جهات القطر عددا كبيرا من الجوامع والمساجد الحرة التي كانت تعتمد في بقائها وأداء رسالتها على ما تبذله الأمة من معونات نقدية وعينية».¹

وتقوم جمعية العلماء في المساجد بنوعين من التعليم: « النوع الأول هو الدروس المنظمة التي كانت تجري في بعض جوامع القطر الهامة في قسنطينة وتبسة وسطيف وتلمسان وغيرها من جوامع العلم الأخرى، ويتعلم فيها عدد كبير من الطلبة الكبار على الطريقة والأسلوب المعروف في الجوامع الإسلامية الكبرى كالأزهر والزيتونة والقرويين. أما النوع الثاني فهو دروس الوعظ والإرشاد التي كانت توجه إلى عامة المواطنين وهي غالبا ما تلقى بالليل بين صلاة المغرب وصلاة العشاء، وأيام الجمعة من كل أسبوع».²

وبهذا أحييت جمعية العلماء سنة النبي عليه الصلاة والسلام، لأن المسجد والتعليم متلازمين في الإسلام، فلا مسجد دون تعليم ولا تعليم دون مسجد، فما بنى النبي ﷺ يوم استقر في المدينة المنورة بيته حتى بنى المسجد، ولما بنى: « المسجد كان يقيم الصلاة فيه ويجلس لتعليم أصحابه، فارتباط المسجد بالتعليم كارتباطه بالصلاة، فكما لا مسجد بدون صلاة كذلك لا مسجد بدون تعليم، وحاجة الإسلام إليه كحاجته إلى الصلاة، فلا إسلام بدون تعليم، ولهذا الحاجة مضى النبي ﷺ على عمارة المسجد بهما. فما انقطع عمره كله عن الصلاة، وعن التعليم في مسجده، حتى في مرضه الذي توفي فيه. ثم مضى المسلمون على هذه السنة في أمصار الإسلام يقفون الأوقاف على المساجد للصلاة والتعليم، ومن أظهر ذلك وأشهره اليوم الجامع الأزهر وجامع الزيتونة وجامع القرويين».³

¹ تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 221.

² المرجع نفسه، ص 222.

³ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، مصدر سابق، ص 225.

ولهذا كانت جمعية العلماء تركز على دور المساجد وخصوصا من خلال إقامة صلاة الجمعة بخطب: «تساير ركب الحياة في جميع الميادين، وتحدث ثورة في العقول والنفوس، ودروس مسجدية علمية ووعظ وإرشاد قائمين على تفسير القرآن الكريم، والحديث النبوي الشريف، وهدى السلف الصالح، بأسلوب يحل القضايا والأحداث الفردية والأسرية والجماعية، بما ينير العقول ويهذب الوجدان ويقوي روح الأخوة والتضامن وينشر المفاهيم التحررية ويغذي روح الغيرة على وحدة التراب ووحدة الأمة وكرامتها، ويصفي العقيدة مما قد علق بها من ضلالات وخرافات».¹

كما كانت تنشط جمعية العلماء عادة في: «دروس الوعظ والإرشاد أثناء العطلة الصيفية، وكذلك خلال شهر رمضان حيث تعمر المساجد بتلاوة القرآن وإلقاء الدروس والاحتفالات الدينية. وتقوم الجمعية بتوجيه أعضائها إلى مختلف المساجد الحرة في القطر، حيث يربط كل منهم في المكان المحدد له، للقيام بمهمته الثقافية والتهديبية على الوجه المطلوب طوال شهر رمضان».²

ولقد ارتبط اسم جمعية العلماء ببعض المساجد في القطر الجزائري وخصوصا في مدينتي قسنطينة والجزائر العاصمة، ونذكر من بين هذه المساجد: **المسجد الأخضر بقسنطينة**، حيث نظم فيه ابن باديس دروسا لعامة الناس في تفسير القرآن، والحديث النبوي الشريف من الموطأ بالإضافة إلى الوعظ والإرشاد. **الجامع الكبير بقسنطينة** وهو المسجد الذي اتخذه ابن باديس لإلقاء دروسه، فبعد إتمام دراسته بجامع الزيتونة، ابتدأ حلقاته العلمية فيه، ثم انتقل بعدها إلى المسجد الأخضر. **الجامع الجديد بالعاصمة** هو الجامع المجاور للجامع الكبير، وكان الشيخ الطيب العقبي يلقي دروسه الدينية بهذا المسجد فترة بقاءه ممثلا لجمعية العلماء في العاصمة. **مسجد كتشاوة بالعاصمة** والذي ألقى فيه الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أول خطبة جمعة بعد استقلال الجزائر. وسأركز على مسجدين قد ارتبطا أكثر بجمعية العلماء وهما المسجد الأخضر ومسجد كتشاوة، حيث ارتبط المسجد الأخضر بقسنطينة بشخصية ابن باديس، ومسجد كتشاوة بالعاصمة بشخصية الإبراهيمي.

¹ عيد الرحمان شيبان، حقائق وأباطيل، مصدر سابق، ص 116.

² تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 223.

أولاً: المسجد الأخضر وتفسير ابن باديس للقرآن الكريم

أسس هذا المسجد حسين بك بن حسين سنة 1149 - 1156 هـ الموافق لـ: 1736 - 1754 م، وبني الجامع الأخضر للتعليم كما هو منقوش فوق مدخل بيت الصلاة وهذا نصه: «أمر بتأسيس هذا المسجد العظيم، وتشديد بنائه للصلاة والتسبيح والتعليم ذو القدر العلي والتدبير الكامل وحسن الرأي، أميرنا وسيدنا حسين باي أدام الله أيامه، وكان تمام بنائه أواخر شهر شعبان سنة ستة وخمسين ومائة ألف»¹

ومن هذا المسجد بدأ الشيخ ابن باديس يجاهد على إحياء ما أماته الاستعمار في نفوس أبناء هذا الشعب من عقائد وأخلاق وعادات وتقاليده متخذاً من: «الجامع الأخضر تكنته التي يعد فيها كتائب التحرير، التي ستكون بحول الله طلائع تنتشر في أنحاء القطر، مزودة بنصائحه الغالية وتوجيهاته الحكيمة المستمدة نورها من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرة السلف الصالح، بعد أن تسلحوا بسلاح العلم والإيمان وتدرّبوا على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة لمدة سنوات قضوها في حلقات الدرس بالجامع الأخضر، الذي كان يمارس فيه الشيخ رحمه الله تطبيق برنامجه التعليمي، فيفتتح دروسه اليومية بعد صلاة الصبح بالحديث الشريف ويختتمها بعد صلاة العشاء بتفسير القرآن الكريم»².

و من فضل الله تعالى على الأمة الجزائرية أن كان الشيخ عبد الحميد بن باديس الذي أحيّاها: «بما تستجيب له فطرتها، وهو دينها القويم وهدى سلفها الصالح. فقد تصدى لتدريس العلوم العربية والإسلامية المختلفة بالجامع الأخضر في قسنطينة، منذ عودته من الحجاز سنة 1913م، بعد أدائه فريضة الحج، فختم تفسير القرآن الكريم تدريسا في خمسة وعشرين عاما وذلك سنة 1357 هـ الموافق لـ 1938م»³. وقد أقيم بتلك المناسبة بقسنطينة احتفال وطني عظيم حضرته وفود عن أنحاء القطر الجزائري، وفي السنة الموالية أقيم احتفال ثاني بالمدينة ذاتها بمناسبة ختمه كتاب "الموطأ" للإمام مالك في الحديث النبوي الشريف، و كان: «احتفال الأمة بهذين الحداثين

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 2، مصدر سابق، ص 36.

² عمار مطاطلة، ابن باديس والجامع الأخضر، جريدة البصائر، العدد: 803، الاثنيين 03-09 رجب 1437هـ/11-17 أبريل 2016، ص 12.

³ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 09.

المشهودين، اللذين اهتزت لهما الجزائر كلها عهدا منها لإمامها على مواصلة السير معه وبعده، نحو الحياة الحرة الكريمة، على هدي كتاب الله تعالى وسنة رسوله الكريم ﷺ».¹

وفسر الإمام ابن باديس بقلمه مجموعة من الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث النبوية الشريفة ونشرها افتتاحيات في مجلته "الشهاب" تحت عنوان " مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، ومجالس التذكير من حديث البشير النذير". و كان لهذه: « الدروس الشفوية والكتابية أثر بالغ في نفوس المستضيئين بها في تلك الحقبة المظلمة، سواء من كان يحضر دروسه التعليمية من طلبته النظاميين وطلاب المعرفة الإسلامية أو من كان يتابعها في افتتاحيات مجلة " الشهاب " الشهرية، فكانت بحق الشرارة الأولى التي فجرت النهضة الإصلاحية الحديثة في الجزائر».²

و رأى الشيخ الإبراهيمي أن الإنسانية اليوم أشبه بالإنسانية قبل نزول القرآن في: « جفاف العواطف وضراوة الغرائز وتحكم الأهواء والتباس السبل وتحكيم القوة وتغول الوثنية المادية. وما أوج الإنسانية اليوم إلى القرآن، وهي في هذا الظلام الحالك من الضلال، وقد عجز العقل عن هدايتها وحده، كما عجز قديما عن هدايتها، لولا تأييد الله له بالأمداد السماوية من الوحي الذي يقوي ضعفه إذا أدركه الوهن، ويصلح خطأه إذا اختل ميزانه».³

و حرص ابن باديس كل الحرص على أن يكون تفسيره لآيات الذكر الحكيم واضحا كل الوضوح، حيث: « يشرح ألفاظ الآية، ثم يعرج إلى معناها العام مبينا الجوانب الفقهية فيها مطبقا ما جاء بها من أحكام على السلوك العام للمسلم، وكل آية من الآيات لها تذوق إيماني وتجليات إلهية تأخذ بيد المسلم إلى الطريق السوي، طريق الهدى والرشاد طريق الله عز في علاه».⁴

وهذا ما جعل الشيخ الإبراهيمي يشيد بمنهج ابن باديس في تفسير القرآن وبطريقته في فهمه، فكان: « للأخ الصديق " عبد الحميد بن باديس" رحمه الله ذوق خاص في فهم القرآن كأنه حاسة زائدة خص بها. يرفده - بعد الذكاء المشرق والقريحة الوقادة والبصيرة النافذة - بيان ناصع،

¹ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 09 ، 10.

² المصدر نفسه، ص 10.

³ عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مصدر سابق ، ص 16.

⁴ محمد بهي الدين سالم، ابن باديس فارس الإصلاح والتتوير، مرجع سابق، ص 166.

واطلاع واسع، وذرع فسيح في العلوم النفسية والكونية، وباع مديد في علم الاجتماع ورأي سديد في عوارضه وأمراضه، يمد ذلك كله شجاعة في الرأي وشجاعة في القول، لم يرزقهما إلا الأفاضل المعدودون في البشر».¹

وللشيخ ابن باديس حسب الإبراهيمي رأي في القرآن بنى عليه كل أعماله في العلم والإصلاح والتربية والتعليم، وهو أنه لا نجاح للمسلمين إلا بالرجوع إلى هديه والاستقامة على طريقته، وكان يرى أثناء تفسيره للقرآن أن: «في تدوين التفسير بالكتابة مشغلة عن العمل المقدم، لذلك أثر البدء بتفسيره درسا تسمعه الجماهير فتتعجل من الاهتداء به ما يتعجله المريض المنهك من الدواء، وما يتعجله المسافر العجلان من الزاد».²

و حاولنا أن نختار بعض الآيات القرآنية من تفسير الشيخ ابن باديس (مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير) :

— الآية الثمانية عشر من سورة النمل: ﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطَمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾ [النمل: 18]، فبعد أن شرح ألفاظ الآية ثم عرج إلى معناها وصل إلى استخلاص العبرة من هذه الآية: « هذه النملة لم تهتم بنفسها فتتجو بمفردها، ولم ينسها هول ما رأت من عظمة ذلك الجند إنذار بني جنسها، إذ كانت تدرك بفطرتها أن لا حياة لها بدونهم، ولا نجاة لها إذا لم تتج معهم، فأنذرتهم في أشد ساعات الخطر أبلغ إنذار، ولم ينسها الخوف على نفسها وعلى بني جنسها من الخطر الدايم، أن تذكر عذر سليمان وجنده. فهذا يعلمنا أن لا حياة للشخص إلا بحياة قومه، ولا نجاة لهم إلا بنجاته، وأن لا خير لهم فيه إلا إذا شعر بأنه جزء منهم. ومظهر هذا الشعور أن يحرص على خيرهم كما يحرص على نفسه، وألا يكون اهتمامه بها دون اهتمامه بهم».³

كما استخلص الشيخ ابن باديس من هذه الآية واجب القائد والزعيم، فهذه: « النملة هي كبيرة النمل، فقد كان عندها من قوة الإحساس ما أدركت به الخطر قبل غيرها، فبادرت بالإنذار. فلا

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج2، مصدر سابق، ص 252.

² المصدر نفسه، ص 252.

³ عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مصدر سابق، ص 262 ، 263.

يصلح لقيادة الأمة وزعامتها إلا من كان عنده بعد النظر، وصدق الحدس، وصائب الفراسة، وقوة الإدراك للأمر قبل وقوعها، ما يمتاز به عن غيره، ويكون سريع الإنذار بما يحس وما يتوقع»¹

وفي آخر التفسير يستخلص من هذه الآية العظة البالغة: «هذه نملة وفت لقومها، وأدت نحوهم واجبها، فكيف بالإنسان العاقل فيما يجب عليه نحو قومه. هذه عظة بالغة لمن لا يهتم بأمر قومه، ولا يؤدي الواجب نحوهم، ولمن يرى الخطر داهما لقومه، فيسكت ويتعامى، ولمن يقود الخطر إليهم ويصبه بيده عليهم. آه ما أحوجا - معشر المسلمين - إلى أمثال هذه النملة»²

- الآية العشرون والواحد والعشرون من سورة النمل: ﴿وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لِيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾ [النمل: 20، 21]، فبعد أن شرح ألفاظ الآيتين و معناهما وصل إلى استخلاص العبرة من الآية الأولى: «من حق الرعية على راعيها أن يتفقدوها، ويتعرف أحوالها، إذ هو مسؤول عن الجليل والدقيق منها. يباشر بنفسه ما استطاع مباشرته منها، ويضع الوسائل التي تطلعه على ما غاب عليه منها، وينيط بأهل الخبرة والمقدرة والأمانة تفقد أحوالها، حتى تكون أحوال كل ناحية معروفة مباشرة لمن كلف بها. فهذا سليمان على عظمة ملكه واتساع جيشه وكثرة أتباعه، قد تولى التفقد بنفسه، ولم يهمل أمر الهدهد على صغره وصغر مكانه»³

واستخلاص العبرة من الآية الثانية: «جرم الهدهد صغير، وما كلف إلا بما يستطيعه من الوقوف في مكانه والبقاء في مركزه، ولكن جرمه بإخلاله بهذا الواجب كان جرما كبيرا، فإن الخلل الصغير مجلبة للخلل الكبير، فقدرت عقوبته على حسب كبر ذنبه لا حسب صغر ذاته. كل واحد في قومه أو في جماعته هو المسؤول عنهم من ناحيته، مما يقوم به من عمل حسب كفاءته واستطاعته، فعليه أن يحفظ مركزه ولا يدع الخطر يدخل، ولا الخلل يقع من جهته، فإنه إذا قصر في ذلك وترك مكانه، فتح ثغرة الفساد على قومه وجماعته، وأوجد السبيل لتسرب الهلاك إليهم.

¹ عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مصدر سابق، ص 263.

² المصدر نفسه، ص 263.

³ المصدر نفسه، ص 266.

فإخلال أي أحد بمركزه - ولو كان أصغر المراكز - مؤد إلى الضرر العام، وثبات كل واحد في مركزه وقيامه بحراسته هو مظهر النظام والتضامن وهما أساس القوة»¹

— الآيتين الثمانية عشر والتاسعة عشر من سورة الإسراء: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَدْحُورًا ، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ [الإسراء: 18، 19]، فبعد أن شرح ألفاظ ومعنى الآيتين، وصل إلى استخلاص العبرة: «أن الأسباب الكونية التي وضعها الله تعالى في هذه الحياة وسائل لمسبباتها، موصلة - بإذن الله تعالى - من تمسك بها إلى ما جعلت وسيلة إليه، بمقتضى أمر الله وتقديره وسنته في نظام هذه الحياة والكون، ولو كان ذلك المتمسك بها لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ولا يصدق المرسلين، فمن أهمل تلك الأسباب الكونية التقديرية الإلهية، ولم يأخذ بها لم ينل مسبباتها ولو كان من المؤمنين، لا يضيع على المؤمن أجر إيمانه، ولكن جزاءه عليه في غير هاتين الدارين، كما أن الآخر لم يضع عليه أخذه بالأسباب، فبالجزء في دار الأسباب وليس له في الآخرة إلا النار»²

و رأى الشيخ ابن باديس من خلال تفسيره لهذه الآية أن العباد على أربعة أقسام: «مؤمن آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا والآخرة، ودهري تارك لها، فهذا شقي فيهما، ومؤمن تارك للأسباب، فهذا شقي في الدنيا وينجو - بعد المؤاخذة على الترك - في الآخرة، ودهري آخذ بالأسباب الدنيوية، فهذا سعيد في الدنيا ويكون في الآخرة من الهالكين. فلا يفتتن المسلمون بعد علم هذا ما يرونه من حالهم وحال من لا يدين دينهم، فإنه لم يكن تأخرهم لإيمانهم، بل بترك الأخذ بالأسباب الذي هو سبب تأخرنا من ضعف إيمانهم، ولم يتقدم غيرهم بعدم إيمانهم، بل بأخذهم بأسباب التقدم في الحياة».³

— الآيتين الثانية والستون والثالثة والستون من سورة النور: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ

¹ عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مصدر سابق، ص 269.

² المصدر نفسه، ص 51، 50.

³ المصدر نفسه، ص 51 .

وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنْ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ، لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿النور: 63، 62﴾ ، فبعد أن شرح ألفاظ ومعنى الآيتين، توصل إلى استخلاص العبرة: «إنما ينهض المسلمون بمقتضيات إيمانهم بالله ورسوله إذا كانت لهم قوة، وإنما تكون لهم قوة إذا كان لهم جماعة منظمة، تفكر وتدبر، وتتساور وتتآزر، وتنهض لجلب المصلحة ولدفع المضرة، متساندة في العمل عن فكر وعزيمة. ما أصيب المسلمون في أعظم ما أصيبوا به إلا بإهمالهم لأمر الاجتماع ونظامه: إما باستبداد أئمتهم وقادتهم، وإما بانتثار جماعتهم بضعف روح الدين فيهم، وجهلهم بما يفرضه عليه»¹

أما منهج الشيخ ابن باديس في شرحه للحديث النبوي الشريف، كان باتباعه لخطوات تتمثل في: «**التمهيد** حيث يهيئ القارئ لإدراك الموضوع الذي يعالجه الحديث النبوي. ثم **السند** يذكر فيه الرجال الذين رواوا الحديث، ومصادره ورتبته العلمية والعملية. ثم **المتن** و يتعرض فيه إلى شرح ألفاظ الحديث وعباراته، كما يتعرض إلى مختلف الروايات التي ترد بها بعض الأحاديث. وصولاً إلى **المعنى** و يعتمد فيه إلى إيضاح المعنى للحديث، ولمختلف الأوجه التي ترد بها بعض الأحاديث في تركيز واعتدال. وأخيراً **استنباطات** حيث يستنبط ما يرشد إليه الحديث النبوي من حقائق وأحكام وقيم مختلفة، نفسية وأخلاقية واجتماعية وتاريخية وتشريعية وكونية، مطبقاً ذلك كله على البيئة الجزائرية والأمة الإسلامية والمجموعة الإنسانية، على غرار منهجه في تفسير القرآن الكريم»².

وهو بهذا المنهج قد اتبع في تفسيره للأحاديث النبوية: «طريقة اتسمت بالوضوح وقوة الإقناع، تقود في النهاية إلى اقناع العقل، وإشباع الوجدان، ذلك أنه اتبع جملة من الخطوات، كل خطوة منها يبني عليها اللاحق، وتوضح السابق، بعناوين فرعية، تساعد القارئ على حسن الاتباع

¹ عبد الحميد بن باديس، تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، مصدر سابق، ص 335.

² عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 22، 23.

وسلامة الاستنتاج، فلا يسعه في خاتمة القراءة إلا أن يكون فكرة صحيحة عن الموضوع المراد بحثه»¹.

كما كان الإمام عبد الحميد بن باديس من خلال هذا المنهج: «يتمتع بقدره فائقة مكنته من استخلاص دروس حية وعبر مفيدة وحكم بالغة من النصوص النبوية التي تعرض لها بالشرح والتفسير، لذا كان يغوص في أعماق النص النبوي ويستنبط منه حقائق وقيم نفسية وأخلاقية واجتماعية وتاريخية وتشريعية وكونية، ويوجه ذلك كله لخدمة الإنسان والمجتمع، ويطبق ذلك كله على المجتمع الجزائري والأمة الإسلامية»².

و حاولنا أن نختار بعض الأحاديث النبوية الشريفة من تفسير الشيخ ابن باديس (مجالس التذكير من حديث البشير النذير):

- «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا، ثم شبك بين أصابعه». رواه البخاري عن أبي موسى الأشعري، ومسلم عنه أيضا إلى قوله بعضا. فبعد أن يذكر الشيخ ابن باديس سند الحديث ويشرح مفرداته وتراكيبه ويصل إلى معناه، يخرج بما يمكن أن نستنبطه وأن ندركه من هذا الحديث، فالذي يرى: «البنيان كيف يتركب من الحجارة الكبيرة والحجارة الصغيرة والمواد الأخرى التي تلحم بها الحجارة وتكسى، وكل ذلك محتاج إليه في تشييد البنيان، فكذلك بنيان المؤمنين فإنه متكون من جميع أفرادهم على اختلاف طبقاتهم، فالكبير والجليل له مكانه، والصغير والحقير له مكانه وعلى كل واحد أن يسد الثغرة التي من ناحيته، مع شعوره بارتباطه مع غيره من جميع أجزاء البنيان التي لا غناء لها عنه، كما لا غناء له عن كل واحد منها، فكل واحد من المؤمنين عليه تبعته، بمقدار المركز الذي هو فيه، والقدرة التي عنده، ولا يجوز لأحد وإن كان أحقر حقير أن يخل بواجبه من ناحيته، فإذا أزيل حجر صغير من بنيان كبير دخل فيه الخلل بمقدار ما أزيل، وإذا ابتدأ الخلل من الصغير تطرق للكبير»³ ويضيف الشيخ ابن باديس على أننا كمؤمنين: «علينا أن نعتقد بقلوبنا أن الاتحاد واجب أكيد محتتم علينا مع جميع المؤمنين، وأن فيه قوتنا وحياتنا، وفي تركه ضعفنا

¹ محمد الدراجي، الشيخ عبد الحميد بن باديس السلفية والتجديد، (د ط)، دار الهدى، الجزائر، 2012، ص 123.

² المرجع نفسه، ص 135.

³ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 100، 101.

وموتنا، وأن نعلن ذلك بألسنتنا في كل مناسبة من أحاديثنا، وأن نعمل على تحقيق ذلك بالفعل باتحادنا وتعاوننا مع إخواننا في كل ما يقتضيه وصف الإيمان الجامع العام»¹

— قال رسول الله ﷺ: « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم » فبعد أن يذكر الشيخ ابن باديس سند الحديث ويشرح مفرداته وتراكيبه ويصل إلى معناه، يخرج بما يمكن أن نستنبطه وأن ندركه من هذا الحديث، فمن: « يريد أن يرشد المسلمين ويعمل لإصلاح حالهم أن ينظر إليهم بعين الشفقة والحنانة لا بعين الزرابة والاحتقار. فإن الشفوق تدفعه شففته إلى المبالغة في العناية بتتبع الأدواء واستقصاء أنواع العلاج، بخلاف الزاري المحتقر فإنه يترفع بنفسه عن الناس ويتركهم فيما هم عليه، وإن باشر شيئاً من معالجتهم فإنه يباشره عن استئصال واشمئزاز لا يصل معهما إلى داء الأمة شيء من علاجه، ولن يستطيع هو معهما صبرا على الاستمرار في عمله أو على اتقان القليل منه. وعلى مرشدي المسلمين أن يعانون أدواءهم بالعلاجات النافعة ويشخصوها لهم عند الحاجة بالعبارات الرقيقة المؤثرة، في رفق وهودة مجتبيين كل ما فيه تقنيط أو تثبيط، وأن يعرفوهم بأنهم - وإن ساءت نواح من أحوالهم - فهناك نواح ما تزال صالحة»²

فجاء الحديث الشريف حسب ابن باديس: « يحذر من تحقير الناس وتقنيطهم وذلك يقتضي أن المطلوب هو احترامهم وتنشيطهم. وهذا الأصل العظيم الذي عليه الحديث الشريف يحتاج إليه كل مرب سواء أكان مربيا للصغار أم للكبار، وللأفراد أم للأمم، إذ التحقير والتقنيط وقطع حبل الرجاء قتل للنفوس نفوس الأفراد والجماعات، وذلك ضد التربية والاحترام والتنشيط، وبعث الرجاء إحياء لها وذلك هو غرض كل مرب ناصح في تربيته»³

— عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار. فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: « ما بال دعوى الجاهلية » قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار فقال: « دعوها فإنها منتنة ». فبعد أن يذكر الشيخ ابن باديس سند الحديث ويشرح مفرداته وتراكيبه ويصل إلى معناه،

¹ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 102.

² المصدر نفسه، ص 80، 81.

³ المصدر نفسه، ص 82.

يخرج بما يمكن أن نستنتبه وأن ندرکه من هذا الحديث: «دعوى الجاهلية – يا بني عمي، أو يا قومي، أو يا أهل بلدي، أو يا أهل وطني – انتقموا لي، فإذا دعا بها وقعت التفرقة بين عشيرة وعشيرة أو بين قوم وقوم أو بين بلد وبلد، أو بين وطن ووطن، وأثارت الحمية في كل واحدة من الناحيتين على الأخرى، ودفعت إلى الاسراف والتعدي، فأوسعت الظلم والشر، وأبقت الإحن والأحقاد مما يسترسل معه الظلم والفساد في المستقبل. أما دعوى الإسلام فهي يا عباد الله، أو يا مسلمون إنني ظلمت فانقذوني أو أشهدوا لي، فإذا دعا بها كانت جامعة لا تفريق فيها، وأهابت بالسامعين كلهم كذات واحدة، كلهم ينصرون الحق، فيكفوا الظلم إن كان واقعا على المظلوم في الحال، ويشهدون بالظلم عند الحاكم ليجري العدل مجراه»¹

و حذر الشيخ ابن باديس من دعوى الجاهلية: «ليحذر المسلم من كل كلمة مفرقة، من كل ما يثير عصبية للباطل وحمية جاهلية لا يدعو بها ولا يجيب من دعا إليها، فإن بلاء كثيرا حل بنا وفتنة كثيرة أصابتنا من تلك الكلمات المفرقة. ولتكن دعوته بالكلمات الجامعة التي تشعر بالأخوة العامة وتبعث على القيام بالواجب بأيدي متشابكة وقلوب متحدة»²

– أعظم قائد يرجع إلى رأي جندي: (ارتحل النبي ﷺ من مبيته صبيحة يوم بدر حتى نزل على أدنى ماء إليه وبقي الماء أمامه لو جاء العدو لنزل عليه فيكون الجيشان على ماء. وكان الصحابة يعلمون أن رسول الله ﷺ يتصرف بالوحي فيكون تصرفه حتما، ويتصرف بالنظر في السياسة والحرب فيشاور ويراجع وهو المعصوم فلا يقر على الخطأ، فانبى الحباب بن المنذر بين الجموع بيدي رأيه وما يعتقد صوابا في مكان النزول فقال: (يا رسول الله أرأيت المنزل هذا أمنزلا أنزله الله ليس لنا ان نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟) فقال رسول الله ﷺ: «بل هو الرأي والحرب والمكيدة» فقال الحباب: (إن هذا ليس بالمنزل فانفض بالناس حتى نأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبني عليه حوضا نملؤه ماء ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون). وظهر هذا للنبي ﷺ فقال له: «لقد أشرت بالرأي» ونهض بالناس حتى نزل المنزل الذي أشار به الحباب.

¹ عيد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 91، 92، 93.

² المصدر نفسه، ص 94.

الحكمة من هذه الحادثة أن يسن النبي ﷺ لأُمَّته حرية ابداء الرأي في الشؤون العامة من الكبير والصغير والرجوع للصواب إذا ظهر من أي أحد كان. هذان الأصلان: « حرية إبداء الرأي من جميع أفراد الرعية والرجوع إلى الصواب من رعاتها، عليهما تبنى سعادة الأمة وعظمتها، وبهما تشعر الأمة بالوحدة بين الرعية ورعاتها، ومنهما تستمد الأمة النظم اللازمة لها في حياتها، وقد قررها الإسلام وبينهما النبي ﷺ تبييناً عملياً في هذه القصة».¹

ثانياً: مسجد كتشاوة وخطبة الجمعة للإبراهيمي

يعتبر مسجد كتشاوة من أشهر مساجد العاصمة، واسم كتشاوة التي تعني بالتركية (هضبة المعز)، وقد كان البناء موجوداً منذ القرن الرابع عشر، ولكن أعيد بناءه تماماً من طرف حسان باشا سنة 1795م، ولكن للأسف تعرض المسجد لتشيويه مرعب وحول إلى كنيسة سنة 1845م. ثم استعادته الجزائر سنة 1962م.²

وكان الشيخ محمد البشير الإبراهيمي ألقى فيه خطبة الجمعة الأولى يوم 5 جمادى الثانية 1382 هـ الموافق لـ: 2 نوفمبر 1962 م بحضور أركان الدولة ووفود غفيرة من مختلف الدول الإسلامية، ومما جاء في هذه الخطبة أن هذا المسجد الذي أضغتموه بالأمس قد استرجعتموه اليوم: « وهذا المسجد هو حصة الإسلام من مغانم جهادكم، بل هو وديعة التاريخ في ذمكم، أضغتموها بالأمس مقهورين غير معذورين واسترجعتموها اليوم مشكورين غير مكفورين، وهذه بضاعتكم ردت إليكم، أخذها الاستعمار منكم استلاباً، وأخذتموها منه غالباً، بل هذا بيت التوحيد عاد إلى التوحيد، وعاد إليه التوحيد فالنقيتم جميعاً على قدر»³. وها هو المسجد عاد إلى ديار الإسلام، والإيمان هو الذي أعاده إلى أهله: « و أنّ المسجد عاد إلى الساجدين الرُكع من أمة محمد، وأن كلمة لا إله إلا الله عادت لمستقرها منه كأن معناها دام مستقراً في نفوس المؤمنين، فالإيمان الذي تترجم عنه كلمة لا إله إلا الله، هو الذي أعاد المسجد إلى أهله، وهو الذي أتى بالعجائب وخوارق العادات في هذه الثورة».⁴

¹ عبد الحميد بن باديس، مجالس التذكير من حديث البشير النذير، مصدر سابق، ص 264 ، 265.

² بسام العسلي، عبد الحميد بن باديس، مرجع سابق، ص 31.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5 ، مصدر سابق، ص 306.

⁴ المصدر نفسه ، ص 306.

ثم أراد أن يذكر جموع المؤمنين أنه لم يتم استرجاع المسجد كسقف وأبواب وحيطان، وإنما تم استرجاع المعاني التي كان يدل عليها والوظائف التي كان يؤديها: «إنكم لم تسترجعوا من هذا المسجد سقوفه وأبوابه وحيطانه، ولا فرحتم باسترجاعه فرحة الصبيان ساعة ثم تنقضي، ولكنكم استرجعتم معانيه التي كان يدل عليها المسجد في الإسلام ووظائفه التي كان يؤديها من إقامة شعائر الصلوات والجمع والتلاوة ودروس العلم النافعة على اختلاف أنواعها، من دينية ودنيوية. فإن المسجد كان يؤدي وظيفة المعهد والمدرسة والجامعة».¹

وحاول الشيخ الإبراهيمي أن يذكر الجزائريين بالثورة التحريرية وبالتضحيات التي قدمها من أجل نيل حريته، وبإعجاب شعوب العالم بهذه الثورة، دون أن يكون ذلك غرورا، لأن المجال اليوم ليس مجال الإشادة بإنجازات الثورة،: «يا إخواني: إنكم خارجون من ثورة التهمت الأخضر واليابس، وإنكم اشتريتم حريتم بالثمن الغالي، وقدمتم في سبيلها من الضحايا ما لم يقدمه شعب من شعوب الأرض قديما ولا حديثا، وحزتم من إعجاب العالم بكم ما لم يحزه شعب تائر، فاحذروا أن يركبكم الغرور ويستزلكم الشيطان، فتشوهوا بسوء تدبيركم محاسن هذه الثورة أو تقضوا على هذه السمعة العاطرة».²

لأن الثورة حسب الإبراهيمي لم تمر من غير آثار وندوب وجراح، وأن هذه الآثار ستستمر غدا، وعلاجها في الرعاية وإزالة الأحزان وتأكيد معاني الأخوة والتكافل: «يا معشر الجزائريين: إن الثورة قد تركت في جسم أمتكم ندوبا لا تتدمل إلا بعد عشرات السنين، وتركت عشرات الآلاف من اليتامى والأيتام والمشوهين الذين فقدوا العائل والكافل وآلة العمل، فاشملوهم بالرعاية حتى ينسى اليتيم مرارة اليتيم، وتنسى الأيم حرارة الثكل، وينسى المشوه أنه عالة عليكم، وامسحوا على أحزانهم بيد العطف والحنان فإنهم أبناءكم وإخوانكم وعشيرتكم».³

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 307.

² المصدر نفسه، ص 308.

³ المصدر نفسه، ص 307، 308.

ثم خاطب الجزائريين على أن الاستعمار كالشيطان، فهو خرج من أرضكم، ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم، ومن ألسنتكم ومن قلوب بعضكم: « يا معشر الجزائريين: إن الاستعمار كالشيطان الذي قال فيه نبينا ﷺ: (إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك)، فهو قد خرج من أرضكم ولكنه لم يخرج من مصالح أرضكم ولم يخرج من ألسنتكم، ولم يخرج من قلوب بعضكم، فلا تعاملوه إلا فيما اضطررتم إليه، وما أبيع للضرورة يقدر بقدرها»¹

ولكن البشير الإبراهيمي بحكمته لم يتكلم عن الماضي فقط ولم يقتصر كلامه على الاستعمار والثورة، بل تعداه إلى النظر في المستقبل، وحاول أن يضع مشروعا لبناء مجتمع هو غاية في الدقة والتبصر، مجتمع قائم على الألفة والوحدة والرحمة والتعاون والإخلاص والتوفيق والتسديد والحكمة والعزيمة: « أسأله تعالى للقائمين بشؤون هذه الأمة ألفة تجمع الشمل، ووحدة تبعث القوة، ورحمة تضمد الجراح، وتعاوننا يثمر المنفعة، وإخلاصنا يهون العسير، وتوفيقنا ينير السبيل، وتسديدا يقوم الرأي ويثبت الأقدام، وحكمة مستمدة من تعاليم الإسلام وروحانية الشرق وأمجاد العرب، وعزيمة تقطع دابر الاستعمار من النفوس، بعد أن قطعت دابره من الأرض»².

و حذر الإبراهيمي من دعاة الفرقة والفتنة والفساد، وبالمقابل حث على البناء والإعمار: « ونعوذ بالله ونبرأ إليه من كل داع يدعو إلى الفرقة والخلاف، وكل ساع يسعى إلى التفريق والتمزيق وكل ناعق ينعق بالفتنة والفساد. ونحیی بالعمار والثمار والغيث المدرار هذه القطعة الغالية من أرض الإسلام التي نسميها الجزائر، والتي فيها نبتنا وعلى حبها ثبتنا ومن نباتها غدينا وفي سبيلها أودينا»³

في الأخير حث الشعب الجزائري على واجب تقديم النصح لولاة الأمور وعلى التعاون والتكافل والبناء والتشييد: « إن حكومتكم الفتية منكم، تلقت تركة مثقلة بالتكاليف والتبعات في وقت ضيق لم يجاوز أسابيع، فأعينوها بقوة، وانصحوها في ما يجب النصح فيه بالتي هي أحسن، ولا تقطعوا

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 307.

² المصدر نفسه، ص 306.

³ المصدر نفسه، ص 306.

أوقاتكم في السفاسف والصغائر، وانصرفوا بجميع قواكم إلى الإصلاح والتجديد، والبناء والتشييد، ولا تجعلوا للشيطان بينكم وبينها منفذا يدخل منه، ولا لحظوظ النفس بينكم مدخلا. وفقكم الله جميعا، وأجرى الخير على أيديكم جميعا، وجمع أيديكم على خدمة الوطن، وقلوبكم على المحبة لأبناء الوطن، وجعلكم متعاونين على البر والتقوى غير متعاونين على الإثم والعدوان»¹.

ثالثا: رؤية جمعية العلماء للخطاب المسجدي

بعد الاستقلال أسست الجزائر وزارة لتسيير الشأن الديني، وكانت تسمى وزارة الأوقاف، ثم تغير اسمها إلى وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، وهي التي أصبحت تشرف على المساجد، وتحمل مسؤولية الأئمة وتدفع رواتبهم ورواتب معلمي القرآن الكريم والقائمين على شؤون المساجد وعلى الزوايا.

وبالرغم من إشراف وزارة الشؤون الدينية والأوقاف على المساجد إلا أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كانت: «تجتهد في العمل المسجدي وتتعاون مع كثير من الإخوة الأئمة والمديريات الوصية (مديريات الشؤون الدينية والأوقاف)، كما أن الكثير من أعضائها يدرسون في المساجد في بعض الولايات والبلديات»².

وترى جمعية العلماء أن للمسجد دورا تربويا رائدا ورسالة حضارية هما أساس وجوده ومحور نشاطه العلمي والديني والأخلاقي، لذا يجب أن يكون: «الخطاب المسجدي في هذا الاتجاه ليحدث الأثر الفكري والتربوي المنشود والذي يوجه المجتمع، ويتطلع إليه الرأي العام، لأن غاية نشاطه تربية الناس وتوجيههم إلى ما يخدم دينهم ودنياهم ويرقي حياتهم ويزكي نفوسهم ويبقيهم على توافق وانسجام مع ذاتيتهم ومع مجتمعهم ومع القيم الخالدة التي قامت عليها الحضارة الإسلامية، هذه

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 5، مصدر سابق، ص 308.

² حسن خليفة، النهوض بالمؤسسة المسجدية في بلادنا، جريدة البصائر، العدد: 919، الاثني 03 - 09 ذو القعدة 1439 هـ / 16 - 22 جويلية 2018، ص 24.

القيم التي يجب أن تكون محور الخطاب المسجدي الذي نريد منه أن لا يحصر نفسه في التذكير بأحكام العبادات وبطرح ما يجوز وما لا يجوز من الأقوال والأفعال»¹.

وما تنتظره الأمة العربية الإسلامية بصفة عامة والأمة الجزائرية بصفة خاصة حسب جمعية العلماء من خطاب المسجد هو: «إعادة صياغة وجدان المسلم بما يجعله يعي حقيقة الإسلام ويتحرك في إطارها ويعيشها فكرا وعقيدة وسلوكا، وفق تحولات الواقع المتغير والحاجات المتجددة. ومن الأمور التي هي من صميم الخطاب المسجدي بالإضافة إلى ما يتعلق بالجوانب الشرعية التي تطرحها قضايا الحياة المعاصرة ما له صلة جوهرية بحياة الأمة الإسلامية والأوضاع التي تعيشها ثقافيا واقتصاديا وسياسيا، فلا بد أن يتناول الخطاب المشكلات التي تواجهها والتي تسهم معالجتها في النهوض بواقعها وترقية وعيها بذاتها وتوجهها نحو الأخذ بأسباب التقدم ودفعها إلى المشاركة الإيجابية في الحياة المعاصرة والإقبال على العلم والعمل والإنتاج»².

وأن الغاية التي يجب أن يستهدفها الخطاب المسجدي هي: «الرقى بتفكير أفراد الأمة والسمو بعقيدتهم إلى المستوى الذي يجعلهم قادرين على الفعل المبدع الذي يواجهون به مشكلات الحياة ويبتكرون الحلول التي تلائم العصر، ويتخذون المواقف الإيجابية حين يكونون في مواجهة التحديات التي تعترضهم من غير أن يتخلوا عن أخلاقهم وعقيدتهم وخصوصياتهم الثقافية»³.

ولا بد من التأكيد أن مؤسسة المسجد لا يجب أن يقتصر دورها على الدروس والمحاضرات فقط، بل يتعدى إلى: «إقامة المعارض في ردهات المسجد، كل معرض يتناول موضوعا حيويا مهما، مثل المخدرات، التدخين، الأمراض الفتاكة، الآفات الاجتماعية، إجراء مسابقات مختلفة عن القرآن والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي والتاريخ الوطني، تقديم دروس متنوعة باستخدام شرائح "الباوربوانت" كتجديد التفكير، الاستقامة، إدارة الوقت، التأهيل الأسري، نشر مجلة حائطية متخصصة وفاعلة تكون دورية»⁴.

¹ عبدالقادر فضيل، منهجية بناء الخطاب المسجدي، رسالة المسجد، العدد الثاني، رجب 1424هـ / سبتمبر 2003م، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص 28.

² المرجع نفسه، ص 28، 29.

³ المرجع نفسه، ص 29، 30.

⁴ حسن خليفة، النهوض بالمؤسسة المسجدية في بلادنا، جريدة البصائر، العدد 919، مصدر سابق، ص 24

المبحث الثاني: المدرسة

جاءت مدارس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كرد فعل لسياسة الاحتلال التي كانت تحاول هدم مقومات الشخصية الجزائرية بتعليم الجزائريين لغة وتاريخ الفرنسيين وذلك تطبيقاً لتوصيات قادة الاحتلال الذين حثوا جيشهم سنة 1830 بقولهم: « علموا لغتنا وانشروها حتى تحكم الجزائر، فإذا حكمت لغتنا الجزائر فقد حكمناها حقيقة... إنا جننا - يقصد الفرنسيين - إلى الجزائر لندفن القرآن لا ليحيا»¹

ولما كانت التربية والتعليم عاملين أساسيين في المحافظة على الشخصية الجزائرية، فإن الجمعية: « اهتمت منذ البدء بإنشاء المدارس العربية في شتى أنحاء القطر، وكانت أول المدارس التي أسستها الجمعية: مدرسة التربية والتعليم بقسنطينة سنة 1936 ومدرسة الشبيبة الإسلامية بالعاصمة ومدرسة تهذيب البنين بمدينة تبسة، ولعل الدور الإيجابي الذي تلعبه المدرسة في حياة المجتمع هو الذي جعل الجمعية تحاول مباشرة عملية الإشراف الكامل على التعليم العربي في الجزائر حتى تضمن تخريج الإطارات العربية».²

والحق أن جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ميدان التعليم كانت امتداداً طبيعياً للجهود التي بذلها الشيخ عبد الحميد بن باديس منذ عام 1913، إلا أن: « نطاق هذه الجهود اتسع في ظل الجمعية حتى شمل الجزائر من أدناها إلى أقصاها، بعد أن كان في عهد ابن باديس مقصوراً على قسنطينة وبعض المدن القليلة فقط. وقد تقاسم قادة الجمعية الرئيسيون العمل فيما بينهم منذ السنوات الأولى من عقد الثلاثينات، فاختص ابن باديس بقسنطينة وعمالتها ينشر العلم ويدفع حركة التعليم العربي بخطوات سريعة إلى الأمام. أما عمالة الجزائر العاصمة فقد تولى شؤون أمرها الشيخ الطيب العقبي وتكفل الشيخ البشير الإبراهيمي بعمالة وهران، واتخذ من تلمسان مقراً لحركته نظراً لكونها أهم مدن العمالة من الناحية الثقافية والحضارية».³

¹ عبد الكريم بوالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945،

مرجع سابق، ص 141.

² المرجع نفسه، ص 140.

³ المرجع نفسه، ص 143، 144.

وبعد ظهور جمعية العلماء في ميدان التعليم انتشرت في الجزائريين رغبة ملحة إلى العلم والإقبال عليه، ولهذا: « حثوا الناس على تعليم الصغار والكبار من البنين والبنات وجعلوهم مسؤولين أمام التاريخ وأمام الله يوم القيامة على إهمالهم تعليم الناشئة العلوم التي تنطبق مع مقوماتهم الشخصية، وذلك من أجل الوقوف في وجه الحضارة الغربية التي أغرت الجزائريين بقشورها واحتفظت لأبناء الأوروبيين وحدهم بلبابها وثمارها اليانعة. وكانت دعوتهم للتعليم شاملة للأغنياء والفقراء على السواء، وكما حثت على التعليم دعت المعلمين في مدارسها الابتدائية والثانوية إلى تعليم الأطفال (التاريخ الإسلامي) وخاصة تاريخ شمال إفريقيا وتاريخ عظمائه في القرون السالفة».¹

والحق أن جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ميدان التعليم قد مر بعدة مراحل يمكن تقسيمها إلى ثلاث:

المرحلة الأولى (1931 - 1939): في هذه المرحلة أسست عددا من المدارس والمساجد والنوادي في أهم المدن والقرى الجزائرية التي استطاعت أن تصل إليها دعوتها. وقد امتد نشاطها في هذه الفترة إلى فرنسا حيث تعيش جالية جزائرية كبيرة في مختلف المناطق الصناعية الفرنسية، حيث أسست مجموعة من النوادي الثقافية.²

المرحلة الثانية (1939 - 1944): في هذه المرحلة توقف فيها نشاط الجمعية إلا في نطاق محدود نظرا لظروف الحرب العالمية الثانية وحرمان الجزائريين من كل نشاط عام سواء كان سياسيا أو غير سياسي، وفي هذه المرحلة توفي رئيس الجمعية الأول عبد الحميد بن باديس في 16 أبريل 1940، كما قام الاحتلال بنفي نائب رئيس الجمعية محمد البشير الإبراهيمي إلى الصحراء بعمالة وهران في مارس 1940 حيث قضى في منفاه في "أفلو" ثلاث سنوات ثم أفرج عنه في أوائل عام 1943. وبعد وفاة ابن باديس خلفه الإبراهيمي في رئاسة الجمعية حيث انتخبه الأعضاء في غيبته بالإجماع، وأصبح منذ ذلك التاريخ يقود الجمعية ويدير أعمالها من مقر منفاه.³

¹ عبد الكريم بوصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، مرجع سابق، ص 141.

² تركي رابح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 203.

³ المرجع نفسه، ص 206 ، 207.

المرحلة الثالثة (1944 – 1956): تعتبر هذه الفترة فترة الانطلاق الواسع النطاق في نشر التعليم العربي الحر وتكوين المدارس واقامة النوادي وتأسيس المساجد، حتى أن جمعية العلماء أسست في عام واحد هو عام 1944 ثلاثا وسبعين مدرسة في مدن القطر الجزائري وقراه. ولكن قد توقف نشاطها عن العمل بعد قيام الثورة في الجزائر سنة 1954 بحوالي عامين.¹

وجمعية العلماء كانت تعمل بالتنسيق مع الجمعيات الخيرية والإصلاحية التي كانت منتشرة في كثير من المدن الجزائرية على نشر التعليم، فكانت: « مهمة الجمعية المحلية إنشاء المدارس بينما تتحمل جمعية العلماء مسؤولية تعيين المدير والمدرسين وتحديد المناهج وتزويد المدارس بالكتب، والاهتمام بسير التعليم فيها عن طريق المفتشين التربويين، أما بالنسبة للنواحي المالية فقد كانت ميزانية كل مدرسة مستقلة، فإذا حدث فائض استخدم في مساعدة المدارس الأخرى».²

ونتيجة لجهود جمعية العلماء في ميدان التعليم وانتشاره في ربوع الجزائر، فكر الشيخ ابن باديس في بناء كلية دينية، حيث قال: « لا بد للجزائر من كلية دينية، يتخرج منها رجال فقهاء بالدين يعلمون الأمة أمر دينها، وأستطيع أن أقول أن نواة هذه الكلية هم الطلاب الذين يردون على الجامع الأخضر بقسنطينة من العمالات الثلاث، فلو أن الجمعية سعت لتوسيعها بترسيم معلمين ورعاية مدد المتعلمين ووضع خطة التعليم لقامت بأعظم عمل علمي ديني للأمة في حاضرها ومستقبلها»³

أولاً: مدرسة دار الحديث بتلمسان

لا شك أن تلمسان مدينة عريقة في الثقافة والحضارة، وكانت تزخر بالحركات الإصلاحية والعمل الإصلاحي، ودعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاحية بها لم تنطلق من فراغ، بل سبقتها: « جهود عديدة قادها شخصيات إسلامية وسياسية، وقد ساهمت تلك الشخصيات في نشر الوعي الديني والسياسي لدى الشعب الجزائري ومنه التلمساني، وأيقظت ضميره وحركت مشاعره فاستفاق من غفلته، وقد اعتمدت تلك الجهود على الجانب التربوي، فأنشأت المدارس

¹ تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 207.

² مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 106 - 107.

³ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الثاني، ج 1، ص 228.

الحرّة التي تعلم القرآن الكريم واللغة العربية لأنهما العنصران الأساسيان في بناء شخصية الإنسان الجزائري وربط ماضيه بحاضره. إن هذه المدارس والشخصيات والنوادي يمكن اعتبارها بذورا للإصلاح بتلمسان قبل ظهور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»¹.

و أسندت جمعية العلماء مهمة تنشيط الحركة الإصلاحية بالغرب الجزائري إلى الشيخ البشير الإبراهيمي، حيث أشرف على تنظيم الشعب وإنشاء المدارس، وكان من بينها مدرسة (دار الحديث بتلمسان)، و دعا: « سكان هذه الناحية إلى الاكتتاب لبناء المدرسة وأشرف على إنشائها ووضع تصميمها، وقد اختار لها مؤسسها اسم (دار الحديث) تعبيراً عن مبادئ الحركة التي تدعو إليها، وهي الرجوع إلى السلفية النقية التي تستمد أحكامها من المصادر الإسلامية الأصلية (الكتاب والسنة وهدى السلف) ، ومحاكاة لدور الحديث المنتشرة في بعض البلدان الإسلامية ومن بينها (دار الحديث الأشرفية بدمشق)»²

وكان افتتاح (دار الحديث) يوم 27 سبتمبر 1937 مشهوداً في تاريخ الجزائر عامة وتلمسان خاصة، حيث توافد الناس من كامل القطر الجزائري لحضور حفل الافتتاح، وأثناء الحفل أطل عليهم الشيخ ابن باديس والإبراهيمي والعلماء من الشرفة في الطابق الأول، حيث خاطبهم ابن باديس قائلاً: « يا أبناء تلمسان.. يا أبناء الجزائر.. إن العروبة من عهد تبع إلى الآن تحيكم.. وإن الإسلام من عهد محمد ﷺ إلى اليوم يحييكم.. وإن أجيال الجزائر من هذا اليوم إلى يوم القيامة تشركم وتثني عليكم وتذكر صنيعكم بالجميل.. يا أبناء تلمسان كانت عندكم أمانة من تاريخنا المجيد فأديتموها فنعم الأمناء أنتم فجزاكم الله جزاء الأمناء. والسلام عليكم ورحمة الله»³

و كان لهذه المدرسة طابعها الحضاري الإسلامي، وكانت بحق مفخرة الجزائر، وكان لها الشرف أن تكون: « أول مدرسة تبنيتها جمعية العلماء من الأساس إلى السطح على نمط الهندسة المعمارية في الأندلس، والفضل لله سبحانه وتعالى أن وفق المهندس عبد الرحمان بوشامة - رحمه الله تعالى - لتصميم البناء، وهي تتكون من طابق أرضي فيه مسجد للصلاة، وقاعة وضوء في

¹ دار الحديث، جريدة البصائر، العدد: 776، الاثنين 21 - 27 ذو الحجة 1436 هـ / 05 - 11 أكتوبر 2015، ص 15.

² محمد خير الدين، مذكرات، ج 1، مصدر سابق، ص 150، 151.

³ جريدة البصائر، دار الحديث، العدد: 776، مصدر سابق، ص 15.

الطابق السفلي، وقاعة لمحاضرات وخشبة للمسرح ومكتب إدارة المدرسة في الطابق الأول، أما الطابق الثاني فيحتوي على خمسة أقسام للدراسة، لكن بعد الاستقلال تم توسعة الدار بزيادة بعض المرافق كالمكتبة وقاعة الانترنت»¹

وفي الحقيقة أنشأت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (دار الحديث) لتكون قلعة من قلاع الإصلاح بالجزائر، وبذلك خطت: «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين خطوات جبارة في تلك السنوات في ميدان التعليم باللغة العربية عن طريق إنشاء مدارس حرة. وقد تخرج من دار الحديث والتحق بالثورة سنة 1954 الكثير من الطلبة منهم من استشهد وتوجد أسماء بعضهم على لوحة رخامية في مدخل دار الحديث إلى اليوم، ومنهم من لازال على قيد الحياة»²

و رأى الشيخ البشير الإبراهيمي أن أكبر دعامة تقوم عليها النهضة الجزائرية الحديثة، هي تأسيس المدارس الحرة بمال الأمة، وقامت تلمسان بواجبها فشيدت مدرسة (دار الحديث)، إذ هي: «الشاهد الذي لا يكذب على صدق النهضة الإسلامية العلمية ونضوجها ووصولها إلى درجة الكمال التي يفرح لها العاملون، ويبأس منها الظالمون. إن أثر ذلك يكون بلا شك نفعاً في تقديرنا لهذا الدين واعتبارنا لهذه اللغة، ونحن في هذا الطور لا نتأثر إلا بالمحسوسات، فلا نعرف مما تقولون لنا إلا قولكم: هذا الإسلام وهذه مساجده، وهذا لسان العرب وهذه معاهده، فأما أن تقولوا لنا: هذا الإسلام ولا مسجد، وهذه علوم الإسلام ولا معهد، فاعذرونا إذا استهوتنا هذه المعاهد المشيدة للألسنة الأجنبية، وتخطفتنا دعايات البشر من كل جانب».³

¹ جريدة البصائر، دار الحديث، العدد: 776، مصدر سابق، ص 15.

² المصدر نفسه، ص 15.

³ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 308.

ثانيا: معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة

يعد معهد عبد الحميد بن باديس بقسنطينة الذي فتح أبوابه للطلبة عام 1947م، امتدادا للدروس العلمية التي كانت تقدم بالجامع الأخضر من قبل الشيخ ابن باديس مع تطور في الإدارة والتجهيز والأسلوب التعليمي. فقد: «تفضلت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بإنشاء هذا المعلم تخليدا لذكرى الشيخ ومواصلة جهوده في نشر التعليم العربي الحر وبعث الثقافة العربية الإسلامية في الجزائر، فأسمته بمسقط رأسه وأطلقت اسمه عليه. ويعد هذا الإنجاز مفخرة ومكسبا يشهد لجمعية العلماء، لأنه النواة الأولى للدراسة الثانوية المعربة في تاريخ الجزائر المعاصر، وقد تعدت تكلفته خمسين مليون فرنك فرنسي قديم كلها من تبرعات الشعب».¹

و رأى الشيخ البشير الإبراهيمي أن الأمة تمت دعوتها إلى التعليم العربي الابتدائي، لأنه: «الخط الذي تبتدى منه النهضة العلمية، فلبت لا وانية ولا عاجزة، وشادت له من المدارس ما يفخر به الفخر، ويغص به الشانئ الساخر، وتمكنت منها الرغبة في هذا النوع من التعليم إلى درجة أننا معها الانتكاس والرجوع إلى الوراء، ولكن هذا العدد من المدارس لا يتناسب مع النسبة العددية للأمة، ولا مع طول الركود السابق للنهضة، ولا يفي بالحاجة اللازمة، ولا بد من مضاعفة السير لمن تأخر كثيرا عن القافلة».²

ثم تم السير بالأمة حسب الإبراهيمي خطوة ثانية ثابتة إلى الأمام، لأن التعليم الابتدائي وحده لا يكفي، فكانت هذه: «الخطوة هي المعهد الباديسي، وهذا المعهد ليس إلا معهدا تجهيزيا يحتضن بعض المتخرجين من السنة الخامسة الابتدائية، ومن مائلهم من ذوي الجهود الخاصة، فيقويهم في الدينيات علما وعملا، وفي القرآن حفظا وفهما، ويروض ألسنتهم على القراءة والخطابة، وأقلامهم عن الإنشاء والكتابة، وعقولهم على التفكير الصحيح، ويصوغهم صياغة أخلاقية متقاربة، ويشرف بهم على علوم الحياة من باب الرياضيات والطبيعات ويهيئهم تهيئة صحيحة قوية للتعليم العالي».³

¹ عيسى عمراني، معهد ابن باديس، جريدة البصائر، العدد: 870، الاثني 14 - 20 ذو القعدة 1438 هـ/07-13 أوت 2017، ص 9.

² محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 3، مصدر سابق، ص 255.

³ المصدر نفسه، ص 255.

وكلفت جمعية العلماء الشيخ العربي التبسي بإدارة المعهد، فعمل على تكوين الطلبة علميا وعقليا وروحيا وأخلاقيا، فكان يوجههم إلى المطالعة الواسعة واكتساب القدرة على الخطابة والكتابة المؤثرة في النفوس والقلوب فتحركها ضد الاستعمار، وكان ينصحهم باستعمال عقلمهم وجعله الميزان الذي يزنون به الأمور والأحداث، و بضرورة امتلاك حس النقد وعدم قبول أي شيء دون تمحيصه. ولم يبخل الشيخ العربي التبسي على طلبة المعهد بنصائحه وتوجيهاته، فكان يذكرهم عند كل عطلة صيفية بالقول لهم: « أنتم جنود الله والوطن، إياكم وارتياح أماكن اللهو والمقاهي، وجندوا أنفسكم للإسلام والوطن، حدثوا آباءكم وأقاربكم عن تعليمكم وشيوخكم، وما سمعتم منهم من النصائح، علموهم ما تعلمتم من الدين والإخلاص، حدثوهم عن الاستعمار وظلمه، فهذا واجبكم في عطلتكم فأنتم أمل شعبكم المسكين، فلا تتشغلوا عن واجباتكم بما يسر أعداء وطنكم ويغيض آباءكم، تذكروا معيشة آباءكم ومسكنهم وملبسهم، وكيف آثروكم على أنفسهم وإخوانكم وأمهاتكم لتتبرروا الطريق أمامهم، تلك هي الرسالة التي نكلفكم بتبليغها إلى آباءكم وأقاربكم، وتلك أمانة العلم في أعناقكم»¹

و كان المنهاج الدراسي المتبع في المعهد الباديسي مطابقا للمنهاج المطبق في جامع الزيتونة بتونس، حسبما ذكر الشيخ عبدالرحمان شيبان، حيث سعى هذا الأخير بصفته (رئيسا لجمعية الطلبة الجزائريين بتونس آنذاك) إلى ربط الصلة بين المعهد وجامع الزيتونة بطلب من الشيخ الإبراهيمي للاعتراف بالشهادة التي تمنح به، فلبى مشايخ الزيتونة رغبة الجمعية ووافقوا على أن يكون فرعا له. ويتطابق منهاج المعهد مع منهاج مدارس جمعية العلماء من حيث الأهداف، فهو: « يرمي إلى تربية الجيل الجديد وغرس العقائد الصحيحة في ذهنه، وأداء العبادات والتشبع بالروح الوطنية والغيرة على اللغة العربية وتاريخ الإسلام وتاريخ الجزائر لمواجهة الزحف القادم من الغرب. وإضافة إلى مهمة التعليم كان المعهد يؤدي دورا ثقافيا من خلال ما يقدمه من دروس في الوعظ والإرشاد لعامة الناس، وإلقاء محاضرات عامة في المناسبات والأعياد الدينية، وتقديم عروض مسرحية وموسيقية ورياضية».²

¹ بشير بلاح، تاريخ الجزائر المعاصر، مرجع سابق، ص 504.

² عيسى عمراني، معهد ابن باديس الباكورة التربوية لجمعية العلماء، جريدة البصائر، العدد: 754، الاثنين 15- 21 رجب 1436 / 04 - 10 ماي 2015، ص 16.

والتعليم حسب الشيخ البشير الإبراهيمي هو الغاية من المعهد، وأنه ليهتم من أول يوم بالتربية التي: «تَهْمَلُهَا المعاهد كَبِيرُهَا وصَغِيرُهَا أو تتساهل فيها مع أنها هي الأصل والأهم المقدم، كما يعنى باهتمام بغرس العقائد الصحيحة في أذهان التلاميذ وبتعودهم على العبادات البدنية حتى ينشأوا مؤمنين عاملين للصالحات... إن معاهدنا الإسلامية في الشرق والغرب فرطت في جنب هذا الأصل العظيم وأهملت الأصلح واقتصرت على الصالح، ولعل موجة الإصلاح الآخذة في الامتداد تأتي على النقائص وتأتي بالكمالات».¹

ويبقى المعهد الباديسي حسب الإبراهيمي مفخرة الأمة الجزائرية، وهو: «غرة أعمال جمعية العلماء وأعظمها خطرا، وأعلاها قدرا وأكثرها نفعاً، فهو يؤوي سبعمائة تلميذ من أبناء الأمة، ويهيئهم لأن يصبحوا قادة لحركاتها، ومسيرين لنهضاتها في جميع الميادين الحيوية، ومنه تخرج البعثات العلمية والصناعية، ومن صفوفه يتخرج الوعاظ المرشدون والخطباء والكتاب والمعلمون».²

ويرى الإبراهيمي أن معهدا واحدا لا يكفي لأمة شارف عدد سكانها عشرة ملايين، لهذا خاطب الأمة الجزائرية بقوله: «الواجب أن تكوني ولودا لأسباب الحياة لهذه الذرية، وفي مقدمة أسباب الحياة المدارس والمصانع، فإن كنت تلدين الأحياء ولا تلدين الحياة فبئس الأمة أنت. إننا ننظر النظر البعيد في صالحك، وما فتحنا معهد قسنطينة حتى عقدنا العزم على فتح معهد في مدينة الجزائر وآخر في تلمسان، يأوي كل واحد منها ألف تلميذ، لنغسل عنك لطفة عار سجلته عن نفسك بهجرة أبنائك إلى الشرق والغرب في طلب مبادئ الفقه والعربية».³

و قد شارك الكثير من شيوخ وتلامذة المعهد الباديسي في ثورة التحرير بفعالية، وكان دعم المعهد للثورة سببا مباشرا لخلقه عام 1957 من قبل السلطات الفرنسية حيث حُوّل إلى ثكنة عسكرية إلى غاية 1962 تاريخ استقلال الجزائر، وبعد الاستقلال ألحق المعهد بوزارة التربية ثم وزارة الشؤون

¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج2، مصدر سابق، ص 219.

² المصدر نفسه، ص 446.

³ المصدر نفسه، ص 222.

الدينية والأوقاف، وبدأت بنايته تتدهور شيئاً فشيئاً ولم يحظ بعناية أو إعادة اعتبار حتى سنة 2004 حيث تم ترميمه وصار معهداً للقراءات القرآنية.¹

ثالثاً: المدارس القرآنية

رأى الشيخ ابن باديس أن الله قد منّ بفضله على العباد بهذا النبي الكريم والكتاب العظيم، فمن آمن بهما واتبعهما: «يوفقه الله ويسدده في سلوك تلك السبل الفردية والجماعية والأممية إلى ما يفضي به إلى السلامة والنجاة... فالعبد محتاج دائماً إلى الرجوع إلى كتاب الله، وما ثبت من سنة نبيه ﷺ ليهتدي إلى ما يرضي الله، مما شرعه له من أحواله وأفعاله، وإلى ما يدفع عنه شبهاته، وينفذه من شهواته».²

و لهذا كان هدف الشيخ عبد الحميد بن باديس من حركته التعليمية الواسعة، تخريج: «جيل قرآني يتقن حفظ القرآن وأدائه، ويحسن فهمه والعمل به، ويتخلق بأخلاقه، ويتربى على هديه، ثم ينشر بواسطته دين الله، في أرض الله».³

كما أشار الشيخ البشير الإبراهيمي إلى أن القرآن الكريم فيه إصلاح للنفوس وإسعادها في دار الدنيا والآخرة، حيث يقول: «إن القرآن الكريم بما فيه من الحكم والأحكام، وبما فيه من الترغيب والترهيب، وبما فيه من رغائب الروح والجسد، وبما فيه من علوم وحقائق، وبما فيه من بيان حقوق الله على عباده وحقوق العباد بعضهم على بعض، وبيان ما ضمنه لعباده من حقوق إلى غير ذلك مما اشتمل عليه، نهاية وكفاية للناس في الاتعاظ والاعتبار، بحيث لا يحتاجون إلى غيره في إصلاح نفوسهم وإعدادها للحياة السعيدة في الدارين».⁴

وفي الحقيقة أن شخصية الأمة العربية الإسلامية وهويتها وتاريخها وحضارتها مصدرها القرآن العظيم، فهو الذي: «كونها، وأخرجها للناس، وصبغها بصبغته، ووجهها في التاريخ وجهته. فالقرآن جاء بتصور جديد للإنسان ومكانته في الوجود، وبمفهوم للوجود وللحياة، وأسس ذلك كله على

¹ عيسى عمران، معهد ابن باديس، جريدة البصائر، العدد: 754، مصدر سابق، ص 16.

² عبد الحميد بن باديس، الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية، دار المنار للنشر والتوزيع، الرياض، (د ت)، ص 61، 64.

³ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مصدر سابق، ص 63.

⁴ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج 1، مصدر سابق، ص 399.

"التوحيد" الذي هو محور القرآن ولبه، ونوره الذي يشع من آياته وسوره صافيا وهاجا. فكان القرآن بحق رسالة موجهة للإنسانية قاطبة لترقية العقل والقلب والذوق، ونظام حياة الإنسان الفردية والاجتماعية، ودعوته لتحقيق مصيره في الحياة الدنيا وفي الآخرة¹.

وهذه الأمة لا يمكن لها أن تشارك في هذه الحضارة العالمية، إلا بهدي القرآن، لأن: «تربية شبابنا تربية قرآنية أصيلة لها الكفيلة بأن ترفع شتاته إلى مستوى الحضارة والمشاركة فيها بالعلم والقيم، وسمو الهمم، ويخرجه من الظلمات ظلمات الفقر والجهل والضعف إلى نور القيم والغنى والعلم والعزة، ومن ظلمات الأنانية والنظرة القومية الضيقة إلى فكرة الأمة القوية المؤثرة في العالم، ومن عبادة المنافع المادية والرغبات الذاتية، ومن ظلمات الظلم والاستبداد إلى الحرية، فإن القرآن يدعو إلى التحرر من كل هذه الظلمات وألوان الفساد للتمتع بالعدل والخير والحق والنور في هذه الحياة»².

وأن مبدأ وحدة الأمة ومعاني الأخوة والاعتصام بالله مستمدة من هدي القرآن الكريم، باعتباره هو الذي: «يشكل المرجعية الأولى لجماعة المسلمين، والنص الثابت الذي تستقى منه الهداية في الإيمان والمعتقد والسلوك والعلاقات، فمن البداهة في هذا السياق القول بأن كل تعابير الهداية القرآنية تزخر بمبادئ ومعاني الأخوة والتوحد والألفة والتعاون والاعتصام بحبل الله، أي تزخر بالأسس المعنوية التي تجعل من جماعة المسلمين أمة واحدة في معتقدها وحضارتها ومقومات وجودها»³.

ولهذا كان من بين وسائل جمعية العلماء منذ نشأتها حتى وقتنا الراهن: إنشاء مدارس لتعليم القرآن وتدرّيس علومه، وذلك بهدف المساهمة في إعداد الأجيال الناشئة وتحسينها فكريا وخلقيا وحضاريا. لكن الجزائر شهدت خلال السنوات الأخيرة، محاولات من وزارة التربية الوطنية مع وزارة الشؤون الدينية والأوقاف على اقتراح جعل المدارس القرآنية مدارس تحضيرية، تُعدّ الطفل لمرحلة

¹ عمار طالبي، القرآن والارتقاء بالوجود الإنساني، رسالة المسجد، العدد الثاني، رجب 1424هـ / سبتمبر 2003م، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص 10.

² المرجع نفسه، ص 11، 12.

³ إبراهيم نويري، القرآن الكريم كافل لوحدة الأمة، جريدة البصائر، العدد: 929، الاثنيين 21 - 27 محرم 1440 / 01 - 07 أكتوبر 2018، ص 06.

التعليم، وتتماشى والأهداف التعليمية للتربية الوطنية. و لكن الشيخ عبدالرزاق قسوم قد أعاب على وزارة التربية تغييبها لرأي جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول الاقتراح، رغم أنها الجهة الأولى المعنية بالتعليم القرآني، ولها طابع تعليمي تربوي، بدليل أن عدد المدارس التابعة لها تكاد توازي ما تحوزه وزارة الشؤون الدينية أو مثلها. و أكد أنه مهما كانت التغييرات التي ستطرأ على هذه المدارس، والجهات التي تقف وراء هذا الاقتراح، إلا أنه لا يجب المساس بالدور المنوط بالمدارس القرآنية، كونها قضية مقدّسة، وتضان من جميع أنواع التسييس، حيث قال: «إننا من منطلق الناصح الأمين يحدونا الوفاء لعلمائنا وشهدائنا وتعبيراً منا عما يختلج في نفوس أبناء شعبنا، نحذر من الإقدام على أية خطوة من شأنها أن توجج نار الغضب ونشر الفتنة باسم إصلاح المدارس القرآنية. نحن مع كل إصلاح يجلب الخير لأجيالنا، ونحن مع الأخذ بالأصلح من كل تجارب الأمم المتقدمة في مجال التربية، بشرط واحد أن لا يكون ذلك على حساب كتابنا وسنتنا الصحيحة»¹

ويضيف الشيخ عبد الرزاق قسوم إلى أن: «الأمل معقود في أن تتحمل المدرسة مسؤولية إعادة التكفل بالقرآن في المدارس العمومية، وتخصيص حيز أكثر للقرآن في مختلف مراحل التعليم وأطواره، من الحضانة إلى التعليم الجامعي، فذلك أفضل وسيلة للقضاء على أسباب التطرف والغلو ومحاربة الإرهاب المعادي للقرآن، وإعادة الطفل والشباب والمواطن إلى الحضن الصحيح للإسلام بحفظ جيد للقرآن وفهم أفضل آياته وتطبيق أسلم لأحكامه».²

وقد أصدرت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بيانا تذكر فيه بأن من مبادئها وأهدافها الأساسية منذ نشأتها: نشر كتاب الله تعالى ، وتعليمه وتحفيظه وتربية الأجيال الصاعدة على منهاجه، ولهذا فإنها تؤكد على تمسكها بهذه المدارس، وتعتبرها من أهم مكاسب ومقدرات الشعب والوطن، وتدعو إلى دعمها والعناية بها ماديا ومعنويا.³

¹ عبد الرزاق قسوم، لا لتجفيف المنابع، جريدة البصائر، العدد 849، الاثنين 14 - 20 جمادى الثانية 1438 / 13 - 19 مارس 2017، ص 03.

² المصدر نفسه، ص 03.

³ جريدة البصائر العدد 849 ، الاثنين 14 - 20 جمادى الثانية 1438هـ / 13 - 19 مارس 2017، ص 02 ، (أنظر: البيان كاملا في الملاحق، ص 304)

المبحث الثالث: الصحافة

يعتبر الشيخ محمد خير الدين أن الجمعيات مظهرا من مظاهر الحياة الفكرية والروحية في الأمم والشعوب، وهي: «بحاجة إلى منبر تعلن من فوقه مبادئها للرأي العام، من أجل ذلك كان لا بد أن تتخذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الصحافة وسيلة من وسائل التعبير عن رأيها وبث فكرتها الإصلاحية وتبليغ دعوتها إلى كل مكان».¹

وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد تنبعت وأدرجت مبكرا إلى الأثر الخطير الذي يمكن أن تقوم به الصحافة في نشر مبادئ الإصلاح في أنحاء الجزائر، وكان: «هذا الإدراك نابعا من أمرين: أولهما اتصالهم بالحركة الفكرية في المشرق العربي والتي كان لها صحفها الخاصة بها أمثال (الفتح) و(المنار) و(المؤيد) و(الواء) وغيرها، وثانيا الأعداد الكبيرة للصحف الفرنسية التي أنشأها المستوطنون في الجزائر أو الصحف التي كانت تصدر في فرنسا وتوزع في الجزائر، لذلك فإن العلماء حالما وجدوا الفرصة مواتية راحوا يؤسسون الصحف العربية مثل (المنتقد) و(الشهاب) وغيرها».²

ولذلك أنشأ بعض الجزائريين بعد الحرب العالمية الأولى مطابعا في العاصمة وقسنطينة ومستغانم ووهران وبسكرة، ولم يكن إنشائها بقصد التجارة ونشر الكتب، ولكن: «لطبع الصحف التي عزموا على إصدارها حتى لا يبقوا عالة على المطابع الفرنسية، ومن المطابع التي أنشأتها جمعية العلماء "المطبعة الجزائرية الإسلامية" وهي مطبعة أنشأها الشيخ عبد الحميد بن باديس في قسنطينة، وعهد بها إلى الشيخ أحمد بوشمال أحد أنصاره وأتباعه المخلصين وأحد أعيان قسنطينة، طبعت المطبعة الإسلامية صحف ابن باديس وهي المنتقد والشهاب، كما طبعت البصائر».³

و لما كان هدف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين هو إصلاح المجتمع من كل جوانبه والنهوض به ، فقد: «اتخذوا من الصحافة وسيلة أساسية منذ 1925 لنشر أفكارهم الجديدة، وتمزيق ركام الجمود الذي سيطر على المسلمين في الجزائر حوالي قرن من الزمن. وعندما تأسست جمعية

¹ محمد خير الدين، مذكرات، ج 1 ، مصدر سابق ، 247.

² مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 112 - 113.

³ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 309 ، 310.

العلماء سنة 1931 جعلت من الصحافة الوسيلة الأولى لنشر دعوتها ومبادئها وأهدافها بين الجزائريين، وسلاحاً خطيراً تستخدمه ضد خصومها من الإدارة الاستعمارية، ورجال الطرق الصوفية، وضد كل من أصبح يسير في ركاب المحتلين»¹.

والحق أن صحافة جمعية العلماء لم يقتصر دورها على نشر فكرة الإصلاح الديني فحسب، بل كان من بين أهدافها الأساسية: «محاربة الطرق الصوفية التي أصبحت عميلة للاستعمار، كما كانت تقوم بدور المعلم والمرشد والمربي بما تنشره من دروس وتوجيهات تروية بين المسلمين الجزائريين»².

وكانت الصحافة إحدى الوسائل وآليات العمل النهضوي الدعوي الحضاري لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، والتي كانت لسان حالها والواسطة بينها وبين الجماهير العريضة في ربوع الوطن وخارجه، ويمكننا التحدث عن الصحافة عند جمعية العلماء من خلال فترتين: فترة الاحتلال وفترة الاستقلال.

أولاً: صحافة جمعية العلماء في عهد الاحتلال

يمكن اعتبار صحافة الجمعية في هذه الفترة قد مرت بمرحلتين:

المرحلة الأولى (1925 - 1934) : أسست الجمعية في هذه المرحلة جملة من الصحف من أبرزها:

1 - المنتقد

أسس عبد الحميد بن باديس جريدة "المنتقد" التي يبين اسمها عن معنى النقد الذي كانت تخشاه أرباب الطريقة وتقاومه في مناهج تربيتها للمريدين وللجمهور بتلك العبارة المعروفة «اعتقد ولا تنتقد» وصدر العدد الأول في 3 يوليو سنة 1925 وذلك في مدينة قسنطينة، وكان شعارها «الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء». تولى الشيخ ابن باديس رئاسة تحريرها وأسند إدارتها

¹ عبد الكريم بوالصفاصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 ، مرجع سابق، ص 130.

² المرجع نفسه، ص 133.

للشهيد أحمد بوشمال، وكان من كتابها الشيخ مبارك الميلّي والشيخ الطيب العقبي. كتب ابن باديس في افتتاحية العدد الأول حيث قال: « باسم الله ثم باسم الحق والوطن، ندخل عالم الصحافة العظيم، شاعرين بعظمة المسؤولية التي نتحملها فيه، مستسهلين كل صعب في سبيل الغاية التي نحن إليها ساعون، والمبدأ الذي نحن عليه عاملون».¹

وشعار هذه الجريدة شعار جريء خصوصا في تلك الفترة العسيرة التي أبغض ما كان فيها للاستعمار الفرنسي كلمة " الحق " وكلمة " الوطن " وهما الكلمتان الأساسيتان في الشعار: « الحق فوق كل أحد والوطن قبل كل شيء » والحقيقة أن صدور مثل هذه الصحيفة في مثل تلك اللهجة الصريحة الصادقة العنيفة لتعتبر مغامرة في ذلك العهد القاسي المظلم. ومما جاء في مبدأ النقد أنه لا يتعرض للأشخاص، فيما يختص بأحوالهم الشخصية وإنما يتوجه إلى سلوكهم، الذي يمس شؤون الأمة وعدّد من يتعرض للنقد، وبين أصنافه من الطبقات الاجتماعية، فقال: «ننقد الحكام والمديرين والنواب والقضاة والعلماء وكل من يتولى شأنا عاما من أكبر كبير إلى أصغر صغير من الفرنسيين والوطنيين، ونناهض المفسدين والمستبدين من الناس أجمعين، وننصر الضعيف والمظلوم بنشر شكواه، والتنديد بظالمه كائنا من كان، لأننا ننظر من الناس إلى أعمالهم، لا إلى أقدارهم، فإذا قمنا بالواجب فلأشخاصهم منا كل احترام».²

و رأى الطيب العقبي أنه كان مضطرا لكتابة مقالات في جريدة (المنتقد) وهذا من أجل توجيه الأمة إلى العقيدة الصحيحة، فتأسيس الجريدة كان من أجل دعوة الناس للإصلاح والدفاع عن الإسلام خاصة بسبب البدع والممارسات التي هي دخيلة على الدين الإسلامي. كما كان للصحيفة هدف آخر، ألا وهو محاربة المنكرات والرذائل وهذا بسبب البدع والخرافات، ومن المفروض أن الدين الإسلامي هو منبع الأخلاق وأساس القيم، لكننا شوهدنا هذا الدين بأفعالنا وتصرفاتنا وسلوكياتنا.³

وتحملت جريدة (المنتقد) مهمة الإصلاح، وذلك: « بتتزيه الإسلام عما أحدثه المبتدعون، وحرفه الجاهلون، وبيانه كما جاء في القرآن العظيم، والسنة المطهرة، وعمل به السلف

¹ عبد الحميد بن باديس، آثار ابن باديس، المجلد الأول، ج 1، مصدر سابق، ص82.

² المصدر نفسه، ص82، 83.

³ Ahmed El Rifaei Chorfi, Imam et Cheikh Et Taib El Okbi, Traduit par : wafa bedjaoui , Tome 2 , DAR EL HOUDA, AIN M LILA, ALGERIE, 2015, P: 38 39

الصالحون... وتلفت المسلمين الجزائريين إلى حقيقة وضعيتهم بين الأمم، بأنهم أمة لها قوميتها ولغتها، ودينها وتاريخها، فهي بذلك أمة تامة الأممية، لا ينقصها شيء من مقومات الأمم، وأنهم إلى ذلك مرتبطون بأمة عظيمة، ذات تاريخ مجيد، ومدنية راقية، وحكومة منظمة»¹

و كانت جريدة (المنتقد): « متحررة وداعية للنهضة والوطنية بأسلوب واضح وحماس، وكانت جريدة أسبوعية، وقد تلقاها الشباب وأصحاب الفكر النير بحماس أيضا، ولكن الإدارة لم ترض عن لهجتها فأوقفتها بعد حوالي ثمانية عشر عددا»²

2 - الشهاب

بعد منع وتعطيل جريدة (المنتقد) من الصدور أنشأ ابن باديس سنة 1925 (الشهاب) كجريدة أسبوعية، ثم حولها إلى مجلة شهرية سنة 1929 وكان شعارها: « لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح بها أولها » ، وكانت: « من أكبر المجلات الجزائرية تأثيرا خلال عقدين، وقد بدأت الشهاب تصدر أسبوعية ثم أصبحت شهرية، وكانت تنشر للكتاب والشعراء الجزائريين، بالإضافة إلى النشر للمفكرين في العالم العربي، ولم تكن الشهاب الجريدة الرسمية للعلماء، ولكنها كانت ميدانا لكل المؤيدين المهتمين بالإصلاح الاجتماعي في الجزائر».³

واستمرت الشهاب في الصدور إلى غاية وفاة الشيخ ابن باديس 1940، و توقفت من تلقاء نفسها حتى: « تنجلي الحرب وحتى لا تضطر إلى نشر ما لا ترضى عنه تحت قوانين الحرب، وتعتبر الشهاب مجلة وطنية إصلاحية، أيقظت الرقود ونهبت الغافلين ودعت إلى جمع الشمل والوحدة، كما دافعت عن الإسلام واللغة العربية والعدالة والحرية، وشاركت برأيها في قضايا المغرب العربي والمشرق».⁴

ونتيجة لمكانة مجلة (الشهاب) وصداها الطيب على مستوى العالم العربي والإسلامي، فقد نوّه وأشاد بفضلها كبار الكتاب والعلماء ورجال الإصلاح، ومن بين هؤلاء ما كتبه الإمام حسن البنا

¹ عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس، مرجع سابق، ص 179.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 253.

³ أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج 2، مرجع سابق، ص 399.

⁴ أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 253.

ككلمة تقدير وجهها للإمام عبد الحميد بن باديس ومجلته الشهاب في افتتاحية العدد الأول من مجلة الشهاب التي أسسها في القاهرة في نهاية الأربعينيات قائلا: « قامت مجلة الشهاب الجزائرية التي كان يصدرها الشيخ عبد الحميد بن باديس في الجزائر بقسط كبير من هذا الجهاد، مستمدة من هدي القرآن الكريم وسنة النبي العظيم سيدنا محمد ﷺ. وإنا لندرجو أن تقفو " الشهاب" المصرية الناشئة أثرها وتجدد شبابها، تعيد في الناس سيرتها في خدمة دعوة القرآن، وتجلب فضائل الإسلام على أن الفضل للمتقدم وفضل السابق ليس له كفاء»¹

وساهمت الشهاب في مواصلة الخط الإصلاحى الجهادى، والمنهج الدعوى والمبدأ السياسى الذى ابتدأته وانتهجته والتزمته (المنتقد) قبلها، فى: « المحافظة على حقوق الأمة والدفاع عن مقوماتها، فكانت لا تتسامح مطلقا مع أى شخص كان يحاول المساس بها أو النيل منها. وكانت لها سمعة طيبة، تعدت حدود الوطن، فمن حيث المحتوى والعقيدة والاتجاه الإصلاحى والسياسى، تعتبر ثالث مجلة فى العالم العربى والإسلامى بعد العروة الوثقى للسيد جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده والمنار للسيد محمد رشيد رضا».²

3 - السنة النبوية المحمدية

تأسست صحيفة (السنة النبوية المحمدية) سنة 1930 ثم منعتها الحكومة الفرنسية، وآخر عدد صدر فى جويلية 1933. يقول الشيخ عبد الحميد بن باديس فى الهدف من إنشائها: « فىها نحن اليوم نتقدم بهذه الصحيفة للأمة كلها على هذا القصد وعلى هذه النية: عملنا نشر السنة النبوية المحمدية، وحمايتها من كل ما يمسها بأذى، وخطتنا الأخذ بالثابت عند أهل النقل الموثوق بهم ، والاهتداء بفهم الأئمة المعتمد عليهم، ودعوة المسلمين كافة إلى السنة النبوية المحمدية دون تفريق بينهم، وغايتنا أن يكون المسلمون مهتدين بهدى نبيهم فى الأقوال والأفعال والسير والأحوال حتى يكونوا للناس كما كان هو ﷺ مثالا أعلى فى الكمال»³

¹ عقيلة حسين، جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فى خدمة الحديث الشريف، مرجع سابق، ص 198 ، 199.

² عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس، مرجع سابق، ص 182.

³ جريدة السنة النبوية المحمدية، السنة الأولى، العدد 1، الإثنين 8 ذى الحجة 1351هـ، دار الغرب الإسلامى، بيروت، 2003 ، ص 8.

وكتب عبد الحميد باديس في افتتاحية العدد الأول من صحيفة السنة: « وقد زدنا من فضل الله أن أسننا هذه الصحيفة الزكية وأسميناها (السنة النبوية المحمدية) لتنتشر على الناس ما كان عليه النبي ﷺ في سيرته العظمية وسلوكه القويم وهديه العظيم الذي كان مثالا ناطقا لهدى القرآن، وتطبيقا لكل ما دعا القرآن إليه بالأقوال والأفعال والأحوال، ومما هو المثل الأعلى في الكمال والحجة الكبرى عند جميع أهل الإسلام»¹ وأضاف الشيخ ابن باديس أن صحيفة (السنة) فيها: « ما يرفع أخلاقنا من وهدة الانحطاط، ويطهر عقيدتنا من الزيغ والفساد، ويبعث عقولنا على النظر والتفكير، ويدفعنا إلى كل عمل صالح، ويربط وحدتنا برباط الأخوة واليقين، ويسير بنا في طريق واحد مستقيم، ويوجهنا وجهة واحدة في الحق والخير، ويحيي منا النفوس والههم والعزائم، ويثير كوامن الآمال، ويرفع عنا الإصر والأغلال، ويصيرنا حقا خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله»².

ولعل الأسباب الحقيقية لإصدار هذه الجريدة، هو الوقوف بحزم أمام النشاط المعادي لجمعية العلماء، الذي بدأت تطبقه وتمارسه جمعية علماء السنة المنشقة عن جمعية العلماء وبدعم من الاستعمار، منذ سبتمبر 1932، وليس: « أدل على نية حركة ابن باديس هذه، من اتخاذها اسما لها (السنة النبوية) وهو تعريض واضح لمن أطلقوا على أنفسهم علماء السنة، وهم يسيرون في ركاب الاستعمار، والذين سعوا لديه من أجل إيقافها عن الصدور، فما كان من رجال السلطة إلا أن أرسلوا شرطتهم صبيحة أول جويلية من سنة 1933 لحجز الأعداد الموجودة منها في السوق، وبالتالي توقف صدورها»³.

4 - الشريعة النبوية المحمدية

بعد توقيف الاحتلال الفرنسي جريدة (السنة النبوية المحمدية)، حاولت جمعية العلماء أن تعيد إصدارها باسم (الشريعة النبوية المحمدية) في 17 جويلية 1933، وهذه الجريدة: « لم يتغير فيها شيء عن سابقتها إلا في الشكل فقد جعلت من الآية: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾ [الجاثية: 18] شعارا لها بدلا من الآية: ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾

¹ جريدة السنة النبوية المحمدية، السنة الأولى، العدد 1، مصدر سابق، ص 1.

² المصدر نفسه، ص 1.

³ عبد الرشيد زروقة، جهاد ابن باديس، مرجع سابق، ص 183.

[الاحزاب:21]، وقد احتفظت بالمواد التي احتوت عليها والخطة التي كانت تتبعها، والكتاب الذين كانوا يحررون فصولها، وبنفس الأسلوب وبالنهج الإصلاحية نفسه. و لكن كان تعطيل هذه الجريدة بعد أمد قصير، إذ لم يصدر منها سوى سبعة عشر عددا، وقد أوقفتها الإدارة الاستعمارية في 28 أوت 1933 أي أنها لم تستمر في الحياة سوى أربعين يوما»¹.

5 - الصّراط السّويّ

بعد أن أوقف الاحتلال الفرنسي صحيفة (الشريعة النبوية المحمدية) أعادت جمعية العلماء إصدار جريدتها الثالثة باسم (الصراط السوي) في 11 سبتمبر 1933، إلا أنه: « تم توقيفها هي الأخرى من طرف الإدارة بعد ثلاثة أشهر فقط من صدورها وذلك يوم 08 جانفي 1934، وكان ابن باديس قد أكد على تصميم الجمعية على الصمود أمام العواصف الإدارية والمضي على خطتها، وغايتها والثبات على المبادئ مهما يكن من الثمن، ولكن ما إن صدر العدد 17 حتى عطل»².

المرحلة الثانية (1935 - 1956): في هذه المرحلة تم تأسيس جريدة البصائر، وكانت في البداية تصدر على شكل سلاسل، حيث قامت الجمعية بإصدار السلسلة الأولى والثانية.

السلسلة الأولى (1935 - 1939): صدر العدد الأول من جريدة البصائر من سلسلتها الأولى يوم الجمعة 27 ديسمبر 1935 م، متخذة شعارا لها الآية الكريمة: ﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ ﴾ [الأنعام:104]، لكن توقفت جريدة البصائر في سلسلتها الأولى بعدما صدر منها 180 عددا بتاريخ 25 أوت 1939 بعد اندلاع الحرب العالمية الثانية، بقرار من جمعية العلماء حتى: « لا تتعرض للضغوط والمساومات، فكان الموقف من الجمعية أقسى على السلطات الفرنسية التي كانت ترغب في استغلال الجمعية وصحافتها ضد دول المحور من جهة وتحفيز الشعب الجزائري لمساندتها في حريها، مقابل وعد كاذب هو منح الاستقلال للجزائر. ودور البصائر لم يقتصر على نشر فكرة الإصلاح الديني وحسب، بل كان من

¹ نور الدين أبو لحية، جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط 2، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 2016، ص 260.

² المرجع نفسه، ص 260، 261.

بين أهدافها الأساسية محاربة رجال الطرق والإدارة الاستعمارية والعمل على إحياء الشخصية الوطنية وربطها بالوطن العربي الإسلامي».¹

وتميزت جريدة البصائر عن الصحف السابقة بأن عمرت طويلا، وكانت بمثابة: «نور يشع وسط الظلام احتضنها المثقفون بأقلامهم فساهموا فيها بمقالاتهم ووجهوها بأفكارهم وآرائهم وبفضلها برز العديد منهم فأظهرتهم البصائر للناس، كما احتضن الشعب الجزائري جريدة البصائر رغم محنته وفقره يومها، فاشترك طلاب العلم فيها وتسبقوا على اقتنائها وساهموا في توزيعها، بل كانت تلف وترسل إلى تونس فيتلقفها طلبة الزيتونة، وقد ذاع صيت البصائر في الوطن العربي والإسلامي فنجد ذلك التواصل الذي كان بينها وبين المثقفين في عالمنا الإسلامي ومع مثيلاتها من الصحف والمجلات في العالم الإسلامي».²

السلسلة الثانية (1947 - 1956) : بدأ صدور جريدة البصائر في سلسلتها الثانية يوم 25 جويلية 1947، لأن بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية عادت المنظمات والحركات الوطنية للظهور من جديد، ومنها جمعية العلماء برئاسة العلامة محمد البشير الإبراهيمي، فأحيت: «جريدتها البصائر في سلسلة ثانية، وكانت بإشراف وإدارة رئيس الجمعية الشيخ الإبراهيمي. واستمر صدورها قرابة عشر سنين متوالية (1947 - 1956) وتوقفت في حرب التحرير الجزائرية، عندما طلبت جبهة التحرير من كل المنظمات والأحزاب والحركات الوطنية أن تتوقف وتتضم إليها فكان ذلك».³

و كانت من أبرز القضايا التي لاقت اهتمام الجريدة وشغلت الحيز الأكبر من صفحاتها: «بناء الشخصية الوطنية العربية المسلمة والتصدي لكل التيارات الهدامة التي يحاول المستعمر إغراقها فيها. كما كانت البصائر مهتمة بكل ما من شأنه ربط أواصر التضامن والاتحاد بين بلدان الوطن العربي مشرقا ومغربا، وقد تجلّى اهتمام البصائر في غاياتها المستمرة بأبناء الوطن العربي وفي الكتابة عن تطورات القضايا السياسية ولا سيما قضية فلسطين. وإلى جانب اهتمام البصائر بهذه

¹ بومعزة عبد القادر، مسيرة جريدة البصائر بين الماضي والحاضر، جريدة البصائر، العدد: 252، الاثنين 01 - 08 شعبان 1426 هـ / 05 - 12 سبتمبر 2005، ص 09.

² قدور قرناش، جريدة البصائر الكلمة الطيبة والأصل الثابت، جريدة البصائر، العدد: 685، الاثنين 27 صفر - 03 ربيع الأول 1435 هـ / 30 ديسمبر - 05 جانفي 2014، ص 12.

³ محمد خير الدين، مذكرات، ج 2، مصدر سابق، ص 93.

الجوانب من حياة الأمة الجزائرية تجد بين صفحاتها اهتمامها بالفكر والثقافة والأدب، إذ لا يكاد يخلو عدد واحد من قصيدة وهي في غالبها قصيدة تتماشى مع الأحداث»¹.

واستمرت جريدة البصائر في منهجها وفي الدعوة إلى الحق ومحاربة الطغيان ومجابهة مكائد الاستعمار وصنائه بحيث كانت: «من أقوى الجرائد في المغرب العربي والمشرق في ذلك الوقت. وبعد رحيل الشيخ محمد البشير الإبراهيمي إلى المشرق تولى الشيخ أحمد توفيق المدني رئاسة تحرير البصائر في عهدها الأخير. ولم تكن سنة 1956 سهلة ميسورة بل لاقت البصائر فيها متاعب خطيرة، واعترضت طريقها مصاعب من كل نوع، وذلك بسبب معالجتها لقضايا وطنية خطيرة، مما أدى بها إلى الاحتجاب في أواخر سنة 1956»².

ثانيا: صحافة جمعية العلماء في عهد الاستقلال

قامت الجمعية بإصدار السلسلة الثالثة والرابعة لجريدة البصائر:

السلسلة الثالثة (1992 - 1993): بعد توقف دام 36 سنة كاملة، عادت: «جريدة البصائر في سلسلتها الثالثة، وصدر العدد الأول منها يوم 18 ماي 1992، أسندت الجمعية إدارتها إلى الشيخ أحمد حماني ورئاسة تحريرها إلى كل من الشيخ عبد الرحمان شيبان وعلي المغربي. وفي الحقيقة أن جريدة البصائر في سلسلتها الثالثة غير منتظمة الصدور، فأحيانا تصدر كل 15 يوما وأحيانا تفوق هذه المدة بكثير. توقفت البصائر في سلسلتها الثالثة بعدما صدر منها 26 عددا فقط بتاريخ 10 ماي 1993»³.

السلسلة الرابعة (2000 - إلى يومنا هذا): بعد غياب دام 07 سنوات، عادت: «جريدة البصائر إلى الساحة الإعلامية، وصدر العدد الأول من السلسلة الرابعة يوم الاثنين 22 - 29 ماي 2000، وكان عدد صفحاتها 16 صفحة، أما بالنسبة للكتاب الذين شاركوا من قريب أو من بعيد في تحريرها، نذكر من بينهم: الشيخ عبد الرحمان شيبان، عبد الرزاق قسوم، محمد الهادي الحسني، محمد الصالح الصديق، والملاحظ أنه ابتداء من العدد 140 أصبحت جريدة البصائر تصدر في

¹ بومعزة عبد القادر، جريدة البصائر بين الماضي والحاضر، جريدة البصائر، العدد: 253، الاثنين 08 - 15 شعبان 1426 هـ / 12 - 19 سبتمبر 2005، ص 09.

² المصدر نفسه، ص 09.

³ المصدر نفسه، ص 09.

24 صفحة بدل 16 صفحة، كما تم استعمال الألوان الطبيعية على صفحاتها الأولى والأخيرة، كذلك استطاعت أسرة تحرير البصائر بفضل الله تعالى أن تحافظ على إصدار الجريدة أسبوعياً بانتظام¹. كما أنه ابتداء من العدد 520 تم حذف كلمة السلسلة، وأصبح يكتفي طاقم الجريدة بذكر التاريخ الهجري والميلادي والعدد والثلث والموقع الإلكتروني للجريدة والبريد الإلكتروني لها، وبداية من العدد 600 تم إضافة الموقع الإلكتروني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

وبإصدار السلسلة الرابعة لجريدة البصائر، لتؤذن في الناس حسب الشيخ عبد الرزاق قسوم بالإصلاح والمصالحة، حتى: «يلتئم الشمل ويتوحد الصف ويتحدد الهدف. وبقدر ما كانت سعادتنا بالحماس الشعبي الذي لقيناه، وبالتجاوب الجماهيري الذي أحدثناه، كانت خيبتنا في عدم ترجمة ذلك إلى عمل ملموس، وتأييد فعلي بالطاقات البشرية والفلوس. فالحواجز والعقبات التي اصطدمنا بها، وبقايات الأشواك التي تزرع في طريقنا كل يوم، إنما تترجم حجم المؤامرة علينا²».

فبينما تستفيد كل الصحف من الدعم المالي من جميع القنوات، تحرم: «جريدة في حجم اسم (البصائر) من أقل المساعدات حتى من حقها في الإشهار، وهو حق بديهي، ولم تجد الملفات والطلبات المقدمة إلى جميع المستويات مما يدل على إرادة مقصودة لتجفيف منابع والقضاء على المشروع³».

وأشار الشيخ عبد الرزاق قسوم إلى أنه يأمل أن يدرك المجتمع الجزائري: «ضخامة الدور الذي تضطلع به الجمعية في عملية نشر ثوابت الجزائر المقدسة، وليتهم يدركون قدسية الرسالة الإعلامية المنوطة بلسان الجمعية "جريدة البصائر" التي كلما خرجت إلى السوق في كل أسبوع تحقق انتصاراً، ولكن ثمة معاناة وعذاب، إن البصائر هي جمعية العلماء، وإن جمعية العلماء هي الجزائر، وإن ما نقدمه في الجمعية وفي البصائر من معاناة وعذاب لهو قرابين في سبيل حياة الإسلام والعربية والجزائر⁴».

¹ بومعزة عبد القادر، جريدة البصائر بين الماضي والحاضر، جريدة البصائر، العدد: 253، مصدر سابق، ص 09،

² عبد الرزاق قسوم، دعة حير جزائرية، (د ط)، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2013، ص 110.

³ المصدر نفسه، ص 110.

⁴ المصدر نفسه، ص 111.

ولم يتوقف إصدار الجمعية على جريدة البصائر، بل عملت على إصدار مجموعة من المجالات وهي:

— **مجلة التبيان** : هي مجلة فكرية ثقافية إصلاحية، ارتأت أن تخاطب عقول النخب والمتقنين، وتكون فضاء فكريا لهم ينشرون فيه منتوجهم العلمي. وصدر العدد الأول في شهر سبتمبر 2016. و رأى الشيخ عبدالرزاق قسوم أن مجلة التبيان ولدت: « في زخم الحراك الثقافي والصراع الفكري، وأكاد أقول الصدام الإيديولوجي، لتستهل صارخة بمبادئ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومباشرة بثوابتها، التي ستبدد بها ظلمة الليل الحالك، الذي يطبع سماء أمتنا بإشعال شمعة أو شموع بدل لعن الظلام. وتستمد تعاليمها من القرآن الكريم الذي هو دعامة ثوابتنا، وتستوحي تزانيمها من الإنسان الذي هو رأسمال قضيتنا».¹

— **مجلة الشاب المسلم**: هي مجلة ناطقة باللغة الفرنسية تدافع عن توجهات الجمعية وتنقيد بمنظومتها العقدية والفكرية. هي من الناحية التاريخية، مبادرة من نجل الشيخ البشير الإبراهيمي، أحمد طالب الإبراهيمي الذي عرض مشروعه على قادة الجمعية سنة 1952، وانطلق المشروع بإصدار العدد الأول يوم 12 جوان 1952، وجاء في افتتاحيته، أنها جريدة الشباب المسلم الجزائري، والمعبرة عن الالتحام الكائن بين الشباب المثقف ثقافة عربية والشباب المتكون بالثقافة الفرنسية، وعند: « صدورها حيّتها (المنار) فقالت إنها لسان حال شباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين باللغة الفرنسية لربط الصلة بين المثقفين بالعربية والمثقفين بالفرنسية، وتمنّت لها النجاح في خدمة التعاليم الإسلامية الخالدة»²

وكان آخر أعدادها العدد 36 والمؤرخ بتاريخ 30 جويلية 1954، حيث توقفت نهائيا. و يعود فضل إعادة بعثها بعد الاستقلال إلى الشيخ عبد الرحمن شيبان، والذي مع عودة الجمعية للنشاط الرسمي في أوائل التسعينات، واستئناف إصدار جريدة البصائر التي توقفت سنة 1956، حرص على أن تصدر أيضا جريدة الشاب المسلم، فتحققت أمنيته، وصدر العدد الأول في شهر جانفي 2011.

¹ عبد الرزاق قسوم، الافتتاحية، مجلة التبيان، العدد الأول، ذو القعدة 1437هـ / سبتمبر 2016 ، ص 01.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998، ص 198.

مجلة المقدمة: هي مجلة تصدرها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهي تنشر للباحثين والدارسين الذين يحضرون ملتقياتها العلمية ومؤتمراتها الدولية والوطنية، ومجلة المقدمة هي: «مجلة محكمة نصف سنوية تصدر عن لجنة الإعلام والثقافة التابعة لجمعية العلماء، وهي مجلة أكاديمية تعنى بالدراسات والبحوث العلمية والصادرة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين»¹

مجلة الريئة: هي مجلة فكرية ثقافية إلكترونية تصدر كل شهرين عن نادي الرقيم العلمي المُتفرع عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، تتخذ من مدينة حاسي بحبح بولاية الجلفة مقرا لها، ومجلة الريئة هي: «أول مجلة رقمية فكرية وعلمية تصدر عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، ومن نادي الرقيم العلمي الكائن بحاسي بحبح ولاية الجلفة، وفي واقع الأمر، أن الانتقال إلى الفضاء الافتراضي من خلال الاطلاع على المقالات المختلفة على الإنترنت التي تنشرها مجلة الريئة هو عمل متطور ومبادرة تستحق التشجيع»²

ثالثا: انفتاح جمعية العلماء على الإعلام الجديد

إن التطور التكنولوجي قد أحدث ثورة في مجال الاتصال، حيث انتشرت شبكة الإنترنت في كل أرجاء المعمورة، وأصبح العالم عبارة عن قرية صغيرة، وبات من السهل تعارف الأشخاص ببعضهم البعض، وتبادل الآراء والأفكار والخبرات فيما بينهم، كما أدى إلى ظهور وسائل الإعلام الجديد كالقنوات الفضائية، الهواتف النقالة، الإنترنت، وسائل التواصل الاجتماعي كالفيس بوك، وتويتر، كل هذا: « جعل الشباب ينجذبون نحوها، لأنها بكل بساطة هي وسيلة الحدائث ووسيلة التطور، أي أنها وسيلة العصر بامتياز، ولا ينكر أي عاقل هذه المزايا التي اتصف بها الإعلام الجديد، ولكن بالرغم من ذلك وجب علينا الوقوف عند منعرجات هذا التطور الحدائث الهائل، وتوضيح بعض المسالك غير الهادفة والخطيرة في آن واحد، وهذا التوضيح لا يكون إلا عن طريق تفعيل الهياكل الاجتماعية ومحاولة ربطها بمسار الشباب وميولاتهم الثقافية والاجتماعية، إذ لا يمكن أن نحجب حركة الإعلام الجديد عن شبابنا المسلم، بادعاء أنها تمثل ثقافة غير ثقافتنا،

¹ جريدة البصائر، العدد: 990، الاثنين 19 - 25 ربيع الثاني 1441 هـ / 16 - 22 ديسمبر 2019، ص 24

² Yamina Khenfri , Breve presentation sur la revue Arrabiaa, le jeune Musulman, n: 30 ,Octobre, 2018 , p: 10

ولكن الأجدر أن نجعل منها أسلوب يخدم حاجتنا وحاجات شبابنا، ولكن دائما في إطار المرجعية الإسلامية»¹.

و كان إقبال الشباب العربي ليس على استخدام الإنترنت كوسيلة اتصال فقط وإنما إقبالهم على استخدام مواقع التواصل الاجتماعي (كالفيس بوك وتويتر) وهما الأكثر انتشارا في العالم العربي، وعلى هذا الأساس أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهمية وسائل الإعلام الجديد، الأمر الذي جعلها تقوم على: «فكرة ترشيد هذا الإعلام الجديد بين أوساط الشباب، وهذا كله من أجل وضعه في خدمة الشباب من حيث التطور الفكري والمعلوماتي، لا بوضعه هو الأساس والمرتكز الحقيقي الذي يجب اتباعه، فهنا يدخل الخطر، بل عملت الجمعية على تقوية البنى الاجتماعية والثقافية والدينية للمجتمع، وإرشاد الشباب وتوعيته في ظل تحركات الإعلام الجديد، وتوطيد الثقة بين الشباب ومحيط مجتمعه وذلك في جميع الميادين، وترشيد حركة الإعلام الجديد وضبطه بين أوساط الشباب»².

ونتيجة لهذا لا يمكن لأحد أن ينكر أهمية وسائل الإعلام الجديد، ومن الصعب تجاهل النفوذ الهائل لسلطة هذا الإعلام، وقد أصبح بمثابة قوة حقيقية لإحداث التغيير في المجتمع. لهذا أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهمية هذا الإعلام، وحاولت أن تؤسس بعض المواقع الإلكترونية، وأن تفتح بعض الصفحات على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي لتبليغ خطابها الإصلاحي.

1 - المواقع الإلكترونية: إن ظهور وسائل الإعلام الجديد قد أدى إلى ظهور ما يسمى بالإعلام الإلكتروني، فأصبحت هناك الصحافة الإلكترونية المكتوبة وكذلك الإعلام الإلكتروني المرئي والمسموع. وهذا يؤكد أن الإعلام الإلكتروني هو إعلام المستقبل ومن ثم يجب الاهتمام به. لأنه

¹ عمر جمال الدين دحماني، دور المجتمع المدني في ترشيد حركة الإعلام الجديد بين أوساط الشباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا، رسالة المسجد، العدد الثاني، جمادى الأولى - جمادى الثانية 1436هـ / مارس - أبريل 2015م، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر، ص 24.

² المرجع نفسه، ص 24، 25.

استطاع أن يفرض واقعاً مختلفاً على الصعيد السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري، و يمكن القول أن الإعلام الإلكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي أصبح لها دور كبير في التأثير على الرأي العام بشكل واضح. لهذا قامت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتأسيس بعض المواقع الإلكترونية من بينها: موقع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (www.oulamadz.org)، موقع جريدة البصائر (elbassair.org)، موقع مجلة الشاب المسلم (www.lejeunemusulman.net)، مجلة الربيئة (www.arrabiaa.net)، موقع الشيخ عبدالحاميد بن باديس (binbadis.net).

2 – مواقع التواصل الاجتماعي (الفاييس بوك والتويتتر): أصبحت مواقع التواصل الاجتماعي تشكل جزءاً من الحركات الاحتجاجية ضد الأنظمة الاستبدادية وكسر احتكارها للمعلومات، كما أنها شكلت عامل ضغط على المسؤولين والحكومات من خلال اتحاد مجموعات من الأفراد حول أفكار وآراء متقاربة، وهو ما أدى إلى ثراء المجتمعات فكرياً، وانتشار وعي أفراد المجتمع بحقوقهم وواجباتهم.

وعلى الرغم من استخدام الشباب تلك المواقع في البداية للردشة وإقامة الصداقات وتفريغ الشحنات العاطفية، إلا أنه ومع مرور الوقت تطورت العلاقة بين الشباب ومواقع التواصل الاجتماعي، فبدأوا يستخدمونها في تبادل وجهات النظر والمطالبة بتحسين الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، كما أنها نجحت في نقل الأحداث لحظة بلحظة وقت وقوعها.

لهذا كان لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين صفحات على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي كالفيسبوك والتويتتر: صفحة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في الفيسبوك والتويتتر، و صفحة جريدة البصائر في الفيسبوك.

3 – اليوتيوب: هو أشهر موقع ويب إلكتروني يسمح لمستخدميه بمشاهدة الفيديوهات والتسجيلات المصورة، كما يتيح لهم خاصية الإعجاب والتعليق عليها، وهو من ضمن أكثر المواقع زيارة على مدار الساعة في عالم الإنترنت، وهذا ناتج عن فوائد اليوتيوب الكثيرة التي يقدمها الموقع بصورة غير منقطعة وخدمة نموذجية للزائر من لحظة دخوله إلى لحظة خروجه من الموقع.

و رغم أن أغلب الناس يستعملونه من أجل الترفيه، إلا أن اليوتيوب يمكن أن يكون وسيلة فعالة و أداة تعليمية و تثقيفية مفيدة في كل المجالات.

وعلى الرغم من طرح جمعية العلماء فكرة " قناة فضائية " و تحمس الكثيرين لها، لأن المادة 05 الخاصة بالوسائل من الفصل الثاني الخاص بمقاصد الجمعية ووسائلها في القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين تنص على: « إنشاء الوسائل الإعلامية المكتوبة و المسموعة والمرئية و الالكترونية ».¹ إلا أنها في هذا المجال لا تكاد تخطو خطوة إلى الأمام حتى تتوقف إن لم تتراجع إلى الوراء خطوتين. لذلك ارتأت إلى إنشاء قناة على موقع اليوتيوب، تُقدّم فيها كل ما له صلة بالجمعية من تغطية لكل نشاطاتها: ملتقيات، ندوات، أيام دراسية.

¹ القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، www.oulamadz.org.

المبحث الرابع: النوادي والجمعيات والملتقيات

لم يقتصر تبليغ خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على المسجد والمدرسة والصحافة بل تعداه إلى النوادي والجمعيات والملتقيات.

أولاً: النوادي

كانت النوادي ملتقى للشباب وهذا لتبادل الآراء ومناقشة القضايا السياسية والاجتماعية والدينية، فأول: « ما استرعى جمهرة الشبان الجزائريين خلال عقد العشرينات هو إنشاء النوادي، ومن بين أهم الأندية التي أسست خلال العشرينات نادي الترقى، حيث اتحد واجتمع أعيان مدينة الجزائر على تأسيس هذا النادي وفتحوا له محلا ضخما بساحة الحكومة في العاصمة».¹

وارتبط نادي الترقى الذي أنشأه أعيان مدينة الجزائر بالنشاط الإصلاحى فيه، وتم: « تدشين هذا النادي يوم 03 جويلية 1927، وهو من الأيام المشهودة في تاريخ مدينة الجزائر، حضره خلق كثير، وعد هذا المكسب قيمة مضافة للمدينة باعتباره منارة للتوير والهداية، لذا فمن الطبيعي أن يترك أثرا طيبا في النفوس المفعمة بالسرور، وقد انتخب محمود بن ونيش رئيسا له، بينما اختير الأستاذ أحمد توفيق المدني ليكون بمثابة الناطق الإعلامى للنادي».²

وأنشئ نادي الترقى كجمعية ثقافية، و قام كل من يحي بن مرابط و رودوسي قدور بن مراد وأحمد توفيق المدني بتحرير قانونه الأساسى، وحدد محمد العاصمى أهداف النادي العامة بقوله: « ... ولهذه الجمعية أن تفتح محلا أو عدة محلات للاجتماع، حتى يمكن لأعضائها أن يتقابلوا ويتذاكروا ويتعلموا، ولها أن تنظم دروسا وتقوم بمحاضرات ومسامرات وتمنح للتلامذة إعانات لإتمام تعليمهم وتنتشر نشریات... الخ، وتنشئ محل استرشادات قانونية ومحل عيادات طبية مجاناً

¹ عبد الكريم بالصفصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945 ، مرجع سابق، ص 150.

² محمد أرزقي فراد، نادي الترقى يستغيث، جريدة البصائر، العدد: 710، الاثنين 25 شعبان 01 رمضان 1435 هـ/ 23 - 29 جوان 2014، ص 15.

للفقراء والمحتاجين، ولها زيادة على ذلك أن تنشئ بإعانة السلطة الإدارية وتحت رعايتها كل مشروع اقتصادي أو اجتماعي يوصلها إلى مقصدها».¹

وأصبح نادي الترقى مركزا للاحتفالات والمحاضرات، وكان ابن باديس يلقي فيه المحاضرات كلما زار العاصمة، و لهذا اعتبر هذا النادي: « أول نشاط إيجابي لتحقيق وحدة الفكر الجزائري، ففي هذا النادي وضعت البذرة الصالحة للنهضة الجزائرية لكي تخرج إلى حيز التنفيذ، وكانت جمعية العلماء تعتبر النوادي العربية الإسلامية همزة وصل بين المدرسة والمسجد، لأن هناك أعدادا هائلة من الشباب الجزائريين لم تجد الجمعية أية وسيلة لتبليغهم المبادئ الإسلامية والثقافة العربية إلا في تلك النوادي».²

و اتخذ جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نادي الترقى مقرا لها، لما يقوم به في نشر رسالة الإصلاح. ولعل القرارات الإدارية التي كانت تصدرها سلطة الاحتلال بمنع العلماء من إلقاء الخطب والمحاضرات في المساجد وإغلاق المدارس التابعة للجمعية، كان له أهميته القصوى في: « توجيه العلماء والمتقنين نحو هذه النوادي لتوجيه الشباب وتنقيفه، لأنها أضحت هي الوحيدة لربط الصلة بين المصلحين وعامة الشعب، فإذا كانت جرائد الجمعية تحجز، والمدارس والمساجد تغلق في وجوه المدرسين والعلماء، ففي أي ميدان يلتقي زعماء الإصلاح وعلماء الأمة لتوعية وتوجيه رجل الشارع والمزرعة والورشة ؟ إذن لم يبق هناك أي محل يؤدي هذه الرسالة إلا النوادي التي تلقى فيها المحاضرات والدروس وتأسيس الجمعيات ورسم الخطط لمصلحة الشعب».³

وتعتبر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين النوادي التي كانت تنشئها في مختلف المدن والقرى الجزائرية جنبا إلى جنب مع المساجد والمدارس، بمثابة: « وسطا بين المدرسة والجامع لأن طبقات الأمة ثلاث: صغار تضمهم المدارس الابتدائية وكبار تجمعهم المساجد، وشباب تتخطفهم الأزقة وأماكن الخمر والفجور. فإذا أرادت الجمعية أن تقوم بواجبها الديني معهم لم تجدهم لا في

¹ محمد أرزقي فراد، نادي الترقى يستغيث، جريدة البصائر، العدد: 710، مصدر سابق، ص 15.

² عبد الكريم بوالصفا، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، مرجع سابق، ص 150 - 151.

³ المرجع نفسه، ص 153.

المساجد، ولا في المدارس، لذلك لا تجد الجمعية وسيلة لتبليغهم دعوة الدين والعلم إلا في النوادي»¹.

و وجهت جمعية العلماء اهتمامها وعنايتها من خلال النوادي إلى تربية الشباب، وكانت تعمل على تنظيمهم في منظمات كالشافة والجمعيات الرياضية والثقافية والفنية، بقصد: «ربطهم في شبكة محكمة من العلاقات الاجتماعية والدينية والوطنية من أجل تحقيق الأغراض الآتية: تربية الشباب تربية عربية إسلامية حتى لا يجرفهم تيار الفرنسة والتغريب الذي كان يهدد الوطن الجزائري، واستغلال طاقات الشباب المتدفقة استغلالا ناجعا فيما يعود عليهم وعلى الأمة والوطن بالنعف والفائدة . وحماية الشباب من عوامل الانحراف السياسي والفساد الخلقي والانحلال الديني خصوصا في مرحلة المراهقة»².

ولم يقتصر نشاط جمعية العلماء على إصلاح أحوال الجزائريين في الداخل، بل امتد إلى الجزائريين المقيمين في فرنسا لربطهم بلغتهم العربية ودينهم الإسلامي، لهذا قامت الجمعية هناك بتأسيس الكثير من النوادي، و هي تتوفر على: «قاعة للصلاة ومدرسة لتعليم الدين وتدرسي العربية والتاريخ الإسلامي، الجغرافيا، الأناشيد الدينية، المسرح، الرياضة، وتقدم النوادي الوجبات الشرقية من شاي وحلوى بأثمان زهيدة، وكان الغرض من هذا جذب المسلمين وإبعادهم عن المقاهي وأماكن اللهو والترفيه المنتشرة في المدن الفرنسية الكبرى»³.

وكانت هذه النوادي بمثابة مراكز لالتقاء العمال الجزائريين والطلبة العرب الوافدين إلى فرنسا للدراسة، و شارك بعضهم في أنشطتها التربوية والثقافية أمثال الشيخ الأزهرى محمد عبدالله دراز، عبد الحليم محمود، محمود قاسم، مالك بن نبي، محمد المبارك، يقول هذا الأخير الذي جاء من دمشق إلى باريس لتحضير شهادة الدكتوراه في الحقوق بجامعة السوربون: «حضرت كثيرا من اجتماعاتها (النوادي) في باريس حينما كنت طالبا في جامعتها ما بين 1935 و 1938 وكان عدد هذه النوادي التي يتسع كل منها لآلاف من المستمعين ثمانية وكان الخطباء يتمتعون بحرية الكلام

¹ تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 223.

² المرجع نفسه، ص 223، 224.

³ مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صوت الإسلام في فرنسا، جريدة البصائر، العدد: 703، الاثنين 05 - 11 رجب 1435 هـ / 05 - 11 ماي 2014، ص 12.

ومهاجمة الاستعمار وبث روح الاستقلال لا يتمتعون بمثلها في الجزائر، وكان من قادة هذه الحركة في باريس يومئذ الشيخ الفضيل الورتلاني والشيخ سعيد صالح... وبلغت قوة الحركة أن البائعين المتجولين في باريس من الجزائريين والعمال الأميين كانوا يحدثوننا بحماسة عن حركة الإصلاح هذه».¹

ثانياً: الجمعيات

أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهمية المشاركة في الحركة الجمعوية، إيماناً منها أن هذه الحركة هي بمثابة إطار منظم يساعد كل فئات الشعب الجزائري على العمل والمساهمة في خدمة وطنهم. ولهذا ارتأت الجمعية أن تشارك في جميع المجالات، وكان من هذه المجالات "جمعية طلبة شمال إفريقيا" التي تأسست عام 1928 في باريس. و عقد الاجتماع الثاني لهذه الجمعية في الجزائر في الفترة من 25 إلى 29 أوت 1932 بنادي الترقى، وترأسه فرحات عباس وحضر من العلماء الطيب العقبي، وجاءت توصيات المؤتمر: «منسجمة مع أهداف جمعية العلماء حيث نادى المؤتمر بجعل اللغة العربية رسمية في مواد امتحان الشهادة الابتدائية، وطالب بزيادة عدد المدرسين في المساجد، وحث الأمة على فتح المدارس العربية الحرة، وطلب المؤتمرون من جمعية العلماء وضع برنامج علمي للمدارس الابتدائية الأهلية والمعاهد الحرة الثانوية».²

كما بادر الشيخ ابن باديس إلى تأسيس "جمعية التربية والتعليم الإسلامية" سنة 1930م بقسنطينة، وهي أول جمعية إسلامية تعنى بالتربية والتعليم، وتعمل على: «نشر الأخلاق الفاضلة والمعارف العربية والفرنسية، وتعليم أبناء المسلمين الذين لم يتمكنوا من الالتحاق بالمدارس الحكومية، وتأسيس ملجأ لإيواء اليتامى الذين تترصد بهم البعثات التنصيرية لاحتوائهم وإبعادهم عن دينهم، وتأسيس معمل للصنائع يتدرب فيه الطلبة على مختلف الحرف. كما عازمت الجمعية على فتح قسم خاص لتعليم البنات وتربيتهن التربية الإسلامية الصحيحة».³

¹ مولود عويمر، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صوت الإسلام في فرنسا، جريدة البصائر، العدد: 703، مصدر سابق، ص 12.

² مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 162، 163.

³ مصطفى محمد حميداتو، عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، مرجع سابق، ص 90، 91، 92.

و قامت جمعية العلماء كذلك بتأسيس "جمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين" عام 1934 بتونس، وأشرف على تكوين مجلسها الإداري الشيخ البشير الإبراهيمي، ومن أهدافها: «تقوية الروابط بين الطلبة الجزائريين في تونس، ومساعدة الفقراء المحتاجين منهم، وكذلك الإشراف على سير هؤلاء الطلبة من النواحي العلمية والأخلاقية».¹

و أخذت هذه الجمعية تعمل من خلال مجالها في التربية والتعليم، على: «توعية الناشئة وتكوينها تكويناً حديثاً يتماشى مع تطورات العصر، كما تسهر على إقامة الحفلات الأدبية في المناسبات المختلفة، وتنظيم المحاضرات التي يلقيها من حين لآخر بعض رجال العلم والأدب بالقطر التونسي، كما كانت تشارك في أغلب الحركات التي كان يقودها الشباب في مختلف الميادين».²

ومما يؤكد وجود ارتباط كبير لجمعية الطلبة الجزائريين التونسيين بجمعية العلماء رسالة بعثها الكاتب العام لجمعية الطلبة إلى جريدة (البصائر) يذكر فيها: «أن الطلبة الجزائريين في تونس لم يتجاوزوا الخمسين طالبا قبل تأسيس جمعية العلماء وارتفع هذا العدد حتى بلغ ما يقارب المائتين مما يدل على أن أعمال الجمعية بدأت تؤتي ثمارها، كما يطلب في رسالته من جمعية العلماء أن تزيد اهتمامها بالطلبة الجزائريين في تونس لأن الطلبة هم مادتها الأولية وناصروها الأوفياء».³

كما اهتم الشيخ ابن باديس بالجانب التجاري والاقتصادي، حيث سعى إلى تأسيس جمعية تجار قسنطينة عام 1934، وذلك للقضاء على احتكار المستوطنين واليهود للتجارة والصناعة والزراعة، بالإضافة إلى أن جمعية العلماء قامت بتأسيس بعض الجمعيات الفنية والرياضية ومنها "جمعية الشباب الفني" التي تأسست عام 1936، من أجل إحياء الفن الموسيقي العربي والفن التمثيلي، وكان الشيخ عبد الحميد بن باديس رئيسها الشرفي، ومن نشاطها التمثيلي «الدعوة إلى الأخلاق

¹ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، 2011، ص 167.

² عبد الكريم بو الصمصاف، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، مرجع سابق، ص 320.

³ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 167.

العالية وكبح شهوات النفس وتجنب الأمراض الفتاكة كالخمر والميسر والقمار والتزوج بالأجنبيات»¹.

وقدمت جمعية الشباب الفني سنة 1940 مسرحية (الدكتاتور أو المستبد) على مسرح قسنطينة، ويبدو أن: «موضوعها كان يتناول استبداد الإدارة الفرنسية في الجزائر بالتلميح، كما يتناول في الظاهر الاستبداد النازي في المانيا والعالم، ومن ثمة فالمسرحية كانت من وحي الاستعمار والحرب»².

و اهتمت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كذلك بتأسيس الفرق الكشفية الجزائرية، حيث انتشرت: «الحركة الكشفية في جميع أرجاء الجزائر ولا أدل على اهتمام ابن باديس بالكشافة من تخليد ذكر فوجي "الرجاء" و"الصباح" في نشيده المعروف الذي مطلعته: شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب، حيث يقول موريا: يا نشيء أنت رجاؤنا وبك الصباح قد اقترب، لأن هناك معنى بعيدا يرمي إليه ابن باديس أكثر من مجرد الفوجين والذي قد يكون التطلع إلى معركة التحرير»³.

ثالثا: الملتقيات

في الحقيقة أن اهتمام جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بتنظيم الملتقيات والندوات هو بهدف: «إعداد أجيال من العلماء والباحثين والدعاة إعدادا ميدانيا يسهم في تطوير وتحسين الأداء العلمي والدعوي والإيماني، بث الثقافة الإسلامية الإيمانية الإيجابية في النفوس، تقرب العلماء والدعاة والأساتذة من بعضهم ودعوتهم إلى أداء أدوارهم الكبيرة في صناعة الأمل ونشر الفضائل ونصرة الدين والقيم، تصويب المشهد الثقافي والفكري في بلادنا من حيث وجوب تجاوز مفهوم الثقافة الذي يعني مهرجانات الغناء والرقص والذي تكرسه بعض الجهات حتى الحكومية منها، تعويد المواطنين على البذل والتضحية والعمل الجاد وهو ما يتحقق بتعاون أهل الخير والمال»⁴.

¹ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 168.

² أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، مرجع سابق، ص 319.

³ مازن صلاح حامد مطبقاني، جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مرجع سابق، ص 166، 167.

⁴ حسن خليفة، ملتقيات الجمعية.. هذه الحسنة السائرة، جريدة البصائر، العدد: 810، الاثنين 23 - 29 شعبان 1437 هـ / 30 ماي 05 جوان 2016، ص 02.

كما أن اهتمام جمعية العلماء بتنظيم مثل هذه الملتقيات الدولية أو الوطنية وإعادة إحيائها، قد أعاد إلى الساحة النقاش الحقيقي و الحوار الجاد، لأنه في غياب النقاش والحوار من شأنه أن: « يفقد المجتمع بوصلته بالضرورة، لأنه إذا لم يهتد إلى ساحات الحوار والنقاش والمبادرات وحتى الجدل، فهو إما ينكفي على نفسه، وهنا تظهر الذاتية بأشع صورها ومظاهرها القاتلة، أو ييأس من الواقع الذي يعيش فيه، لأنه يشعر بالمشكلة والأزمة، ولكنه لا يرى بذور التخلص منها، فيشعر بضرورة التخلص من نفسه أو التخلص من محيطه، ونماذج ذلك التطرف الصدامي الحاد، وظاهرة الحرقة وظاهرة الانتحار التي لم يعرفها المجتمع الإسلامي في عصر من عصوره إلا عندما فقد جذوة الإيمان وفاعليته»¹.

1 - الملتقيات الدولية: دأبت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على تنظيم الملتقيات الدولية كالملتقى الدولي للشيخين، وتحرص على إنجاحه، وغايتها من وراء ذلك التعريف بعلماء الأمة وبتراثهم، و الوقوف على مواطن القوة في هذا التراث، عسى أن تجد فيه بحق ما يمكن أن تستفيد منه الأجيال اليوم. بالإضافة إلى تنظيم ملتقيات دولية أخرى ناقشت فيها موضوعات مثل "الهوية" و "المرجعية" و "القيم" والقضية الأساسية "فلسطين"

- الملتقى الدولي الأول للشيخين (عبد الحميد بن باديس ومحمد البشير الإبراهيمي):

نظم تحت شعار: (من التغيير إلى التحرير). وهدف الملتقى كان إظهار الثورة العلمية التي أحدثها ابن باديس والإبراهيمي في عملية التربية والتعليم تنظيرا وممارسة وتنظيما وتوجيها لتكوين رجال قادرين على مقاومة الاحتلال، قال الشيخ عبدالرزاق قسوم: « إذا كان عهد الإمام عبدالحميد بن باديس قد تميز بالبناء والتأسيس، وذلك ببناء المدارس والنوادي في الحواضر والبوادي، وتأسيس الجمعيات والمؤسسات والعناية بالبنين والبنات وكل الفئات، فإن عهد الإمام البشير الإبراهيمي قد

¹ التهامي مجوري، البعد الإصلاحى لفلسفة الملتقيات في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، جريدة البصائر، العدد: 895، الاثنين 11 - 17 جمادى الأولى 1439 هـ / 29 جانفي - 04 فيفري 2018، ص 02.

اتسم بالامتداد والإعلاء للبناء، وبالانتقال من التأسيس إلى فلسفة التسييس، فقد أعطى للإصلاح أبعاداً هي الإعداد للكفاح ومنازلة العدو بالإعلام في البطاح، وفتح عقول الناس لمرحلة السلاح»¹.

– الملتقى الدولي الثاني للشيخين (العربي التبسي و أبي إسحاق إبراهيم أطفيش):

نظم تحت شعار: (الوفاء من علماء الخلف لعلماء السلف)، ويعنوان: (العلماء وقضايا الأمة)، وقد تمحور موضوع الملتقى حول دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والعلماء في النهوض بالأمة، واتباع نهج السلف من العلماء والمفكرين، من خلال اختيار حياة وأعمال وأفكار العلماء ومنهم الشيخين العالمين الشهيد العربي التبسي والمجاهد إبراهيم أبو إسحاق أطفيش كنموذج يقتدى بهما، وبمناسبة انعقاد هذا الملتقى، قال الشيخ عبدالرزاق قسوم: «كان لا بد من ربط الجيل الصاعد بعلمائه، الماهدين، وإبراز النموذجية في جهادهم وتضحياتهم، وكم يحتاج جيلنا الصاعد في جو معاناته في مرحلة الفسخ والمسح، والسلم، ليستيقظ من سباته ويعود إلى ذاته... وأن العلم الفصيح، والتدين الصحيح، وحب الوطن الصريح، ينأى بصاحبه عن كل عرقية حمقاء، وجهوية خرقاء، ومنهجية عمياء، وعصبية بلهاء، لينخرط كلية في عملية النهوض بوطنه، في شمولية لا مجال فيها للتحزبية، ولا للحمية الجاهلية»².

– الملتقى الدولي الثالث للشيخين (محمد بن يوسف السنوسي ومحمد بن علي السنوسي):

نظم تحت شعار: (نتجدد ولا نتبدد)، ويعنوان: (الحركة التجديدية الإسلامية في الجزائر) وقد تطرق الملتقى إلى الحديث عن التجديد الإسلامي من خلال قراءة واعية لفكر الإمامين السنوسيين، تفضي إلى الوقوف على عناصر القوة التي مكّنت كليهما من أن يكون له التأثير الإيجابي في تحريك عجلة المجتمع نحو الأمل، إضافة إلى إبراز دور حركة التجديد الإسلامي، والتحسيس بضرورة إحياء المنهج التجديدي وقراءة واقع الأمة ضمن تصور تجديدي، إلى جانب التعريف بالعلماء وما تركوه من تراث علمي كبير، ورأى الشيخ عبدالرزاق قسوم أن هذه السنة التي

¹ عبد الرزاق قسوم، كلمة رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ملتقى الشيخين، جريدة البصائر، العدد: 755، الاثنين 22 - 28 رجب 1436 هـ / 11 - 17 ماي 2015، ص 11.

² عبدالرزاق قسوم، الجو العلمي الأريج في ملتقى برج بوعريريج، جريدة البصائر، العدد: 809، الاثنين 16 - 22 شعبان 1437 هـ / 23 - 29 ماي 2016، ص 03.

دأبت عليها جمعية العلماء، لهي سنة تمثل إحياء لقيمة الوفاء للعلماء، الذين أضاءوا منهج السلف، ليصبح نورا يهتدي به الخلف، حيث قال: « كم تحتاج أمتنا اليوم لمنهج الشيخين للقضاء على تيارين تعاني منهما أمتنا، وهما تيار الغلو والتشدد والتقطع، وهو تيار أجنبي ينفث خطابا دخيلا على عقيدتنا، يضيق واسعاً، ويمنع مباحاً، ويكفر مخالفاً. والتيار الآخر الذي تعاني منه أمتنا بنفس الخطورة، هو تيار مضاد ومعاكس، إنه تيار التسبب والانحلال والدوس على القيم، إنه التيار المنسلب الذي اتخذ إلهه هواه، فهو لا يستند إلى علم، ولا يعتمد على مرجعية، ولا يقتدي بإمام، إنه كشجرة في مهب الريح تميل حينما مالت أهواؤه وأطماعه ».¹

- ملتقى دولي (التكامل التربوي وأثره الإيجابي في الإصلاح الحضاري) :

تطرق الملتقى إلى طرح مسألة هامة جدا تتعلق بمجالات التكامل التربوي التي تحقق الشخصية الإسلامية الإنسانية الخيرة والدور المحوري لمؤسسة الأسرة باعتبارها مفتاح تشغيل الإصلاح التربوي والتغيير الاجتماعي الحضاري، والتكامل التربوي في المشروع التعليمي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حيث يرى الشيخ ابن باديس أن: « من أهداف التربية كمال الحياة الفردية والاجتماعية وبالتالي بناء الشخصية المتكاملة، التي تبنى على الجوانب الأخلاقية والعقلية والعملية والعضوية، فالكمال الإنساني متوقف على قوة العلم، وقوة الإرادة، وقوة العمل، فهي أسس الخلق الكريم والسلوك الحميد، إن حياة الأفراد والأمم الناجحة مبنية ومتوقفة على الإرادة والفكر والعمل ».²

- ملتقى دولي (الحداثة وما بعد الحداثة وصناعة الإنسان - جدلية النور والتنوير) :

تطرق الملتقى إلى الحداثة الغربية و الحداثة العربية وعلى الرؤية الإسلامية للحداثة الغربية والعربية ، وعلى النقد الحداثي للتراث والحركة الإسلامية، وتفكيك إشكالية الصراع الفكري و أسس النهضة الفكرية في العالم العربي، وكيفية إرساء أسس علمية أخلاقية للنقد و الحوار بين المشاريع

¹ عبدالرزاق قسوم، الشيخان السنوسيان في ملتقى تلمسان، جريدة البصائر، العدد: 894، الاثنين 04 - 10 جمادى الأولى 1439 هـ/ 22 - 28 جانفي 2018، ص 03.

² كمال بن عطاء الله، رؤية ابن باديس للمنهج التربوي، جريدة البصائر، العدد: 815، الاثنين 06 - 12 شوال 1437 هـ/ 11 - 17 جويلية 2016، ص 18.

الفكرية في العالم العربي تحت شعار: (نفهم لنتفاهم)، وقد كان الهدف من تنظيم هذا الملتقى: « تصحيح المفاهيم وتخليص الكثير منها مما علق ويعلق بها من القراءات والتلقّيات المختلفة، تعزيز دور الباحثين والباحثات المسلمين والمسلمات من ذوي الالتزام والرسالية على بذل المزيد من الجهود الفكرية، للتصدي للكثير من الأفكار والتيارات والمفاهيم التي تحتاج إلى تمحيص ودراسة وبحث، توجيه العناية إلى الأجيال الجديدة من الطلاب والطالبات والمهتمين إلى أهمية إنشاء جهاز المفاهيم القيمة الذي يستند إلى المصادر الأساسية في نظامنا الإسلامي الرائع، الإصلاح الفكري، فالفكر هو الذي يصنع التوجه، ويدفع إلى السلوك وفق القناعات التي رسخت »¹.

– ملتقى دولي (تفعيل العقيدة الإسلامية في الاستنهاض الحضاري): حاول الملتقى إيجاد حلول لإشكالية تطرح نفسها بحدة في الأمة الإسلامية " السبيل لتفعيل العقيدة الإسلامية "، فالعقيدة الإسلامية ساهمت في وقت سابق في تكوين أمة عظيمة أضحت في الوقت الراهن تعيش حالة من التقهقر، مما يستجوب إعادة تفعيل تلك العقيدة من خلال وضع آليات كفيلة بالنهوض بالأمة. وفي هذا الصدد يقول الشيخ عبد الرزاق قسوم: « إن المتأمل في الخطاب الإسلامي اليوم، وهو يتفاعل مع ظاهرة السقوط ومحاولة النهوض، لينتهي إلى مجموعة من المعطيات، التي انتهى إليها فقهاء العقيدة المتخصصين في النهوض الحضاري، والحاملين لها جس السقوط، فهم يكادون يجمعون في تشخيصهم للداء على أن أهم أسباب ما نحن فيه من سقوط يمكن أن يتلخص في الفئات التالية: طغمة الغلاة، وطغمة البغاة، وطغمة الغزاة، وطغمة الطغاة. وبإخضاعنا لأسباب التآزم هذه، نجد أن المفتاح المفقود في كل هذا التآزم إنما هو العقيدة، فعدم الفهم الصحيح للعقيدة، وعدم التطبيق الأصح لها هو المقدمة الخاطئة للنتائج الفاسدة»².

– ملتقى القدس الدولي (واقع القدس والمسجد الأقصى ومستقبل الصراع): كان الشيخ عبد الحميد بن باديس حريصا على الدفاع عن قضية العرب والمسلمين الأولى قضية فلسطين، كما أن علماء الجمعية قد سخرروا أعلامهم وجندوا أنفسهم للدفاع عن قضية فلسطين، وكتبوا وأرشدوا

¹ حسن خليفة، جمعية العلماء وما بعد الحداثة، جريدة البصائر، العدد: 858، الاثنين 18 - 24 شعبان 1438 هـ / 15 - 21 ماي 2017، ص 14.

² عبد الرزاق قسوم، ملتقى قسنطينة الدولي لتفعيل العقيدة الإسلامية في الاستنهاض الحضاري، جريدة البصائر، العدد: 887، الاثنين 15 - 21 ربيع الأول 1439 هـ / 04 - 10 ديسمبر 2017، ص 03.

الرأي العام إلى الاهتمام بها، وتعميق صلة الجزائريين بالقدس والمسجد الأقصى، كما نبهوا مبكرا إلى الأطماع الصهيونية وبيّنوا مؤامرات تقسيم فلسطين، وساهموا في جمع المساعدات لإعانة الفلسطينيين، وقضية القدس هي: « القضية التي نتوحد حولها جميعا، فهي في عقيدتنا كمكة، فالقدس قبلتنا الأولى، ومكة قبلتنا الثانية، ومكة هي مهبط الوحي من السماء، والقدس هي صعود الوحي إلى السماء، والقدس عاصمتنا السياسية والدينية لأنها رمز فلسطين ورمز المتدينين من مسلمين ومسيحيين»¹

وبالرغم من تأمر المجتمع الدولي ووقوفه مع المحتل الإسرائيلي، إلا أن هناك عدة عوامل يمكن أن تتضافر فيما بينها لنصرة المسجد الأقصى، وجعل القضية الفلسطينية حيّة في قلوب المسلمين، بدلا من أن تكون هبات وقتية لظرف معين، والتضامن مع الفلسطينيين ونصرة القدس يحتاج إلى: « بصر جيد وفهم دقيق للأوضاع والسياقات الراهنة إقليميا ودوليا، ومقتضى هذا التعمق في فهم الواقع فضلا عن التعمق في فهم الدين، وأن الصراع في أساسه هو صراع ديني في الأساس، ولا يمكن إيجاد حل للقضية إلا بالدين عاجلا أو آجلا. و مقتضى الصراع يستوجب العمل باستراتيجية طويلة الأمد طويلة النفس، تنطلق بالعناية بالنشء منذ نعومة أظافرهم، فجيل استعادة المقدسات لا يمكن أن يكون جيلا مهزوما في نفسيته وعقليته ومعارفه، وفوق ذلك لا يمكن أن يكون جيلا ضعيفا»².

2 - الملتقيات الوطنية : نظمت جمعية العلماء ملتقيات وطنية وندوات فكرية وعلمية ناقشت فيها الكثير من المسائل مثل: قضية الهوية والمرجعية و قضية المنظومة التربوية والأسرة والشباب والطفولة والآفات الاجتماعية ، وقضية فلسطين.

– ملتقى وطني (الهوية والمرجعية في ظل التحديات المعاصرة): أوصى الملتقى بضرورة صون الهوية الوطنية والمرجعية الدينية والمحافظة عليها، بالإضافة إلى ضرورة توافق الجزائريين على الهوية والمرجعية، وعدم السماح بالتشويش على هوية ومرجعية الجزائريين. ولعل من أسباب

¹ عبدالرزاق قسوم، ملتقى القدس الدولي ، جريدة البصائر، العدد: 896، الاثنين 18 - 24 جمادى الأولى 1439 هـ / 05 - 11 فيفري 2014، ص 12.

² حسن خليفة، الأقصى وكيف ننصره ، جريدة البصائر، العدد: 896، الاثنين 18 - 24 جمادى الأولى 1439 هـ / 05 - 11 فيفري 2014، ص 11 .

اهتمام جمعية العلماء بقضية المرجعية، هو: « ملاحظة التشتت في المجتمع بين مختلف روافد الفكر البشري والإنساني في المواقف من المسألة الواحدة، ولجوء أبناء الوطن الواحد إلى استفتاء جهات متعددة، قد لا تستوعب حاجات واهتمامات المجتمع الجزائري، بل قد لا تحيط علما بأعرافه وذهنيات أفرادها، فعوض أن يكون التدين سببا في توحيد المجتمع أصبح بفعل اختلاف المرجعيات مشتتة». ¹

— **ملتقى وطني (دور المرجعية الفقهية في الحفاظ على التماسك الاجتماعي):** تطرق الملتقى إلى أهمية المرجعية والحفاظ عليها، لأنها حماية لطمأنينة المجتمع ووحدته، والتركيز على قضية المرجعية والاهتمام بها، حسب جمعية العلماء: « لا يعني مصادرة العقل عن التفكير ولا اللسان عن التعبير، فالثابت ثابت والمتغير متغير، وغايتنا ألا تغزو أمتنا أفكار تمزقها، فالاختلاف موجود لكن ينبغي أن يكون اختلاف تنوع وثراء لا اختلاف تناطح وتطاحن، وإذا رأيت مجتمعا مستقرا، فاعلم بأن أفراد هذا المجتمع يشتركون في كثير من الأفكار والسلوكات، وعندما تغيب المرجعية تخلو الساحة لكل جاهل ناعق». ²

— **ملتقى وطني (المنظومة التربوية ومقومات الهوية الوطنية):** تطرق الملتقى إلى الحديث عن اللغة باعتبارها قضية مركزية في حياة الإنسان، وهي أساس قوي للوحدة بين أجزاء الوطن العربي، ولقد لعبت دورا أساسيا كوسيلة لنشر المعارف وآلة للتفكير، كما أشار لمكانة ودور العلوم الإسلامية في المنظومة التربوية باعتبارها الطريق الذي يسلكه المجتمع للوصول إلى العلم، فهي جزء من الهوية الوطنية، وهي مادة استراتيجية تعد من المقومات الأساسية للشخصية الوطنية، إذ أن العلوم الإسلامية تستهدف في برامجها وأهدافها وغاياتها تكوين الشخصية الإنسانية المتوازنة في جوانبها الروحية والمادية في وقت واحد، إضافة إلى أن لهذه المادة دور أساسي في مواجهة مشاريع الفساد والتطرف الإيديولوجي والثقافي والاجتماعي، إضافة إلى أشكال الغزو الحضاري الذي يستهدف مسح الشخصية الوطنية ومحو الهوية الوطنية، كما تم التطرق في الملتقى للتاريخ ومكانته في المنظومة التربوية، فالتاريخ هو رائد الهوية والسبيل لتكوين وتنشئة الجيل. وقد أشار

¹ عمار جبدل، الهوية والمرجعية في ظل التحديات المعاصرة، جريدة البصائر، العدد: 777، الاثنين 28 ذو الحجة 1436هـ - 04 محرم 1437هـ / 12 - 18 أكتوبر 2015، ص 15.

² بن يونس آيت سالم، دور المرجعية الفقهية في الحفاظ على التماسك الاجتماعي، جريدة البصائر، العدد: 909، الاثنين 21 - 27 شعبان 1439هـ / 07 - 13 ماي 2018، ص 07.

الشيخ عبدالرزاق قسوم من خلال هذا الملتقى إلى أننا: « نتوق إلى المنظومة التربوية التي تستجيب لتطلعات شعبنا في صنع المجتمع الأنبل والغد الأفضل الذي فيه يجد كل مواطن وكل مواطنة ما يصبو إليه من آمال وما يتطلب من أعمال في بلادنا، كانت المنظومة التربوية ومنذ عهد ابن باديس ولا تزال تتوق إلى البحث عن صياغة لها تستوحي مقوماتها من أصالتنا وهويتنا، مع الاستعانة بكل ما هو مفيد من تجارب الأمم الحية، مما لا يتناقض مع ثوابتنا العقدية والوطنية والإنسانية»¹.

— ملتقى وطني (الأسرة والطفولة والشباب): نظم هذا الملتقى تحت شعار " نحو مسؤولية تربوية أصيلة وسليمة". وهذا إدراكا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين لأهمية الموضوع وخطورته، إيماننا منها أن التركيز على قضايا الأسرة والطفولة والشباب، من شأنه أن يؤدي إلى تحقيق التنمية الشاملة، حيث تمثل الأسرة بالنسبة لجمعية العلماء: « الخلية الأولى لبناء المجتمع، كما تمثل المرأة العمود الفقري في هيكل المجتمع لهوضها بوظيفتها الطبيعية المزدوجة، الوظيفة التربوية (أما) والوظيفة الاجتماعية (زوجة) ، فهي أم تنهض بمهمة تربية الأولاد على مبادئ دينهم وتعاليمه وقيمه، وهي زوجة صالحة تقوم بشؤون زوجها، ترعى مصالحه وتحفظه في عرضه وفي أولاده وفي ماله وتحرص على ما يريح باله ويسعد حاله، ومن ثم فإن من نهض بالمرأة والأسرة في ضوء قيم الأمة ومقوماتها، يكون قد نهض بأمتة على المنهج السوي والصراف المستقيم، ومن قصر بهذا الواجب، فقد أخل بمسؤوليته نحو مجتمعه ونحو وطنه»².

— ملتقى وطني (الشباب ودوره الحضاري في نهضة الأمة): نظم الملتقى تحت شعار " يا شباب الجزائر هكذا كونوا أو لا تكونوا " ترى جمعية العلماء أن تربية وتوجيه الشباب تقع على عاتق الجميع لأنها قضية إنسانية يجب أن يساهم فيها كل من له علاقة بشكل أو بآخر بالشباب، ومن أجل إرشادهم وتمكينهم من تحقيق ذواتهم لابد من الاطلاع الكافي على مشاكل الشباب وظروفهم، وذلك لأجل تنمية طاقاتهم وإيصالها إلى المستوى اللائق للمشاركة في إدارة أمور

¹ عبد الرزاق قسوم، المنظومة التربوية برؤية استشرافية للفوز بالحاضر والمستقبل ، جريدة البصائر، العدد: 812، الاثنين 07 - 13 رمضان 1437 هـ / 13 - 19 جوان 2016، ص 20.

² محمد بن سميحة، قضية المرأة في منظومة الفكر الباديسي ، جريدة البصائر، العدد: 208، الاثنين 19 - 26 شعبان 1425 هـ / 04 - 11 أكتوبر 2004، ص 15.

المجتمع. وعن الشباب ودوره في نهضة الأمة، يقول الشيخ محمد البشير الإبراهيمي موجهًا كلامه للشباب الجزائري: « أتمثله بانيا للوطنية على خمس، كما بني الدين قبلها على خمس: السباب آفة الشباب، واليأس مفسد للبأس، والآمال لا تدرك بغير الأعمال، والخيال أوله لذة وآخره خبال، والأوطان لا تخدم باتباع خطوات الشيطان، يا شباب الجزائر، هكذا كونوا أو لا تكونوا ».¹

— ملتقى وطني (المنهج التربوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في محاربة الآفات الاجتماعية – المخدرات أنموذجا –): تناول الملتقى دور الجمعية ومنهجها التربوي في معالجة ومحاربة الآفات الاجتماعية عموما والمخدرات خصوصا، و تم الحديث عن الاستراتيجية التي تبنتها الجمعية تاريخيا في تربية وتكوين الفرد، بداية من التعليم إلى التنشئة الصحيحة المنطلقة أساسا من القيم الحضارية الإنسانية، و التي نادى بها الإسلام وأسست لها أعراف ومبادئ المجتمع الجزائري، وهذا ما جاء في الفصل الرابع من القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين: «القصود من هذه الجمعية هو نشر الدين الإسلامي على وجهه الصحيح البعيد عن كل بدعة، ومحاربة كل ما يحرمه صريح الشرع، كالخمر، والميسر، والآفات الاجتماعية الأخرى، ومحاربة الجهل، والبطالة، والاسراف، وكل منهى عنه بطبيعته من طرف الدين، والأخلاق الفاضلة».²

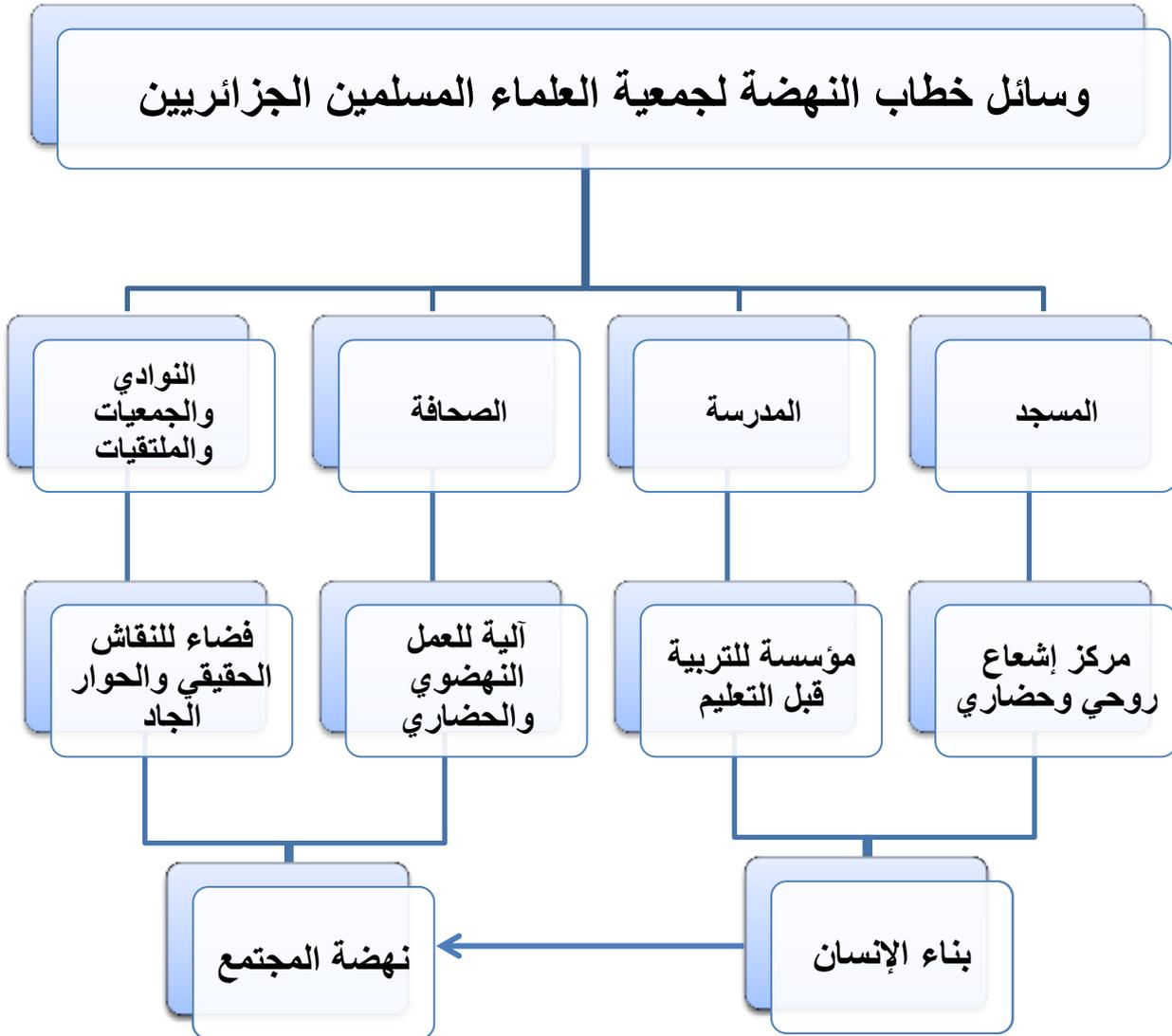
¹ محمد البشير الإبراهيمي، آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج3، مصدر سابق، ص 517.

² تركي رايح، التعليم القومي والشخصية الجزائرية، مرجع سابق، ص 400.

خاتمة:

في خاتمة هذا الفصل ومن خلال ما سبق يتضح أن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قد اعتمدت على وسائل لتبليغ خطابها النهضوي، حيث قامت في البداية بتأسيس الجوامع والمساجد والتي كانت مهمتها لا تقتصر على أداء فريضة الصلاة فقط، وإنما كانت إلى جانب ذلك أمكنة لنشر العلم وبعث الوعي واليقظة في نفوس الجزائريين. كما اهتمت بإنشاء وبناء المدارس، لأنها أدركت أن التربية والتعليم عاملين أساسيين في المحافظة على الهوية الجزائرية. بالإضافة إلى ذلك قد تنبّهت جمعية العلماء وأدركت مبكراً إلى الأثر الخطير الذي يمكن أن تقوم به الصحافة في نشر مشروعها الإصلاحية، ولم تتوقف على الصحافة التقليدية، بل انفتحت على الإعلام الجديد وحاولت أن تؤسس بعض المواقع الإلكترونية، وأن تفتح بعض الصفحات على مستوى مواقع التواصل الاجتماعي لتبليغ خطابها الإصلاحية، وإنشاء قناة على موقع اليوتيوب، تقدم فيها كل ما له صلة بالجمعية من تغطية لكل نشاطاتها: ملتقيات، ندوات، أيام دراسية. ولم يقتصر تبليغ خطاب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين على المسجد والمدرسة والصحافة بل تعداه إلى النوادي كنادي الترقى وإنشاء الجمعيات وتأسيس الفرق الكشفية وتنظيم الملتقيات الدولية والوطنية.

ويمكننا توضيح وسائل الخطاب النهضوي في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين من خلال هذا الشكل البياني:



السلطنة

خاتمة:

بعد دراستنا لخطاب النهضة عند جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، حاولنا أن نستخلص جملة من النتائج، وهي كالتالي:

أولاً: فكرة تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، انطلقت من اختيار المكان وقديسيته، ورمزية التاريخ وأهميته، فالتفكير في تأسيس هيئة تجمع شمل العلماء المسلمين الجزائريين عند الشيخ عبد الحميد بن باديس تعود إلى فترة إقامته بالمدينة المنورة عندما كان يتناقش ويدرس مع رفيق الدرب الشيخ محمد البشير الإبراهيمي أوضاع الجزائر، وسبيل النهضة الشاملة. وفي ذلك يقول الشيخ الإبراهيمي: «وأشهد الله على أن تلك الليالي من عام 1913 هي التي وضعت فيها الأسس الأولى لجمعية العلماء المسلمين والتي لم تبرز للوجود إلا عام 1931». كما تأسست في الوقت الذي كانت فيه فرنسا تحتل بمرور مئة عام على احتلال الجزائر، وأقامت التظاهرات في باريس ومرسيليا وليون وغيرها ولما كان الفرنسيون يحتفلون كان العلماء يحضرون لتأسيس الجمعية، ولم يمض عام على تلك الاحتفالات حتى أعلن عن قيام «جمعية العلماء المسلمين الجزائريين» على إثر مؤتمر عقد في 1931 بنادي الترقى في حي القصبة العتيق بالعاصمة الجزائر.

ثانياً: آمنت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأهمية العمل الجماعي وعدم نجاعة العمل الفردي، وهذا ما تأكد للشيخ ابن باديس بعد رجوعه من الحجاز، حيث رأى أن خدمة المجتمع الجزائري ونهضته لا يمكن أن يقوم بها شخص واحد، لذلك كان من الطبيعي أن يتطلع إلى توسيع الخطة الإصلاحية التي شرع في تنفيذها بتعليم الناس وإرشادهم وتصحيح أمور دينهم، واستنهاض همم العلماء إلى تأسيس الهيئات التي تشد عضده، وتعينه على أداء مهمته، فباشر منذ عام 1920 م بعقد لقاءات مع الشيخ محمد البشير الإبراهيمي لوضع برنامج للمستقبل وتهيئة الظروف لإخراج جمعية تجمع شمل العلماء من حيّز القول إلى حيّز الفعل.

ثالثا: توصل علماء الجمعية إلى أن الأمة بحاجة إلى بناء الإنسان وصنع الرجال أكثر من تأليف الكتب، وهذا ما تأكد للشيخ عبد الحميد بن باديس حين قيل له: "وددنا يا سيدي لو خصصت بعض الوقت لتأليف الكتب التي ربما احتاج إليها جيل الغد كثيرا" فأجاب: "إن الشعب ليس اليوم في حاجة إلى تأليف الكتب بقدر ما هو في حاجة إلى تأليف الرجال، هب أنني انصرفت إلى التأليف، وانقطعت عما أنا اليوم بصدده من نشر العلم، وإعداد نشء الأمة من أمثالكم لمواصلة عملي، فمن يقرأ كتبي مادام الشعب يتخبط في ظلمات الجهل والأمية، إن إعداد معلم واحد كفاء يتصدى لمحاربة الجهل الفاشي في ربوعنا لخير لمجتمعنا من ألف كتاب". وما وجود جمعية العلماء المسلمين إلى اليوم لدليل على صدق كلام الشيخ عبد الحميد بن باديس.

رابعا: كان تحرير العقول هو بمثابة أساس لتحرير الأبدان في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وهذا ما أكده الشيخ الإبراهيمي بقوله: «تحرير العقول من الأوهام والضلالات في الدين والدنيا، وتحرير النفوس من تأليه الأهواء والرجال، وأن تحرير العقول لأساس لتحرير الأبدان، وأصل له، ومحال أن يتحرر بدن يحمل عقلا عبدا» وهذا ما جعل جمعية العلماء ترى أن العدو الحقيقي هو الاستعمار الروحي المتمثل في الزوايا والطرقية المنحرفة والبدع والخرافات، وأنه إذا ما تم القضاء على هذا الاستعمار، يسهل القضاء على الاستعمار المادي المتمثل في الاحتلال الفرنسي، قال الشيخ الإبراهيمي: «كان من نتائج الدراسات المتكررة للمجتمع الجزائري بيني وبين ابن باديس منذ اجتماعنا في المدينة المنورة، أن البلاء المنصب على هذا الشعب المسكين أت من جهتين متعاونتين عليه، وبعبارة أوضح من استعمارين: الأول استعمار مادي وهو الاستعمار الفرنسي، يعتمد على الحديد والنار والثاني استعمار روحاني، يمثله مشائخ الطرق المؤثرون في الشعب والمتغلغلون في جميع أوساطه المتجرون باسم الدين المتعاونون مع الاستعمار عن رضى وطواعية. فكان من سداد الرأي واحكام التدبير بيني وبين ابن باديس أن تبدأ الجمعية بمحاربة هذا الاستعمار الثاني لأنه أهون وكذلك فعلنا»

خامسا: قراءة فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين للواقع الجزائري، واستيعابها لخطورة الاستعمار الروحي المتمثل في الزوايا والطرقية المنحرفة والخرافات والبدع، ومدى بشاعة الاستعمار المادي المتمثل في الاحتلال الفرنسي، جعلها تدرك أن لا يكون خطابها الإصلاحية

خطاب نخبة وأن لا يقتصر على تأليف الكتب وإلقاء المحاضرات وعقد الندوات والمؤتمرات فقط، بل لا بد أن يمتد إلى كل فئات الشعب، ويصل إلى كل شرائح المجتمع، ويحدثونهم بما يفهمون سواء المصلين في المساجد، أو الأطفال والطلبة في المدارس والمعاهد أو الشباب في النوادي والجمعيات والفرق الكشفية، أو مخاطبة القراء المتعلمين في الصحافة. وهذا ما جعل خطابها يميّز عن خطاب الحركات الإصلاحية في العالم العربي الإسلامي.

سادسا: خطاب جمعية العلماء المسلمين كان خطابا شاملا، مس كافة جوانب حياة المجتمع الجزائري الجانب العقدي والتربوي والاجتماعي والاقتصادي والسياسي، لأنها قد استوعبت في خطابها النهضوي مجمل أفكار الحركات الإصلاحية في العالم العربي الإسلامي، فهي قد أخذت من أفكار جمال الدين الأفغاني في ثورته على الحكم الأجنبي ومقاومة الاستبداد، وتبنت أفكار محمد عبده ومحمد رشيد رضا في نشر الوعي وتربية الجماهير ومكافحة التخلف والجمود، كما تبنت أفكار الكواكبي وشكيب أرسلان في تحرير الإنسان من ضعفه، والمجتمع من أمراضه والدين من الشوائب التي لحقت به، والبلاد من كابوس الهيمنة الأجنبية وظلم المستبدين. وهذا ما جعل خطابها يكون خطابا شاملا وبه تميّزت عن خطاب الحركات الإصلاحية في العالم العربي الإسلامي.

سابعا: خطورة مشاريع الاستعمار ومخططاته جعل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تدرك أهمية التربية والتعليم، ولذلك عملت على إنشاء المدارس الحرة في جميع أنحاء القطر الجزائري، وحثت الأمة وشجعت الشعب على إرسال أبنائه إلى مدارسها، ووضعت برامج ومناهج لا تركز على الجانب المعرفي فقط، بل تركز على تكوين شخصية التلاميذ والطلبة تكويننا متكاملًا في جوانبها المعرفية والخلقية والذوقية والاجتماعية والوطنية والدينية. وكان من المفروض الاستفادة من مشروع جمعية العلماء المسلمين التربوي ومن إدارتها غداة الاستقلال وعدم تبني النظام التعليمي الموروث من الحقبة الاستعمارية، لكن للأسف تم التعامل مع جمعية العلماء المسلمين على أنها حزب سياسي أو جمعية سياسية، ومنعت من مواصلة تحقيق مشروعها النهضوي ورسالتها الحضارية، فالنظرة الحزبية الضيقة حرمت المجتمع الجزائري من عودة جمعية العلماء المسلمين ومن طاقاتها للعمل من أجل نهضة البلاد وخصوصًا في المجال التربوي. ولم يتوقف الأمر

عند منع جمعية العلماء المسلمين من مواصلة نشاطها بل تعدها إلى حد اتهامها بعدم المشاركة في الثورة التحريرية، في الوقت الذي اعتبر فيه بعض الكتاب الغربيين وبعض السياسيين والإعلاميين الفرنسيين أن تأسيس جمعية العلماء المسلمين كان بداية لنهاية فرنسا، لأن شعار الجمعية: الإسلام ديننا والعربية لغتنا والجزائر وطننا، هو الشعار الذي يشترك فيه جميع الجزائريين، سواء كانوا أحزابا أو جمعيات أو أفراد، ومضاد لكل المشاريع والأطروحات التي أرادت فرنسا أن تفرضها بقوة الحديد والنار.

ثامنا: بالرغم من أن النظام السياسي منع جمعية العلماء المسلمين من العودة إلى النشاط مع بداية الاستقلال، إلا أنها كانت تتابع باهتمام ما يجري على الساحة الوطنية، ففي خطبة الجمعة الأولى التي ألقاها الشيخ محمد البشير الإبراهيمي بجامع كتشاوة يوم 02 نوفمبر 1962 م كان قد بين فيها على أن الاستعمار كالشيطان، فهو قد خرج من الأرض ولم يخرج من ألسنة ومن قلوب البعض، و حذر من دعاة الفرقة والفتنة والفساد، وحث على البناء والإعمار وعلى الألفة والوحدة والرحمة والتعاون والإخلاص والتوفيق والتسديد والحكمة والعزيمة. كما أصدر الشيخ البشير الإبراهيمي بيانا بتاريخ 16 أبريل 1964 بين فيه أن الوطن يتدحرج نحو حرب أهلية ويتخبط في أزمة روحية، ويواجه مشاكل اقتصادية، ولكن المسؤولين لا يدركون أن الشعب الجزائري يطمح قبل كل شيء إلى الوحدة والسلام والرفاهية، وإلى نظام سياسي واقتصادي نابع من صميم جذورنا العربية الإسلامية، وإلى دولة تسودها العدالة والحرية وقائمة على تقوى من الله. أما الشيخ محمد خير الدين كان قد قدم نصحا وتوجيها لنظام الحكم بتاريخ: فيفري 1969، ولكن هذا النظام بعد أن أحكم سيطرته على مقاليد الحكم، وقعت الجفوة بينه وبين الناصحين، ولم يبق أمامه حسب الشيخ محمد خير الدين إلا أن يعلن له ولكافة أبناء وطنه أنه بريء منه، ولهذا أعلنها قطيعة مع هذا النظام بتاريخ: مارس 1976، حيث رأى أن نظام الحكم الفردي أفقدنا الحرية والكرامة، والخضوع له مساس بشخصية الإنسان الجزائري.

تاسعا: أدركت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين أهمية ترسيخ المرجعية الدينية والوطنية في الحفاظ على تماسك المجتمع الجزائري ووحدته، ففي ظل ما شهدته الجزائر خلال السنوات الأخيرة، من محاولات لنشر الفكر المتطرف الذي بدأ يتوغل إلى عقول الشباب خاصة، من خلال ظهور

الفرق الطائفية الضالة والخارجة عن المرجعية الدينية بأبعادها الوطنية المستمدة من روح السنة الشريفة المطهرة، كالشيعة والأحمدية التي تشكل جميعها خطرا حقيقيا على وحدة وتماسك المجتمع الجزائري برمته، ومنه على الوحدة الوطنية، ولهذا كانت تؤكد جمعية العلماء دائما وفي كل مناسبة بضرورة صون المرجعية الدينية والهوية الوطنية والمحافظة عليها، لأنها حماية لطمأنينة المجتمع ووحدته.

عاشرا: الخطاب النهضوي لجمعية العلماء المسلمين ليس محدودا بحقبة معينة، فالمجتمع الجزائري اليوم في حاجة لمثل هذه النوعية من الخطاب، لأنها جمعية تأسست لبعث نهضة شاملة وتحقيق مشروع مجتمع قائم على ركائز الهوية الوطنية والانتماء الحضاري للشعب الجزائري في مواجهة المشروع الاستعماري التغريبي، فكانت ركائز هذا المشروع هي " الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا" وأكبر التحديات التي يواجهها المجتمع الجزائري اليوم هي مخاطر ضياع الهوية وتفتت المجموعة الوطنية إلى كيانات طائفية أو عرقية متناحرة، وتفاقم الأزمة السياسية والمشاكل الاقتصادية وانتشار الآفات الاجتماعية كتعاطي المخدرات وظاهرة العنف وهجرة الشباب نحو الخارج، وخطاب بعض الأحزاب والجمعيات الذي يتسم بمنطق الإقصاء والكراهية ورفض الآخر وتهديد وحدة الوطن، كل هذا يجعلنا في أمس الحاجة لمثل هذا الخطاب، لأن فكر الجمعية في وقتنا الراهن يتسم بالواقعية والاستقلالية والاعتدال والتسامح والانفتاح على الآخر ومقاومة الغلو والتطرف والتشدد والعنف بجميع أشكاله، ويمثل الضمانة الحقيقية لنهضة المجتمع الجزائري.

الملاحق

أولاً: التعريف برؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ثانياً: التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين

ثالثاً: دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها

رابعاً: بيانات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

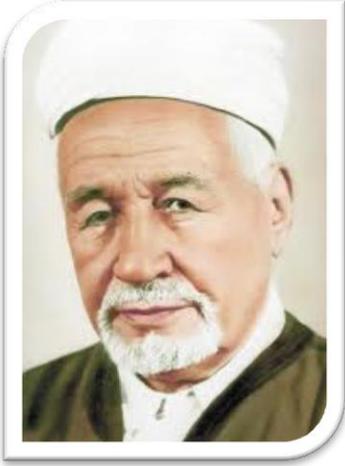
أولاً: التعريف برؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين^(*)

الرئيس الأول: عبد الحميد بن باديس (1931 – 1940)



ولد عبد الحميد بن باديس في ليلة الجمعة 1308هـ الموافق لـ 04 ديسمبر 1889م في مدينة قسنطينة، أبوه: هو مصطفى بن مكى بن باديس من حملة القرآن الكريم، ومن أعيان مدينة قسنطينة. أمه: هي زهيرة بنت علي بن جلول، من أسرة مشهورة في قسنطينة بالعلم والجاه والثراء. عائلته: عائلة عبد الحميد بن باديس مشهورة في الجزائر وفي المغرب العربي، فقد لعبت دورا بارزا في تاريخه سياسيا وعلميا ودينيا. تعليمه: حفظ القرآن الكريم وسنه ثلاثة عشر عاما، ثم أخذ مبادئ العلوم العربية والدينية من الشيخ أحمد حمدان لونيبي. سافر إلى تونس عام 1908م لاستكمال تعليمه الثانوي والعالى بجامع الزيتونة، حيث نال شهادة العالمية سنة 1912م. تطلعت نفس ابن باديس للقيام برحلة دينية وعلمية طويلة، فحج سنة 1913م، وأقام في المدينة المنورة مدة، حيث التقى بشيخه أحمد حمدان لونيبي والشيخ محمد البشير الإبراهيمي والشيخ حسين أحمد الهندي. وفي طريق عودته من الحجاز زار سوريا ولبنان ومصر، واجتمع برجال العلم والفكر فيها، واطلع على أساليب الدراسة في الأزهر الشريف. قام بالتدريس في الجامع الكبير ثم في الجامع الأخضر بقسنطينة، ولما تأسست جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في 17 من ذي الحجة 1349هـ الموافق لـ 05 ماي 1931م كان أول رئيس لها. عاش الشيخ عبد الحميد بن باديس لحرية الجزائر وإسلامها وعروببتها. ولم يبال بصحته الضعيفة التي ازدادت تدهورا في السنين الأخيرة من حياته، فانتقل إلى جوار بارئه ليلة الثلاثاء 08 ربيع الأول 1359هـ الموافق لـ 16 أفريل 1940م، ودفن في مقبرة أسرته بمدينة قسنطينة.

الرئيس الثاني: محمد البشير الإبراهيمي (1940 – 1965)



ولد محمد البشير الإبراهيمي يوم الخميس 13 شوال 1306هـ الموافق لـ 14 جوان 1889م في قرية رأس الوادي بناحية مدينة سطيف. نشأ نشأة دينية في بيت أسس على التقوى والعلم. أتم حفظ القرآن الكريم على يد عمه الشيخ المكي الإبراهيمي، صاحب الفضل الأكبر في تربيته وتكوينه واكتشاف موهبته مبكرا. أقام

بالقاهرة ثلاثة أشهر حضر خلالها بعض دروس العلم بالأزهر الشريف وعرف أشهر علمائه، كما التقى بالشاعرين الكبيرين: أحمد شوقي وحافظ إبراهيم. سافر إلى المدينة المنورة أواخر عام 1911م واستقر فيها درس فيها على كبار علمائها ثم أصبح يلقي الدروس للطلبة في الحرم النبوي، والتقى هناك عام 1913م بالإمام الشيخ عبد الحميد بن باديس، ولا شك أن في هذا اللقاء ميلاد فكرة تأسيس جمعية العلماء. اضطر إلى الخروج من المدينة المنورة فرحل إلى دمشق سنة 1917م حيث درس الآداب العربية في المدرسة السلطانية وألقى دروس الوعظ في الجامع الأموي. عاد إلى الجزائر سنة 1920م وفي مخيلته فكرة حركة تحيي الإسلام والعربية وتنتشر العلم وتبعث الأمة، تأسست جمعية العلماء في عام 1931م، فوضع محمد البشير الإبراهيمي دستورها وقانونها الأساسي، انتخب نائبا لرئيس الجمعية، وتكفل بالمقاطعة الغربية للجزائر، فأسس في تلمسان عام 1937م " مدرسة دار الحديث "، بعد وفاة رفيقه الإمام عبد الحميد بن باديس عام 1940م اختير خلفا له على رأس جمعية العلماء، سجن بعد أحداث ماي 1945م ومكث في زنزانته تحت الأرض عاما كاملا. سافر الإمام الإبراهيمي عام 1952م إلى المشرق العربي ممثلا لجمعية العلماء وعرف بالقضية الجزائرية في الاوساط السياسية. بعد اندلاع الثورة وجه الشيخ الإبراهيمي نداء إلى الشعب الجزائري يدعو فيه إلى: الالتفاف حول الثورة المسلحة، خوض غمار الجهاد المقدس، التضحية بالنفس والنفيس، تحقيق حياة العزة والكرامة. بعد الاستقلال عاد إلى وطنه حيث ختم حياته العامرة بحدثين هما: افتتاح مسجد كتشاوة بالعاصمة واللقاء أول خطبة جمعة فيه، وإصدار بيان 16 أبريل 1964م الذي دعا فيه إلى الحكمة والصواب وجادة الإسلام. انتقل إلى جوار ربه يوم 20 ماي 1965م ودفن بمقبرة سيدي أحمد بالجزائر العاصمة.

الرئيس الثالث: أحمد حماني (1991 – 1998)



ولد أحمد حماني يوم الاثنين 26 شوال 1333هـ الموافق لـ 06 سبتمبر 1915م بقرية ازيار الواقعة في دوار تمنجر ببلدية العنصر دائرة الميلية ولاية جيجل، ينتسب الشيخ أحمد إلى عائلة مشهود لها بمقاومة الظلم الاستعماري. نزح إلى قسنطينة سنة 1930م حيث أتم حفظ

القرآن الكريم بكتاب سيدي أحمد النجار ثم انخرط في سلك طلبة الإمام عبد الحميد بن باديس ابتداء من أكتوبر 1931. ارتحل إلى تونس في أول السنة الدراسية 1934 – 1935 وتحصل على الأهلية في 1936 ، وعلى شهادة التحصيل في 1940 وعلى شهادة العالمية في سنة 1943. كانت صلته بابن باديس في حياته وجماعته بقسنطينة لم تنقطع، وعمل بمجلة " الشهاب " ثم بجريدة " البصائر " وكتب فيهما، وتحمل مسؤوليات في جمعية العلماء. في سنة 1946 عينته جمعية العلماء كاتباً على مستوى جميع ولايات الشرق، يهتم بالجمعية وشعبها ومدارسها وشؤون التعليم فيها. في سنة 1951 انتخب عضواً في إدارة الجمعية وأسندت له مهمة نائب الكاتب العام. منذ نشوب حرب التحرير في عام 1954 كان مثل إخوانه يعمل فيها، وكان العمل سراً. ألقى عليه القبض في 11 أوت 1957 بالعاصمة، ونقل إلى السجن المركزي بتازولت " لمبيس " حيث بقي هناك إلى يوم 04 أفريل 1962. بعد استقلال الجزائر وتأسيس الحكومة الجزائرية استدعي من قسنطينة لوظيفة المفتش العام للتعليم العربي. في سنة 1972 استدعي ليكون رئيساً للمجلس الإسلامي الأعلى، عين في اللجنة المركزية لجهة التحرير الوطني من سنة 1983 إلى عام 1985، انتخب رئيساً لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1991، كما تولى إدارة جريدة البصائر في نفس السنة. إلى أن توفي يوم 28 جوان 1998م.

الرئيس الرابع: علي المغربي (1998 – 1999)



ولد علي المغربي سنة 1915 في فرفار من دائرة طولقة بولاية بسكرة، حفظ القرآن الكريم وهو ابن إحدى عشرة سنة وتصدى لحفظ المتون والمصنفات العلمية كالألفية، ولامية الأفعال، والسنونية، وابن عاشر، والجهورة، والرحبية وغيرها. في سنة 1928 رحل إلى تونس وانضم إلى طلبة (جامع الزيتونة) وعمره ثلاث عشرة سنة، فيها تقدم إلى امتحان التطوع فنال

شهادته بامتياز في سنة 1935م ولم تعقه دراسته وانكبابه على التحصيل أن يشارك في نشاط جمعية الطلبة الجزائريين من سنة 1931 إلى سنة 1935 فكان أمين مالها. عاد إلى الجزائر ونزل بالعاصمة وصادف انعقاد الاجتماع السنوي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين في سنة 1935 وألقى خطابا في الاجتماع، في سنة 1937 عين في مدرسة شرشال من طرف الجمعية وبترغيب من الشيخ الطيب العقبي الذي اتصل به ورغبه فيها، وأن أبناءها والقائمين بها ينتظرون من يأخذ بأيديهم، فلبى الدعوة وحل بالعاصمة. في سنة 1953 كلف من طرف الجمعية بتنظيم ماليتها، وهنا تفرغ لشؤون الجمعية وانضم إلى مكتبها الدائم. أثناء الثورة التحريرية اعتقل عدة مرات، ولم يسلم من التعذيب، ولكنه سلم من السجن الطويل، فأطول فترة قضاها في الإيقاف تلك التي كانت مدتها تسعة أيام. بعد الاستقلال اختار العودة إلى التعليم فعين أولا أستاذا في ثانوية "عبان رمضان" بالحرش وبعدها انتقل إلى ثانوية "الأمير عبد القادر" من سنة 1964 إلى سنة 1973 حيث أحيل فيها على التقاعد. تولى نيابة رئاسة المجلس الإسلامي الأعلى، وكان عضو في مجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة المؤتمر الإسلامي. وقد ترأس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1998 بعد وفاة الشيخ أحمد حماني. توفي الشيخ علي المغربي سنة 1999.

الرئيس الخامس: عبد الرحمان شيبان (1999 – 2011)



ولد عبد الرحمان شيبان يوم 23 فيفري 1918 ببلدية الشرفة ولاية البويرة، ختم القرآن الكريم حفظا، وتلقى مبادئ اللغة العربية والفقہ بمسقط رأسه، ثم بالزاوية السحنونية بالزاوية، وبني غليس على الضفة الشمالية لوادي الصومام (بجاية). التحق بالجامعة الزيتونية بتونس عام 1938 حيث

تحصل على شهادة " الأهلية " ثم شهادة " التحصيل في العلوم " عام 1947، وقد كان خلال هذه المرحلة رئيسا لجمعية الطلبة الجزائريين الزيتونيين. لما قامت الثورة شارك في تحرير نداءين: الأول في 12 فيفري 1955 والثاني في 11 مارس من نفس السنة، ومضمونها التضامن مع الثورة من طرف الشعب والاتحاق بها من طرف الشباب، ومن ثم استرعى أنظار فرنسا نحوه فقامت بتفتيش منزله في سنة 1956 في قسنطينة، وحينئذ تمكن من الفرار إلى تونس وانضم إلى جبهة التحرير الوطني. بعد الاستقلال يصبح نائبا في المجلس التأسيسي الأول لمدة سنتين، ويصبح بعد ذلك ومند 1964 مفتشا عاما لآداب اللغة العربية في وزارة التربية، انتقل إلى المعهد التربوي لمراجعة البرامج والقيام بالبحث التربوي، وعقد ندوات وساهم في تكوين المفتشين وشارك في إنتاج الكتب المدرسية وبالأخص في الثانوي، وكان عضو مؤسس في المجلس الإسلامي الأعلى، ثم وزير للشؤون الدينية من عام 1980 إلى عام 1986. أشرف على تنظيم ستة ملتقيات عالمية للفكر الإسلامي، عضو مؤسس لمجمع الفقہ الإسلامي الدولي ومثل الجزائر فيه، ساهم بفعالية في افتتاح جامعة الأمير عبدالقادر للعلوم الإسلامية بقسنطينة. بادر سنة 1991 إلى تجديد نشاط جمعية العلماء المسلمين الجزائريين فور حصول الانفتاح السياسي في الجزائر، وانتخب رئيسا لها عام 1999، حيث قام بتأسيس شعب للجمعية في كل الولايات ومتابعة نشاطها، واسترجاع نادي الترقى التاريخي، وطبع آثار الشيخ عبدالحميد بن باديس في ستة أجزاء، توفي الشيخ رحمه الله تعالى يوم الجمعة 12 رمضان 1432هـ الموافق لـ 12 أوت 2011م.

الرئيس السادس: عبد الرزاق قسوم (2011 -)



ولد عبدالرزاق قسوم سنة 1933 بالمغير ولاية الوادي، حفظ القرآن وعمره لا يتجاوز الحادية عشرة، تحصل على مستوى شهادة التعليم الابتدائي باللغة الفرنسية. التحق عبدالرزاق بصوفوف معهد عبدالحميد بن باديس في قسنطينة لمزاولة دراسته سنة 1949، تلقى دروسه على أيادي مشايخ عصره

من أبرزهم: أحمد حماني، عبدالرحمان شيبان، نعيم النعيمي، بعد مرور أربع سنوات تحصل على شهادة الأهلية ثم انتقل إلى جامعة الزيتونة ليواصل دراسته، رجع إلى المغير للتعليم في المدرسة الحرة، كما التقى بوفد من المجاهدين من بينهم ابن القطاري والذي لعب دورا كبيرا في إقناعه بصلاح الثورة وأن نجاحها محتوم بإذن الله. انتقل إلى العاصمة واتصل بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين وتحصل على منصب معلم في المدرسة السنية. شكت السلطات الفرنسية بأنه قائد في جبهة التحرير الوطني فأذاقوه وأصحابه شتى أنواع العذاب وحتى أنهم كادوا يعدمونه. وبعد أن نجا من هذه الحادثة لجأ إلى مسقط رأسه، ثم رجع إلى الجزائر العاصمة وهناك استقر وتابع نشاطه مع الجمعية إلى نهاية الثورة. بعد الاستقلال استأنف دراسته فالتحق بجامعة الجزائر وتحصل على شهادة الكفاءة العلمية سنة 1966، ثم شهادة ليسانس في الترجمة سنة 1966، ثم حاز أيضا على شهادة ليسانس ودبلوم الدراسات العليا في الفلسفة، انتقل بعد ذلك إلى مصر ليحصل على ماجستير في الفلسفة من جامعة القاهرة 1975، ثم درس بجامعة السوربون بباريس لينال شهادة دكتوراه في الفلسفة سنة 1979. أصبح عضوا في اتحاد الكتاب الجزائريين سنة 1976، وأستاذا بقسم الفلسفة بمعهد العلوم الاجتماعية، و مديرا للبحث العلمي في معهد العلوم الاجتماعية بجامعة الجزائر، ثم مديرا للمعهد الوطني لأصول الدين بالجزائر. بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين برئاسة الشيخ أحمد حماني كان عضوا فيها، وفي عهد الشيخ عبد الرحمان شيبان عين نائبا لرئيس الجمعية ورئيسا لتحرير جريدة البصائر (2000 - 2004)، وبعد وفاة الشيخ عبد الرحمان شيبان سنة 2011 انتخب عبد الرزاق قسوم رئيسا لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

(*) نبذات من حياة رؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مجلة التبيان، العدد 01، سبتمبر 2016، ص 10 - 17.

ثانيا: التعريف بجمعية العلماء المسلمين الجزائريين (**)

القانون الأساسي

الباب الأول

الفصل الأول: التسمية

المادة 01:

جمعية العلماء المسلمين الجزائريين:

هي جمعية إسلامية ، تربوية ، ثقافية ، علمية وطنية، تأسست في 17 ذي الحجة 1349 هـ الموافق لـ 05 ماي 1931 وهي تواصل نشاطها طبقا لمبادئها الأصيلة ووفقا لقانون الجمعيات 90-31 المؤرخ في 17 جمادى الأولى 1411هـ، الموافق لـ 4 ديسمبر 1990م، وهي في اجتماعها المنعقد يومي 08 و09 نوفمبر 2013 قامت بعملية مطابقة قانونها الأساسي ونظامها الداخلي مع القانون رقم 12-06 المؤرخ في 18 صفر 1433 هـ الموافق لـ 12 جانفي 2012.

شعارها:

الإسلام ديننا ، العربية لغتنا ، الجزائر وطننا.

المادة 02:

تتمتع الجمعية بالشخصية المعنوية والاستقلال المالي ولا تخضع لأية وصاية. وتتخذ من الجزائر العاصمة مقرا لها بالعنوان 17 شارع محمد مريوش، حسين داي، الجزائر. أجل الجمعية مفتوح مادام المجتمع في حاجة إلى أعمالها ومبادئها.

المادة 03:

تمارس الجمعية نشاطها عبر كامل التراب الوطني وحيث توجد الجالية الجزائرية.

الفصل الثاني: مقاصد الجمعية ووسائلها

المادة 04:

مقاصد الجمعية:

- أ) نشر الفهم الصحيح لتعاليم الإسلام وفقاً لنصوص الكتاب والسنة بفهم السلف الصالح باعتدال ووسطية.
- ب) المساهمة في إعداد الأجيال الناشئة وتحسينها فكرياً وخلقياً وحضارياً.
- ج) العمل لتوعية المسلم الجزائري بانتمائه الوطني والحضاري ومواكبته العصر.
- د) المحافظة على المرجعية الفقهية المعتمدة في وطننا.
- هـ) محاربة الآفات الاجتماعية والأخلاقية بكل أنواعها التي هي أحسن ونشر الفضيلة والقيم الحميدة.
- و) محاربة البدع وكل ما هو محرم بصريح الشرع بالتنوع والإقناع وبالحكمة والموعظة الحسنة.
- ز) تقديم التصح والمثورة للأفراد والهيئات والمؤسسات في ما يخدم صالح البلاد والعباد.

المادة 05: الوسائل

تستعين الجمعية لتحقيق مقاصدها بالوسائل التالية التي تخولها قوانين الدولة السارية المفعول في سائر القطاعات:

- أ) تنظيم النشاطات الدينية والتربوية والثقافية والعلمية بالمساجد وفي سائر الفضاءات التربوية والثقافية والإعلامية.
- ب) تنظيم المنتديات والندوات والرحلات والدورات التكوينية والمخيمات داخل الوطن وخارجه.
- ج) إنشاء المؤسسات التربوية والتعليمية بجميع أطوارها بدءاً بالابتدائي وانتهاء بالمعاهد والمؤسسات الجامعية (طبقاً لقانون الدولة الساري المفعول).
- د) إنشاء مدارس لتعليم القرآن وتدرسي علومه.
- هـ) العمل من أجل إنشاء مصليات في مؤسسات الجمعية.
- و) إنشاء ودعم النوادي الثقافية والعلمية والرياضية والحرفية والكشافية ومراكز استقبال الطفولة للجنسين.
- ز) إنشاء الوسائل الإعلامية المكتوبة والمسموعة والمرئية والإلكترونية.
- ح) اقتناء وسائل للطباعة والنشر والتوزيع لتحقيق أهداف الجمعية.
- ط) السعي لربط أواصر الصلة بين الجمعية ومثيلاتها من الهيئات وكذا الشخصيات العلمية داخل الوطن وخارجه.
- ي) مناصرة القضايا العادلة والدفاع عن المقدسات وتقديم الإغاثة الإنسانية داخلها وخارجها.



(**) التعريف بالجمعية، القانون الأساسي لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، www.oulamadz.org

ثالثا: دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها (***)

دَعْوَةُ جَمْعِيَةِ الْعُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ الْجَزَائِرِيِّينَ وَأُصُولُهَا

- 1- الإسلام هو دينُ الله الذي وضعَهُ لهداية عباده، وأرسلَ به جميعَ رُسُلِهِ، وكَمَّلَهُ على يَدِ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ الَّذِي لَا نَبِيَّ مِنْ بَعْدِهِ.
- 2- الإسلام هو دينُ البشرية الذي لَا تَسْعُدُ إِلَّا بِهِ، وذلكَ لأنَّهُ:
- أولاً: كما يدعو إلى الأخوةِ الإسلاميَّةِ بينَ جميعِ المسلمين - يذكُرُ بالأخوةِ الإنسانيَّةِ بينَ البَشَرِ أَجْمَعِينَ.
- ثانياً: يُسَوِّي في الكرامةِ البشريةِ والحقوقِ الإنسانيَّةِ بينَ جميعِ الأجناسِ والألوانِ.
- ثالثاً: لأنَّهُ يَفْرِضُ العَدْلَ فَرَضًا عَامًّا بينَ جميعِ النَّاسِ بلا أدنى تمييزٍ.
- رابعاً: يَدْعُو إلى الإحسانِ العامِّ.
- خامساً: يَحْرَمُ الظُّلْمَ بِجَمِيعِ وُجُوهِهِ وَأَقْلَ قَلِيلِهِ مِنْ أَيِّ أَحَدٍ عَلَى أَيِّ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ.
- سادساً: يُمَجِّدُ العَقْلَ ويدعو إلى بناءِ الحياةِ كُلِّهَا على التفكيرِ.
- سابعاً: يَنْشُرُ دعوتهِ بالْحُجَّةِ والإقناعِ لا بالْحَتْلِ والإكراهِ.
- ثامناً: يَتْرِكُ لأهلِ كُلِّ دِينٍ دينَهُمَ يفهمونه ويطبقونه كما يشاءون.
- تاسعاً: شَرَكَ الفقراءَ مع الأغنياءِ في الأموالِ، وشرَعَ مِثْلَ القِراضِ والمُزارعةِ والمُغارسةِ مما يظهرُ به التَّعاونُ العادلُ بينَ العُمَّالِ وأزبابِ الأراضِ والأموالِ.
- عاشراً: يدعو إلى رحمةِ الضعيفِ فيكفِي العاجزُ ويُعَلِّمُ الجاهلُ ويُرشدُ الضَّالُّ وَيُعَانُ المُضْطَرُّ وَيُعَاثُ المُلْهُوفُ وَيُنصِرُ المَظْلومُ وَيُوخِّدُ على يدِ الظالمِ.
- حادي عشر: يُحْرِمُ الاستعبادَ والجبروتَ بِجَمِيعِ وُجُوهِهِ.
- ثاني عشر: يَجْعَلُ الحُكْمَ شوريَ ليس فيه استبدادٌ وَلَوْ لِأَعْدَلِ النَّاسِ.
- 3- القرآنُ هو كتابُ الإسلامِ.
- 4- السُّنَّةُ - القوليَّةُ والفعليةُ - الصَّحيحةُ تفسيراً وبياناً للقرآنِ.
- 5- سلوكُ السَّلَفِ الصَّالحِ - الصحابةِ والتابعينِ وأتباعِ التابعينِ - تطبيقٌ صحيحٌ لهدى الإسلامِ.
- 6- فُهوُمُ أئمَّةِ السَّلَفِ الصَّالحِ أَصدقُ الفهومِ لحقائقِ الإسلامِ ونصوصِ الكتابِ والسُّنَّةِ.
- 7- البدعةُ كُلُّ ما أُحْدِثَ على أَنَّهُ عِبادةٌ وَقُرْبَةٌ وَلَمْ يَنْبُثْ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِعْلُهُ، وَكُلُّ بَدْعَةٍ ضَلَالَةٌ.
- 8- المصلحةُ كُلُّ ما اقتضتهُ حاجةُ الناسِ في أمرِ دنياهم ونظامِ معيشتهم وضبطِ شؤونهم وتقدُّمِ عمرانهم ممَّا تُقرُّهُ أصولُ الشريعةِ.
- 9- أَفضلُ الخلقِ هو مُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأنَّهُ:
- أولاً: اختاره اللهُ لتبليغِ أكملِ شريعةٍ إلى النَّاسِ عامَّةٍ.
- ثانياً: كانَ على أكملِ أخلاقِ البشريةِ.

ثالثًا: بلغ الرسالة ومثل كمالها بذاته وسيرته.

رابعًا: عاش مجاهدًا في كل لحظة من حياته في سبيل سعادة البشرية جمعاء حتى خرج من الدنيا ودرعه مزهونة.

10- أفضل أمته بعده هم السلف الصالح لكمال اتباعهم له.

11- أفضل المؤمنين هم الذين آمنوا وكانوا يتقون، وهم الأولياء والصالحون، فحفظ كل مؤمن من ولاية الله على قدر حظه من تقوى الله.

12- التوحيد أساس الدين، فكل شرك - في الاعتقاد أو في القول أو في الفعل - فهو باطل مزدود على صاحبه.

13- العمل الصالح المني على التوحيد؛ به وحده التجاة والسعادة عند الله، فلا التسب ولا الحسب ولا الخطأ بالذي يغني عن الظالم شيئًا.

14- اعتقاد تصرف أحد من الخلق مع الله في شيء ما؛ شرك وضلال، ومنه اعتقاد العوث والديوان.

15- بناء القباب على القبور، ووقد السرج عليها والذبح عندها لأجلها والاستغاثة بأهلها، ضلال من أعمال الجاهلية ومضاهاة لأعمال المشركين، فمن فعله جهلاً يعلم ومن أقره ممن يتنسب إلى العلم فهو ضال مضل.

16- الأوضاع الطرقية بدعة لم يعرفها السلف ومبناها كلها على الغلو في الشيخ والتخيز لأتباع الشيخ وخدمة دار الشيخ وأولاد الشيخ، إلى ما هنالك من استغلال وإذلال وإعانة لأهل الإذلال... والاستغلال... ومن تجويد للعقول وإماتة للههم وقتل للشعور وغير ذلك من الشرور...

17- ندعو إلى ما دعا إليه الإسلام وما بيناه منه من الأحكام بالكتاب والسنة وهدى السلف الصالح من الأمة، مع الرحمة والإحسان دون عداوة أو عدوان.

18- الجاهلون والمعززون أحق الناس بالرحمة.

19- المعاندون المستغلون أحق الناس بكل مشروع من الشدة والقسوة.

20- عند المصلحة العامة من مصالح الأمة، يجب تناسي كل خلاف يفترق الكلمة ويصدع الوحدة ويوجد للشر الثغرة. ويتحتم التآزر والتكاتف حتى تنفرج الأزمة وتزول الشدة بإذن الله ثم بقوة الحق وإدراع الصبر وسلاح العلم والعمل والحكمة.

﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: 108]

عبد الحميد بن باديس بقسنطينة بالجامع الأخضر

إثر صلاة الجمعة 04 ربيع الأول 1356 هـ

رابعاً: بيانات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البيان الأول: المصالحة الوطنية

الإثنين 01-08 شعبان 1426 هـ / 05-12 سبتمبر 2005 - السلسلة الرابعة - السنة السادسة - العدد: 252 - الثمن: 20 دج- البريد الإلكتروني: albassair@islam-online.net

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عن المصالحة الوطنية

إن شأن الصلح والمصالحة والإصلاح في الإسلام - قرآنا وسنة- لشأن عظيم ، فالآيات القرآنية الداعية إلى ذلك كثيرة ، أما السنة فإن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان يذهب إلى مواطن النزاع فيصلحه ، ويجتث عروق الفتنة ، كما أخرج الإمام البخاري عليه رحمة الله - في جامعه الصحيح - أن أهل " قباء " اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة ، فأخبروا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بذلك فقال: " اذهبوا بنا نصلح بينهم " .

ولعل أعظم حديث نبوي ورد في حث المؤمنين والمؤمنات - حكما ومحكومين - على التمسك بأهداب الصلح والمصالحة للحفاظ على الوحدة الجامعة للطاقت ، ما أورده الإمام ابن كثير في تفسيره ، تعليقا على الآية الأولى من سورة الأنفال: ﴿ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرُّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴾ .

فقال: " ولندكر هاهنا حديثا أورده الحافظ أبو يعلى الموصلي - رحمه الله- في مسنده ، فإنه قال: "...عن أنس - رضي الله عليه- قال : " بينما رسول الله -صلى الله عليه وسلم- جالس إذ رأيناه ضحك حتى بدت ثناياه ، فقال عمر: ما أضحكك يا رسول الله يا أبي أنت وأمي؟ فقال: " رجلان من أمتي جثيا بين يدي رب العزة تبارك وتعالى ،

فقال أحدهما: يا رب خذ لي مظمتي من أخي .

قال الله تعالى: أعط أخاك مظلمته .

قال : يا رب ، لم يبق من حسناتي شيء .

قال: رب فليحمل عني من أوزاري " .

قال : ففاضت عينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بالبكاء ، ثم قال : " إن ذلك اليوم عظيم ، يوم يحتاج الناس إلى من يتحمل عنهم من أوزارهم .

فقال الله تعالى للطلاب : ارفع بصرك وانظر في الجنان ، فرفع رأسه فقال: يا رب أرى مدائن من فضة ، وقصورا من ذهب مكللة باللؤلؤ ، لأي نبي هذا؟! لأي صديق هذا؟! لأي شهيد هذا؟! ،

قال: هذا لمن أعطى ثمنه .

قال: رب ، ومن يملك ثمنه؟

قال: أنت تملكه .

قال: ماذا يا رب؟

قال: تعفو عن أخيك .

قال: يارب ، فإني قد عفوت عنه .

قال الله تعالى : " خذ بيد أخيك فادخلا الجنة .

ثم قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: " فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم ، لأن الله تعالى يصلح بين المؤمنين يوم القيامة... " .

هذا :

فإن ميثاق السلم والمصالحة الوطنية الذي دعا إليه السيد الرئيس عبد العزيز بوتفليقة ميثاق إسلامي ووطني معا ، ففيه حكمة الدين ورشد السياسة يجتمعان ، فالواجب مسانده بكل وسيلة للقضاء على بقايا الفتنة والشنآن ، متمينا لعرى الوحدة ، وتحقيقا للازدهار والأمان ، والله المستعان .

الجزائر 11 رجب 1426 هـ / 16 أوت 2005

الشيخ عبد الرحمن شيبان

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

البيان الثاني: القضية الفلسطينية

بيان

الدفاع عن الأرض والعرض.
كما أن القصف العشوائي للمباني السكنية والمساجد والجامعات هو اعتداء صارخ على القانون الدولي الذي يضمن الحماية للمدنيين في حالة نشوب النزاعات المسلحة.

وعليه فهي تدعو الحقوقيين في العالم العربي والإسلامي والحقوقيين الأحرار في العالم إلى توثيق الجرائم الإسرائيلية المقترفة في حق المدنيين الفلسطينيين ومتابعة المسئولين عنها من سياسيين وعسكريين قضائيا باعتبارهم مرتكبي جرائم ضد الإنسانية.

تعتبر الجمعية وحدة الصف الفلسطيني ضرورة شرعية ووطنية وإستراتيجية، وأنها الضمان الأكيد لمنع المعتدي الإسرائيلي من تحقيق أهدافه المتعددة من وراء حملته العسكرية بمختلف الأسلحة على قطاع غزة الصامدة.

تهيب بالحكام العرب والمسلمين وخاصة الذين تربطهم علاقات صداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية أن يطلبوا منها الضغط على إسرائيل لوقف عدوانها الهمجى المدمر، وإذا ما أحجموا عن السعي لرفع الضيم عن إخوانهم فإنهم يعتبرون خارجيين عن العروبة والإسلام.

عبد الرحمن شيبان

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
رئيس مؤسسة القدس الدولية بالجزائر

مع التصاعد اليومي الهائل الرهيب لأعداد الشهداء والجرحى من ضحايا المجزرة الإسرائيلية، أمام حالة التواطؤ الدولي والاستسلام العربي الرسمي، بات واضحا أن أرواح الفلسطينيين تحولت إلى رهان انتخابي في حسابات قادة الكيان الإسرائيلي الإرهابي، إذ من يقتل أكبر عدد من الفلسطينيين، يحظى بحظوظ أكثر للفوز في الانتخابات الاسرائيلية القادمة!

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تسجل باعتزاز صمود المقاومة الفلسطينية في قطاع غزة، وتحيي موقف الشعوب العربية الراض للموقف المتردد والهزيل لأنظمتها الرسمية كما تثمن وقفة الشعوب المحبة للعدالة والسلام في آسيا وأوربا وأمريكا اللاتينية التي سجلت بموقفها الإنساني الشريف احتجاجها على العدوان الإسرائيلي.

كما تعرب جمعية العلماء المسلمين عن استنكارها لموقف الكيل بمكيالين الذي اعتمده الولايات المتحدة حامية إسرائيل ومجلس الأمن الدولي والأمين العام للأمم المتحدة بقلب الحقائق الذي يجعل الضحية إرهابيا وإرهابي معتدى عليه ويحق له الدفاع عن نفسه !!

وتذكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بأن حالة العدوان الإسرائيلي على الشعب الفلسطيني تجعل المقاومة واجبا شرعيا ومبدءا معترفا به عالميا لحق

البيان الثالث: أحداث غرداية

الاثنين 21 - 27 جمادى الثانية 1435 هـ / 21 - 27 أبريل 2014 العدد: 701 الثمن: 20 دج موقع جريدة البصائر:
www.oulama-dz.org / البريد الإلكتروني: info@albassair.org / info@albassair@gmail.com / موقع الجمعية: www.oulama-dz.org



بيان

الفعلي والتبرؤ الواضح الصريح من كل الأفعال الإجرامية والسلوكيات العدائية. من أي طرف كان. وخذر من أي تراخ وتهاون وتسويق وإهمال. في معالجة هذه الفتنة. مما يترتب عنه تعقيد إجراءات الإصلاح. ويفسح المجال للمغرضين والمترصبين لتحقيق مآربهم وأهدافهم.

5- تهب الجمعية برجال الإعلام أن لا يكونوا معول هدم بالتهبيح وإثارة العصبية والأحقاد والحساسيات. وأن يجعلوا تحقيق النوام الاجتماعي في المنطقة وتماسك أبناء الوطن الواحد. وتهدئة الأوضاع ومسح الجراحات. الهدف الأسمى لهم قبل كل هدف وفوق كل اعتبار.

6- تدعو الجمعية الدولة إلى ختم المسؤولية الكاملة للتوقيف الفوري للمحنة والحد من استفحالها. وما يترتب عنها من المآسي والأخطار والانزلاقات. التي لا تهدد المنطقة وحدها بل تهدد الوطن كله. وعليه فإن الجمعية. تؤكد على الدولة الجزائرية على ضرورة الإسراع في فرض الأمن داخل المنطقة اليوم قبل الغد. وحماية الأرواح والممتلكات العامة والخاصة وتطبيق القانون بكل صرامة وعدل وشفافية.

7- تذكر الجمعية أبناء الجزائر عامة وأبناء منطقة غرداية خاصة بواجب اليقظة والوعي وتفويت الفرصة على الأعداء من داخل البلاد وخارجها الذين يتربصون بالجزائر من أجل زرع بؤر التوتر في أركانها وتفكيك وحدتها.

8- تشكر الجمعية كل المخلصين والصادقين الذين سعوا من أجل وأد الفتنة وحققن الدماء. وتضع يدها في أيديهم نعاوننا على البر والتقوى. وهي مستعدة لواصله مساعيها للإصلاح ورأب الصدع إلى أن يتحقق الخير. وينجبر الكسر بحول الله عز وجل. وبمناسبة الاستحقاقات الرئاسية المقبلة ندعو الجمعية كافة الشعب الجزائري -بصرف النظر عن قناعاتهم ومواقفهم- أن يسلكوا سلوكا حضاريا ويجنبوا الوطن أي تصرفات تؤول إلى انزلاقات تهدد استقرار وأمن البلاد. سائلين الله عز وجل أن يبقينا بلادنا وسائر بلاد المسلمين الفتى ما ظهر منها وما بطن.

عن المكتب الوطني

أ.د/ عبد الرزاق قسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

عقد المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين اجتماعا استثنائيا يوم السبت 11 جمادى الآخرة 1435 هـ الموافق لـ 12 أبريل 2014م برئاسة الدكتور عبد الرزاق قسوم. وخصص لدراسة التطورات التي تشهدها منطقة غرداية. وبعد الاستماع إلى تقرير وفد الجمعية العائد من غرداية. حول الوضع السائد هناك. خلص المكتب الوطني إلى البيان التالي:

تتابع جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بكل ألم وأسى ما يحدث في منطقة غرداية من فتنة وصراع مرير. أفضت إلى سقوط الأرواح وانتهاك الحرمات والاعتداء على المقدسات والأموال والعقارات. وإذ جددت الجمعية عزمها على بذل المزيد من المساعي بالتعاون مع كل العقلاء والخيرين من أجل تطويق الأزمة نذكر بما يلي:

1- تذكر بالأخوة الإسلامية والرابطة الدينية واللحمة الوطنية بين أبناء الجزائر امتثالا لقوله عز وجل (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً قَالَفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَاصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى سَهَابٍ حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) آل عمران. 103. فنعمة التألف والترابط تحت راية الدين التي هي القاعدة التي تذوب فيها كل النعرات الطائفية والعرقية. قال الله: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات 13. وقال الإمام عبد الحميد ابن باديس: (ما جمعته يد الله لا تفرقه يد الشيطان).

2- تؤكد الجمعية على حرمة الدماء وخطر إزهاق الأرواح. محذرة مما يترتب على ذلك من تراكم الأحقاد. واتساع رقعة الفتنة. قال صلى الله عليه وسلم: (لزوال الدنيا أهون على الله من قتل مؤمن بغير حق) كما تؤكد أيضا على أن وضع حد للاعتداءات والتجاوزات ينبغي أن يتحمل مسؤوليته كل العقلاء والجزائريين في أسرع الأجل.

3- تدبى الجمعية بشدة كل التجاوزات اللفظية والفعلية وترويج الشعارات والمصطلحات وبكل الوسائل المسموعة والمرئية والمكتوبة. التي توجب نار الفتنة مهما يكن مصدرها ما لا يخدم مصلحة المنطقة ولا استقرار الوطن.

4- تدعو الجمعية الأئمة والدعاة والأعيان والعقلاء والشباب وكل غيور على الوحدة الدينية واللحمة الوطنية والاجتماعية. إلى ضرورة محاصرة الفتنة. والتضييق على المنسببين فيها. بالنوع



بسم الله الرحمن الرحيم جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أسست في 17 ذي الحجة 1348 هـ
الموافق لـ 5 ماي 1931 م



الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا

نداء وتنبية . .

من أجل مراجعة أوضاع المنظومة التربوية

إن الأوضاع المتدهورة التي وصلت إليها مستويات التعليم في الجزائر، لم تعد تخفى على أحد، بل يكاد يُجمع المختصون والمهتمون بالشأن التربوي وعمامة المواطنين أن المدرسة الجزائرية في جميع مراحلها لم تعد تؤدي الدور المنوط بها، وأصبح مستوى التعليم بها متدنيا إلى درجة جعل النظام التعليمي لا يحقق أهدافه، وأصبحت الشهادات العلمية مجرد وثائق لا تعبر عن درجات معرفية، ومستويات فكرية، قادرة على تحقيق الإقلاع التنموي.

وما نلاحظه اليوم من ضبابية في الرؤية والتسيير، وما نستشفه من توجيهات مبهمه في الاستشراف والتخطيط، يكشف لنا عن حالة من الاستمرارية للسياسات التربوية التي أنتجت هذا الوضع البائس. وبرزت صور الضبابية التي تحيط بواقع المدرسة ومستقبلها هي انعدام الشفافية في تسيير ملف الإصلاحات، وترك الأمر للتسريبات والتكهنات مما فتح الباب للإشاعات، وأحدث قلقا في مختلف شرائح المجتمع وحيرة.

ولهذا، فأيماننا من جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بمسئوليتها أمام الله، والوطن، والتاريخ، والأجيال القادمة فإنها توجه هذا النداء والتنبية إلى كل المسؤولين والمهتمين بالشأن التربوي وكافة أبناء الشعب الجزائري ليتاملوا النقاط التالية:

1 - **المنهج والبرامج:**

إن ما تعيشه الجزائر من انفراط ففة ذات خلفية إيديولوجية غريبة عن الخلفية الحضارية للشعب الجزائري أمر يتعين وطنيا وحضاريا العمل على تغييره، ومنع استمراره في الوضع الذي وصل إليه، فإزمة التعليم في الجزائر استحكتت، والرداءة التي وصل إليها التعليم تجعل من إصلاحه ومراجعة أوضاعه مسألة بالغة التعقيد لظهوره مخرجاته على البلاد والعباد، لهذا فهو بحاجة إلى تكاتف جهود المختصين من المختصين لوضع مشروع جامع تبنه الدولة، ويشرف على إنجازه ومتابعة تنفيذ مجلس أعلى للتربية والتعليم يكون تابعا للرئاسة يشارك فيه المختصون والخبراء والعلماء والمفكرين الجزائريين من داخل الجزائر ومن خارجها، لتجاوز حالة الرداءة وانهاض المستوى. وهذا المشروع لا يتم بمسألة التعليم العام في مستوى واحد فحسب بل يتناول أيضا كل المستويات التعليمية بما في ذلك التعليم العالي والبحث العلمي، والتكوين المهني، فالأزمة مترابطة ولا يمكن معالجة حلقاتها بمعزل بعضها عن بعض.

2 - **اللغة العربية:**

إن اللغة العربية هي اللغة الرسمية للبلاد بنص الدستور، وعليه يجب أن يُحترم وضعها الدستوري في مجالات التطبيق وفقا لقانون تعميم استعمال اللغة العربية الصادر عام 1991. وإن التاريخ الحديث والقديم لم يشهد نهضة لأمة أو شعب بغير لغته، ومن حاول ذلك من خلال لغة دخيلة فإنه يظل ين تحت وطأة التخلف ويعاني تبعاته.

وإن التقدم العلمي الشامل يقتضي في مجتمعنا وجوب العمل على تعميم استعمال اللغة العربية في جميع مراحل التعليم وجميع أنواعه وفي البحث العلمي، في كل مجالاته، باعتبار أن اللغة العربية يجب أن تنقل لغة العلم والتكنولوجيا والتواصل والإبداع للخروج من التخلف وهذا يقتضي تعريب المواد العلمية والتقنية، في مستوى ما بعد البكالوريا، وجميع المستويات.

3 - **اللغات الأجنبية:**

إن مسألة التفتح على اللغات الأجنبية أمر ضروري لا غنى عنه. لكن اعتبار اللغة الفرنسية وحدها لغة التفتح على العالم والعلوم والتكنولوجيا هو الانغلاق بعينه والتبعية. ولهذا فإنه لا يحق للمسؤولين على شأن التربية والتعليم أن يحكموا على أبنائنا بالعزلة العلمية والفكرية، ويجعلهم مجرد متحيزين لما تنفضل به علينا المؤسسات والدوائر الفرنسية من ترجمات لم يعد من الممكن اليوم أن نواكب بها سرعة التطور العلمي والتكنولوجي، وتداول المعلومات. إن اللغات الأجنبية وسائل اتصال ومعرفة، والإنجليزية اليوم هي لغة التواصل والنشر العلمي، فتعلمها ضروري للاتحاق بركب العلم والحضارة.

ولهذا فإننا نطالب بان تحول المنظومة التربوية والتعليمية في الجزائر نحو اعتماد اللغة الإنجليزية لغة ثانية بشكل متدرج، وبخطوات مدروسة.

إن معالجة مشكلة التفتح على اللغات تتطلب تحديد خطة واضحة تُراعى من خلالها أنواع اللغات التي

تفيد البلاد، وأسلوب التعامل مع كل لغة.

4 - **التربية الإسلامية والتاريخ:**

إن التربية الإسلامية التي تعزز الاستقامة الأخلاقية وتمنّ تماسك البناء الأسري والاجتماعي وتحصنها من كل أشكال الانحراف والسقوط والاختراق، وترتقي بسلوك الفرد والمجتمع، وتثبت الهوية الوطنية وتحمي عناصرها فهي حصن يجب أن يُحمى ويُدافع عنه، فإذا سقط هذا الحصن سقطت بقية القلاع وأحدها تلو أخرى، وتخلخل التماسك الاجتماعي.

إن تاريخ الجزائر ليس تاريخ العقب التي نعرفها اليوم فقط، بل هو تاريخ متشعب ومرتبط الحلقات، وهو تاريخ حافل بالإنجازات الحضارية لا بد من اعتماده كأحد مكونات هوية الأمة، وضابط لانتماها، وليس كخاير وشذرات عاجزة عن النفاذ إلى وعي التلميذ والطالب، وهو ما يحتم تحويله إلى أحد المرتكزات العلمية التعليمية في صورته الشمولية وليس المعاصرة فقط من أجل ربط حلقات الماضي بالحاضر والمستقبل.

إن تدريس هاتين المادتين، التربية الإسلامية والتاريخ، وفق رؤية واضحة يتم بها استعادة منزلتهما الكاملة في مختلف التعامل التربوي، وذلك بتخصيص الوعاء الزمني اللائم، وتوفير الأستاذ الكفء، والمعامل اللائق، وجعل الامتحان في المادتين إجباريا وضروريا في جميع المستويات والشهادات.

5 - **سياسة التكوين وإعادة الأطر:**

إن النهوض بواقع المنظومة التربوية وترقية مستوى الأداء المدرسي يتوقف على اتباع سياسة مدروسة في مجال اختيار العناصر التي تُسند إليها التعليم والإشراف عليه، وإعدادها إعدادا شاملا، علميا وتربويا وأخلاقيا، لممارسة رسالة التعليم، وتجنّب أسلوب التوظيف المباشر الذي يتم بدون تكوين.

6 - **الهياكل والإمكانات المادية:**

إن البديل الحقيقي للخروج من أي أزمة حضارية هو الاستثمار في الإنسان، والعلوم، عبر بناء مؤسسات تربوية توفر لأبناء الشعب تعليما وتربية راقين، بوسائل تستجيب لمتطلبات العصر، وتوفر فرصا متساوية لجميع فئات الشعب، مع توفير المخابر والأدوات والأجهزة المتطورة، والسعي لتحقيق الجودة في التعليم، والاحتمام بالتعليم التقني والإبقاء عليه وتطويره.

7 - **المدارس الخاصة وروضات الأطفال:**

ومن الضروري التنبيه إلى ما تعيشه المدارس الخاصة من فرضي في التنظيم، وعدم التقيد بالبرنامج الرسمي، ولذلك يجب مراقبتها حتى لا تخرج عما ستكون عليه المنظومة التربوية، وتقييم أعمالها، كي لا تنتهج منهجا يقطع جذور أبنائنا عن ثقافتهم، ويعمل على تخريج فئات مختلفة في الفكر والسلوك عن ما تخرجه المدارس الرسمية.

أما في مستوى روضات الأطفال فالأمر أخطر لأنها تعتمد في أنشطتها اللغة الفرنسية وتعامل الأطفال بها، وما تقدمه من برامج ترفهية بعيد في مضمونه ولغته عن واقع بيتنا.

إن جمعية العلماء تدعو المسؤولين وكافة قوى الشعب الحية وأصحاب الضمائر في سلك التربية والتعليم وأولياء التلاميذ، والنقابات والإعلاميين، وكل مفاصل الدولة إلى التنبه التام واتخاذ الموقف المناسب لضمان مستقبل أبنائنا... وتنبه بهم أن يقفوا جميعا وفاقفة واحدة في وجه كل ما يمس مقدرات الأمة، وإضعاف شعورها الوطني، وترمي إلى فصل أبنائها عن لغة دينهم، وعن لغة العلم والتكنولوجيا، والإصرار على فرنسيتهم.

وأملنا من توجيه هذا النداء أن ينتبه المسؤولون إلى ما يؤدي إليه هذا الوضع التربوي المتدهور الذي يزداد خطورة، وتسنّى أن يتدارك أولو الأمر هذا الوضع باتخاذ الإجراءات الفعلية المطلوبة لتصحيح المسار، ومنع القرارات الخاطئة المتسارعة تجنبنا لما قد ينتج من عواقب خسارة لا نخدم مجتمعنا لا في حاضره ولا مستقبله.

«أَنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِسْلَامَ مَا اسْتَنْطَقْتُ وَمَا تَوَقَّعْتُ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» [هود/88]

اللهم قد بلغنا... اللهم فاشهد...

بيان جمعية العلماء المسلمين الجزائريين حول الأوضاع في العالم الإسلامي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أسست في 17 ذي الحجة 1348 هـ
 الموافق لـ 5 ماي 1931 م



الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا

الجزائر في: 27 نوفمبر 2016م

بيان

قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخْبَرْنَا لِسَانَ آدَمَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَقَالَ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾ [آل عمران: 103]

بتاريخ 26 صفر 1438هـ الموافق لـ 25 نوفمبر 2016م، عقد المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين اجتماعه الدوري العادي، في ولاية سطيف، وقد ناقش عددا من القضايا الفكرية والنظرية والدعوية ذات الصلة بعمل ونشاط الجمعية، بالإضافة إلى قضايا تنظيمية وإدارية تخص الشأن الداخلي للجمعية. واد مسجل المكتب الوطني ارتياحه للسير الحسن لعمل الجمعية وتطورها المستمر، وهو ما يؤكد قبول الشعبي العريض للجمعية في مختلف ربوع الوطن. فإن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إذ تستوقفها بعض الأحداث الأليمة في عدد من أقطار العالمين العربي والإسلامي، تسجل:

- 1- استنكار الجمعية للعدوان المسافر على الأرض والإنسان في سوريا؛ خاصة في بعض المدن كحلب وإدلب، بتل الأطفال والنساء والشيوخ، وتدمير المدارس والمستشفيات والمساجد، ما تشهد عليه الصور البشعة التي تنتقلها وسائل الإعلام يوميا، وتدعو الجمعية إلى ضرورة إيقاف هذه المأساة التي طالت الشعب السوري كله، فدمرت مدنه وشردت أهله وأتت على الأخضر واليابس في هذا البلد المسلم الشقيق.
- 2- وليس بعيدا عن سوريا هناك بلد عربي إسلامي آخر هو العراق الذي يكوي بنيران الحرب، التي تجذ في التشديد الطائفي العنفي الصارخ ما يغذي تلك الحرب، والجمعية تشجب العدوان على العراقيين المسلمين السنة، وتهجيرهم، وإدلالهم، وتندد بالإيمان في تركيز البعد الطائفي الذي يندثر بشور وخيعة تعود على المسلمين بالويل والدمار، ما يحقق مرامي أعناء الإسلام في تقطيع وتفريق المسلمين وإضعاف شوكتهم.
- 3- بؤرة أخرى منتورة من أقطار الإسلام وهي اليمن الشقيق، الذي يشهد حربا ضروسا تغذيها النزعة الطائفية التوسعية، والرغبة في الهجنة وسط النفوذ الشيعي، على أرجاء واسعة من العالم الإسلامي.

المقر: شارع محمد مريوش - صرب 000. حسين داي. الجزائر 16040 الهاتف: 49.52.67 / (213-21) / فاكس: 23.33.73 (213-21)

والجمعية تدعو أهل الإيمان والعقل إلى معالجة المشكلة بما يخدم الإسلام العظيم الذي يساه إليه بتل هذه التصرفات، والشاهد على خطورة هذا الصراع الطائفي الاعتداء المسافر على مكة المكرمة بتوجيه صواريخ إليها من أرض اليمن، وهو ما تشجبه الجمعية وتستنكره وتندد به بقوة.

4- أما ليبيا الشقيقة وما يحدث فيها من تنافر وتحالف يؤلم القلب، فقد وصل الوضع فيها إلى حد قتل العلماء مثلا حدث مع الشيخ نادر العمراني رحمه الله. إن الجمعية تدعو كل الأطراف إلى تجاوز خلافاتهم وإيجاد حل توافقي بتغليب لغة الحوار؛ حفظا لأمن ووحدة هذا البلد الحار الشقيق، وإن الجمعية لتبدي استعدادها مع كل أهل الخير من العلماء والدعاة العاملين للمساهمة في إيجاد حلول دائمة لمشكلات هذا البلد الشقيق.

5- ولا يغوت الجمعية أن تنبه الضمير الإسلامي والإنساني إلى المأساة المروعة المنسية المتهلة في إبادة المسلمين الروهينغا، والتي تشير الصور والتقارير الواردة إلى بلوغها مستوى من الوحشية لم تعرفه الإنسانية في مجال عدوان الإنسان على أخيه الإنسان، وتستنكر الجمعية الصمت الرهيب حيال هذه الجرائم البشعة والإبادة الوحشية التي يتعرض لها المسلمون هناك، وتدعو الجمعية المسلمين في العالم حكما وشعبا إلى الانتفاض إلى هذه المأساة والعمل على تحقيق واجب النصرة.

إن الجمعية وهي تسجل هذه المواقف لنتبه إلى بعض الحقائق المتهلة في:

- أ- مدى الحسارة الفادحة للإنسانية ووقوعها فريسة للحروب والأزمات بسبب ابتعادها عن الدين والقيم الإنسانية العليا.
 - ب- مدى تقصير المسلمين، حكاما ومحكومين، في أداء واجب التبليغ وإيصال تعاليم هذا الدين العظيم إلى الإنسان في كل مكان، ومسؤولية ذلك كبيرة أمام الله عز وجل.
 - ج- تمتد الجمعية بالقيام بواجباتها في الإصلاح والدعوة بالتي أحسن ووسط القيم النبيلة والأخلاق الرفيعة والوسطية.
- ولا تنسى الجمعية، في الأخير، أن تذكر قضية المسلمين المركزية "فلسطين"، وتدعو في هذا السياق إلى فك الحصار على غزة المحاصرة منذ أكثر من عشر سنوات، وتحيب بالمسلمين إلى تحمل مسؤولياتهم تجاه المسجد الأقصى المبارك، وما يتعرض له من محاولات تهويد، ومنع رفع الأذان فيه وبإني مساجد فلسطين، وتؤكد الجمعية على واجب نصرة الشعب الفلسطيني المظلوم.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا هَذِهِ فِتْنَةٌ وَأَنَا نَجِيءُكُمْ مِنْهَا وَإِنَّكُمْ لَفِيهَا لَمُسْتَوْفُونَ...﴾ [المؤمنون: 52].

رئيس الجمعية

أ.د. عبد الرزاق شوم





بسم الله الرحمن الرحيم
جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

أسست في 17 ذي الحجة 1349 هـ
 الموافق لـ 5 ماي 1931 م



الإسلام ديننا، العربية لغتنا، الجزائر وطننا

الجزائر في، 09 مارس 2017م

الرئيس:

بيان

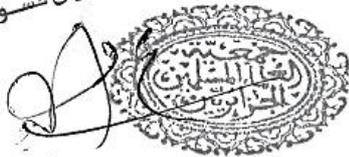
تجاوبا مع المراسلات والاستفسارات التي وصلتنا من شعب الجمعية بالولايات، والتلق العام الذي حدث بسبب ما أثارته بعض وسائل الإعلام حول المدارس القرآنية، ونظرا لحساسية التعليم القرآني وخصوصية، ومكانته في الأمة، عقد المكتب الوطني اجتماعا طارئا لدراسة المراسلات ومناقشتها، والاستماع إلى موفد الجمعية إلى وزارة التربية الوطنية، من أجل الاستفسار عن هذا الموضوع، فأفاد نقلا عن مسؤول بالوزارة، « بأن الغاية من هذا الإجراء هو إحصاء وضبط وتنظيم المدارس القرآنية العمومية، ضمن التعليم التحضيري العمومي، ذلك لأن هذه المدارس يشملها نسبة التمدريس الوطني»، وهو يسعى في هذا الإطار الاتصال أيضاً بوزارة الأوقاف والشؤون الدينية.

وبعد الاستماع إلى أعضاء المكتب الوطني، وفي ضوء هذا كله، صدر البيان التالي:

1- تُذَكِّر الجمعية بأن من مبادئها وأهدافها الأساسية منذ نشأتها: نشر كتاب الله تعالى، وتعليمه وتحفيظه وتربية الأجيال الصاعدة على منهاجه؛ ولهذا فإنها تؤكد على تمسكها بهذه المدارس، وتعتبرها من أهم مكاسب ومقدرات الشعب والوطن، وتدعو إلى دعمها والعناية بها ماديا ومعنويا.

2- وتأمل الجمعية في أن تكون مُشاركة في كل ماله علاقة بنشاطاتها التي تتقاسمها مع بعض مؤسسات الدولة، إيمانا منها بمسؤوليتها ودورها الرسالي في الحياة العامة، تفاديا لكل الإشكالات التي قد تثار.

3- وفي انتظار الحصول على التوضيحات المطلوبة، وإزالة كل غموض، وجمع المعطيات الكافية سيتخذ المكتب الوطني الموقف المناسب بما يخدم مصلحة الوطن والدين. ^{رئيس الجمعية} اد. عبد الرزاق قسوم



والله الموفق لكل خير ومنه العون السداد

بيان : «معالم الخروج من الأزمة وفق منظور جمعية العلماء»

بسم الله الرحمن الرحيم

اجتمع المكتب الوطني لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، يوم الخميس 15 ذي القعدة 1440هـ الموافق لـ 18 يوليو 2019م، بالمقر الوطني بالجزائر العاصمة، وتحت رئاسة الشيخ الدكتور عبد الرزاق قسوم.

وبعد دراسة مستفيضة، للواقع الوطني وتطورات، في ضوء الحراك الشعبي المبارك، خص المكتب إلى مايلي:

إن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وعيا منها بالمسؤولية الثقيلة الملقاة على عاتقها، إزاء المجتمع الجزائري.

وإيماننا منها بواجب النصح لله ولرسوله وللمؤمنين، ووفاء منها للعهد الذي قطعتة للأمة :

- تهنئ الشعب الجزائري على كافة انتصاراته وصموده، وثباته، في حراكه السلمي العظيم الذي فتح صفحة جديدة في تاريخه تضاف إلى صفحاته المجيدة. كما يقدم درسا جديدا للعالم كله في منهجية التغيير السلمي الحضاري، وتدعو الجمعية شعنا الجزائري إلى مزيد من التمسك بسلمية حراكه، ووحدة صفوفه وصيانة مبادئه وثوابته.

- كما تؤكد جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

على التشبث بالمبادئ العامة المشتركة لكل الجزائريين، الضامنة لتحقيق الحل التوافقي الدستوري، للخروج من الأزمة الحالية، وأهمها نداء أول نوفمبر ومواد الدستور ولا سيما المادتان السابعة والثامنة، تلك التي ترسخ احترام الحقوق والحريات، مع مراعاة البحث عن حلول وفق منهجية تجمع بين الرؤية السياسية والشرعية الدستورية مع الاستجابة الكاملة لمطالب الحراك الشعبي الوطني وطموحات شعبنا الأبي.

- تبارك جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الدعوة إلى الحوار، كاستراتيجية حضارية للخروج من الأزمة، وتدعو بالمناسبة- إلى التنبهي السريع، لإجراءات واليات واضحة وعملية تهيئ الأجواء، وتوفر المناخ المناسب لاستعادة الثقة، ومن هذه الآليات:

- تكوين هيئة وطنية مستقلة للإشراف على الانتخابات وتنظيمها ومراقبتها.

- تكوين حكومة وحدة وطنية من مختلف الكفاءات مع استبعاد رموز الفساد.

وذلك من أجل تعبيد الطريق، لانتخاب رئيس جمهورية في ظل النزاهة، والشفافية، والتنافس الحر الذي لا يقصي إلا من أقصاه الفساد أو الإفساد.

- تدعو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كافة الأطراف الفاعلة في الساحة الوطنية إلى التحلي بروح المسؤولية، وتقديم المصلحة الوطنية العليا، على المصالح الذاتية الضيقة، والإسراع في فتح الحوار الشامل والمستقل، الذي يضع الليات التجسيد لمرحلة ما قبل الانتخابات، والتي تفضي إلى انتخابات يسلم بنتائجها الجميع.

- هذا وإذ تتمعن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين كل المبادرات الوطنية، الداعية إلى الخروج السريع من الأزمة، فإنها تؤكد مرة أخرى استعدادها لمواصلة كل المساعي الرامية إلى تقريب وجهات النظر، والتوافق على برنامج يتم بمقتضاه البلوغ بالوطن إلى شاطئ الأمن والأمان.

-وتدعو جمعية العلماء المسلمين الجزائريين بهذه المناسبة، كل القوى الحية في الشعب، علماء، ومثقفين، وأحرار، وحرائر، إلى تأييد بيان الجمعية والعمل على نشر مبادئه، وتجسيد رؤيته.

﴿ وَقُلْ أَعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ ﴾ [سورة التوبة، الآية: 105]

أ.د. عبد الرزاق قسوم

رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

الفهارس

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

ثالثاً: فهرس الأعلام

أولاً: فهرس الآيات القرآنية

الصفحة	الآية	السورة	الآية
03	31	الذاريات	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾
03	20	ص	﴿ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَضَّلْنَا الْخِطَابَ ﴾
03	63	الفرقان	﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾
03	37	هود	﴿ وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُعْرِقُونَ ﴾
03	37	النبأ	﴿ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴾
03	23	ص	﴿ فَقَالَ أَكْفَلْتَنِيهَا وَعِزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴾
04	95	طه	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَا سَامِرِيُّ ﴾
04	57	الحجر	﴿ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾
04	23	القصص	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصْدِرَ الرِّعَاءُ ﴾
04	51	يوسف	﴿ قَالَ مَا خَطْبُكَ إِذْ رَاوَدْتَنِّي يوسُفَ عَنِ نَفْسِهِ ﴾
04	235	البقرة	﴿ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا عَرَّضْتُمْ بِهِ مِنْ خِطْبَةِ النِّسَاءِ ﴾
29	09	الزمر	﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾
54	63	الأنفال	﴿ وَاللَّهُ أَلْفَ بَيْنٍ قُلُوبِهِمْ، لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلْفَتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ، إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾
122	17	الرعد	﴿ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ ﴾
143	46	سبأ	﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْنَى وَفِرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُونَ ﴾
145	159	البقرة	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾
153	84	النمل	﴿ حَتَّى إِذَا جَاءُوا قَالَ أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي وَلَمْ تُحِيطُوا بِهَا عِلْمًا أَمْ آدَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾
153	65	القصص	﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴾

153	21	الزخرف	﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾
154	72	الحج	﴿ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بِشِرِّ مَن ذَلِكُمْ النَّارُ وَعَدَّهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَتَّبِعُ الْمَصِيرُ ﴾
162	151	البقرة	﴿ وَيُزَيِّدُكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾
140، 182	11	الرعد	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
184	51	المؤمنون	﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾
218	48	المائدة	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾
218	99	يونس	﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَن فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا ﴾
218	93	النحل	﴿ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً ﴾
218	100	يونس	﴿ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ﴾
228	18	النمل	﴿ حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾
229	20.21	النمل	﴿ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهَدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ، لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴾
230	18.19	الإسراء	﴿ مَن كَانَ يُرِيدِ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَدْمُومًا مَّدْحُورًا ، وَمَن أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا ﴾
230 ، 231	62.63	النور	﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا اسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأُذِنَ لِمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ، لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾
256	18	الجاثية	﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا ﴾
256	21	الاحزاب	﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾
257	104	الأنعام	﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَن أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَن عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِخَفِيظٍ ﴾

ثانياً: فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

الصفحة	الحديث:
165	قال ﷺ: "إنما بعثت معلماً" رواه مسلم
171	« زيد بن ثابت قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم كتاب اليهود، قال: إني والله ما آمن يهود على كتاب، قال: فما مرّ بي نصف شهر حتى تعلّمته. قال: فلما تعلّمته كان إذا كتب إلى يهود كتبت إليهم، وإذا كتبوا إليهم قرأت له كتابهم» رواه الترمذي
232	«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً، ثم شبك بين أصابعه» رواه البخاري
233	قال رسول الله ﷺ: « إذا سمعت الرجل يقول هلك الناس فهو أهلكهم»
233	عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: كنا مع النبي ﷺ في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار. فقال الأنصاري يا للأنصار، وقال المهاجري يا للمهاجرين، فقال رسول الله ﷺ: « ما بال دعوى الجاهلية» قالوا يا رسول الله كسع رجل من المهاجرين رجلاً من الأنصار فقال: « دعوها فإنها منتنة».
234	ارتحل النبي ﷺ من مبيته صبيحة يوم بدر حتى نزل على أدنى ماء إليه وبقي الماء أمامه لو جاء العدو لنزل عليه فيكون الجيشان على ماء. وكان الصحابة يعلمون أن رسول الله ﷺ يتصرف بالوحي فيكون تصرفه حتماً ويتصرف بالنظر في السياسة والحرب فيشاور ويراجع وهو المعصوم فلا يقر على الخطأ، فانبأ الحباب بن المنذر بين الجموع يبدي رأيه وما يعتقده صواباً في مكان النزول فقال: (يا رسول الله أرأيت المنزل هذا أمنزلاً أنزله الله ليس لنا ان نتقدم أو نتأخر عنه أم هو الرأي والحرب والمكيدة؟) فقال رسول الله ﷺ: « بل هو الرأي والحرب والمكيدة» فقال الحباب: (إن هذا ليس بالمنزل فانهض بالناس حتى تأتي أدنى ماء من القوم فننزله، ثم نغور ما وراءه من القلب، ثم نبنى عليه حوضاً نملؤه ماءً ثم نقاتل القوم فنشرب ولا يشربون). وظهر هذا للنبي ﷺ فقال له: « لقد أشرت بالرأي» ونهض بالناس حتى نزل المنزل الذي أشار به الحباب.
237	قال نبينا ﷺ: ﴿ إن الشيطان قد يئس أن يعبد في أرضكم هذه، ولكنه رضي أن يطاع فيما دون ذلك﴾

ثالثا: فهرس الأعلام

أ

المولود بن الموهوب 99 ، 100 ، 108 ، 118 ، 138 ،
العربي التبسي 119 ، 121 ، 141 ، 144 ، 152 ،
160 ، 188 ، 201 ، 246 ، 273 ،
الطيب العقبي 121 ، 153 ، 160 ، 210 ، 225 ، 240 ،
253 ، 269 ،
الساسى العمورى 125 ،
السعيد صالحى 189 ، 269 ،
البان روزى 105 ،
أفلاطون 66 ،
أرسطو 64 ، 66 ،
أندري ديرليك 133

ب

بن علي بن زاغو 175 ، 176 ،
بيجو 82 ،
بوجولا 88 ،
بربروجر 90 ،
بارلانج 154 ،
بوركهارت 08

ت

تشرشل 216

ج

جابر بن عبد الله - رضى الله عنهما - 233 ،
جالينوس 66 ،
جاك كارى 202 ،
جمال الدين الأفغانى 13 ، 17 ، 18 ، 19 ، 20 ،
30 ، 31 ، 38 ، 76 ، 111 ، 113 ، 114 ، 115 ، 116 ،
118 ، 122 ، 255 ،
جريجورى السادس عشر 87

ابن رشد 60

ابن خلدون 60 ، 63 ،

ابن سينا 60

ابراهيم مزهودى 126

إبراهيم بيوض 187 ، 210 ،

البخارى 105 ، 232 ،

الفارابى 60

ابن تيمية 116

أبو يعلى الزواوى 153 ، 195 ،

أبو القاسم سعد الله 202 ، 203 ،

أبو بكر الصديق - رضى الله عنه - 203

أبو اسحاق إبراهيم أطفيش 273

أبو موسى الأشعري 232

أبودلامة 97

الترمذى 171

أحمد بوشمال 251 ، 253 ،

أحمد بن عليوة المستغانمى 150 ، 151 ،

أحمد توفيق المدنى 132 ، 179 ، 201 ، 259 ، 266 ،

أحمد حماني 31 ، 113 ، 125 ، 126 ، 141 ، 202 ،

259

أحمد طالب الإبراهيمى 261

الحاب بن المنذر - رضى الله عنه - 234 ،

الفضيل الورتلانى 189 ، 190 ، 199 ، 200 ، 216 ،

269 .

ألفريد بيل 99

الظاهر بن عاشور 160

المولود بن الصديق 122

س

سلامة موسى 10 ، 13 ، 38 ، 44

ساطع الحصري 13 ، 32 ، 33 ، 34

سليمان - عليه السلام - 228

ش

شبلي شميل 13 ، 38 ، 39

شكيب أرسلان 13 ، 17 ، 27 ، 28 ، 29 ، 117

شارل روبير أجيرون 132

شارلوت كوراي 135

شوكو واتانابي 136

ص

صالح بن مهنا 99 ، 104 ، 105 ، 106 ، 115 ، 118 ، 138

صالح نور 125

صالح باي 108

ط

طه عبد الرحمان 06

طه حسين 13 ، 38 ، 45 ، 46

ع

عبد الرحمان الكواكبي 13 ، 17 ، 24 ، 25 ، 26 ، 117

علي عبد الرازق 13 ، 38 ، 43

عبد الحلیم بن سماية 30 ، 76 ، 99 ، 106 ، 107 ، 108 ، 138

عبد الحلیم محمود 268

عبان رمضان 201

علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - 60

عيسى - عليه السلام - 88

عبد القادر الجزائري 91

عبد القادر المجاوي 99 ، 101 ، 102 ، 103 ، 115 ، 119 ، 138

جوان جيلسبي 133

جون فيري 194

ح

حسان باشا 235

حسن حنفي 12 ، 47 ، 67 ، 68 ، 72 ، 76

حسن البنا 254

حسين بن حسين 226

حمدان خوجة 92 ، 118 ، 138

حمزة بوكوشة 189

خ

خير الدين التونسي 13 ، 15 ، 16 ، 17

د

دي بورمونت 79

درويت ديرلون 80

دانيال زينسون 134

دوبوش 87

ديغول 187

دريك 09

ر

رفاعة الطهطاوي 13 ، 14 ، 15 ، 17

رودوسي قدور بن مراد 266

روفيغو 88

روجي غارودي 133

رينيه باسية 99

رينان 22

ز

زكي الأرسوزي 13 ، 32 ، 34 ، 35

زكي نجيب محمود 47 ، 48 ، 51 ، 52 ، 53 ، 76

زيد بن ثابت - رضي الله عنه - 171

عبد الرحمن الجيلالي 98

كولومبوس 09

ل

عبد الرحمن شيبان 126 ، 176 ، 197 ، 198 ، 211 ،
212 ، 246 ، 259 ، 261

لالاند 05

عبد الرزاق قسوم 125 ، 126 ، 207 ، 250 ، 259 ،
260 ، 261 ، 272 ، 273 ، 275 ، 278

لظفي السيد 13 ، 38 ، 42

لافيجيري 155

عبد العزيز جاويش 107

ليفي بروفنسال 99

عبد الحميد بن باديس 31 ، 99 ، 110 ، 111 ، 112 ،

م

113 ، 115 ، 116 ، 117 ، 118 ، 119 ، 120 ، 121 ،

ماجلان 09

122 ، 123 ، 124 ، 127 ، 128 ، 129 ، 130 ، 131 ،

مالك بن أنس 226

133 ، 134 ، 135 ، 136 ، 137 ، 141 ، 142 ، 149 ،

مالك بن نبي 10 ، 11 ، 47 ، 53 ، 54 ، 55 ، 56 ،

150 ، 151 ، 160 ، 161 ، 163 ، 164 ، 165 ، 166 ،

57 ، 58 ، 59 ، 76 ، 105 ، 110 ، 116 ، 161 ، 197 ،

170 ، 171 ، 172 ، 179 ، 180 ، 181 ، 182 ، 184 ،

268

186 ، 187 ، 192 ، 193 ، 196 ، 197 ، 198 ، 199 ،

محمد المبارك 268

200 ، 205 ، 208 ، 213 ، 214 ، 217 ، 218 ، 225 ،

محمد العاصمي 266

226 ، 227 ، 228 ، 230 ، 231 ، 232 ، 233 ، 234 ،

محمد عابد الجابري 05 ، 11 ، 47 ، 60 ، 61 ، 62 ،

240 ، 241 ، 242 ، 243 ، 245 ، 248 ، 251 ، 252 ،

76 ، 67 ، 66 ، 65 ، 64 ، 63

253 ، 254 ، 255 ، 256 ، 257 ، 264 ، 269 ، 270 ،

272 ، 274 ، 275

محمد بن عبد الوهاب 112 ، 113 ، 115

عبد الوهاب حمودة 125

محمد بن علي السنوسي 273

علي المغربي 125 ، 126 ، 259

محمد بن يوسف السنوسي 273

عمار مطاطلة 126

محمد عبد الله دراز 268

عبدالرحمان بوشامة 243

ف

محمد عبده 13 ، 17 ، 20 ، 22 ، 23 ، 30 ، 31 ،

فاسكو دي جاما 09

38 ، 76 ، 95 ، 98 ، 107 ، 111 ، 112 ، 113 ، 114 ، 115 ،

فرح انطون 13 ، 38 ، 40

116 ، 118 ، 122 ، 255

محمد رشيد رضا 13 ، 17 ، 23 ، 24 ، 30 ، 31 ،

فرانسييس جانسون 132

38 ، 76 ، 107 ، 111 ، 112 ، 113 ، 114 ، 115 ،

فرحات عباس 134 ، 135 ، 210 ، 269

116 ، 118 ، 122 ، 131 ، 255

ق

محمد بن مصطفى بن الخوجة 30 ، 76 ، 92 ، 95 ،

قسطنطين زريق 13 ، 32 ، 36 ، 37

96 ، 97 ، 118 ، 138

محمد البشير الإبراهيمي 30 ، 99 ، 110 ، 115 ،

قاسم أمين 13 ، 38 ، 41 ، 42

119 ، 121 ، 122 ، 123 ، 124 ، 133 ، 141 ، 143 ، 149 ،

ك

151 ، 152 ، 155 ، 156 ، 157 ، 160 ، 162 ، 165 ،

كارل فولرس 107

166 ، 167 ، 168 ، 169 ، 178 ، 184 ، 185 ، 189 ،

كسرى 66

197 ، 199 ، 200 ، 202 ، 205 ، 209 ، 210 ، 211 ،

، 228 ، 227 ، 225 ، 219 ، 218 ، 215 ، 214 ، 213
 ، 245 ، 244 ، 243 ، 241 ، 240 ، 237 ، 236 ، 235
 ، 272 ، 270 ، 261 ، 259 ، 258 ، 248 ، 247 ، 246
 279

هـ

محمد - صلى الله عليه وسلم - 43 ، 113 ، 143 ،
 هاملتون جيب 131 ، 227 ، 226 ، 224 ، 205 ، 203 ، 171 ، 165 ، 160 ، 146
 هانوتو 22 256 ، 255 ، 248 ، 243 ، 237 ، 235 ، 234 ، 233
 هنري ماسية 99 138 ، 118 ، 95 ، 94 ، 92 محمد بن محمود العنابي

ي

محمد بن أبي شنب 92 ، 97 ، 98 ، 99 ، 107 ، 118 ،
 138
 محمد بن جلول 135 ، 196
 محمد بوخروبة (هواري بومدين) 202
 محمد خير الدين 119 ، 124 ، 198 ، 205 ، 206 ،
 251
 محمد خيضر 202
 محمد السعيد الزاهري 119
 محمد فارح 125
 محمد الهادي الحسني 125 ، 126 ، 259
 محمد كحول 107 ، 198
 محمد الصالح الصديق 259
 محمد الطاهر فضلاء 125
 محمد الطاهر الأطرش 126
 محمود بن ونيش 266
 محمود قاسم 268
 مبارك الميلي 119 ، 121 ، 132 ، 141 ، 143 ، 144 ،
 145 ، 146 ، 154 ، 160 ، 193 ، 253
 مسلم 105 ، 165
 ميخائيل أفيتبول 134
 ميشال فوكو 05
 ميشيل عفلق 13 ، 32 ، 37
 معاوية بن أبي سفيان - رضي الله عنه - 60
 ميشيليه 08

المصادر

والمراجع

- القرآن الكريم، برواية ورش لقراءة الإمام نافع.

- الحديث النبوي الشريف

قائمة المصادر

1. عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الأول، ج1، ط3 ، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997
2. عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الأول، ج2، ط3 ، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997
3. عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الثاني، ج1، ط3 ، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997
4. عبد الحميد بن باديس: آثار ابن باديس، إعداد وتصنيف: عمار طالبي، المجلد الثاني، ج2، ط3 ، الشركة الجزائرية، الجزائر، 1997
5. عبد الحميد بن باديس: آثار الإمام عبد الحميد بن باديس، ج 5، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007
6. عبد الحميد بن باديس: تفسير ابن باديس في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير، جمع وترتيب: توفيق محمد شاهين، محمد الصالح رمضان، ط 2، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003
7. عبد الحميد بن باديس: مجالس التذكير من حديث البشير النذير، ط 1 ، مطبوعات وزارة الشؤون الدينية، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1983
8. عبد الحميد بن باديس: العقائد الإسلامية من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، ط1 ، دار الفتح، الشارقة، 1995
9. عبد الحميد بن باديس: الدرر الغالية في آداب الدعوة والداعية، دار المنار للنشر والتوزيع، الرياض، (د ت)

10. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي ، ج 1 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
11. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 2 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
12. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 3، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
13. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 4، ط 1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
14. محمد البشير الإبراهيمي: آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي، جمع وتقديم: أحمد طالب الإبراهيمي، ج 5 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1997
15. محمد البشير الإبراهيمي: الطرق الصوفية، ط 1 ، مكتبة الرضوان، الجزائر، 2008
16. مبارك بن محمد الملي: رسالة الشرك ومظاهره، تحقيق وتعليق: أبي عبدالرحمان محمود ، ط 1 ، دار الراجعية للنشر والتوزيع، الرياض، 2001
17. مبارك بن محمد الملي: تاريخ الجزائر في القديم والحديث، ج 1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، (د ت)
18. الفضيل الورتلاني: الجزائر الثائرة، (د ط) ، دار الهدى، الجزائر، 2009
19. أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المطبعة العربية، الجزائر، 1931
20. أحمد توفيق المدني: هذه هي الجزائر، (د.ط) ، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 2001
21. محمد خير الدين: مذكرات، ج 1 ، ط 2 ، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002
22. محمد خير الدين: مذكرات، ج 2 ، ط 2 ، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2002
23. أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج 1 ، (د . ط)، دار البعث، (د.ت)
24. عبد الرحمان شيبان: حقائق وأباطيل، ط 2 ، منشورات ثالة، الأبيار، الجزائر، 2009
25. عبد الرحمان شيبان: من وثائق جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009
26. عبد الرزاق قسوم: أعلام ومواقف في ذاكرة الأمة، ط 1 ، الدار العثمانية، الجزائر، 2014
27. عبد الرزاق قسوم: حصاد قلم جزائري، ط 1 ، دار منشورات الجمعية للنشر والتوزيع، برج بوعرييج، 2016
28. عبد الرزاق قسوم: دمعة حبر جزائرية، (د ط)، دار النعمان للطباعة والنشر، الجزائر، 2013
29. عبد القادر فضيل: اللغة ومعركة الهوية في الجزائر، ط 2 ، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2015

30. عبد القادر فضيل: المدرسة في الجزائر، ط 2 ، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2013
31. عبد القادر فضيل: نظام التعليم في الجزائر، ط1، جسور للنشر والتوزيع، الجزائر، 2016
32. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين: سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، دار المعرفة، الجزائر، 2009

قائمة المراجع باللغة العربية

1. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج 2 ، (د ط)، دار البصائر، الجزائر، 2007
2. أبو القاسم سعد الله: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ج4 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1996
3. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج 1 ، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992
4. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، ط4 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1992
5. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 3، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
6. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 5، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
7. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 6، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
8. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 8 ، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
9. أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج 10، ط 1 ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998
10. أبو القاسم سعد الله: رائد التجديد الإسلامي محمد بن العنابي، ط2، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1990
11. أحمد الشرباصي: شكيب أرسلان داعية العروبة والإسلام، (د ط)، المؤسسة المصرية العامة، القاهرة، (د ت)
12. أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، (د ط)، دار الكتاب العربي، بيروت، (د ت)
13. أحمد بهنسي: رؤية الاستشراق الإسرائيلي لعلماء الإصلاح الديني في العالم الإسلامي، (د ط)، مركز نماء للبحوث والدراسات، بيروت، لبنان، (د ت)
14. أحمد لطفي السيد: تأملات، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013
15. إسعد لهالي: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين والثورة التحريرية الجزائرية، ط 1، بيت الحكمة، الجزائر، 2015

16. ألبرت حوراني: **الفكر العربي في عصر النهضة**، ترجمة: كريم عزقول، (د ط)، دار النهار للنشر، بيروت، (د ت)
17. أندري ديرليك: **عبد الحميد بن باديس مفكر الإصلاح وزعيم القومية الجزائرية**، ترجمة: مازن بن صلاح مطبقاني، (د ط)، عالم الأفكار، الجزائر، 2013
18. بسام العسلي: **الله أكبر وانطلقت ثورة الجزائر**، ط2 ، دار النفائس، بيروت، 1986
19. بسام العسلي: **عبد الحميد بن باديس**، ط2 ، دار النفائس، بيروت، 1983
20. بسام العسلي: **محمد المقراني**، ط3 ، دار النفائس، بيروت، 1990
21. بشير بلاح: **تاريخ الجزائر المعاصر**، ج 1 ، (د ط) ، دار المعرفة، الجزائر، 2006
22. بن ابراهيم الطيب: **مواقف وأفكار مشتركة بين مالك بن نبي وابن خلدون**، (د ط)، دار مدني، الجزائر، 2002
23. تركي رابح عمامرة: **الشيخ عبد الحميد بن باديس باعث النهضة الإسلامية العربية في الجزائر المعاصرة**، ط2 ، موفم للنشر والتوزيع، الجزائر، 2003
24. تركي رابح: **التعليم القومي والشخصية الجزائرية**، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
25. تركي رابح: **الشيخ عبد الحميد بن باديس رائد الإصلاح والتربية في الجزائر**، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981
26. جمال الدين الأفغاني: **الرد على الدهريين**، ط 3 ، مطبعة الموسوعات، مصر، 1902
27. جمال الدين الأفغاني ، محمد عبده: **العروة الوثقى**، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة، 2014.
28. حسن حنفي: **التراث والتجديد**، ط4، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، 1992
29. حسن حنفي: **دراسات فلسفية**، ط1 مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، 1987
30. حسن حنفي: **مقدمة في علم الاستغراب**، (د ط)، الدار الفنية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1991
31. حمدان بن عثمان خوجة: **المرآة**، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبييري، (د ط) المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2005
32. خير الدين التونسي: **أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك**، (د ط)، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2012
33. رفاعة رافع الطهطاوي: **المرشد الأمين للبنات والبنين** ، (د ط) ، دار الكتاب المصري، القاهرة، 2012

34. رفاعة رافع الطهطاوي: تخلص الإبريز في تخيص باريز، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012
35. رفاعة رافع الطهطاوي: مناهج الألباب المصرية في مباحج الآداب العصرية، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014
36. الزبير بن رحال: الإمام عبد الحميد بن باديس رائد النهضة العلمية والفكرية، ط1، دار الهدى، الجزائر، 1997
37. زكي الأرسوزي: الأمة العربية، (د ط) ، دار اليقظة العربية، دمشق، 1958
38. زكي نجيب محمود: المعقول واللامعقول في تراثنا الفكري، ط 3، دار الشروق، بيروت، 1981
39. زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي ، (د ط)، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، 1951
40. زكي نجيب محمود: تجديد الفكر العربي، (د ط)، دار الشروق، القاهرة، 1971
41. زكي نجيب محمود: قصة عقل ، ط2، دار الشروق، القاهرة، 1988
42. زكي نجيب محمود: نحو فلسفة علمية ، (د ط)، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، (د ت)
43. زكي نجيب محمود، خرافة الميتافيزيقا ، (د ط)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، 1953
44. زين نورالدين زين: نشوء القومية العربية، ط4، دار النهار للنشر، بيروت، 1986
45. ساطع الحصري: أبحاث مختارة في القومية العربية، ط 2 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1985
46. ساطع الحصري: العروبة بين دعائها ومعارضيتها، ط 1 ، دار العلم للملايين، بيروت، 1952
47. سامي الدهان: الأمير شكيب أرسلان حياته وآثاره، ط2، دار المعارف، مصر، (د. ت)
48. سلامة موسى: ما هي النهضة، (د ط)، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، رغاية، الجزائر، 1987
49. سليمان الصيد: صالح بن مهنا القسنطيني، ط 1 ، دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، 1983
50. سمير أبو حمدان: عبد الرحمن الكواكبي وفلسفة الاستبداد، (د ط)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، لبنان، 1992
51. سمير أبو حمدان: فرح أنطون وصعود الخطاب العلماني، (د ط)، الشركة العالمية للكتاب، بيروت، 1992
52. السيد ولد أباه: أعلام الفكر العربي، ط 1 ، الشبكة العربية للأبحاث والنشر، بيروت، 2010

53. شارل روبير اجيرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ترجمة: عيسى عصفور، ط1 ، منشورات عويدات، بيروت، 1982
54. شبلي شميل: آراء الدكتور شبلي شميل ، (د ط) ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2014
55. شكيب أرسلان: لماذا تخلف المسلمون وتقدم غيرهم، ط2، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، (د ت)
56. صلاح زكي أحمد: أعلام النهضة العربية الإسلامية في العصر الحديث، ط1 ، مركز الحضارة العربية، القاهرة، 2001
57. طه حسين: مستقبل الثقافة في مصر، (د ط)، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2014
58. طه عبد الرحمان: اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1998
59. عباس محمود العقاد: عبقرى الإصلاح والتعليم الإمام محمد عبده، (د ط)، مؤسسة الهنداوي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2013
60. عبد الحميد براهيمى: في أصل الأزمة الجزائرية (1958 - 1999) ، ط1 ، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001
61. عبد الرحمان بن ابراهيم بن العقون: الكفاح القومي والسياسي، ج1 ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
62. عبد الرحمان بن محمد الجيلالي: محمد بن أبي شنب حياته وآثاره، (د ط)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983
63. عبد الرحمن الكواكبي: طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد، ط3، دار النفائس، بيروت، لبنان، 2006
64. عبد الرشيد زروقة: جهاد ابن باديس ، ط1 ، دار الشهاب، بيروت، 1999
65. عبد القادر المجاوي: إرشاد المتعلمين ، ط1 ، دار ابن حزم ، بيروت، 2008
66. عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائرية ودورها في تطور الحركة الوطنية الجزائرية 1931 - 1945، (د ط) ، عالم المعرفة ، الجزائر، 2009
67. عبد الكريم بوالصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقتها بالحركات الجزائرية الأخرى، دار مداد يونيفار سيتي براس، قسنطينة، 2009
68. عبد الهادي بن ظافر الشهري: استراتيجيات الخطاب، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بنغازي، ليبيا، 2004
69. عدنان محمد زرزور: جذور الفكر القومي والعلماني، ط3 ، المكتب الإسلامي، بيروت، 1999

70. عصام نور الدين: زكي نجيب الأرسوزي (حياته وآراؤه في السياسة واللغة)، ط1، دار الصداقة العربية، بيروت، 1996
71. عقيلة حسين: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في خدمة الحديث الشريف، ط 1 ، دار الوعي للنشر والتوزيع، الجزائر، 2012
72. علي المحافظة: الاتجاهات الفكرية عند العرب في عصر النهضة، (د ط)، الأهلية للنشر والتوزيع، بيروت، 1987
73. علي عبد الرازق: الإسلام وأصول الحكم، (د ط)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2000
74. علي محمد الصلابي: كفاح الشعب الجزائري ضد الاحتلال الفرنسي وسيرة الزعيم عبد الحميد بن باديس، ج 2 ، ط 1 ، دار ابن الجوزي، القاهرة، 2017
75. قاسم أمين: المرأة الجديدة، (د ط)، دار الشروق، القاهرة، 1989
76. قاسم أمين: تحرير المرأة، (د ط)، دار الشروق، القاهرة، 1989
77. قسطنطين زريق: في معركة الحضارة، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1981
78. قسطنطين زريق: الوعي القومي، (د ط) ، منشورات دار المكشوف، بيروت، 1939
79. مازن صلاح حامد مطبقاني: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، مؤسسة عالم الأفكار، المحمدية، 2011
80. مازن صلاح مطبقاني: عبد الحميد بن باديس، ط 2 ، دار القلم، دمشق، 1999
81. مالك بن نبي: القضايا الكبرى، ط 2، دار الفكر، دمشق، 2000
82. مالك بن نبي: بين الرشاد والتهيه ، ط2، دار الفكر، دمشق، 2002
83. مالك بن نبي: شروط النهضة، ترجمة: عمر كامل مسقاوي وعبد الصبور شاهين، (د ط)، دار الفكر، دمشق، 1986
84. مالك بن نبي: مجالس دمشق، ط2، دار الفكر، دمشق، 2006
85. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط 5 ، دار الفكر، دمشق، 2000
86. مالك بن نبي: ميلاد مجتمع، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط 3 ، دار الفكر، دمشق، 1986
87. مالك بن نبي: وجهة العالم الإسلامي، ترجمة: عبد الصبور شاهين، ط2 ، دار الفكر، دمشق، 2002
88. محمد الدراجي: الشيخ عبد الحميد بن باديس السلفية والتجديد، (د.ط)، دار الهدى، الجزائر، 2012
89. محمد الصالح الصديق: شخصيات ومواقف، (د ط) ، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992
90. محمد الطيب عقاب: حمدان خوجة رائد التجديد الإسلامي، (د ط)، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007

91. محمد الميلي: ابن باديس وعروبة الجزائر، وزارة الثقافة، الجزائر، 2007
92. محمد بن سميحة: صفحات من إسهامات جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في النهضة الحديثة، (د ط)، دار مدني، الجزائر، 2004
93. محمد بن مصطفى الخوجة: إقامة البراهين العظام على نفي التعصب الديني في الإسلام، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012
94. محمد بن مصطفى الخوجة: اللباب في أحكام الزينة واللباس والاحتجاب، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012
95. محمد بن مصطفى بن الخوجة: الاكتراث بحقوق الإناث، أعمال محمد بن مصطفى بن الخوجة، منشورات خمسينية جامعة الجزائر، الجزائر، 2012
96. محمد بهي الدين سالم: ابن باديس فارس الإصلاح والتنوير، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1999
97. محمد رجب البيومي: النهضة الإسلامية في سير أعلامها المعاصرين، الجزء الأول، ط 1، دار القلم، دمشق، 1995
98. محمد عابد الجابري: الخطاب العربي المعاصر، ط 5، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 1994
99. محمد عابد الجابري: العقل الأخلاقي العربي، ط 1، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2001
100. محمد عابد الجابري: العقل السياسي العربي، ط 4، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000
101. محمد عابد الجابري: بنية العقل العربي، ط 9، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009
102. محمد عابد الجابري: تكوين العقل العربي، ط 10، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2009
103. محمد عابد الجابري: المشروع النهضوي العربي، ط 2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، 2000
104. محمد عبده: الإسلام بين العلم والمدنية، (د ط)، كلمات عربية للترجمة والنشر، القاهرة، 2011
105. محمد عبده: رسالة التوحيد، (د ط)، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة، 2000
106. محمد عمارة: المشروع الحضاري الإسلامي، (د ط)، دار السلام للطباعة والنشر، القاهرة، 2008
107. محمد عمارة: التيار القومي الإسلامي، ط 1، دار الشروق، القاهرة، 1997
108. محمد عمارة: جمال الدين الأفغاني بين حقائق التاريخ وأكاذيب لويس عوض، ط 1، دار السلام، القاهرة، 2009
109. محمد محمد حسين: الإسلام والحضارة الغربية، (د ط)، دار الفرقان، (د ت)
110. محمود أمين العالم: مواقف نقدية من التراث، (د ط)، دار قضايا فكرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1997

111. مصطفى محمد حميداتو: عبد الحميد بن باديس وجهوده التربوية، ط1، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الدوحة ، 1997
112. مولود عويمر: الفكر الإصلاحي المعاصر وقضايا التنوير، (د ط)، دار الهدى، الجزائر، 2017
113. ميشال فوكو: حفريات المعرفة، ترجمة: سالم يافوت، ط2 ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 1987
114. ميشال فوكو: نظام الخطاب، ترجمة: محمد سيلا، (د ط)، دار التنوير، بيروت، 2007
115. نور الدين أبو لحية: جمعية العلماء المسلمين والطرق الصوفية وتاريخ العلاقة بينهما، ط 2 ، دار الأنوار للنشر والتوزيع، 2016
116. هاملتون جيب: الاتجاهات الحديثة في الإسلام، ترجمة: هاشم الحسيني، دار مكتبة الحياة، بيروت، 1966

قائمة المراجع باللغة الأجنبية

1. Ahmed El Rifaie Chorfi: **Imam Moubarak Ben Mohammed El Milli**, Traduit par : wafa bedjaoui, Tome 1 , DAR EL HOUDA ,AIN MLILA ALGERIE, 2015
2. Ahmed El Rifaie Chorfi: **Imam et Cheikh Et Taib El Okbi** ,Traduit par : wafa bedjaoui, Tome 2, DAR EL HOUDA AIN M LILA, ALGERIE, 2015
3. Ahmed El Rifaie Chorfi: **Imam Abou Yaala Ezzouaoui** ,Traduit par : wafa bedjaoui, Tome 4 ,DAR EL HOUDA, AIN M LILA, ALGERIE ,2015
4. Jacques Carret: **L'association Des Oulamas D'algerie**, Alem El Afkar, Alger , 2008

المعاجم والموسوعات والتقواميس

1. ابن منظور: لسان العرب، (دون طبعة)، دار المعارف، القاهرة، (دون تاريخ).
2. أبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا اللغوي، مجمل اللغة، ج 3 ، ط 2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986
3. أندريه لالاند: موسوعة لالاند الفلسفية ، تعريب: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ط2، 2001
4. بطرس البستاني: محيط المحيط، مكتبة لبنان، بيروت، 1987

5. جبرار جهامي: موسوعة مصطلحات الفكر العربي والإسلامي الحديث والمعاصر، ج3، ط 1، مكتبة لبنان، 2002.
6. روزنتال، يودين: الموسوعة الفلسفية، ترجمة: سمير كرم، (د ط)، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، (د ت)
7. عبد المنعم الحفني: المعجم الشامل لمصطلحات الفلسفة، ط3 مكتبة مدبولي، القاهرة، 2000
8. قطب مصطفى سانو: معجم مصطلحات أصول الفقه، قدم له وراجعته: محمد رواس قلعي، ط1، دار الفكر، دمشق، 2000
9. مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، ط1، مطابع الدار السنديسية، مصر، 1980
10. مجمع اللغة العربية: معجم ألفاظ القرآن الكريم، ج1، ط2، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، مصر، 1989.
11. مراد وهبة: المعجم الفلسفي، (د ط)، دار قباء الحديثة، القاهرة، 2007

الجرائد والمجلات والدوريات

1. محمد بن سمينة: المشروع التربوي الباديسي، جريدة البصائر، العدد: 147، الاثنين 08 - 15 ربيع الثاني 1424 هـ / 09 - 16 جوان 2003
2. عبد الحميد عبدوس: من يتحمل مسؤولية تجسيد مشرع المصالحة الوطنية؟، جريدة البصائر، العدد: 194، الاثنين 11 - 18 ربيع الثاني 1425 هـ / 31 ماي - 07 جوان 2004
3. محمد بن سمينة: قضية المرأة في منظومة الفكر الباديسي، جريدة البصائر، العدد: 208، الاثنين 19 - 26 شعبان 1425 هـ / 04 - 11 أكتوبر 2004
4. بومعزة عبد القادر: مسيرة جريدة البصائر بين الماضي والحاضر، جريدة البصائر، العدد: 252، الاثنين 01 - 08 شعبان 1426 هـ / 05 - 12 سبتمبر 2005
5. بومعزة عبد القادر: جريدة البصائر بين الماضي والحاضر، جريدة البصائر، العدد: 253، الاثنين 08 - 15 شعبان 1426 هـ / 12 - 19 سبتمبر 2005
6. عبد الرحمان شيبان: مع محنة المنظومة التربوية، جريدة البصائر، العدد: 273، الاثنين 30 ذو الحجة 1426 هـ / 07 محرم 1427 / 30 جانفي - 06 فيفري 2006

7. محمد الطاهر عزوي: التعريف برؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **جريدة البصائر**، العدد: 297، الاثنين 21 - 28 جمادى الثانية 1427 هـ / 17 - 24 جويلية 2006
8. محمد الطاهر عزوي: التعريف برؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **جريدة البصائر**، العدد: 298، الاثنين 28 جمادى الثانية - 05 رجب 1427 هـ / 24 - 31 جويلية 2006
9. عبد الرحمان شيبان: المؤتمر الإسلامي 1936 تجذير للهوية الجزائرية ونسف للاندماجية، **جريدة البصائر**، العدد: 337، الاثنين 12 - 19 ربيع الثاني 1428 هـ / 30 أبريل - 07 ماي 2007
10. **جريدة البصائر**، العدد: 425، الاثنين 08 - 14 محرم 1430 هـ / 05 - 11 جانفي 2009
11. عمار طالبي: أزمة المنظومة التربوية في الجزائر، **جريدة البصائر**، العدد 488، الاثنين 06 - 12 ربيع الثاني 1431 / 22 - 28 مارس 2010
12. نوار جدواني: السيرة الذاتية للشيخ عبد الرحمان شيبان، **جريدة البصائر**، العدد: 561، الاثنين 15 - 21 رمضان 1432 هـ / 15 - 21 أوت 2011
13. أبو محمد الأخضر: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين تؤكد ريادتها **جريدة البصائر**، العدد: 566، الاثنين 21 - 27 شوال 1432 هـ / 19 - 25 سبتمبر 2011
14. موسى ميلي: الجانب السياسي في فكر الإمام ابن باديس، **جريدة البصائر**، العدد: 598، الاثنين 08 - 14 جمادى الثانية 1433 هـ / 30 أبريل 06 ماي 2012
15. رابح زرواتي: رحلة الإمام محمد البشير الإبراهيمي إلى الأقطار الإسلامية، **جريدة البصائر**، العدد: 611، الاثنين 11 - 17 رمضان 1433 هـ / 30 جويلية - 05 أوت 2012
16. قدور قرناش: **جريدة البصائر** الكلمة الطيبة والأصل الثابت، **جريدة البصائر**، العدد: 685، الاثنين 27 صفر - 03 ربيع الأول 1435 هـ / 30 ديسمبر - 05 جانفي 2014
17. **جريدة البصائر**، العدد: 700، الاثنين 14 - 20 جمادى الثانية 1435 هـ / 14 - 20 أبريل 2014
18. مولود عويمر: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين صوت الإسلام في فرنسا، **جريدة البصائر**، العدد: 703، الاثنين 05 - 11 رجب 1435 هـ / 05 - 11 ماي 2014
19. محمد أرزقي فراد: نادي الترقى يستغيث، **جريدة البصائر**، العدد: 710، الاثنين 25 شعبان 01 رمضان 1435 هـ / 23 - 29 جوان 2014
20. محمد بسكر: الشيخ عبدالقادر المجاوي منهجه وفكره الإصلاحية التجديدي، **جريدة البصائر**: العدد : 724، الاثنين 12 - 18 ذو الحجة 1435 هـ / 06 - 13 أكتوبر 2014

21. عيسى عمراني: معهد ابن باديس الباكورة التربوية لجمعية العلماء، **جريدة البصائر**، العدد: 754، الاثنين 21- رجب 1436 / 10.04 ماي 2015
22. عبد الرزاق قسوم: كلمة رئيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في ملتقى الشيخين، **جريدة البصائر**، العدد: 755، الاثنين 22 - 28 رجب 1436 هـ/ 11 - 17 ماي 2015
23. علي عسكري: لجنة الإغاثة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **جريدة البصائر**، العدد: 758، الاثنين 13 - 19 شعبان 1436 هـ / 01 - 07 جوان 2015
24. دار الحديث، **جريدة البصائر**، العدد: 776، الاثنين 21 - 27 ذو الحجة 1436 هـ / 05 - 11 أكتوبر 2015
25. عمار جبدل: الهوية والمرجعية في ظل التحديات المعاصرة، **جريدة البصائر**، العدد: 777، الاثنين 28 ذو الحجة 1436 هـ 04 محرم 1437 هـ / 12 - 18 أكتوبر 2015
26. عبدالملك حداد: الشيخ ابن باديس رائد تعليم البنات ونصير المرأة، **جريدة البصائر**، العدد: 801، الاثنين 19 - 25 جمادى الثانية 1437 هـ/ 28 مارس - 03 أبريل 2016
27. عمار مطاطلة: ابن باديس والجامع الأخضر، **جريدة البصائر**، العدد: 803، الاثنين 03 - 09 رجب 1437 هـ/ 17. 11 أبريل 2016
28. التهامي مجوري: هكذا استأنفت جمعية العلماء نشاطها، **جريدة البصائر**، العدد: 806، الاثنين 24 رجب 01 شعبان 1437 هـ / 02 - 08 ماي 2016
29. عبدالرزاق قسوم: الجو العلمي الأريج في ملتقى برج بوعريريج، **جريدة البصائر**، العدد: 809، الاثنين 16 - 22 شعبان 1437 هـ / 23 - 29 ماي 2016
30. حسن خليفة: ملتقيات الجمعية.. هذه الحسنة السائرة، **جريدة البصائر**، العدد: 810، الاثنين 23 - 29 شعبان 1437 هـ / 30 ماي - 05 جوان 2016
31. عبد الرزاق قسوم: المنظومة التربوية برؤية استشرافية للفوز بالحاضر والمستقبل ، **جريدة البصائر**، العدد: 812، الاثنين 07 - 13 رمضان 1437 هـ / 13 - 19 جوان 2016
32. كمال بن عطاء الله: رؤية ابن باديس للمنهج التربوي ، **جريدة البصائر**، العدد: 815، الاثنين 06 - 12 شوال 1437 هـ / 11 - 17 جويلية 2016
33. حوار مع الباحثة اليابانية شوكووتاناابي: **جريدة البصائر**، العدد: 816، الاثنين 13 - 19 شوال 1437 هـ / 18 - 24 جويلية 2016

34. **جريدة البصائر**، العدد: 821، الاثنين 19 - 26 ذو القعدة 1437هـ / 22 - 29 أوت 2016
35. **جريدة البصائر**، العدد: 834، الاثنين 27 صفر - 04 ربيع الأول 1438هـ / 28 نوفمبر - 04 ديسمبر 2016
36. عبد الرزاق قسوم: لا لتجفيف المنايع، **جريدة البصائر**، العدد: 849، الاثنين 14 - 20 جمادى الثانية 1438 / 13 - 19 مارس 2017
37. دعوة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وأصولها، **جريدة البصائر**، العدد 857، الاثنين 11-18 شعبان 1438 هـ / 8 - 15 ماي 2017
38. حسن خليفة: جمعية العلماء وما بعد الحداثة ، **جريدة البصائر**، العدد: 858، الاثنين 18 - 24 شعبان 1438 هـ / 15 - 21 ماي 2017
39. قافلة الجزائر- غزة الرابعة، **جريدة البصائر**، العدد: 863، الاثنين 24 - 30 رمضان 1438 هـ / 19 - 25 جوان 2017
40. عيسى عمراني: معهد ابن باديس، **جريدة البصائر**، العدد: 870، الاثنين 14 - 20 ذو القعدة 1438 هـ / 07-13 أوت 2017
41. عبد الرزاق قسوم: تأملات في المنظومة التربوية، **جريدة البصائر**، العدد: 878، الاثنين 10 - 06 محرم 1439 / 02 - 08 أكتوبر 2017
42. عبد الرزاق قسوم: ملتقى قسنطينة الدولي تفعيل العقيدة الإسلامية في الاستنهاض الحضاري، **جريدة البصائر**، العدد: 887، الاثنين 15 - 21 ربيع الأول 1439 هـ / 04 - 10 ديسمبر 2017
43. عبدالرزاق قسوم: الشيخان السنوسيان في ملتقى تلمسان، **جريدة البصائر**، العدد: 894، الاثنين 04 - 10 جمادى الأولى 1439 هـ / 22 - 28 جانفي 2018
44. التهامي مجوري: البعد الإصلاحي لفلسفة الملتقيات في جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، **جريدة البصائر**، العدد: 895، الاثنين 11 - 17 جمادى الأولى 1439 هـ / 29 جانفي - 04 فيفري 2018
45. عبدالرزاق قسوم: ملتقى القدس الدولي، **جريدة البصائر**، العدد: 896، الاثنين 18 - 24 جمادى الأولى 1439 هـ / 05 - 11 فيفري 2018
46. حسن خليفة: الأقصى وكيف ننصره ، **جريدة البصائر**، العدد: 896، الاثنين 18 - 24 جمادى الأولى 1439 هـ / 05 - 11 فيفري 2018
47. بن يونس آيت سالم: دور المرجعية الفقهية في الحفاظ على التماسك الاجتماعي، **جريدة البصائر**، العدد: 909، الاثنين 21 - 27 شعبان 1439 هـ / 07 - 13 ماي 2018

48. حسن خليفة: النهوض بالمؤسسة المسجدية في بلادنا، **جريدة البصائر**، العدد: 919، الاثنين 03 - 09 ذو القعدة 1439 هـ / 16 - 22 جويلية 2018
49. ابراهيم نويري: القرآن الكريم كافل لوحدة الأمة، **جريدة البصائر**، العدد: 929، الاثنين 21 - 27 محرم 1440 / 01 - 07 أكتوبر 2018
50. عمار طالبي: أما أن للمغرب العربي أن يلتئم ؟ ، **جريدة البصائر**، العدد: 935، الاثنين 04 - 10 ربيع الأول 1440 هـ / 12 - 18 نوفمبر 2018
51. عبد الرزاق قسوم: جمعية العلماء تحذر من عواقب العصيان المدني، **جريدة البصائر**، العدد 952 ، الاثنين 04 - 10 رجب 1440 هـ / 11 - 17 مارس 2019
52. **جريدة البصائر**، العدد: 970، الاثنين 19 - 25 ذو القعدة 1440 هـ / 22 - 28 جويلية 2019
53. **جريدة البصائر**، العدد: 990، الاثنين 19 - 25 ربيع الثاني 1441 هـ / 16 - 22 ديسمبر 2019
54. **جريدة المنتقد**، السنة الأولى، العدد: 08 ، الخميس 30 محرم 1344 هـ / 20 أوت 1925، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2008
55. **جريدة الشهاب**، الجزء الخامس، المجلد السادس، غرة محرم 1439 هـ / جوان 1930، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2001
56. **جريدة السنة النبوية المحمدية**، السنة الأولى، العدد 01 ، الإثنين 08 ذي الحجة 1351 هـ / 17 أفريل 1933، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003
57. **جريدة الصراط السوي**، السنة الأولى، العدد 03، الاثنين 05 جمادى الثانية 1352 هـ / 25 سبتمبر 1933، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003
58. **جريدة الصراط السوي**، السنة الأولى ، العدد 10 ، الاثنين 02 شعبان 1352 هـ / 22 نوفمبر 1933، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2003
59. عبد الرزاق قسوم: الافتتاحية ، **مجلة التبيان**، العدد 01 ، ذو القعدة 1437 / سبتمبر 2016
60. يحي صاري: جمعية العلماء والقضية الفلسطينية، **مجلة التبيان**، العدد 01، ذو القعدة 1437 / سبتمبر 2016
61. نبذات من حياة رؤساء جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ، **مجلة التبيان**، العدد 01، ذو القعدة 1437 / سبتمبر 2016

62. تركي رايح: ابن باديس والشخصية الجزائرية، مجلة الأصالة، السنة الأولى، العدد: 02، ربيع الأول 1391 هـ / ماي 1971، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر.
63. عبد الرحمان الجيلالي: جوانب من كفاح الشيخ عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي، مجلة الأصالة، السنة الثالثة، العدد: 13، صفر - ربيع الأول 1393 هـ / مارس - أبريل 1973، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر
64. تركي رايح: ابن باديس ونشأة الحركة الإصلاحية في الجزائر، مجلة الأصالة، السنة الرابعة، العدد: 24، ربيع الأول - ربيع الثاني 1395 هـ / مارس - أبريل 1975، وزارة التعليم الأصلي والشؤون الدينية، الجزائر
65. عبدالقادر فضيل: منهجية بناء الخطاب المسجدي، رسالة المسجد، العدد الثاني، رجب 1424هـ/سبتمبر 2003 م، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر
66. عمار طالبي: القرآن والارتقاء بالوجود الإنساني، رسالة المسجد، العدد الثاني، رجب 1424هـ/سبتمبر 2003 م، وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر
67. عمر جمال الدين دحماني: دور المجتمع المدني في ترشيد حركة الإعلام الجديد بين أوساط الشباب جمعية العلماء المسلمين الجزائريين نموذجا، رسالة المسجد، السنة 13، العدد الثاني، جمادى الأول - جمادى الثانية 1436هـ/ مارس - أبريل 2015 م وزارة الشؤون الدينية والأوقاف، الجزائر.
68. محمد صفي الدين خربوش: موقف الفكر القومي العربي من الإسلام، مجلة منبر الحوار، فصلية فكرية ثقافية، العدد 16، السنة الرابعة، دار الكوثر، بيروت، لبنان، (1989-1990)
69. Yamina Khenfri , Brève présentation sur la revue Arrabiaa, L'association Des Oulémas Musulmans Algériens: **Le jeune Musulman** n 30 . Octobre 2018

المواقع الإلكترونية

1. www.oulamadz.org

2. <https://www.djazairess.com>

فهرس

الموضوعات

فهرس الموضوعات

أ. ح	مقدمة
	الفصل الأول: مفهوم خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث والمعاصر وتأثيره على الخطاب النهضوي في الجزائر
02	تمهيد
03	المبحث الأول: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للخطاب
03	أولاً: الدلالة اللغوية
04	ثانياً: الدلالة الاصطلاحية
08	المبحث الثاني: الدلالة اللغوية والاصطلاحية للنهضة
08	أولاً: الدلالة اللغوية
09	ثانياً: الدلالة الاصطلاحية
13	المبحث الثالث: خطاب النهضة في الفكر العربي الحديث
17	أولاً: التيار الإصلاحى الدينى
31	ثانياً: التيار القومى
38	ثالثاً: التيار التغرىبى الليبرالى
47	المبحث الرابع: خطاب النهضة في الفكر العربي المعاصر
47	أولاً: زكى نجيب محمود
53	ثانياً: مالك بن نبي
60	ثالثاً: محمد عابد الجابرى
67	رابعاً: حسن حنفي
76	خاتمة

الفصل الثاني: الخطاب النهضوي في الفكر الجزائري

78	تمهيد
	المبحث الأول: الأوضاع العامة في الجزائر قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
79
79	أولاً: الأوضاع السياسية
82
82	ثانياً: الأوضاع الاقتصادية
84
84	ثالثاً: الأوضاع الاجتماعية
87
87	رابعاً: الأوضاع الثقافية
	المبحث الثاني: الحركة الفكرية والإصلاحية قبل تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
92
92	أولاً: الحركة الفكرية
92
92	1 - حمدان خوجة
94
94	2 - محمد بن محمود العنابي
95
95	3 - محمد بن مصطفى بن الخوجة
97
97	4 - محمد بن أبي شنب
99
99	ثانياً: الحركة الإصلاحية
99
99	1 - عبد القادر المجاوي
104
104	2 - صالح بن مهنا
106
106	3 - عبد الحليم بن سماية
108
108	4 - المولود بن الموهوب
	المبحث الثالث: نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
110
110	أولاً: عوامل نشأة جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
110
121	ثانياً: تأسيس جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

127	المبحث الرابع: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ومقاصدها
127	أولاً: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين
127	1- بناء الإنسان الجزائري
130	2- المحافظة على هوية المجتمع الجزائري
131	ثانياً: أهداف جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في كتابات الغربيين
138	خاتمة

الفصل الثالث: الخطاب النهضوي في فكر جمعية

العلماء المسلمين الجزائريين

140	تمهيد
141	المبحث الأول: الخطاب العقدي
141	أولاً: محاربة البدع والخرافات
147	ثانياً: محاربة الزوايا والطرقية المنحرفة
155	ثالثاً: موقف جمعية العلماء من التنصير والإلحاد
159	رابعاً: موقف جمعية العلماء المسلمين من التجنيس
162	المبحث الثاني: الخطاب التربوي
163	أولاً: أهمية التعليم
165	ثانياً: إصلاح التعليم
166	ثالثاً: أركان التعليم
172	رابعاً: نظام التعليم بعد الاستقلال
179	المبحث الثالث: الخطاب الاجتماعي
179	أولاً: محاربة الجهل
181	ثانياً: محاربة الانحراف الأخلاقي
183	ثالثاً: مكافحة الفقر

186 رابعا: تعزيز الوحدة الوطنية
188 خامسا: الاهتمام بالجالية الجزائرية في فرنسا
192 المبحث الرابع: الخطاب السياسي
192 أولا: قضية الوطن
208 ثانيا: القضية الفلسطينية
213 ثالثا: القضايا العربية والإسلامية
217 رابعا: القضايا الإنسانية
220 خاتمة

الفصل الرابع: وسائل الخطاب النهضوي في فكر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين

223 تمهيد
224 المبحث الأول: المسجد
226 أولا: المسجد الأخضر وتفسير ابن باديس للقرآن الكريم
235 ثانيا: مسجد كتشاوة وخطبة الجمعة للإبراهيمي
238 ثالثا: رؤية جمعية العلماء للخطاب المسجدي
240 المبحث الثاني: المدرسة
242 أولا: مدرسة دار الحديث بتلمسان
245 ثانيا: معهد الشيخ عبد الحميد بن باديس بقسنطينة
248 ثالثا: المدارس القرآنية
251 المبحث الثالث: الصحافة
252 أولا: صحافة جمعية العلماء في عهد الاحتلال
259 ثانيا: صحافة جمعية العلماء في عهد الاستقلال
262 ثالثا: انفتاح جمعية العلماء على الإعلام الجديد

266 المبحث الرابع: النوادي والجمعيات والملتقيات
266 أولاً: النوادي
269 ثانياً: الجمعيات
271 ثالثاً: الملتقيات
280 خاتمة
283 الخاتمة
289 الملحق
307 فهرس الآيات القرآنية
309 فهرس الأحاديث النبوية الشريفة
310 فهرس الأعلام
315 قائمة المصادر والمراجع
331 فهرس الموضوعات

ملخص:

إن الهدف من هذه الأطروحة هو محاولة إبراز دور جمعية العلماء المسلمين الجزائريين الإصلاحية في تغيير أوضاع المجتمع الجزائري، وذلك من خلال تنويره والمحافظة على هويته سواء في عهد الاحتلال أو في عهد الاستقلال، وقراءة جمعية العلماء لواقع المجتمع الجزائري جعلها تدرك أن الأمة بحاجة إلى بناء الإنسان، فتنوير العقول هو بمثابة الأساس لتحرير الأبدان، لأن العدو الحقيقي حسب جمعية العلماء هو الاستعمار الروحي المتمثل في الزوايا والطريقة المنحرفة والبدع والخرافات، وأنه إذا تم القضاء على هذا الاستعمار، يسهل القضاء على الاستعمار المادي المتمثل في الاحتلال الفرنسي. ولإصلاح المجتمع الجزائري تميز خطاب جمعية العلماء بالشمولية باعتباره قد مس كافة جوانب الحياة العقدية والتربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية، ولتبليغها لهذا الخطاب استخدمت جملة من الوسائل المتمثلة في المسجد والمدرسة والصحافة والنوادي والجمعيات والملتقيات وذلك من أجل تحقيق غاياتها وأهدافها.

Abstract:

The aim of this thesis is to try to highlight the role of the Association of Algerian Muslim *Ulama* in changing the conditions of Algerian society by developing it and preserving its identity, whether during the occupation or in the era of independence. In a sense, a sensible reading of the *Ulama* Association to the reality of Algerian society led it to perceive the necessity of the nation to build man. The liberation of minds is the basis for body liberation, because, according to the *Ulama* Association, the real enemy is the spiritual colonization emancipating the Algerian colonized mind from superstitions, unorthodoxies and the delinquent Tariqa's. Their argument is premised on the fact that if this type of colonization were to end, it would be easier then to put a term to the French material colonization. In order to reform Algerian society, the discourse of the *Ulama* Association was distinguished by comprehensiveness as it affected all aspects of the sacred, educational, social, economic and political life. Hence to disseminate its discourse achieve the goals, it used a number of means represented in the mosque, the school, the press, clubs, associations and meetings.